المورد

٢

تصدر عن
الشؤون الثقافية العامة
- وزارة الثقافة والاعلام
الجمهورية العراقية

السابع عشر
العدد الثاني
ـ ١٩٨٨ م

المورد

مجلة تراثية فصلية

تصدرها وزارة الثقافة والاعلام ـ دار الشؤون الثقافية العامة ـ بغداد ـ الجمهورية العراقية

المجلد السابع عشر
ربيع ١٩٨٨
العدد الثاني

رئيس التحرير : عبدالحميد العلوجي

سكرتيرة التحرير : هدى شوكة بهنام

● عنوان المجلة : دار الشؤون الثقافية العامة ـ الاعظمية ـ ص ب ٤٠٣٢ بغداد ـ الجمهورية العراقية .
● لاتعاد المواد لاصحابها سواء تنشر ام لم تنشر .

الفاو

أهميتها السوقية وانعكاساتها على دور العراق في أمن الخليج العربي

د. فلاح شاكر أسود
كلية الاداب / جامعة بغداد

المقدمة

تعد مدينة الفاو في الوقت الحاضر من المدن العراقية التي لها خصوصيتها في نفوس العراقيين . فقد غزتها قبل اكثر من عامين . قوات النظام الفارسي اللئيم . وكانت انظار العراقيين جميعاً شاخصة نحو الجنوب ، حيث مياه شط العرب والخليج العربي تحكي قصة تاريخ مدينة الفاو . بوابة العراق التي طمع فيها الغزاة المستعمرون منذ القدم . والذين حاولوا احتلال العراق ودخول اراضيه . وحيث كان التنافس الاستعماري على اشدّه . لاهميتها الاقتصادية والعسكرية والسوقية . وكانت عيون العراقيين ترى على البعد نخيلها الباسق الذي يحكي شموخ العراق وعزته قيادة وشعباً . والذين ارتسمت صورته الجميلة فكان قصيدة على لسان الشعراء ، وانشودة يتغنى بها رواد البحر والشط والخليج تستهويهم مداخل المياه وانسياب المشاحيف واصوات المغنين الذين تسحرهم روعة البساتين الممتدة ، ويطويهم صوت الماء الرقراق وهو يرسم خريطة المد والجزر . وكان صبر العراقيين مقروناً بالامل بان هذه المدينة العزيزة ستعود الى احضان الام الحنون ، الى ارض العراق ، عندما تحين ساعة الخلاص .

وها هي مدينة الفاو تعود مزهوة بنصر من الله الى العراق الحبيب برمضان المبارك وهي اكثر جمالاً . فقد حضيت شهرتها جميع وسائل الاعلام المرئية والمسموعة المكتوبة في العالم ، واصبحت حديثاً على لسان محلّل سياسي .

وتغنى بها الشعراء ، وكتب عنها الادباء ، وخصها العلماء بابحاثهم . وسجل ابناء العراق عل ارضها ملاحم البطولة والشجاعة ، ورووا بدمائهم الزكية ارضها ومياها ومالحها . لتظل هذه المدينة العزيزة صورة للنصر . وحكاية لانتزاع الارض واملاً لكل الحالمين باستعادة الحق السليب . وليكتب تاريخها المضيء في القرن العشرين ، تاريخ العراق المجيد بأروع السطور واجمل المفردات .

واذا كانت رمضان المبارك ، قد حررّت الفاو ، فان الاسابيع الستة التي اعقبتها كانت زحفاً مقدساً آخر ليوم (توكلنا على الله) لاستكمال تحرير الارض وطرد الغزاة شر طردة خارج الحدود ، لتعود سواعد العراقيين سوراً يحمي الارض والنخل والماء ، وليظل التراب العراقي طاهراً ونقياً ، ولتقرّ العيون بالنصر المبارك الذي قاده بطل التحرير والمناضل صدام حسين (حفظه الله) بحكمته الفذة ، وقيادته الجريئة وارادته الخيرة ، وبعزيمة ابناء العراق الغيارى الذين حملوا امانة الوفاء ، ومسؤولية التاريخ وكرامة الوطن .

الفاو

الفاو هي الصدع في الجبل . والفاو مابين الجبلين ، وهي ايضاً الوَطئُ بين الحرتين ، وقيل هي الدارة من الرمال[1]

قال النمر بن تولب

لم يَرعها أحد واكتم روضها
فـاو من الارض محفـوف بأعلام

وقال الاصمعي : الفاو بطن من الارض تُطيف به الرمال يكون مستطيلاً وغير مستطيل . وانما سمي فأوا لانفراج الجبال عنه ، لان الانفياء الانفتاح والانفراج .

وقول ذي الرمة

راحت من الخُرّج تهجيراً مما وقعت
حتى انفأى الفاو عن اعناقها سحرا

وهذا يعني ان كلمة الفاو ، هي المنطقة المفتوحة ذات السطح المستوي الذي تحفه الرمال . وهو ينطبق على موقع الفاو الحالي في الجزء الجنوبي من العراق

التكوين الطبيعي لمنطقة الفاو

ومنطقة الفاو تمثل الجزء الجنوبي من السهل الرسوبي في العراق ، والذي يغطي مساحة ٩٢/٠٠٠ كم٢ او مايعادل ٢٠,٩ ٪ من مساحة العراق . وقد خضعت منطقة الفاو الى نفس الظروف التي خضع لها السهل الرسوبي . وساد في الاوساط العلمية منذ القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين . بان مياه الخليج العربي كانت تمتد الى منطقة قريبة من بغداد وسامراء استنادا الى الدراسات الاثارية التي تضع اقدم الاثار التي اكتشفت في جنوب العراق في حدود ٥٠٠٠ ق . م . ومن الباحثين الذين درسوا المنطقة واعطوا اراءهم في تكوين السهل الرسوبي بما فيها منطقة الفاو هم :

١ ـ سيتون لويد في كتابه Twin Rivers . وقال ان الخليج العربي كان يمتد سنة ٤٠٠٠ ق . م الى شمال غرب بغداد بحوالي ٩٠كم . وكان يمتد سنة ٢٦٠٠ ق . م . الى مدينة اور التاريخية . ومعنى هذا ان ساحل الخليج العربي تراجع خلال الفترتين حوالي ٣٦٨ كيلو متر (٢٣٠ ميل)[2]

٢ ـ وليام لوفتس في كتابه

Travels and Researches in chaldea and SuSiana

واوضح في كتابه الذي صدر عام ١٨٥٧ ، بان معدل تقدم الدلتا نحو الساحل الجنوبي حوالي ١,٦ كيلو متر في كل ٧٠ سنة ، وذلك بسبب تراكم الرواسب الغرينية

٣ ـ جورج رولنسن في كتابه

The Five Great Monarchies and the Ancient world

اوضح بان ساحل الخليج العربي كان في زمن سلالة بابل الاولى ١٨٨٠ ق . م . الى ١٥٨٠ ق . م ، يمتد ١٩٢ ـ ٢٠٨ كيلومترا (١٢٠ ـ ١٣٠) ميلاً شمال حدود ساحله الحالي ، وعلى هذا الاساس يقدر امتداد الاراضي التي اضيفت الى العراق من جراء انسحاب الخليج العربي خلال الاربعين قرناً مساحة طولها ٢٠٨ كيلو متراً وعرضها بين ٩٦ ـ ١١٢كيلو متراً .

٤ ـ جاء في كتاب العراق الذي اعدته البحرية البريطانية بان دلتا العراق . كانت تتقدم في السابق اسرع من تقدمها في الوقت الحاضر ، فقد كان تقدمها ١,٦ كيلو متراً كل ٣٠ سنة ، واصبحت هذه المسافة تضاف كل ٧٠ سنة .

٥ ـ دراسة بيكي احد اوائل الباحثين في هذا الموضوع ، حيث قدم ادلة جيولوجية للبرهنة على صحة نظرية تقول بزحف الدلتا رأس الخليج العربي خلال عهد الهولوسين (القسم الثاني من عصر كواتيرناري)[3] وافترض انصار هذه النظرية . وجود ساحل بحري قديم بالقرب من مدينة سامراء . وان المياه تغمر الارض اليابسة الواقفة بين مدينة سامراء وساحل الخليج العربي الحالي . وان تراجع الخليج العربي بسبب ترسيب المواد الغرينية التي تحملها الانهار .

٦ ـ دراسة جاكبسون وفالكنشتاين

وقد ذكرت بان المصادر المسمارية تربط بين مدينتي اور واريدو مع البحر في الالف الثالث ق . م بينما تقع خرائبهما في الوقت الحاضر شمال ساحل الخليج العربي باكثر من ١٠٠ كيلو متر . وهذا يوضح بان الخليج العربي قد زحف الى الجنوب تاركاً الارض اليابسة .

٧ ـ دراسة العالم الجيولوجي دي موركان

وقد استنتجها من وصف حملة الملك سنحاريب حوالي ٦٩٦ ق . م على بلاد عيلام ، بان ساحل الخليج العربي يقع في ذلك الوقت بالقرب من هور الحمار ، وان نهري دجلة والفرات يصبان في الخليج العربي بشكل انفرادي يفصل بينهما مسافة ٦٤كم .

وتوضح الخرائط ١ ، ٢ ، ٣ تطور الدلتا وزحف الخليج

العربي حسب دراسته .

٨ ـ وفي عام ١٩٥٢ ظهرت دراسة ليس وفالكون ، واعطت تفسيراً جديداً لمظاهر منطقة الدلتا (٤) واوضحا بان فكرة زحف الدلتا من سامراء الى الخط الساحلي الحالي فكرة لايمكن الدفاع عنها . واحدى النقاط البارزة التي بقيت من هذه الدراسة هي ان رأس الخليج العربي قد زحف نحو الداخل في ارض يابسة بدلاً من تراجعه باتجاه البحر (٤) .

يتضح مما سبق بان منطقة الفاو هي جزء من مياه الخليج العربي سابقاً ، وان منطقة السهل الرسوبي خضعت الى حركة تقعر نشطة ادت الى حدوث منخفض مستمر وواسع ، واسهمت الانهار والوديان من الشرق والغرب على قطع جزء من الخليج العربي بشكل بحيرة واسعة . ثم اسهمت انهار دجلة والفرات بملء هذه البحيرة بالرواسب الغرينية التي تجلبها من منطقة المرتفعات الشمالية التي تنبع منها ، وان بقاء الاهوار حتى الوقت الحاضر ، رغم الرواسب الهائلة ، والسطمى عن طريق الفيضانات او الرياح ، يوضح انها مازالت تخضع الى حركة خسف مستمرة .

وان كمية الرواسب التي تستلمها الدلتا حسب تقدير (ايونيدس) حوالي ٥,٦ ملمتراً (٢٢ / ٠ بوصة) كل سنة . على مساحة من الارض قدرها ليس وفالكون (١٥٠٠ ميل٢) . بينما قدرها (ايونيدس) بمساحة تزيد حوالي عشرة اضعاف المساحة التي ذكرها ليس وفالكون .

وقد ظهرت منطقة الفاو كاحدث جزء من العراق باعتبارها تقع عند نهاية الدلتا القريبة من ساحل الخليج العربي . وان مستواها يكاد يكون اوطأ جزء من السهل الرسوبي . حيث ترتفع بحوالي ٣م عن مستوى سطح البحر . مما جعل مساحات واسعة منها تتعرض الى الغرق من مياه الخليج العربي . وقد ادى هذا الى حدوث عوائق طبيعية من الناحية العسكرية . وحدد من امكانية استخدام الاسلحة الثقيلة بكفاية عالية .

موقع الفاو واهميته

يحتل الفاو اقصى الجنوب الشرقي من محافظة البصرة . واقصى نقطة في جنوب العراق .

وموقعها الفلكي ، بين خطي عرض ٥٨َ ٢٩° ٣٤َ ٣٠° شمالاً ، وخطي طول ٢٩َ ٤٨° ـ ٣٦َ ٤٨° شرقاً وان طرفه الشمالي يبعد عن مركز المحافظة حوالي ٩٠ كيلو متراً .

يمثل قضاء الفاو ، احد الاقضية السبعة التابعة الى محافظة البصرة ، ويضم ثلاث وحدات ادارية وهي

١ ـ مركز القضاء

٢ ـ ناحية البحار

٣ ـ ناحية الخليج

ويشغل مساحة ١٣٥٣ كيلومترا مربع او مايمثل ٧ ٠/٠ من مساحة محافظة البصرة . وحوالي ٣,٠ ٠/٠ من مساحة العراق الكلية(٥)

ويحد الفاو من الشرق شط العرب ، ومن الغرب خور عبد الله ، ومن الشمال نهر خرم الدويب . ومن الجنوب الخليج العربي .

وجاءت اهمية الفاو عندما تأسست فيه اول محطة للتلغراف سنة ١٨٦١ ، في موضع يقع بين جدولي حاجي عبد الله . وحاجي رشيد . جنوب البصرة بحوالي ٩٧كم (٦٠ ميلا) ، والى شمال بناية الحجر الصحي العثمانية بمسافة ١٨٠ م (خارطة رقم ٤)

وكانت الظروف الطبيعية لموقع الفاو سبباً من اسباب صعوبة النزول الى شواطئه ، فمياه شط العرب من الشرق ، والصحراء من الجنوب الغربي والاراضي المكسوة بالطين والحشائش من الشرق والجنوب ، والجداول الصغيرة التي تقطع المنطقة كلها وفرت حماية طبيعية لهذه المنطقة المهمة المطلة على الخليج العربي ، مما لفت اليها انظار الدول المستعمرة للاستفادة من هذا الموقع السوقي المهم .

ومن الناحية الادارية ظلت الفاو ناحية صغيرة من نواحي البصرة حتى عام ١٩٠٣ ، عندما صيرها العثمانيون قضاء لتزايد اهميتها العسكرية ، الا انها اهملت واصبحت ناحية مرة اخرى (٦) ، وهي تابعة الى سنجق البصرة . (خارطة رقم ٥)

لقد زاد اهتمام الاستعمار البريطاني بهذه المدينة بعد ان فكر العثمانيون بتشييد حصن عسكري فيها في فترة الثمانينات من القرن التاسع عشر ، واختاروا موقعاً بين جدولي بور سعيد وملاعيس . جنوب دائرة التلغراف بمسافة تزيد قليلاً عن نصف كيلو متر .

وفي اعقاب حملة الاحساء سنة١٨٧١ ، اهتمت الدولة العثمانية باستحكامات شط العرب . ووجهت اهتماماً خاصاً الى الفاو . باعتبارها تتحكم في مدخل شط العرب ، والمنفذ المهم الى الاراضي الزراعية الغنية في العراق واقليم عربستان . وبدأت زيارة المسؤولين في الدولة العثمانية لهذه المنطقة ، حيث زارها الوالي رديف باشا سنة ١٨٧٤ لتفقد الاستحكامات فيها ،

ثم زارها القائد البحري العثماني في البصرة بامر من السلطات العثمانية العليا لاختيار ارض مناسبة لاقامة حصن يتناسب واهمية المنطقة التجارية . ونتيجة لذلك نشط الوكلاء السياسيون البريطانيون في المنطقة لاحباط جهود الدولة العثمانية واطماعها في الفاو . وتوالت تقارير القنصلية البريطانية في البصرة على السفير البريطاني في اسطنبول وحكومة الهند . لاخبارهم بعزم العثمانيين على تجديد الحصن وتشييد فنار لاهداء السفن الى شط العرب .

وكان في اعقاب اي زيارة يقوم بها اي مسؤول عثماني الى منطقة الفاو ، كانت القنصلية البريطانية تبادر الى محاولة معرفة نواياه بواسطة موظفي التلغراف البريطانيين العاملين في محطة التلغراف بالفاو .

وثبت ان زيارة قائد الاسطول العثماني في الفاو ، كانت من اجل تثبيت بعض العلامات في رأس الخليج العربي . والحاجز الغريني الخارجي ، ومصب شط العرب ، تسهيل الملاحة للسفن القادمة الى النهر ، ووضع الفنارات لاهداء السفن في الليل . وقد اعتبرت الحكومة البريطانية ان اهتمام الدولة العثمانية بانارة رأس الخليج العربي او تسهيل الملاحة في شط العرب ، هو محاولة للاضرار بالمصالح البريطانية في المنطقة .

وعندما عزمت الحكومة العثمانية على بناء الحصن العسكري بكلفة ٩٣ الف باون استرليني . بادرت بريطانيا الى تحريض الحكومة الايرانية لتقديم احتجاج وابداء الرغبة في اقامة تحصينات مشابهة على الضفة الشرقية المقابلة للفاو . لان بريطانيا تسعى الى عدم ترك الحكومة العثمانية الانفراد في شط العرب ، بعد تزايد مصالحها التجارية في المنطقة .

وفي عام ١٨٨٦ قررت الحكومة العثمانية توسيع حصن الفاو ، بكلفة ١٨٠ الف پون استرليني تغطى من ايرادات ولايتي البصرة وبغداد ، وقد هولت حكومة الهند المدعومة من بريطانيا مخاطر هذا الموضوع ، وشجعت ايران على تقديم احتجاج آخر عام ١٨٨٩ . ولم تترك بريطانيا اية فرصة ملائمة للاحتجاج ضد وجود الحصن العسكري في الفاو دون ان تستغلها . لان بريطانيا كانت على علم اكيد بالاهمية السوقية لمنطقة الفاو . وان السيطرة عليها من قبل اية دولة سوف يجعلها قادرة على ان تتحكم في شط العرب والخليج العربي . وتسيطر على التجارة في المنطقة .

وصف منطقة الفاو في كتابات السياح الاجانب

لقد وصفت الفاو في كتابات عدد من السياح الاجانب الذين زاروا المنطقة لاهميتها السوقية وموقعها المهم . الذي شجع كل من زار العراق ان يمر بها ويصفها . ومن هذه الكتابات .

١ ـ وصف السائح جيري عام ١٨٧٨

حيث قال : تخرج منها اسلاك التلغراف المغمورة في مياه الخليج والممتدة اليها من بوشهر لترتبط بالمحطة البريطانية . كما ان هناك دائرة اخرى للتلغراف عائدة للدولة العثمانية . ويمكن بهذا الخط الاتصال بمختلف مدن العراق الهامة . وبمدينة اسطنبول واوربا .

٢ ـ وصف القنصل الروسي في المنطقة

وقد وصفها في اوائل القرن العشرين . بانها قرية صغيرة تتكون من مجموعة من اكواخ القصب . وان اهميتها ترتبط بكونها المحطة النهائية لخط التلغراف البري من اسطنبول حتى بغداد والبصرة ، ونقطة انطلاق الخط (الكابل) البحري البريطاني الممتد الى ميناء بوشهر حتى كراجي بالباكستان . وان موقعها على لسان ضيق وواطىء تكونه الضفة اليمنى لشط العرب ، مكنها من السيطرة على مصبه .

٣ ـ وصف السائح الامريكي فوك

مر بالفاو عام ١٨٧٥ ووصفها بانها قرية صغيرة فيها حصن ، بنيت جدرانه المنخفضة من الطين ، ونصبت عليه سارية طويلة . كما شاهد الى جانب الحصن ، قارباً حربياً عثمانياً .

٤ ـ وصف السائح البريطاني ج ج لوريمر عام ١٩٠٨

وصفها عند زيارته للمنطقة ضمن مؤلفه الموسوم دليل الخليج الذي يقع في ١٤ جزء . بان اسم الفاو يستعمله الاوربيون المدلالة على محطة التلغراف المشهورة قرب مدخل شط العرب ، وشمل كل المناطق المزروعة والممتدة على الضفة اليمنى للنهر من البحر حتى مسافة ٨ اميال الى الداخل ، وتقع محطة التلغراف عند اعلى منتصف المساحة المزروعة ، وعلى بعد حوالي (٥) اميال من البحر . ويطلق الاتراك اسم الفاو على قضاء ولاية البصرة ، ومركز ادارته الرئيسي في الفاو .

ويحده من الشمال الشرقي مياه شط العرب ، ومن الجنوب الغربي الصحراء . وتحتوي منطقة الفاو على شريط من التربة

الطينية يتصل بضفة شط العرب ، وتعبرها قنوات الري القادمة من نهر الفرات في كل مكان . وهي تشكل سلسلة متصلة من طرف منطقة الفاو الى طرفها الآخر . وتبعد كل قناة عن الاخرى اقل من ربع ميل . وتقع على كل منها قرية صغيرة تحمل اسمها . وتوجد في الفاو محطة مدينة تحتوي على مكتب تلغراف الفاو تقع بين قناتي حاجي عبد الله وحاجي رشيد وقلعة بين قناتي بوسيد وملاعيس . وهناك اثنان وعشرون قناة في الفاو اعلى المحطة المدنية . واحدى وعشرين بين الفاو والقلعة وست عشرة اسفل القلعة (٧)

الاهمية الاقتصادية لمنطقة الفاو

لمنطقة الفاو اهمية اقتصادية بارزة بالنسبة للعراق واقطار الخليج العربي المجاورة . مما عزز اهميتها السوقية في المنطقة ، وجعلها مطمح انظار الدول الاستعمارية الطامعة منذ القدم وحتى الان وتتمثل هذه الاهمية بالجوانب التالية :

١ ـ الزراعة

ان الظروف الطبيعية لمنطقة الفاو خلقت منها منطقة زراعية مهمة في العراق والخليج العربي وهذه الظروف تتمثل بالعوامل التالية :

أ ـ السطح
ب ـ التربة
ج ـ المناخ
د ـ الموارد المائية
هـ ـ النقل

أ ـ السطح :

يتميز السطح في منطقة الفاو بالاستواء والانحدار البطيء من الشمال الى الجنوب وخلو المنطقة من المرتفعات . ويعود السبب الى ان المنطقة هي جزء من السهل الرسوبي الذي تكون نتيجة لارساب نهري دجلة والفرات . كما ان السطح ينحدر من جهة الشرق والغرب باتجاه المركز بدرجة اكبر من الانحدار العام من الشمال الى الجنوب .

وقدر انحدار السهل البطيء باتجاه الخليج العربي بنحو ١ / ١٨٠٠٠ . اما انحداره الجانبي فهو اسرع من هضبة ايران او هضبة شبه جزيرة العرب ويقدر بنحو ١ / ١٠٠٠ (٨)

ان هذا السطح سهل عملية الحراثة والري ، ومد شبكة الجداول التي تستخدم في الزراعة ، اضافة الى شبكة طرق المواصلات التي تخدم العملية الزراعية .

ب ـ التربة

تتكون التربة من الترسبات الطموية النهرية . والمواد التي حملتها الرياح من الصحراء والترسبات الاروائية من الري المستمر . ويقدر سمك الرواسب بين ١ ـ ٢م وقد يصل في بعض الاماكن الى ٧م .

وقد قسم بيورنك التربة الى اربعة اقسام (٩) خارطة رقم (٦)

(١) تربة كتوف الانهار Estuary Levee soils

وهي من مجموعة الترب الملحية الرسوبية في احواض الانهار* (solonchak) وهي تربة عميقة لم تخضع للتعرية تخلو من الاملاح او بدرجة قليلة تصلح لزراعة النخيل والبساتين . وتستغل بالزراعة بنسبة ٨٠ ٪ وتتكون من الرواسب النهرية وهي مزيجية غرينية الى صلصالية غرينية . لذا فان صلاحية التربة عالية جداً وتتمثل هذه التربة على طول شط العرب وتتأثر بحركة المد والجزر الذي يمتد اثره حتى القرنة . والذي يصل الى ارتفاع ٥٠سم خلال موسم الفيضان وحوالي ٢م في باقي ايام السنة . وان ضفاف الانهار على طول شط العرب ترتفع ٣م فوق مستوى سطح البحر . حيث تستخدم في زراعة النخيل والخضروات .

٢) تربة المد لاحواض الانهار Tidalflats وهي مجموعة الترب الملحية الرسوبية في احواض الانهار ((Solonchak وهي تربة عميقة لم تخضع للتعرية وتشغل مساحة اوسع من التربة السابقة وتقع الى الغرب منها بعيداً عن شط العرب . وهي متوسطه الى عالية الملوحة وقلوية وهي اراضي مقفرة وفقيرة وصلاحيتها قليلة الى جيدة .

(٣) ترب احواض الانهار القريبة من السواحل Coastal flat وهي من مجموعة الترب الرسوبية للمناطق الجافة (السولنتز)*
تربة عميقة ومياها الجوفية شديدة الارتفاع . والملوحة فيها متوسطة الى شديدة وهي تربة قلوية . صلاحيتها قليلة . وتتكون من الصلصال الثقيل الى تربة مزيجيه وغرينيه بحريه . تشمل

منطقة خور عبد الله وامتداده قرب الساحل الجنوبي الغربي .
(٤) الترب الساحلية Coastal beach وهي من مجموعة الترب الرسوبية للمناطق الجافة (السولنتز) وهي تربة عميقة . مياهها الجوفية عالية ومحتوياتها رمال بحرية ناعمة الى صلصال مع بعض الحصى وهي تربة مقفرة وفقيرة وتمتد بشكل شريط على الساحل الجنوبي الغربي على الخليج العربي .

ج) المناخ

١ ـ عناصر المناخ السائدة في منطقة الفاو ، جعلته من المناطق التي تصلح لزراعة مختلف المحاصيل . لتنوعه من جهة وطول فترة النمو من جهة اخرى . رقد اثر استواء السطح وقرب المنطقة من الصحراء ومن خور عبد الله والخليج العربي تأثيراً بارزا في المناخ السائد من حيث ارتفاع نسبة الرطوبة في الجو . وطول فترة النمو لارتفاع درجات الحرارة في اكثر ايام السنة وطول فترة السطوع الشمسي وقلة كمية الامطار شتاءا التي تتراوح نسبتها بين ٥ ـ ٣٠سم وانعدامها في فترة طويلة من السنة ، مما جعل الري ضرورياً لقيام الزراعة فيها لعدم كفاية الامطار حتى في الشتاء . وان المدى الحراري اليومي والشهري والسنوي مرتفع ونسبة التبخر عالية .

والرياح الشمالية الغربية هي السائدة في المنطقة وهي رياح جافة في الصيف لمرورها فوق الصحراء اليابسة . مما جعلها ترفع من درجة حرارة المنطقة وتزيد من درجة التبخر وتحمل معها كمية من الاتربة والزوابع الترابية . مما اضطر المزارعون في المنطقة لاقامة مصدات الرياح على شكل اسيجة من النخيل في المناطق المواجهة لها لحماية المزروعات وخاصة الخضروات من اضرار هذه الرياح . كما تؤثر هذه الرياح على تقليل نشاط المد فتصاب نهايات الجداول بالجفاف مما يلحق ضرراً في الزراعة .

ورغم ان المنطقة تتعرض لهبوب الرياح الغربية والشمالية بدرجة بسيطة الا ان الرياح الثانيه التي تسود هي الرياح الجنوبية الغربية (الشرجي) فهي اكثر وضوحاً على السكان والزراعة حيث ان زيادة الرطوبة التي تحدثها تسبب مضايقه السكان من حيث الخمول والكسل ولاسيما في فصل الصيف . كما تسبب ارتفاع المد في شط العرب وبالتالي دفع المياه في الجداول واحداث الكسرات في سداد الجداول والبساتين مما يسبب تلف المحاصيل . وفي فصل الشتاء عندما يلتقي هبوبها مع هبوب الرياح الشمالية الباردة تسبب اضراراً للزراعة :

وعند تطبيق المعادلات المناخية يتضح مايلي : (١٠)
١ ـ ارتفاع المدى الحراري السنوي بدرجة كبيرة ، حيث بلغ الفرق بين اعظم الشهور حرارة وهو شهر تموز وبين ادنى الشهور حرارة وهو كانون الثاني ٩ / ٢١مْ وهذا الارتفاع الكبير في المدى الحراري يعتبر مؤشرا واضحاً لشدة القارية التي بلغت ٢ / ٤٥ وهو اعلى مما ورد في محطات الحبانية والرطبة والناصرية (١١) وهذا يعود الى ؛

أ ـ ان سيادة مؤثرات الرياح الجنوبية الشرقية التي تحمل الدفء شتاءً والحرارة الشديدة صيفاً قللت من اثر البحر على مناخ المنطقة

ب ـ الاتفاع الكبير للرطوبة النسبية مما لايسمح بالتعرق البدني الذي يعتبر قوة تبريد ذاتية لجسم الانسان .

٢ ـ مثل مقياس الراحة الفزيولوجية فوق الحد المسموح به في كل من حزيران وتموز وآب وايلول . وهذا يعود الى سببين اساسيين هما

أ ـ ارتفاع الرطوبة النسبية
ب ـ عدم قدرة الرياح السائدة على تبريد الجو وعليه فان مجمل الصفات العامة لمناخ المنطقة هي

١ ـ الارتفاع الشديد للقاريه
٢ ـ الارتفاع الشديد لدرجة الحرارة
٣ ـ الارتفاع الشديد للرطوبة النسبية
٤ ـ عدم تأثير الرياح في تلطيف الجو

د ـ الموارد المائية :

يعتبر شط العرب المصدر الاساسي للموارد المائية في المنطقة . ويتأثر بحركة المد والجزر في الخليج العربي والتي يتكرر حدوثها مرتين يومياً . ويصل الفرق في المنسوب الى حوالي ١,٧٠م صيفاً و ٢٥سم في موسم الفيضان . ويصل الفرق بين المد العالي والواطىء في الفاو ٨ اقدام ينخفض الى ٢ ـ ٣ م في ارصفة المعقل و٢ م في القرنة وان المد في الفاو يتقدم عن المد في البصرة بحوالي ٦ ساعات ويتأثر المد بالفيضانات في فصل الربيع وهبوب الرياح الجنوبية التي تؤدي الى رفع مستوى النهر بنسبة ٢ ـ ٣ أقدام بينما تعمل الرياح الشمالية على خفضه الى ما تحت الصفر لانها تهب مع اتجاه تيار الماء (١٢)
ان حركة المد تؤثر في رفع مستوى الماء في شط العرب . فتضعف حركته مما يؤدي الى تجميع الرواسب حول ضفافه التي

ارتفعت عما يجاورها . كما تساعد على تسهيل عملية السقي والتصريف لبساتين النخيل الكثيرة التي تروى بواسطة مئات الجداول والقنوات التي تأخذ من شط العرب . واصبحت المناطق القريبة من شط العرب مرتفعة نتيجة تجمع الترسبات فاصبحت جيدة التصريف وصالحة للزراعة .

هـ ـ النقل

تنتفع منطقة الفاو من موقعها البحري والبري في نقل منتجاتها الفائضة عن حاجة سكانها . فقد انتفعت من شط العرب في ربطها مع مدن العراق وخاصة في محافظة البصرة ، ومن الخليج العربي في ربطها مع اقطار الخليج العربي وتصدير انتاجها الزراعي . ولمنطقة الفاو من الطرق البرية التي تربطها بالبصرة ثم مع بقية مدن العراق . ففي الوقت الحاضر تربطها ثلاثة طرق رئيسيه مبلطه هي :

١ ـ الطريق الساحلي الذي يمر بالقرب من شط العرب ويمر بجميع المدن الواقعه عليه .

٢ ـ الطريق السوقي الذي يقع في الوسط

٣ ـ الطريق الساحلي الغربي الذي يسير مع خور عبد الله وهو اطول الطرق

٤ ـ الطريق الرابع فهو طريق غير مبلط يقع بين الطريق الساحلي وضفة شط العرب يخترق اراضي البساتين وهو من الطرق المطروقة والمستخدمه .

وتقوم الحكومة العراقية بعد تحرير الفاو بحركة واسعة ونشطة في ربط الفاو بمجموعة من الطرق المهمة التي ستنعكس اثارها مستقبلا على تطوير المنطقة وزيادة اهميتها الاستراتيجية

المحاصيل الزراعية في منطقة الفاو

تشتهر منطقة الفاو بزراعة عدد من المحاصيل الزراعية المهمة اضافة الى وجود المعادن والثروة ويمكن اجمالها بما يأتي :

١ ـ النخيل

تعتبر التمور من اهم موارد منطقة الفاو منذ القدم وتنحصر زراعة النخيل في الشريط الساحلي الموازي لشط العرب بعرض يتراوح بين ٥٠٠م ـ ١٥٠٠م ويسقى بعملية المد التي تحدث في شط العرب . حيث تنساب المياه في الجداول والانهر الصغيرة التي تنتشر في هذه البساتين . وقدر لوريمر اثناء زيارته للفاو بان عدد نخيل المنطقة بحوالي ١٠,٠٠٠ نخلة . تنتج اجود انواع التمور التي تنافس الانواع الاخرى ، ويصدر الى اسواق الدول الاوربية ، ويشترى تجار البصرة الانواع الممتازة لتصديرها في صناديق الى أوربا

وذكر ابراهيم فصيح الحيدري في كتابه عنوان المجد عام ١٨٦٩ ، بان بساتين الفاو كانت تدر ايراداً سنوياً يقدر بـ ٦٠٠٠ باون استرليني . وهذا المبلغ يوضح اهمية التمور في حياة المنطقة منذ القدم .

لقد ادت خصوبة المنطقة ، وانتظام عملية الري الى تركز زراعة النخيل بجوار شط العرب بشكل واسع وكثيف ، جعل السكان يعتمدون عليها دون غيرها من المحاصيل الزراعية ، وقد انتفعوا منها في توفير الغذاء المحلي للسكان وللتصدير الى اقطار الخليج العربي المجاورة والى مدينة البصرة وبغداد لتصنيعها اواستهلاكها في المناطق الاخرى .

ومن المشاكل التي عانى منها هذا المحصول المهم . هو تغيب ملاكها عنها . فقد اوقف العثمانيون الاراضي الخصبة الزراعية الى بعض السلاطين اوولاتهم ، كما اهدي قسم اخر الى رؤوساء العشائر المتنفذة في المنطقة . حتى اصبحت ملكية بعض البساتين لملاك غير عراقيين . يقيمون خارج العراق ، وخاصة في قرية الفداغية في قضاء الفاو . وقد سبب نظام الملكية هذا الى خراب وتدهور بساتين النخيل وزيادة هجرة الفلاحين من القرى الى المدن ، وترك هذه البساتين . اضافة الى ارتباط مصالح هؤلاء الملاك مع مصالح الدول الاستعمارية ، وقد استطاع قانون الاصلاح الزراعي في العراق انهاء هذه الملكية التي تنفرد بها المنطقة[١٣]

٢ ـ الحناء

الحناء : بالمد والتشديد . نبات معروف ذكره ابو حنيفة . يقال حنأت الارض تحنأ اخضرت والتف نبتها ، والحانىء شدة الخضرة .

وهو من نباتات المناطق الاستوائية ، وقد ذكرت البرديات

القديمة ان الفراعنة استعملوها في طقوسهم الدينية ، وفي تخضيب المومياء ، وهي نبات شجري حولي او معمر ، تمتد فترة نموه بين ثلاث سنوات الى اكثر من عشرة سنوات . تستعمل اوراقه لفوائده الطبية . وتجدد زراعته في الارض الصفراء الخفيفة بشرط الاتكون ملحية او قلوية . كما تزرع بالارض الرملية ، وتكون منخفضة الانتاج . تتطلب درجة حرارة ورطوبة مرتفعة اثناء الصيف . وتزرع في اوائل شهر مايس ، وان التبكير في زراعتها يعطي محصولاً قوياً . تتكاثر بالعقلة وفي بعض البلاد بالبذور . تحتوي اوراقها وسيقانها الحديثة على مادة ملونة تسمى (لوزون) . وتعتبر من الصبغات الثابتة . كما تحتوي على مواد دهنية وراتنجية . وازهارها تحتوي على زيت طيار له رائحة زكية وقوية . يستعمل مسحوق الحناء على شكل عجينة لتخضيب الايدي والاظافر والشعر . كما تستخدم المواد الملونة المستخلصة من الاوراق في صباغة الجلود والمنسوجات وتعتبر من الصبغات الثابتة . كما تستعمل عجينة اوراق الحناء في علاج الامراض الجلدية والفطرية والالتهابات بين اصابع القدم . ويستعمل مسحوق الحناء في التئام الجروح . لاحتوائه على مادة الحناتانين القابضة بالاضافة الى التأثير المطهر[14]

يجنى محصول الحناء بالخرط . حيث يمسك الغصن من الاسفل ثم تسحب اليد الى الاعلى فتقع الاوراق الخضراء حيث تجمع وتجفف . ويتم الجني بثلاث وجبات رئيسية . الاولى في منتصف شهر مايس . والثانية في منتصف شهر آب . وهناك وجبة رابعة غير مهمة في بداية شهر نيسان .

تعتبر الحناء محصولاً اقتصادياً مهماً في منطقة الفاو . وثروة زراعية يتميز بها ضمن ثرواته الزراعية ، ويعود السبب الى ملائمة المنطقة لهذا المحصول ، الذي يتطلب مايلي :[15]

١ ـ سطح مستو لسهولة الري بانتظام . وهذا العامل يتوفر في منطقة الفاو ، الذي يتميز سطحها بالاستواء ، وقلة التعاريج لانها تكونت نتيجة الترسبات التي يضيفها شط العرب على ضفتيه نتيجة مياه المد والجزر .

٢ ـ تربة خصبة حسنة الصرف غنية بالمواد العضوية ، لان الاملاح تضر بالتربة . كما يضيف المزارعون في منطقة الفاو ، كمية من الاسمدة العضوية ، وحراثة مستمرة لاعادة نشاط الارض وقوتها ، فهي تربة خصبة رسوبية من انهار دجلة والفرات والكارون وشط العرب . كما يقوم المزارعون بازالة الاملاح من التربة بطريقة الغسل او كري السواقي ، مما جعل تربة منطقة الفاو من الترب التي تجود فيها زراعة الحناء .

٣ ـ يحتاج نبات الحناء الى الماء في اول فترة انباته ، ثم تتناقص الحاجة بالتدريج ، وهذا يدفع المزارعين الى اغراق الارض بعد الزراعة مباشرة ، ثم ينظم الري بعد ذلك كل اسبوعين مرة واحدة وبشكل منتظم . وكانت منطقة الفاو تتأثر بظاهرتي المد والجزر . مما جعل الارواء سهلاً وميسوراً .

٤ ـ تتطلب الحناء درجة حرارة ورطوبة مرتفعة . وهذه الصفات متوفرة في منطقة الفاو . فالصيف حار رطب وطويل ، اضافة الى قلة الغيوم وفترة السطوع البالغة اربعة عشر ساعة يومياً . وان انخفاض الحرارة يؤدي الى سقوط اوراق النبات ، والصقيع والبرد يعرضها للموت ، وشدة الامطار تسقط الاوراق . وهذه العوامل نادرة الحدوث في منطقة الفاو .

تجفف اوراق الحناء في منطقة الفاو بطريقة بدائية . حيث تنشر على حصران مفروشة على الارض ، وتتعرض لاشعة الشمس حتى تجف . وتعبأ باكياس وتصدر . وتختلف الاسعار حسب الطلب والعرض . ولكن بصورة عامة تكون اسعارها رخيصة يتراوح الكيلو غرام بين ٢٥٠ ـ ٤٠٠ فلس . وان كمية الانتاج في زيادة . مما يوضح اقبال الفلاح على زراعة المحصول . وهذه الكميات كما يلي :

السنة	كمية الانتاج (طن)
١٩٦٩	٢٥٠
١٩٧٠	٣٠٠
١٩٧١	٣٥٠
١٩٧٢	٤٥٠
١٩٧٣	٥٠٠
١٩٧٤	٦٠٠

تقدر مساحة الارض المستغلة بالحناء في الفاو بين ١٠ ـ ١٢ الف دونم ، وتبلغ انتاجية الدونم الواحد حوالي ١٠٠ كغم ورق حناء جاف في الجنية الواحدة ويتم التسويق بشكل انفرادي . وهناك طريقتان لبيعه في منطقة الفاو . (١٦)

١ ـ الى اصحاب المطاحن في منطقة الفاو والبصرة ، حيث يقوم هؤلاء لطحن الاوراق وتنقيتها وتعبئتها في اكياس من القماش يزن الواحد منها ٧٥٠غم .

٢ ـ الى تجار يعبئونه في اكياس من (الجنفاص) وبشكل اوراق مجففة غير مطحونة ، يشحن الى محافظات القطر .

تنحصر زراعة الحناء في ناحية الخليج ، وتجود زراعته في جميع مناطق القضاء ، ولكن القسم الجنوبي منه تخصص بزراعة ،

بسبب تأثرهم بالفلاحين في الضفة الشرقية لشط العرب بمنطقة القصبة ، لانتمائهم الى قبيلة واحدة هي قبيلة النصار الكعبية . وللائمة الظروف الطبيعية والبشرية ، اضافة الى قرب المنطقة من اقطار الخليج العربي التي زادت الطلب على الحناء في المنطقة بسبب استخدامه في مناسبات الافراح والاعياد ، مما شجع على التوسع في زراعة المحصول ، وتوفر الطريق المائي الرخيص بواسطة السفن الشراعية .

٣ ـ المحاصيل ونباتات العلف الاخرى

تعتبر زراعة النخيل والحناء اهم محصولين زراعيين ارتبطت شهرتها بشهرة مدينة الفاو . ولكن الزراعة لم تقتصر عليهما . وانما شملت محاصيل زراعية اقل اهمية . وهذه المحاصيل هي :

أ ـ الكروم

وهو من المحاصيل الشجرية التي تنمو في المناطق المتوسطة الملوحة في منطقة الفاو ، ويأتي بالمرتبة الثانية بعد النخيل في الزراعات الشجرية ، تقتصر زراعته في الشريط الساحلي مع اشجار النخيل . ولاسيما في مقاطعة الفداغية التي اشتهرت بزراعته منذ القدم ،ويشغل مساحة ٣٠٣ دونم ، وتستخدم ثماره فاكهة . او في عمل الزبيب او الكشمش . وهناك امكانية واسعة لزيادة المساحة سواء في الاراضي المستصلحة او بين اشجار النخيل . ولكن اعتماد الفلاح على التمور ، جعله يترك الأراضي دون استغلال كثيف .

ب ـ الخضراوات

وهي من المحاصيل الزراعية المهمة التي انتشرت في الاراضي الزراعية لسعة الارض . وخصوبتها ووفرة مياه الري السيحي . وتوفر الاسمدة الحيوانية الرخيصة ، وطبيعة المناخ . من حيث ارتفاع درجة الحرارة وطول فصل النمو ، وزيادة ساعات شروق الشمس خلال النهار . وزيادة الطلب المتزايد على هذه المنتجات في مراكز المدن والعاصمة بغداد ، وقربها من اسواق اقطار الخليج العربي . وخصوصاً الكويت ، كلها عوامل ملائمة لكي تهيء هذه المنطقة ، لتكون من المناطق الجيدة في انتاج هذه المحاصيل لسد حاجة الاسواق . لولا النظرة الاجتماعية التي تقف امام التوسع في زراعة هذه المحاصيل . فهم ينظرون لمن يقوم بمزاولة زراعة الخضروات نظرة ازدراء وعدم احترام . ولكن التطور الحضاري . انعكس على تخفيف هذه النظرة في الوقت الحاضر عما كان عليه في السابق . وان محصول (الطماطة) من المحاصيل التي تغرق بها الاسواق في وقت مبكر مستغلة الظروف المناخية . وتبقى في الاسواق في وقت متأخر لنفس العامل المناخي السابق .

ج ـ الجت

من محاصيل العلف المهمة التي ارتبطت زراعتها بعاملين الاول : معالجة مشكلة الاملاح في التربة . لذا يزرع في المناطق المالحة التي لاتصلح لغير هذا المحصول ، مثل اراضي السباخ الواسعة في منطقة الفاو .

والثاني : توفير الغذاء للثروة الحيوانية في المنطقة .

لذا فان هذا المحصول يزرع في مناطق البساتين . وفي اراضي الذنائب المستصلحة كما في مقاطعة الدورة ، وكوت بندر ، وكوت الخليفة والمعامر . وكون مورداً اقتصادياً مهماً للفلاحين في المنطقة بعد التمور ، دون ان يخصص له ارض زراعية يستطيع الفلاح استغلالها في توفير غيره من المحاصيل .

وقد ارتبط مع هذا المحصول تربية عدد من الثروة الحيوانية كالجاموس والابقار والاغنام بالدرجة الاساسية ، ثم قليل من الماعز وقد وفرت هذه الحيوانات السماد العضوي الذي استخدم في استصلاح الارض وزيادة قابليتها الانتاجية ، ورفع كفاءة الارض الانتاجية كما وفرت الغذاء الحيواني ومنتجات الالبان لسكان المنطقة .

٤ ـ الملح

اشتهرت منطقة الفاو منذ القديم بانتاج هذا المورد المعدني المهم ، الذي استخدم في الاستهلاك البشري ، اضافة الى استخدامه في الصناعات المختلفة مثل صناعة المواد الغذائية والصودا الكاوية . ومعامل انتاج كاربونات الصوديوم والصناعات الجلدية وصناعة الثلج وحفظ الاغذية وغيرها . لذا فان الملح من المواد الكثيرة الاستعمال

تعتبر مملحتا السماوة والفاو اهم الممالح في العراق من حيث سعة المساحة وكمية الانتاج . وقربها من شط العرب والخليج العربي ، واستفادتها من التسهيلات التي يوفرها النقل

المائي الرخيص . كما انها قريبة من مصدر الكهرباء والماء . وملحة الفاو المملحة الوحيدة التي تعتمد على ماء البحر الغنية بالاملاح .

تقع مملحة الفاو جنوب محافظة البصرة بمسافة ١٢٠كم ، وجنوب الفاو بـ ٩كم (١٧) ، وتعتمد كمية الانتـاج في مملحة الفاو على المساحة المستغلة في الانتاج، حيث ان ماء البحر يحتوي على كميات غير محددة من الملح . وان هناك مساحات شاسعة قرب المملحة يمكن استغلالها في انتـاج الملح . وان طـريقـة الحصول على الملح هي طريقة بدائية لازالت رغم اقتصـاديتها تعتمد علي تبخر الماء بواسطة استغلال الظروف المناخية ، من حيث ارتفاع درجة الحرارة في الصيف ، وزيادة ساعات شروق الشمس خلال النهار .

وتبلغ المسـاحة الحقيقيـة لمملحـة الفـاو حـوالي ثـلاثـين هكتاراً . وان انتاج الهكتار الواحد حوالي ثلثمائة طن سنوياً.. وقد حددت سعة الانتاج في مملحة الفاو بمائة وعشرين الف طن . وان الفـارق الواسـع بين الانتـاج الحالي ، وامكـانيـة الانتـاج المستقبلي البالغة مائـة الف طن ، يتطلب تـوسيع المسـاحة الى اربعمائة هكتار (١٨)

وتتكون المملحة من عدة احواض طينية ، انشأت علـى ارض مستـوية ، تـرتبط هذه الاحـواض بقنـاة طـولهـا ثـلاثـة كيلومترات ، متصلة بالبحر لتزويدها بالماء بالاضافة الى مياه المد والجزر حيث تتم تغذيتها بمياه الخليـج بصورة طبيعيـة ، حيث تخزن المياه في احواض الخزن . وتنقل الى احواض الانتـاج . وتترك حتى تجف عن طريق التبخر ، ثم تكرر العملية مرة اخرى وهكذا . حتى تمتليء الاحواض بالاملاح ، ويتم بعد ذلك حملة ونقله الى مراكز الاستهلاك .

وتجري عملية انتاج الملح مرتين في السنة ، وتنتهي الاولى في شهـر تموز ، وتنتهي الثـانيـة في شهـر تشـرين اول . وقـد انخفضت كمية الانتاج ، من عامي ١٩٧٠ ـ ١٩٧٧ كما يوضح الجدول التالي :

السنة	كمية الانتاج (طن)	السنة	كمية الانتاج (طن)
١٩٧٠	٨٢٠٠	٩٧٤	٧٤٥٤
١٩٧١	٧٢٤٠	١٩٧٥	٥٩٦٦
١٩٧٢	٦٦٥٠	١٩٧٦	٥٩٨٧
١٩٧٣	٧٠٠	١٩٧٧	٤٧٠٠

اما نوعية الاملاح المستخرجة من مملحة الفاو ، فقد وجد بعد تحليلها ، بانها تقارب نوعية الاملاح المستوردة الانكليـزية والكويتية ، حسب المواصفات العراقية الخاصة بملح الطعام . وهي كما يوضحها الجدول التالي :

العناصر الكيماوية	المواصفات العراقية	ملح الطعام الخام	ملح الفاو النقي
درجة النقاوة (كلوريد الصوديوم)	/٠ ٩٨	٠/٠ ٩٨,٥	٠/٠ ٩٨,٨
نسبة الكالسيوم	٠/٠,٣	٠/٠,١٩	٠/٠,١٩
نسبة المغنيسيوم	٠/٠,١	٠/٠,١٣	٠/٠,١٣
نسبة الكبريتات	٠/٠,٨	٠/٠ ١,٠٥	٠/٠١
نسبة الكاربونات	٠/٠,٠٥	٠/٠,٠٦٦	٠/٠,٠٧
نسبة الرصاص	٠/٠,٠٠٠٥	٠/٠,٠٠٠٥	لايوجد
نسبة الرطوبة	لاتزيد عن ٠/٠,٥	٪٥,١	لايوجد
نسبة المواد غير القابلة للذوبان بالماء	٪,١	٪,٤١	٪,١

يتضح مما سبق بان نوعية الأملاح الجيـدة وخاصـة بعد التنقية . وكميتها وامكانية مضـاعفة الانتـاج ، وخصوصـاً ان مساحة واسعـة قرب خـور عبد الله معـرضة للغـرق من مياه البحر ، يمكن استغلالها في توسيع مساحة المملحة ، جعل مملحة الفاو تتبوأ المكان الاول بين المصادر الرئيسية في انتاج الملح لسد حاجة السوق المحلية المتزايدة ، نتيجـة زيادة عـدد السكان في العراق ، والتوسع في الصناعة ، اضافة الى امكانية تصديره الى الاقطار المجاورة العربية او الاقطار الاخرى غير العربية في اسيا وافريقيا .

٥ ـ صيد الاسماك

يعتبر هذا المورد من الموارد الثانوية في الوقت الحاضر ، رغم ان ظروف المنطقة في الفاو تؤهلهـا لان تكون من افضـل واجود مناطق العراق من حيث الموقع على شط العرب وخور عبد الله ، والتي تملك امكانية هائلة بمختلف انواع الاسماك . ولكن طرق الصيد البدائية ، وعدم توفر الامكانية لدى المشتغلين في هذه الحرفة ، جعل الانتاج محدوداً ، اضافة الى عدم القدرة على تسويق الانتاج الفائض عن حاجة المنطقة الي مناطق الاستهلاك في مراكز المحافظات .

يعتبر شط العرب من مناطق الصيد في المنطقة ، رغم ان

كمية الاسماك التي يحصل عليها السكان قليلة ، وتزداد الكمية كلما اتجهنا نحو الجنوب ، حيث تظهر اسماك المياه المالحة التي اشهرها الزبيدي والداكوك والصبور والروبيان . والي الجنوب من ذلك حيث مياه الخليج العربي ، فان كمية الاسماك المصادة كبيرة ومن الانواع البحرية . (١٩)

ويستعمل السكان الشباك المحلية المصنوعة من سعف النخيل وبطريقة بدائية ، حيث توضع قرب الشواطىء على شكل دائري . وتدخلها الاسماك اثناء عملية المد ، وتبقى محجوزة عند الجزر ، وهي كميات قليلة . اما في الخليج العربي فتستعمل السفن الصغيرة ذات القدرة المحدودة ، حيث يكون الصيد قرب الشاطيء .

اما الكميات المنتجة فتستهلك محلياً في المنطقة ، ويصدر قسم منه الى مدينة البصرة . وخاحة الروبيان الذي يعتبر من الانواع المرغوبة لدى اهل البصرة . حيث يستهلك بكثرة ويباع باسعار اغلى من غيره من الانواع الاخرى . ولعدم وجود مخازن تبريد او وسائط نقل مبردة لنقل الاسماك المصادة ولعدم وجود معامل تعليب في المنطقة في المراحل الزمنية السابقة . فان الكميات الزائدة ترمى في البحر مرة اخرى .

الاهمية السوقية للفاو وانعكاساتها على دور العراق في أمن الخليج العربي

تتمثل الاهمية السوقية للفاو بما يلي :

١ ـ دور الفاو في نقل النفط العراقي (٢٠)

في عام ١٩٤٩ اكتشف النفط في منطقة الزبير في محافظة البصرة بكميات تجارية . فبدأ البحث عن منفذ لتسويق نفط جنوب العراق ، فانشيء في سنة ١٩٥١ خط الزبير ـ الفاو بقطر ١٢ بوصة ، وطول ١٠٤,٦كم ، وبطاقة سنوية قدرها ٥,٢٥ مليون برميل . وبلغت كمية النفط المصدرة عام ١٩٥٤ حوالي ٣١,٥ مليون برميل في السنة . وقد مثلت ١٦,٦ ٠/٠ كمية مانقل عبر الانابيب الى البحر المتوسط .

وفي عام ١٩٧١ تم الاتفاق بين شركة النفط الوطنية ومؤسسة سنام بروجتي الايطالية لمد الخط السوقي الذي ينقل النفط الخام العراقي باتجاهين الى سواحل الخليج العربي والبحر المتوسط . وحقق مرونة كبيرة في تسويق النفط العراقي ومواجهة الظروف الطارئة ليضمن استمرار النفط الي اسواق العالم . بعيداً عن ضغوط ومناورات الدول التي تمر بها الانابيب . ويبلغ طول هذا الخط ٦٥٠كم .

وبلغت طاقة الضخ باتجاه الجنوب ٣٣٦ مليون برميل يومياً ، وباتجاه الشمال ٣٠٨ مليون برميل سنوياً .

٢ ـ دور ميناء الفاو في تصدير النفط

يقع ميناء الفاو في اقصى جنوب العراق قريباً من نهاية الضفة الغربية لشط العرب على بعد ٣٢,٢كم من مدخله ويصل عمق المياه الى ١١م ، وهو اول ميناء عراقي أنشيء لتصدير نفط الحقول الجنوبية . وتوجد في الميناء اربعة ارصفة ، كل رصيف مزود بأنبوب قطره ٢٤ بوصه ، مع اربعة انابيب ذات قطر ١٠ بوصات ، تستعمل لشحن النفط .

تستقبل هذه الارصفة الناقلات ذات الغاطس الذي لايتجاوز ١٠,٨م ، وحمولة تقدر بحوالي ٢١٧ ألف برميل ٣١ ألف طن وتستعمل الحفارات لتعميق المياه التي ترسو فيها الناقلات ويقوم ميناء الفاو باستقبال النفط وتجهيزه لتصديره بواسطة :

أ ـ الشحن مباشرة الى الناقلات

ب ـ اعادة الضخ الى ميناء خور العميه

ويرتبط ميناء الفاو بحقول نفط الزبير والرميلة بخطي انابيب لنقل النفط وخط ثالث لنقل الغاز الطبيعي المستخدم في ادارة محطات ضخ النفط الى خور العمية بواسطة خطي انابيب قطر كل منها ٣٢ بوصة يمتدان مسافة ٤٠,٢كم تحت الماء وبطاقة ١,٥ مليون برميل في اليوم وبمسافة ١٠٤,٦كم ويخزن النفط في الفاو في ٢٤ حوضاً يبلغ قطر كل منها ٥٠م وارتفاعه ١٢,٢م

وقد تصاعدت كمية النفط المصدرة منذ عام ١٩٥٢ ولغاية ١٩٥٩ ثم بدأت الكمية بالانخفاض بعد عام ١٩٦٠ بسبب رفع رسوم الموانيء عام ١٩٥٩ وصدور قانون رقم ٨٠ لسنة ١٩٦١ الذي انتزع اغنى مناطق التكوينات النفطية من الشركات الاحتكارية اضافة الى زيادة الشحن عن طريق خور العميه عام ١٩٦٢ . ثم عادت الكميه المصدرة في الفاو بالارتفاع بعد عام ١٩٦٦ بسبب تخفيض رسوم الموانيء ثم توقف خلال الفترة ١٩٦٨ الى ١٩٧١ بسبب غلق قناة السويس ، ثم استأنف الضخ عام ١٩٧٢ ـ ١٩٧٤ حيث توقف بسبب تشغيل مينائي خور العميه والبكر :

٣ ـ الاهمية السوقية لمينائي خور العمية والبكر

يعتبر ميناء خور العميه من الموانيء العراقيـة العائمـة في الخليج العربي ، على بعد ٤٠,٢كم جنوب ميناء الفاو ، انشأ عام ١٩٦٢ ويتراوح عمق المياه فيه ١٧ ـ ٢٢م .

يتكـون من ٥ جـزر صنـاعيـة صغيـرة تتصـل بجسـور خصصت ثلاث منها لارساء السفن ، يضخ اليه النفط من ميناء الفاو وهو من مشاريع العراق الحيوية وانشأت محطة ضخ جنوب الفاو لزيادةدفع النفط ورفع طاقة الشحن من ١,٥ مليون برميل الى ٢,١٨ مليون برميل مما تطلب اقامة مضختين في حقل الزبير لزيادة ضخ النفط الى خور العميه وباستـطاعة الميناء استقبال ناقلات ذات حمولة ٣٣٠ ألف طن .

اما ميناء البكر فهو من الموانيء العائمة في المياه الاقليمية في الخليج العربي ، وفي النهاية الشمالية لخور الخفجه ، عند مدخل الخليج العربي حيث عمق المياه ٢٩,٣م . وعلي بعد ١٥,٥كم جنوب الفاو انجز ١٩٧٥ بالاتفـاق بين شـركة النفط الـوطنية ومؤسسة ايراب الفرنسية بلغت طاقته للتصـدير بعـد التوسعـة ٥٦٠ مليون برميل في السنة

يتكون الجزء البري للميناء من حقل الخزانات في الرميلة طاقته ٥,١ مليون برميل لخزن النفط عن طريق الخط السوقي وحقل شمال الرميلة وحقل الخزانات في الفاو وعددها ١٢ خزانا سعة كل منها ٣٧٧ الف برميل اضافـة الى مضخات وانـابيب توصيل النفط الي الخـزانات ومحـطة ضخ اخـرى من الفاو الى مرافيء الميناء .

اما الجزء البحري للميناء فيضم جزيرة اصطناعية لشحن النفط وهي منصة التحميل طولها كيلو متر واحد تتألف من اربعة موانيء ، ثبتت هذه الجزيرة الاصطناعية من قاع البحر بركـائز حـديديـة . وتحمى الجزيـرة من الناقـلات بواسـطة المصدات الارسائية التي تمتص قوة الارتطام عند ارساء الناقلات .

وبالاضافة الى هذه الجزيرة الرئيسه ، هناك اربعة جـزر اخرى اضافة الى الجزيرة السكنية .

ويمتاز ميناء البكر عن غيره من الموانيء :

١ ـ قابلية التصدير الكبيرة حيث ان قطر الانبوب الموصل بين الميناء ومحطات الضخ في الفاو ٤٨ بوصه .

٢ ـ قدرة الميناء على استقبال الطائرات العمودية واستعمال اجهزة السيطرة الحديثه .

٣ ـ ان موقع العراق ممراً بين اسيا واوربا وافريقيا ، الزم ان يكون له في كل ادوار التأريخ ميناء عند رأس الخليج العربي ، لتبادل التجارة التي تحملها السفن القادمة من الشرق بطريق البحر ، مع التجارة التي تحملها القوافل القادمة من الغرب والشمال الغربي بطريق البر . وبين التجارة التي تحملها السفن والقوارب الصغيرة بطريق دجلة والفرات . (٢١)

وقد مثل ميناء الفاو هذا الدور باعتباه آخر الموانيء العراقية التي تطل علي الخليج العربي

٤ ـ يمثل ميناء الفاو وميناء ام قصر اهمية عسكرية للعراق حيث تعطى احتمال مهاجمة العراق من البحر بهذين الاتجاهين . شط العرب ، وخور عبد الله اللذين تقع عليهما المدينتان ومما يزيد من اهمية هذين المينائين عملية المد التي تساعد على تقريب السفن ، والقيام بعملية الانزال . وخصوصا ان الوقت الذي يستغرقه المد كافٍ لانزال القطعات . وهذا يتطلب ربط المينائين بمدينة البصرة بطرق عديـدة وسكة حـديد تتيـح للقطعـات العراقيـة سرعـة الـوصـول والتصـدي لأي هجـوم او انـزال بحـري في المستقبل . (٢٢)

٥ ـ شهد طريق العراق . الخليج العربي عبر العصور التأريخية صراعاً مـريراً بـين مختلف القوى الاجنبيـة للسيطرة عـلى هذا الطريق الذي اعتبر ملتقى حضارات العالم ومركزا مهماً من مراكز التجارة والثقافة والملاحة الدولية . وقد ارتبط العراق بشكل كبير بالاقطار العـربية الـواقعة عليه ، وخضعت هذه المنـطقة التي شملت هـذا الجزء من الـوطن العربي من شمـال العراق حتى مضيق هرمز الى تأثيرات اجتماعية واقتصادية متشابهه خلقت منها وحـدة حضاريـه واحدة ، خضعت لاطمـاع متشابهـة من قبل القوي الاجنبية للسيطرة علي طريق الهند . (٢٣)

وان اي محـاولة للفصـل بين مصـالح العـراق القـوميـة والاقتصادية ، واقطار الخليج العربي ، هي محاولة غير موفقة او منطقيه ، ولاتنسجم مع الاهداف القوميه التي تشدُ بين اقطار الوطن العربي وتوحيد جهودها من أجـل مواجهـة التحديـات الكبري التي يتعرض اليها الوطن العربي .

٧ ـ اتبعت بريطانيا طيلة القرن التاسع عشر والنصف الاول من القرن العشرين سيـاسة استعمـارية في منـطقة الخليـج العربي للمحافظة على مراكز النفوذ السيـاسي والاقتصادي الـرئيسه . وبذلت مجهوداً كبيراً من اجل ابقاء الاقطار العـربية الخليجيـة

مبعثرة وضعيفه . كما منعت تطور العلاقات العراقية مع اقطار الخليج العربي .

وحاولت ان تخلق جواً من عدم الثقة وزرعت الخوف في نفوس البعض . رغم تاكيدات المسؤولين في العراق . وسياسة العراق المستمرة في تفضيل المصالح القومية على المصالح الاقليمية بما يحقق لها الامن والاستقرار

٧ ـ وضع ضوابط تؤمن حرية الملاحة في الخليج العربي ، وحرية حركة الاساطيل وفقا للقواعد المتعارف عليها والمعمول بها ، على ان يتم ذلك على اساس التساوي والتكافؤ في المسؤوليه بين كل الاطراف المطله على الخليج العربي بعيداً عن الاحلاف الاقليميه والتدخلات والمؤشرات الاستعمارية .

ولايتحقق هذا الدور للعراق بدون منطقة الفاو ، لانها المنفذ الوحيد الذي يطل به على الخليج العربي .

٨ ـ الثقل السكاني للعراق ، وانعكاسه على عدد قطعاته العسكرية والخبرة التي اكتسبها جيشه خلال سنوات الحرب الطويلة وتفوقه العسكري في البرِّ والبحر والجو وتطور قدراته على انتاج السلاح ، مما قوى من امكانية العراق العسكرية . كل هذه العوامل جعلت للعراق دوراً متميزاً وبارزاً في الحاضر وفي المستقبل للحفاظ على امن الخليج العربي وانعكس على موقفه الثابت في تحميل مسؤولية الوفاء بالتزاماته القوميه والدوليه وتصديه لقوى الشر التي تحاول التوسع على حساب مصالحه القوميه والتاريخيه . وهنا تبرز اهمية الفاو باعتبارها المنفذ الوحيد للعراق نحو الخليج العربي .

هدف ايران من احتلال الفاو :

١ ـ لقد كان هدف ايران من احتلال الفاو ويتماشى مع اهدافها التوسعية وخططها في اتخاذ منطقة الفاو منطلقاً لاهداف عسكريه اوسع ، وهي احتلال ميناء ام قصر والسيطرة على خور عبد الله ، ثم التوسع نحو مدينة البصرة لاحتلال جزء من القسم الجنوبي من العراق .

٢ ـ السيطرة على موانيء العراق التجارية المهمة وهي ميناء العميه وميناء البكر وتخريب المنشآت النفطيه فيها .

٣ ـ التأثير على مصفى الشعيبة في منطقة الزبير والحاق الضرر بالعراق اقتصادياً .

٤ ـ قطع الطريق التجاري بين العراق والكويت .

٥ ـ تهديد الكويت والاضرار بمصالحها الاقتصادية ، والضغط على الاقطار الخليجية الاخرى .

٦ ـ عزل العراق عن الخليج العربي ، وتعطيل دوره القومي في المساهمه بالمحافظه على امن الخليج العربي

خطة التحرير العراقيه :

لقد كانت خطة العراق العسكرية في استعادة مدينة الفاو ، من اهم الانجازات العسكرية في الحرب بين العراق وايران منذ ثماني سنوات ، وذلك لتميز هذه المعركة بما يلي :

١ ـ تجاوز صعوبة الاستحكامات العسكرية التي اقامتها ايران حداً فاصلاً بين قطعاتها وقطعات الجيش العراقي

٢ ـ ا ـ الاستثمار للظروف الطبيعية المعقدة والقاسية بشكل جيد ، حيث استفادت ايران من ارض المالح والسباخ في المنطقة ، فقامت بعمل حاجز مائي بين شط العرب وخور عبد الله ، يعيق تقدم القطعات العسكرية في اي هجوم وتوفر الحمايه للقطعات الايرانيه ، خارطه رقم «٨»

٣ ـ ربطت ايران مدينة الفاو بثلاثة جسور مع جزيرة عبادان مما يسر للقطعات الايرانيه الحصول على امداداتها التموينيه والعسكريه بسهولة وسرعة .

٤ ـ اقامة الحواجز الحديدية الاصطناعية عند ساحل الخليج العربي ، معرقلة دخول القطعات البحرية وافشال أي محاولة للانزال من البحر باتجاه الفاو .

٥ ـ مع كل هذه الصعوبات البالغة ، فان خطة تحرير الفاو تميزت بالتخطيط السليم والاستعداد والتدريب والمباغته العسكريه ، وقدرة القوات العراقيه وكفايتها العسكرية التي شاركت في الهجوم وهي قطعات الفيلق السابع وقطعات الحرس الجمهوري ، والتنسيق المحكم بين القطعات ، والفترة القياسية التي استغرقتها عملية التحرير رغم الظروف الطبيعية القاسية والاستحكامات الايرانيه التي اشرنا اليها والمشاركة الميدانيه للقائد المنتصر صدام حسين واشرافه المباشر ومتابعته دقائق المعركة متابعة دقيقة ، وتوجيهه لها وفق ما تقتضيه طبيعتها . كل هذه العوامل اوضحت قدرة العراق العالية على ردع العدوان ، وانتزاع الفاو من عيون الغزاة واسقاط احلامهم ، وسحب الورقه التي ظلوا يلوحون بها ستة وعشرين شهراً . وقد جاءت عمليات توكلنا على الله مكملة لعملية رمضان المبارك فقد عززت

النصر العراقي وطردت الغزاة مما تبقى من الارض العراقية بمعركة حاسمه ووقت قياسي .

ان استمرار ايران على مواصلة الحرب لن يحقق لها اي مكسب سياسي او عسكري ، وانما يخدم الدول الاستعمارية الطامعه في المنطقه ، ويخدم مصالح الصهيونيه العالميه .

الهوامش والمصادر

(١) لسان العرب لابن منظور ، مادة فاو ، دار صادر بيروت

٢) سري محمود المدرس . النقل في شط العرب رسالة ماجستير مطبوعة بالرونيو ١٩٦٩ص٩ - ١٠

(٣) كيرتس اي . لارسين . منطقة الدلتا في بلاد ما بين النهرين ترجمة د . فيصل الوائلي كلية الاداب والتربية العدد ٩ ، جامعة الكويت سنة١٩٧٦ ص١١١ - ١٣٤

(٤) . ج . م . ليس ف .ل . فالكون ، التاريخ الجغرافي لسهول ما بين النهرين ، ترجمة د . صالح احمد العلي ، مجلة الجمعية الجغرافية العراقية . العدد الاول ـ مطبعة العاني ، بغداد ص١٩١ - ٢١٧

(٥) وزارة التخطيط ، الجهاز المركزي للاحصاء ـ المجموعة الاحصائية السنوية ١٩٨٥ص٣٧

(٦) حسين محمد القهواتي ، دور البصرة التجاري في الخليج العربي ١٨٦٩ ـ ١٩١٤ رسالة دكتوراه ، مطبوعة بالرونيو ١٩٧٨ص١٣٩ - ١٤٠

(٧) ج . ج . لوريمر . دليل الخليج ، القسم الجغرافي . ج٢ ص١٩٢ - ١٩٩

(٨) د . ابراهيم شريف . الموقع الجغرافي للعراق واثره في تاريخ العلم حتى الفتح الاسلامي مطبعة شفيق . بغداد ج١ ص١٤

(٩) د / ب . بيورنك . اراضي العراق واحوال التربة منشورات وزارة الري والزراعة بغداد ١٩٦٠ص١٨٩ - ١٩٠

السولونجاك : مجموعة من التربة تحت المنطقية لها تركيز عال من الاملاح تكون عادة فاتحه اللون وبدون شكل تركيبي مميز ومتطورة تحت حشائش محبة للملح او تحت غطاء من الشجيرات وعلى الاكثر في مناخ جاف او شبه جاف او شبه رطب

(*) السولنتز

مجموعة من الترب تحت المنطقية لها افق سطحي متغاير تربته سهلة التفتت تقع تحتها تربة داكنة اللون صلبة عمودية التركيب اعتيادياً عالية القلوية ومتطورة عادة تحت غطاء من الحشائش والشجيرات وغالبا ما تتطور في مناخ شهر رطب او شبه جاف .

د . ه . د فورت و . د . ل . م . فورك

اساسيات علم التربة ، ترجمة د صالح محمود ديمرجي و د . عبدالله نجم العاني . مطبعة جامعة بغداد ١٩٧٨

(١٠) د عادل الراوي . صناعة السيلحة في العراق . رسالة دكتوراه (باللغة الانكليزية) مقدمة الي جامعة كلاسكو ١٩٨٢ص٣١٢

(١١) الدكتور علي حسين الشلش القارية سمة اساسية من سمات مناخ العراق ، مجلة الجمعية الجغرافية العراقية العدد ٢١ س١٩٨٧ ص٥٠

(١٢) سري محمود المدرس ، النقل في شط العرب ، رسالة ماجستير مطبوعة بالرونيو س١٩٦٩ ص٢٩

(١٣) سالم سعدون المبادر . بستنة النخيل البصرة والملاك الغائبون . مطبعة الارشاد بغداد ١٩٧٩ص١١ - ١٢

(١٤) فوزي طه قطب حسين . النباتات الطبية زراعتها ومكوناتها ، الدار العربية للكتاب ـ ليبيا ـ تونس ١٩٧٩

(١٥) سالم سعدون المبادر ، الحناء في قضاء الفاو ، مجلة كلية التربية ـ جامعة البصرة العدد ٢ سنة١٩٧٩ ص٧٥ - ٨٤

(١٦) طلال عبد الوهاب ، الحناء ، المؤسسة العامة للتصدير ، شركة التصدير العراقية . مطبوع بالرونيو ١٩٧٧ص٥

(١٧) حميد رشيد الفياض وغالب ناجي الشمسي . الملح الانتاج والاستهلاك . وزارة التجارة ، مديرية التخطيط ، مطبوع بالرونيو ١٩٧٨ص١٨ / ١٩

(١٨) ياسين مزعل الربيعي ، تقرير حول استثمار المالح العراقية ، وزارة الصناعة مديرية التخطيط ، مطبوع بالرونيو ١٩٦٤ ص١١

(١٩) سالم سعدون المبادر ، قضاء الفاو . دراسة في الجغرافية الزراعية . مطبعة الارشاد بغداد ص٣٣ ١٩٧٨

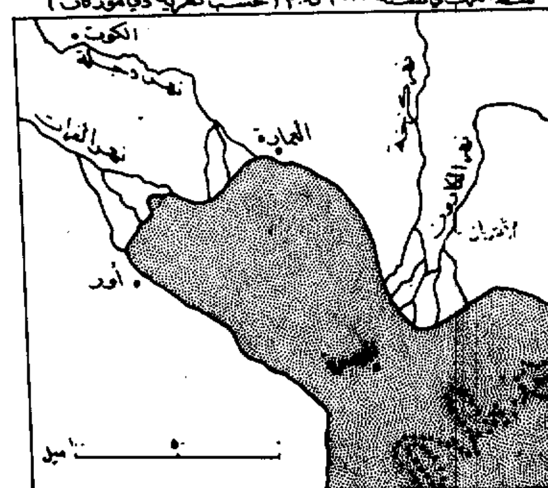
(٢٠) نورة مجيد طارش . انابيب النفط العراقي ، رسالة ماجستير مطبوعة بالرونيو ١٩٨٥ ص١٧ - ٩١

(٢١) د . ابراهيم شريف ، مصدر سابق ص٥

(٢٢) محمد حسين شلش . الجغرافية العسكرية ، مطبعة الارشاد ـ بغداد ١٩٦٨ ص١٠٤ - ١٠٥

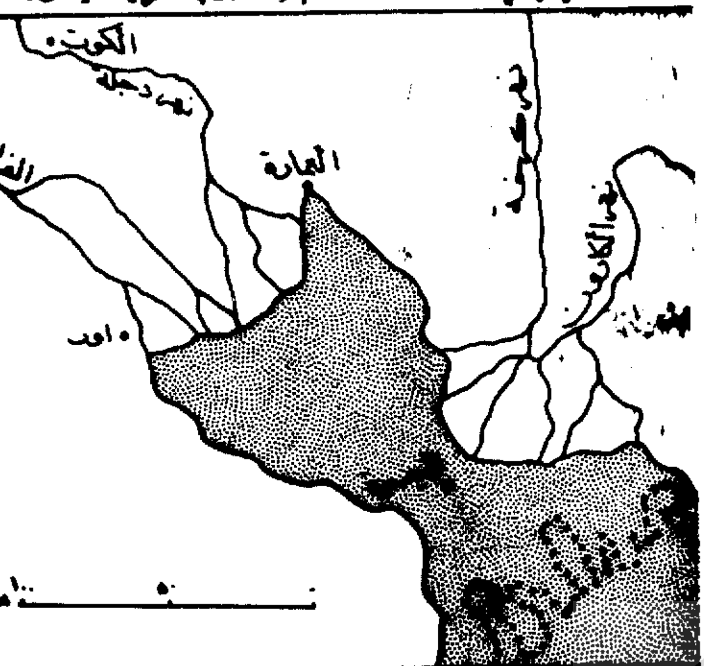
(٢٣) د . محمود علي الداود . اهمية الدور الخليجي للعراق ، دار الحرية ، بغداد ص٣ - ٧

شط العرب في سنة ٣٠٠٠ ق.م (حسب نظرية دي موركان)



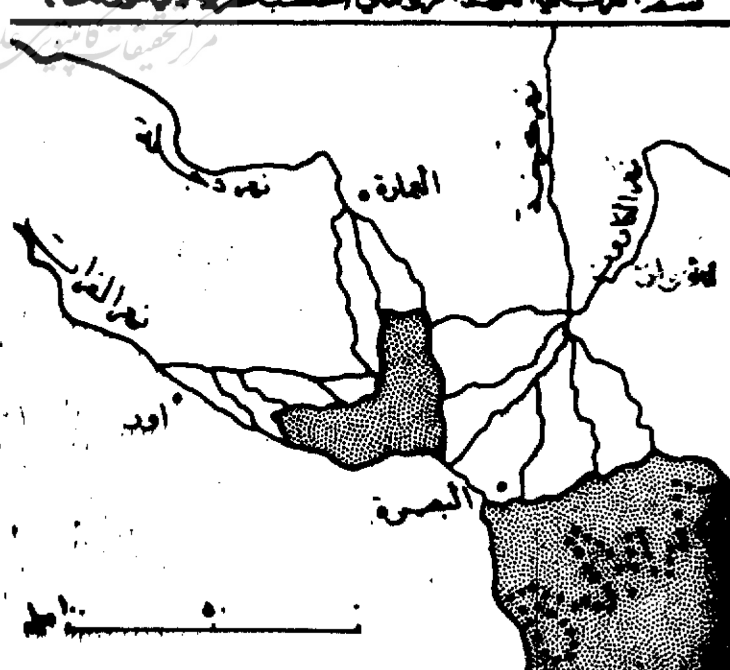
خارطة رقم (١)

شط العرب في سنة ٢٠٠٠ ق.م (حسب نظرية دي موركان)

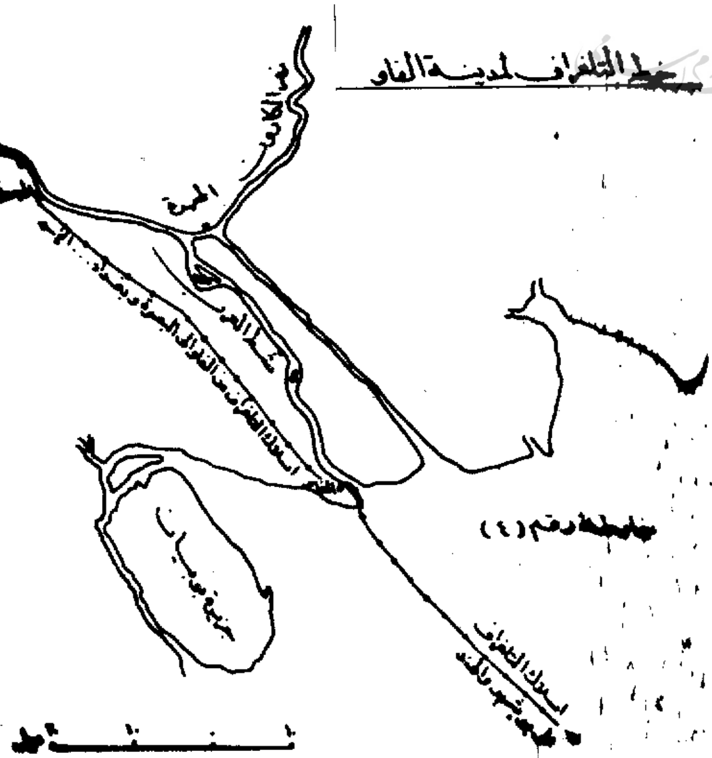


خارطة رقم (٢)

شط العرب في العهد الروماني (حسب نظرية دي موركان)



خارطة رقم (٣)



خط التلغراف لمدينة الفاو

خارطة رقم (٤)

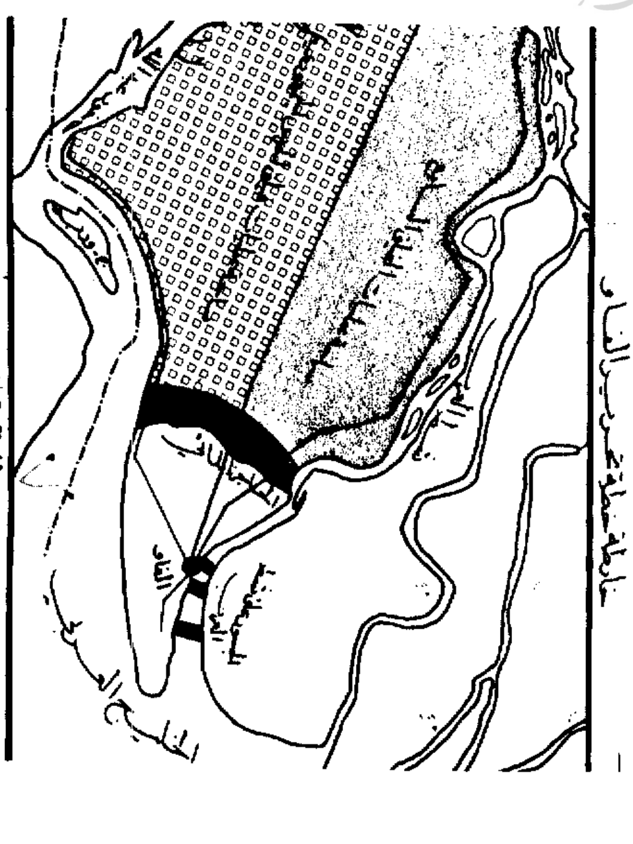


خارطة رقم (٦)

خارطة ولاية البصرة ١٨٧٥ - ١٩١٤



خارطة رقم (٥)



خارطة رقم (٧)

دراسة تعبوية لمعارك ما بعد القادسية

القسم الثاني

«فتح المدائن : صفر ١٦هـ/آذار ٦٣٧م»

مازن مجيد مصطفى

الاعدادية المركزية للبنين ـ الموصل

تمهيد : ـ سبق وتحدثنا في القسم الاول من هذا المقال ، حول المعارك التي تلت القادسية مباشرة في كلّ من معركة (بُرس وبابل والدير وكوثى وساباط وبُهرسير ـ سلوقية ـ) ولاحظنا كيف ان ارتال سعد المتلاحقة استطاعت أن تحقق الانتصارات تلو الانتصارات ، على قوات الفرس المتراجعة الى الوراء . حتى انتهى الامر بحصار الفرس في (بهرسير ـ سلوقية ـ) الواقعة على ضفة دجلة الغربية ، ثم فتحها من العرب المسلمين ، الأمر الذي استدعى عبور الفرس الى (المدائن ـ طيسفون ـ) الواقعة على الضفة الشرقية لنهر دجلة . وأشرنا الى أن الأمل في استرجاع ما خسره الفرس في العراق يراودهم مابقيت عاصمتهم حية ، فكان لابد من ضربة قاصمة تفتح على أثرها تلك العاصمة التي سيترتب على فتحها تدهور معنوية الفرس اكثر من ذي قبل ، الامر الذي سيعجل في سير امبراطوريتهم المريضة حثيثاً نحو الممات . وكما لاحظنا في استعراضنا للمعارك التي سبقت هذه المعركة ـ في القسم الاول ـ سنلاحظ هنا ايضاً ان العرب المسلمين سبقوا زمانهم بكثير في عبقريتهم العسكرية التي تجلت بوضوح في وضع الافكار السوقية العامة ، وتنفيذ الخطط التعبوية البارعة ، والتفنن في استعمال الاسلحة العسكرية المختلفة . لابل سنلاحظ هنا أن العرب برعوا في التكيف مع مسارح وميادين القتال غير المعتادين عليها في جزيرتهم ، فقاتلوا في البر والنهر في عملية جريئة تعتبر من أعظم الاعمال العسكرية حسب مفاهيم زمانهم ، وترتقي افكار الاعداد لتنفيذها لتضاهي المفاهيم العسكرية لعصرنا الحديث . ولا عجب في هذا فالعرب مفتحو العقول ، وحاملو لواء الدين ومشعل العلم الى مشارق الارض ومغاربها .

أ) قرار حاسم في أصعب المواقف : ـ

بعد ان فتح سعد بن أبي وقاص (بهرسير) واراد العبور الى المدائن القصوى (طيسفون) التي لايفصلها عن (بهرسير) سوى نهر دجلة ـ انظر الخارطة ـ وجد (سعد) أن الفرس كانوا قد «ضموا السفن فيما بين البطائح وتكريت» ومعنى ذلك ان الفرس كانوا قد جمعوا السفن على مسافة مائة وثمانين كم جنوبي المدائن ، ومائة وثلاثين كم شمالها فيما بين البطائح وتكريت وسحبوها الى الشاطيء الشرقي لدجلة ، وأحرقوا الجسر الذي يربط بين (بهرسير) و (طيسفون) فأقام سعد في بهرسير أياماً من شهر صفر يفكر في كيفية العبور حرصاً منه على ارواح المسلمين .

ورغم ماينقله البلاذري من أن المسلمين عندما انتهوا الى دجلة

قالوا «ما تنظرون بهذه النطفة أن تخوضوها ؟ فخضناها فهزمناهم» ورغم مايشير اليه أن سعداً «لم يجد معابر فدل على مخاضه عند قرية الصيادين فاخاضوها الخيل . » فأن البلاذري نفسه يشير في رواية اخرى الى أن سعدا والمسلمين اغتموا إذا لم يجدوا الى العبور سبيلا «فانتدب رجل من المسلمين فسبح فرسه وعبر فسبح المسلمون ، ثم أمروا اصحاب السفن فعبروا بالاثقال ، فقالت الفرس : والله ما تقاتلون إلا جناً فانهزموا . »

والواقع ان رواية البلاذري الأخيرة هذه تؤكد ان العبور كان سابحاً ، وليس من مخاضة ضحلة ، بل ان روايته السابقة التي تشير الى ان سعداً لم يجد معابر فدل على مخاضة عند قرية الصيادين . . فيها الدليل على هذا المكان ربما كان انسب مكان للعبور ، وهذا يؤكد ان النهر كان عميقاً ، ومعنى ذلك ان المكان المخاضة هذه ليس ضحلاً بل انه الأنسب للعبور

ورغم ان الطبري ينقل بعض هذه الروايات التي اشار اليها البلاذري ، إلا انه وابن الاثير وقبلهم جميعاً الواقدي يؤكدون ان سعداً عندما اتى اليه علج فارسي فدله على مخاضة يخوض فيها دجلة الى صلب الوادي تردد وابى ، ثم يشير الى ان الفيضان جاء متقدماً في تلك السنة ، وانها كانت مطيرة وكثيرة المدود ، فقوي التيار وفاجأهم المد ، وعظم الموج وكانت دجلة تقذف بالزبد .

ويكاد يتفق المؤرخون المحدثون من عرب واجانب الى ان العبور تم في نهاية شهر اذار او في شهر نيسان سنة ٦٣٧م / صفر ١٦هـ . حيث كانت دجلة في حالة فيضان عظيم . فالمعروف ان نهر دجلة يفيض في الربيع ، عندما تذوب الثلوج في الاناضول ، ومما لاشك فيه ان مثل هذا الفيضان يغطي حتى الجزر الصغيرة التي تقع عبر النهر ـ ان وجدت ـ والواقع ان فيضان نهر دجلة كون مانعاً عسكرياً رهيباً امام العرب حتى ان (ميور Muir) يصف عملية العبور بانها «مغامرة يائسة» ويشكك (كلوب Glubb) ـ كعادته ـ بهذا الامر فيقول بان سلمان الفارسي اكد وجود المخاضة ... علماً بان لااحد من المؤرخين الرواد اشار الى ان سلمان الفارسي اكد وجودها مطلقاً . الا ان كلوب يقف موقف المتردد امام الحقيقة فيقول «وليس من الواضح تماماً فيما إذا خاض الفرسان عبر المخاضة ام سبحوا . . » ولكنه يعود الى جادة الصواب فيقول «وقد يدهش» من لايعرف البدو إذا ما قلت لهم بان العرب الذين كانوا يعيشون في صحراء تكاد تخلو من الماء هم سباحون ممتازون . واشهد بانني رأيت رجالاً من وسط الجزيرة العربية يسبحون في نهر الفرات . . » ثم يشير كلوب (Glubb) في الهامش ـ الى ان ميور (Muir) نقل عن شيزني (ChesneY) ان جيش تيمورلنك عبر نهر دجلة سنة ١٣٩٢م قرب بغداد . وهو بهذا يعزز رأي الاخرين القائل بان العبور تم سباحة ، علماً بان (كلوب) يشير في نفس المكان بان العبور تم في اذار او نيسان وهو موسم الفيضان ـ حيث تزداد مياه دجلة بسبب ذوبان الثلوج على الاناضول !! وهذا القول يرجح امكانية العبور سباحةً .

ومهما يكن من امر فقد نام سعد ليلته مشغول الفكر مضطرب الوجدان حائراً في كيفية العبور ، فرأى في منامه ان خيول العرب تقتحم لجة النهر وتعبر دجلة في فيضان عظيم ،فعزم سعد على العبور وتحقيق مارأى ، فجمع الناس وبعد ان حمد الله واثنى عليه قال : «إنّ عدوكم قد اعتصم منكم بهذا البحر فلا تخلصون اليه معه ، وهم يخلصون اليكم إذا شاءوا فيناوشونكم في سفنهم ، وليس وراءكم شيء تخافون ان تؤتوا منه فقد كفاكموهم اهل الايام وعطلوا ثغورهم وافنوا ذادتهم . وقد رأيت من الراي ان تبادروا جهاد العدو بنياتكم قبل ان تحصركم(*) الدنيا ، الا اني قد عزمت على قطع هذا البحر اليهم . » فقالوا جميعاً عزم الله لنا ولك على الرشد فافعل .(١)

ب) استطلاع النهر ووضع خطة العبور : ـ

وهكذا وبعد ان وافق الناس سعداً على رأيه ، توقف سعد بقواته عند طرف دجلة ، وارسل مفارز الاستطلاع لدراسة النهر وتحديد : ـ

أ) عمق النهر والاماكن التي يمكن العبور منها وسرعة تيار النهر

ب) طبيعة ارض النهر ، واماكن مرور المشاة(*) والفرسان .

ج) اطراف النهر التي يمكن العبور منها .

لقد كان سعدٌ معروفاً بتطبيق مبدأ (المباغتة) في معظم الحروب التي خاضها . وهذا ماأراد أن يفعله الآن في عبور دجلة ومباغتة العدو الذي كان يعتقد بان عملية العبور مستحيلة ، واذا ما جرت فالأخفاق مصيرها حتماً ، وبعد ان درس سعد الموقف جيداً قرر ان تتم عملية العبور كما يلي : ـ

١) تشكيل كتيبة الاهوال : ـ وهذه طليعة قوات العبور ، على أن تتألف من المتطوعين وجمع سعد العرب وقال : «من يبدأ ويحمي

لنا الغراض (رأس الجسر على الشاطىء الاخر) حتى تتلاصق به الناس لكيلا يمنعونهم من الخروج(*) . فتطوع من ذوي البأس (عاصم بن عمرو) وتطوع بعده ستمائة من اهل النجدة ، فجعلهم سعد تحت قيادة عاصم . ورغم ان سعداً كانت لديه كتيبة اسمها (الخرساء) فيها فحول الفرسان كالقعقاع بن عمرو ، وحجال بن مالك ، والربيل بن عمرو ، لكن سعداً اراد أن يكون هذا الاقتحام تطوعاً خالصاً ليس فيه تكليف .

٢) ان يقوم عاصم بن عمرو ، بعد تفحصه النهر باختيار رأس الطليعة من كتيبة الاهوال تكون على شكل مفرزة من الفدائيين ، مهمتها أن تسبق كتيبة الاهوال وتمهد لها العبور الى الجانب الاخر من دجلة . وقد فعل عاصم ذلك حيث جمع افراد الكتيبة وقال «من ينتدب معي لنمنع الفراض من عدوكم ولنحميكم حتى تعبروا ؟ » فتطوع للعمل بهذه المهمة (ستون رجلاً) مكونين (الرائدة) المطلوبة فجعلهم عاصم نصفين على خيول اناث وذكور ليكون أسلس لعوم الخيل .

٣) ان يندفع عاصم برأس طليعته ثم يندفع بعده ما تبقى من الكتيبة في دجلة .

٤) تقوم كتيبة (الخرساء) التي يقودها القعقاع بن عمرو باسناد كتيبة الاهوال وحمايتها من الخلف ، بعد اكمال عبور الكتيبة الخرساء وإكمال حماية الفراض .

٥) تقوم بقية قوات العرب المسلمين باقتحام النهر وعلى رأسها سعد بن ابي وقاص(٢)

٦) يسيطر العرب على السفن الفارسية المتواجدة على الشاطىء الاخر كافة ويرسلونها الى الجانب الغربي كي تقوم بنقل من تبقى من المسلمين ونقل الامدادات والذخيرة الموجودة في الساقة .

ولدى هنا جملة ملاحظات أرى ضرورة عرضها : -

١) وهم بسام العسلي عندما جعل رأس الطليعة المتكونة من ستين رجلاً (فارساً) بقيادة سعد ، حيث انها كانت بقيادة (عاصم بن عمرو) . والملاحظ ان العسلي في ص٣٣٠ ينسب دور عاصم جميعه الى سعد ، وقد يكون ذلك باعتبار نسبة القائد المرؤوس الى القائد العام

٢) وهم ميور (Muir) حيث قال ان الستمائة فارس «المنتخبون» رتبوا او صفوا في مجموعات ستينية (على شكل ستين فارساً) ويبدو أن رأس الطليعة المؤلفة من (ستين متطوعاً) هي التي اوحت لميور بهذا الوهم ، خاصة وان المؤرخين الرواد يذكرون ان عاصماً جعلهم نصفين على خيول اناث وذكور ليكون اسلس لعوم الخيل .

٣) الواقع ان كتيبة الاهوال التي تشبه فرق (المغاوير) في زماننا ، اوتشبه فرق (الصاعقة) أو القوات الخاصة في جيوش اليوم ، القيت اليها مهمة مايمكن ان نسميه حسب مفاهيم عصرنا العسكرية بعملية «اقامة رأس جسر» وهذه العملية كانت تتطلب عبور نهر دجلة واعداد المكان اللازم لعبور بقية جنود العرب المسلمين وليست هذه العملية بالعملية السهلة ابداً - إذ تتطلب دقةً وجهداً كبيرين جداً حيث المفروض بقوة رأس الطليعة ان تقاتل في الجانب الاخر من النهر على ارض يمتلكها العدو ،ومسيطر عليها بكل امكانياته ، كما تتطلب تهيئة الجو المناسب لعبور بقية القطع العسكرية الاخرى ، ذلك الجو الذي يسعى العدو دائماً لارباكه وعرقلته .

٤) تتجلى العبقرية العسكرية العربية الاسلامية بأسمى صورها في هذا الاعداد للعبور . وان دل هذا على شيء فانما يدل على ان العرب سبقوا زمانهم بمدة ليست يسيرة ، إذ ان ما خُطط له يتناسب تماماً مع ماوضعه قادة الحرب في عصرنا الحديث . واضافة الى هذا تجلى في العبور العربي الاسلامي الذكاء الذي يكون الانسان باشد الحاجة اليه ، في ميدان الحروب ، وخاصة عندما يشتد وطيسها ، فما قام به عاصم من جعل الخيول الاناث تتقدم امام الذكور التفاتة بارعة تدل على اصالة راي .

٥) ان توخي عنصر المفاجأة الذي وضعه سعد نصب عينيه ، باستغلاله قناعة الفرس باستحالة عملية العبور ، نجح نجاحاً منقطع النظير - كما - سنرى وهذا دليل على براعة سعد في هذا الجانب .

ج) معجزة العبور

١) الاشتباك النهري : -

عندما رأى الفرس الذين كانوا على الشاطىء الاخر مافعله العرب ، أعدوا لهم مثل ذلك ، واقتحموا النهر في محاولة نهرية دفاعية عن عاصمتهم المدائن ، وقد حدث الاشتباك بين القوتين والعرب المسلمون اقرب الى شاطىء المدائن . وهنا دوى صوت عاصم : «الرماح ! الرماح ! ، اشرعوها وتوخوا العيون» . قصد عاصم بذلك ان يوجه العرب رماحهم الى عيون خيول الفرس كي يقلعوها . الامر الذي يحدث ارباكاً في صفوف

العدو . لقد اختار عاصم السلاح واختار الأسلوب التعبوي المناسب فتطاعن العرب والفرس ونفذ العرب امر عاصم بالطعن في عيون الخيل ، فاستدار الفرس نحو شاطئهم والعرب ينالون عليهم بالرماح من الخلف حتى ان خيل الفرس اخذت تندفع بركابها مذعورة مسرعة نحو الشاطىء دون ان تستطيع ركابها السيطرة عليها . وهنا تتجلى عبقرية عاصم مرة اخرى ، حيث اختار السلاح المناسب والتعبئة المناسبة في الوقت المناسب ، وهذا توقيت يرقى في حقيقته ليصل الى ما اتفق عليه القادة العسكريون في عصرنا الحديث من ان اللحظة الحاسمة تتطلب اتخاذ القرار الشجاع والسيطرة على الاعصاب واعمال الفكر بلمحة خاطفة يترتب عليها تحقيق نجاح باهر .

لقد تصرف عاصم وهو في لجة النهر كتصرفه وهو يقاتل على رمال الصحراء ، والواقع ان المرء ليجد بعض الشبه بين معارك العرب البرية والبحرية . وهذه الحقيقة التي توصل اليها (عبد الرؤوف عون) ، رغم انها تبتعد قليلاً عما نحن بصدده حيث ترمز الى معارك العرب البحرية ونحن بصدد معركة نهرية . الا انها تشير الى امر واحد وهو ان التشابه موجود بين قتال العرب البري والنهري ، حيث يقول عون «لايكاد المرء يجد كبير فرق بين معارك المسلمين البرية ومعاركهم البحرية لانهم أمة صحراوية الاصل ، يعيشون في بحر زاخر من الرمال ، سفينتهم المفضلة فيه الجمال ، ويحسبون فيه حساب الرياح والعواصف والانواء ، وقد اتقنوا في رحبات صحرائهم طريقة الكر والفر والمبارزة بالرماح فوق صهوات الجياد ، لذا كانوا يحولون كثيراً من معاركهم البحرية الى معارك برية بان يقرنوا سفنهم بسفن الاعداء . . . ويجعلوا من ظهورها ميداناً للتراشق بالسهام والتطاعن بالرماح ، والتصافح بالسيوف . » ويبدو مما يورده المؤرخون الرواد اضافة الى ما يذكره ابن الاثير ، ان قوة رأس الطليعة او الفدائيين المتكونة من ستين مقاتلاً ، والتي تقدمت في الطليعة هي التي لعبت الدور الاسبق في هذه العملية ، فوصلت اولاً الى الشاطىء الاخر ، ثم اكملت بقية الستمائة الدور بتعزيز قوة المقدمة .[4]

٢) الخطأ العسكري الفارسي : -

والظاهر ان الفرس كانوا يرمون العرب المسلمين بالنبال من شاطئهم اثناء عملية العبور ، ولكن البلاذري والدينوري يشيران الى انهم لم يصيبوا من المسلمين غير رجل من طي اسمه (سليل بن يزيد بن مالك السُّنْبُسي) .[5] لقد اخطأ الفرس في الخطة التعبوية للدفاع عن المدائن ، فلو انهم ثبتوا على شاطئهم يرمون المسلمين بنشابهم لكان اجدى لهم من اقتحام لجة الماء ، حيث لم تكن خيلهم في مستوى الخيول العربية ، ولامقاتلوهم في المستوى القتالي للعرب ، ولامعنوياتهم التي تجبرهم على الدفاع ، كمعنوية العرب المسلمين التي تدفعهم الى الهجوم . والمعروف في ميدان الحروب ان من المتعذر استعمال اسلحة الرمي والقذف مع اسلحة الالتحام اليدوي في آن واحد . وهذا ماجعل من الصعب على الفرس اصابة سوى رجل واحد من العرب . والظاهر ان وجود الفرس مع المسلمين في النهر في معركة تلاحم بالسلاح الابيض هو الذي حال دون ذلك . إذ كانوا يخشون من اصابة قومهم بسلاحهم . ويبدو ان الذي اوقع الفرس بهذا الخطأ الفاحش هو عامل المفاجأة الذي شل تفكيرهم عن اتخاذ القرار السليم .[6]

٣) عبور سعد : - وكان سعد يرقب كتيبة الاهوال من الشاطىء الغربي لدجلة . وبينما كان ينظر الى حماة الناس وهم يقاتلون على الشاطىء الشرقي قال «والله لو كانت الخرساء . . فقاتلوا قتال هؤلاء القوم هذه الخيل لكانت قد أجْزأت وأغنت» فشبه كتيبة الاهوال لما رأى منها من الشجاعة براً ونهراً بكتيبة الخرساء التي جعل نزولها الى النهر بعد كتيبة الاهوال ، فلحقت بها وشاركت في تطهير المنطقة .

فلما رأى سعداً ان عاصماً استولى على الشاطىء الشرقي وتمكن منه اذن للناس بالعبور وقال «قولوا نستعين بالله ونتوكل عليه ، حسبنا الله ونعم الوكيل ، لاحول ولاقوة الا بالله العلي العظيم» وتلاحق جنود العرب المسلمين يركبون اللجة «وان دجلة لترمي بالزبد وانها لمسودة» مما تحمل من الطمى ، وكان المسلمون اثناء العبور قد اتخذ كل واحد منهم رفيقاً له يتحدثون في مسيرهم ، كما كانوا يفعلون على الارض . وينفرد (خليفة بن خياط) بقوله ان عدد الذين عبروا مع سعد كان «اربع مائة» فاذا كان هذا العدد صحيحاً فمما لاشك فيه انه يدل على ان مجموعة صغيرة من المقاتلين عبرت مع سعد مكونة قلب القوة تتبعها مجموعات اخرى على التوالي ثم الاثقال والاحمال بالسفن التي استولى عليها العرب في الجانب الشرقي وارسلوها الى الجانب الغربي - كما سنرى - .

وينقل الطبري عن (ابي عثمان النهدي) وصف عملية العبور

بقوله «طبقنا دجلة خيلاً ورجلاً حتى مايرى الماء من الشاطىء أحد ، فخرجت بنا خيلنا اليهم تنفض اعرافها لها صهيل ، فلما رأى القوم ذلك انطلقوا لايلوون على شيء . . . »[٧] .

وكان الى جانب سعد في عملية العبور (سلمان الفارسي)فعامت بهم الخيل وسعد يقول «حسبنا الله ونعم الوكيل ، والله لينصرنّ الله وليه ، وليظهرن الله دينه وليهزمن الله عدوه ؛ إذا لم يكن في الجيش بغيٌ او ذنوب تغلب الحسنات . فقال له سلمان : الاسلام جديد ذُلّلت لهم والله البحور كما ذُلل لهم البر . اما والذي نفس سلمان بيده ليخرجن منه افواجاً كما دخلوه افواجاً . »[*]

وغطى المسلمون سطح الماء وهم يتبادلون الحديث وخرجوا منه كما قال سلمان لم يفقدوا شيئاً ولم يغرق منهم احد . يقول ابن كثير «بان الرسول صلى الله عليه وسلم دعا لسعد فقال (اللهم اجب دعوته وسدد رميته) والمقطوع به أن سعداً دعا لجيشه هذا في هذا اليوم بالسلامة والنصر ، وقد رمى بهم في هذا اليم فسددهم الله وسلمهم . » ويذكر المؤرخون الرواد بان احد العابرين من العرب كان إذا تعب من السباحة اثناء العبور فيجد تحت قدمه (جرثومة ـ ارض ناشزة ـ) يرتاح عليها . . . ولذا اطلق عليه الرواة (يوم الجراثيم) .

ويبدو من ذلك ان الارض في بعض مناطق النهر كانت غير بعيدة الغور ، بسبب وجود بعض الجزر النهرية التي كانت تعترض وادي النهر بين آونة وأخرى ، والتي غطاها الفيضان ، فكانت مناطق استراحه لمن اعياه الامر . إلا ان (الدرة) يفسر هذا الامر باعتقاده ان الطبري قصد بذلك تركيز بعض الاخشاب في الماء ليستريح عليها السابح[٨] . وهذا امر بعيد الاحتمال بسبب قوة تيار النهر ، ولاسند له في المصادر المعتمدة ، ولم يقل به أحد ويشير الطبري وابن الاثير الى بعض الحوادث الفردية التي وقعت اثناء عملية العبور منها ان جميع المسلمين سلموا في عملية العبور إلا رجلاً من بارق يدعى (غرقَدة)[*] سقط عن ظهر فرسه الشقراء التي كانت تنفض اعرافها من الماء والغريق يطفو على وجه الماء ، فثنى القعقاع بن عمرو عنان فرسه اليه والتقطه بيده واخذ يسحبه حتى عبر ، فقال البارقي ، وكان من اشد الناس «أعْجَزتَ الاخوات ان يلدن مثلك ياقعقاع ! » وكان للقعقاع فيهم خؤولة ولما نظرت الفرس الى العرب قد اقحموا دوابهم في الماء وهم يتسابقون العبور تنادوا «ديوان آمد ، ديوان آمد»[*] وهي جملة فارسية معناها جاءالشياطين ، تعبيراً عن الذهول الذي اصابهم من اقبال العرب على عملية العبور[٩] ودلالة على شدة خوفهم من المسلمين ، مما يدل على انهيار معنويات الفرس انهياراً كاملاً . وهكذا نصر المسلمون بالرعب .

٤) هلع وهروب : ـ

اعتقد يزدجرد ان حصوله على السفن وقطعه الجسر اضافة الى فيضان دجلة ، كلها عوامل فعالة ستعيق عبور المسلمين لمدة طويلة ، ان لم تجعل عملية العبور مستحيلة ، ولكنه تعلم من تجاربه مع العرب المسلمين انهم قضاء وقدر . ولهذا تصرف تصرُّف المحتاط ، فلما سقطت (بهرسير) نقل امواله وكنوزه واهله الى المدائن ، وجعل بيت ماله في النهروان ، وارسل عياله الى حلوان على مسافة تزيد عن ٢٠٠ كم عن المدائن وبقي مطمئناً في قصره بالمدائن ، وقد اوكل امر المعركة الى (مهران الرازي) والى (النخيرخان)[*] . وهكذا نقل يزدجرد بعض كنوزه مما خف حمله وغلى ثمنه الى حلوان ، تاركاً ما غلىٰ ثمنه وصعب حمله في المدائن ، اضافة الى ما اعد للحصار من البقر والغنم والأطعمة . ولكن فرسان العرب فعلوها ، فاتخذوا من خيولهم مركبات برمائية ، وارعبوا بذلك جنود يزدجرد الى درجة جعلتهم يرددون بالفارسية «ديوان آمد» ويقول بعضهم لبعض «والله ماتقاتلون الانس ، وما تقاتلون إلا الجن »

ويبدو ان هذه المفاجأة (المباغتة) ارهبت يزدجرد فاضطرته الى الهرب تجاه حلوان . ويصف البلاذري طريقة هربه حيث يشير الى ان قومه دلوه من الشرفات الخلفية للقصر الابيض فى زبيل (قفة او وعاء او جراب) فسماه النبط (برزبيلا) . ويفسر (كمال) هروب يزدجرد بهذه الطريقة بانه (يزدجرد) خشى الخروج من باب قصره ، إذ كانت واجهته شرقية ومدخله يكاد يواجه (بهرسير) حيث عبر المسلمون على بعد ثلاثة كيلو مترات منه ، والطريق مفتوح مما يترتب عليه وجود خطر عظيم على حياته . . .

فدلهُ قومه من الشرفات الخلفية لقصره بواسطة القفة . ولكن (الواقدي)يذكر ان يزدجرد كانت له (منظرة) في اعلى ديوان يشرف على ميدان القتال ،فلما وجد المسلمين يشقون الماء قال انهم مردة شياطين ،ثم قام من منظرته ونزل من ديوانه وهرب ... »[١٠] .

وبينما كان الفرس يقاتلون على الشاطىء ، جاء رجل منهم فنادى «علام تقتلون انفسكم فو الله ما بقي في المدائن احد . »
فانهزموا واقتحمتها خيول المسلمين ولحق بهم سعد مع بقية الجيش .

فادرك اوائل المسلمين اواخر الفرس ومنهم رجل يعترض على طريق من طرقها يحمي مؤخرة اصحابه وهم يفرون ، فكان يضرب فرسه للاقدام فتحجم ،ويضربها للهرب فتتقاعس ، فلحق به رجل من عسكر سعد يدعى (ثقيفاً) من بني عَدي بن طريف فضرب عنقه وسلبه . (١٢)

وهكذا يظهر لنا الاثر المعنوي الكبير للمفاجأة التي دبرها سعد في هذا المجال إذ ان نجاح المفاجأة ينشر الارباك ويحطم شجاعة العدو ، والامثلة على ذلك كثيرة وجميعها تظهر الى اي مدى يمكن للمفاجأة ان تضاعف النجاح «وليست المفاجأة التي اقصدها هي المفاجأة عند الاغارة التي هي جزء من الهجوم ، ولكنها ارادة مباغتة العدو وبالتدابير العامة التي نتخذها لاسيما بالطريقة التي توزع بها قواتنا . . . (١٣) »

٥) تقييم عملية العبور : ـ

لقد تمت عملية العبور دون ان يفقد العرب المسلمون رجلاً واحداً . وهذا امرٌ له قيمته العسكرية الهامة وفق مفاهيم مبادىء الحرب في عصرنا الحاضر . تلك المبادىء التي تجعل الهدف الاسمى للمعركة هو الحصول على النصر باقل ما يمكن من الخسائر ان عمل العرب المسلمين العسكري هذا يعتبر عملاً باهراً حقاً بمقاييس تلك الفترة التي كان الحصان فيها هو (برمائية) العرب الوحيدة التي اقتحم العرب بها لجة ذلك اليم المائج . كما ان الناقد المنصف ـ في عصرنا ـ لطبيعة تلك الاحداث ، لابد أن يعتبر مثل هذا العمل عملاً باهراً حقاً ولا ادل على هذا من وصف الفرس للعرب العابرين بانهم (شياطين) . ولتاكيد ما ذهبت اليه استشهد هنا بشهادتين الاولى لرجل معاصر معروف في ميدان التاريخ العسكري هو الفريق الركن صالح مهدي عماش «وكانت عملية العبور قسراً في تلك العملية البارعة ، اخطر واعظم عملية حربية من قبل جيش بدوي لم يألف المياه ضد جيش كان الاول في زمانه ، فيعجز جيش الامبراطورية الفارسية عن الثبات والدفاع عن عاصمته وبلاطه . »(١٥) . اما ابن كثير فيقول «وكان يوماً عظيماً وامراً هائلاً ، وخطباً جليلاً ، وخارقاً باهراً ومعجزة لرسول الله (ص) خلقها لاصحابه ، لم ير مثلها في تلك البلاد ، ولا في بقعة من البقاع . . . »(١٦)

د) في طرقات المدائن : ـ

وكان اول من دخل المدائن (كتيبة الاهوال) بقيادة عاصم ابن عمرو وتبعتها (الكتيبة الخرساء) التي كان يقودها اخوه القعقاع بن عمرو ومن ورائهم جيش سعد برمته ، واخذوا يتجولون في طرقها التي اقفرت من الناس دون ان يلقوا احداً(١٧) ولم يقع خلال تجولهم سوى حادثين نستشف منها حالة الاضطراب التي كانت على الفرس :

الحادث الاول : جرى لأحد فرسان الفرس :

«قال له قومه دخلت العرب وهرب اهل فارس »

فلم يلتفت الى اقوالهم وكان معتداً بنفسه فمضى حتى دخل بيت بعضهم وهم ينقلون ثياباً لهم .

قال « ما بكم ؟ »

قالوا « اخرجتنا الزنابير وغلبتنا على بيوتنا »

ففقد هذا الرجل اعصابه واخذ يرمي بنباله على الحيطان حتى افرغ ما بجعبته ، وامر خادمه فأسرج له دابته ، ولكن حزامه انقطع فشده على عجل وركب دابته وخرج الى طرقات المدائن ، فمر به اثناء التقدم الاسلامي رجل من العرب يدعى (ابن المخارق بن شهاب) فطعنه وهو يقول «خذها وانا ابن المخارق» فقتله ومضى في سبيله(١٨)

الحادث الثاني : ـ ان رجلاً من المسلمين ادرك رجلاً من الفرس معه عصابة يتلاومون ويقولون : لماذا فررنا ؟ ثم ان الرجل الفارسي امر رجلاً من عصابته بان يقذف له كرة في الهواء ، فرماها هذا الرجل الفارسي بسهمه فاصابها (ويبدو ان ذلك كان عندهم اختبار لثبات الاعصاب) فلما رأى ذلك هاج وهاجوا معه ، ومضى امامهم حتى انتهى الى ذلك الرجل المسلم فرماه من اقرب مما كان يرمي الكرة فأخطأه (بسبب اضطراب اعصابه) حتى اتاه الرجل المسلم ففلق هامته وقال «انا ابن مشرط الحجارة» فانهزم عن الفارسي اصحابه(١٩)

هـ) دخول سعد الايوان والقصر الابيض (*)

بعد أن سار سعد رضي الله عنه في طرقات المدائن الخالية

انتهى الى ايوان كسرى ، وهو رمز عزة الفرس وعنوان مجدهم وسطوتهم ، واخذ يقرأ قوله تبارك وتعالى «كم تركوا من جنّاتٍ وعيونٍ وزروعٍ ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين ، وكذلك وأورثناها قوماً آخرين . » وتقدم رائد المسلمين (سلمان الفارسي) الذي جعله العرب المسلمون ممثلهم في دعوة اهل فارس الى الاسلام من الفرس المحاصرين في القصر الابيض الاصح (الايوان) «اني منكم في الاصل ، وانا ارق لكم . ولكم في ثلاث ادعوكم اليها . مايصلحكم ان تسلموا فاخواننا . لكم مالنا وعليكم ماعلينا . والا فالجزية ، وإلا نابذناكم على سواء ، ان الله لايحب الخائنين . » وامهلهم ثلاثة ايام . فوافقوا في اليوم الثالث على اداء الجزية واصبحوا في ذمة المسلمين . وخرجوا من القصر الاصح (الايوان) . فدخله سعد ، ثم صلى في الايوان صلاة الفتح تاركا كل شيء في الايوان على حاله . وبعد ذلك صلى سعد اول صلاة جمعة في العراق جُمّعت جماعة بالمدائن في صفر سنة ستة عشرة .[٢٠] «وتقديرنا انها الجمعة التي صادفت ١٩ صفر ١٦هـ / ٢١ مارس ٦٣٧م أو التي تلتها ٢٦ صفر ١٦هـ / ٢٨ مارس ٦٣٧م ، وهي الارجح عندنا باعتبارها الاقرب الى موسم الفيضان الطبيعي لدجلة . »[٢١]

وبعد ان استقر سعد في الايوان ، سرح (زهرة)(*) في اثار الفرس الى النهروان وسرح بمقدار من ارسله مع زهرة الى كل ناحية اخرى[٢٢] . ويشير الواقدي الى ان هاشم بن عتبة تبع المنهزمين من جنود كسرى حتى انتهى الى مرج حلوان ، وقاتل هناك كتيبة من الفرس كانت تحيط بمحفة(*) مزركشة بالديباج والجوهر . وكانت المحفة تضم بنت كسرى فقتل هاشم (شاور ابن هرمز) وهو قائد هذه الكتيبة وولى اصحابه منهزمين . . .[٢٣]

و) غنائم المدائن : -

بعد ان ارسل سعد زهرة ورفاقه لمطاردة المنهزمين تحول من الايوان الى القصر الابيض بعد ثلاثة ايام . ووكل سعد امر الاقباض الى (عمرو بن عمرو بن مقرن) وامره بان يجمع ما في القصر والايوان والدور ، وما يأتيه به من خرج لمطاردة الهاربين ، واحصاء ذلك كله . . . والواقع ان المطاردين اصابوا الشيء الكثير من الفارين واعادوا ما حصلوا عليه فضموه الى ماقد جمع من القصر الابيض ومنازل كسرى وبقية الدور . ويرد ذكر زهرة مرة اخرى هنا ، حيث انتهى في مطاردة المنهزمين الى جسر النهروان ، فازدحم الفرس على الجسر وسقط لهم من جملة قافلتهم المنهزمة بغلٌ في الماء ، فاستماتوا في الدفاع عنه ، فاقسم زهرة ان لهذا البغل شأناً . . .

فحمل عليهم زهرة حتى ازاحهم عنه ، وإذا عليه ثياب كسرى وحليه ودروعه ذات الجواهر ووشاحه . . فرد زهرة ذلك كله الى الاقباض .[٢٤] وقد اسهب الرواة في ذكر ما حصل عليه العرب المسلمون من الغنائم ، ومعظم هؤلاء الرواة هم شهود عيان نقل عنهم المؤرخون الرواد . اي انهم ممن شارك في صنع احداث هذه المعارك . ونحن هنا سنعرض بعض ما نراه ذا فائدة كمثال على نوعية الغنائم ، وعلى سلوكية العرب في مثل هذا المجال .

فمما يدل على سمو اخلاقية العرب وامانتهم في هذا الصدد مثلاً . مانقله الطبري عن ابي عبيدة العنبري ، من ان رجلاً جاء بحق معه فدفعه الى صاحب الاقباض فاعجب به صاحب الاقباض ومن معه وقالوا «مارأينا مثل هذا قط ، مايعدله ماعندنا ولايقاربه . فقالوا : هل اخذت منه شيئاً ؟ فقال :

أما والله لولا الله لماأتيتكم به ، فعرفوا ان للرجل شأناً : فقالوا من انت ؟ فقال : لا والله لااخبركم لتحمدوني ولاغيركم ليقرضوني ، ولكن احمد الله وارضى بثوابه : فاتبعوه رجلاً حتى انتهى الى اصحابه فسأل عنه فاذا هو (عامر بن عبد قيس) »[٢٥]

ولما قدم القوم بسيف كسرى ومنطقته وزبرجه قال عمر (رض) ان اقواماً ادوا هذا لذوو أمانة» فقال علي (رض) «انك عففت فعفت الرعية»[٢٦] وَيبدو ان هذا السمو في الامانة لم يكن في ميدان المادة فقط ، وانما في ميدان المادة والمبدأ . فقد اخلص العرب لواجبهم العسكري بامانة ، كالامانة التي قدموا فيها ماحصلوا عليه من اموال مغرية الى بيت مال المسلمين . يدل على هذا قول سعد «والله ان الجيش لذوو أمانة ، ولولا ما سبق لاهل بدر لقلت ، وايم الله على فضل اهل بدر . لقد تتبعتُ من اقوام منهم هنات وهنات فيما احرزوا ما احسبها ولااسمعها من هؤلاء القوم . »[٢٧]

والواقع ان ما جمع من كنوز بلاد فارس واموالها شيء يفوق حد الوصف من اوان فضية وذهبية ، وثياب وجواهر ودروع ، وسيوف وديباج . . . قسمت جميعها بين العرب المسلمين[٢٨]

ز) تقسيم الانفال : -

وكان الذي تولى قسمة الانفال بين المجاهدين (سلمان بن ربيعة الباهلي) حيث جمع الخمس وارسله الى المدينة ، وقسم

الباقي بين المجاهدين الذين بلغ عددهم ستين الفاً . فاصاب الفارس اثني عشر الفاً .(*) . وكان رجال العرب جميعهم فرساناً ليس بينهم راجل ، وارسل سعد في الخمس كل شيء اراد ان يعجب منه العرب . واراد ان يخرج خمس (القطيف) [وهو بساط كسرى الذي كان اية في جمال فن الزخرفة والزركشة ، وكان طوله ستين ذراعاً وعرضه ستون ذراعاً] فلم تعتدل قسمته ، فاستشار العرب في ارساله الى المدينة حيث يضعه عمر (رضي الله عنه) حيثما يجد له المكان المناسب طالماان قسمته صعبة . فاجابوه الى ذلك فلما وردت الاخماس الى عمر قسمها في مواضعها الى ان وصل الى البساط فوجده لا ينقسم ، فاستشار من حوله في امره ، فوهبوه له وخيروه في امره ، وهو يأبى الى ان انهى الامام علي (رض الله عنه) القضية بقوله : «لم يجعل الله عملك جهلاً ويقينك شكاً ، انه ليس لك من الدنيا الا ماأعطيت فأمضيت ، أو لبست فأبليت ، أو اكلت فافنيت ، وانك ان تبقيه اليوم على هذا لم تعدم في غد من يستحق به ماليس له . » فقال عمر (رضي الله عنه) «صدقتني ونصحتني» فامر بتوزيعه بين الناس . وكان الذي سار بالاخماس «بشير بن الخصاصية »(٢٩)

ح) لماذا الترقيع : -

ان الكثير من المستشرقين والمؤرخين الاجانب يحاولون دائماً الاصطيادفي الماء العكر ، فيبحثون عن بعض السلبيات في التاريخ العربي الاسلامي ، والتي هي في الاساس اعمالاً فردية ، او اعمالاً لمجموعة صغيرة شاذة لايصح ان تتخذ قاعدة او مبدأ يعمم على الجميع . ومثل هذه الاعمال الفردية او الشاذة امر طبيعي يوجد في كل مجتمعات الدنيا قديمها وحديثها . ولسنا ممن يجعل جميع شخصيات وافراد التاريخ العربي الاسلامي قديسين منزهين عن كل خطأ او زلة . ولكن ليس من العدل ايضاً ترك الايجابيات التي هي قواعد أساسية مبدئية والبحث عن توافه هنا وهناك تسهل الوصول الى مافي قلب المستشرقين من امراض . فنادراً ما نجد من مؤرخي الغرب من انصف تاريخنا ، وكثيراً مانجد منهم من يبحث عن عثرة هنا وهناك كي يجسمها ويجعل منهامصدراً للطعن والتشويه والتشكيك المتعمد .

فبروكلمان Brockelmann مثلاً يقول بصدد غنائم هذه المعركة «وكان من الطبيعي ان تعمل هذه الغنائم التي وقعت بين ايدي العرب هناك ، والتي تحدثت عنها الروايات الاسلامية حديثاً مليئاً بالعجائب ، كدافع قوي لعرب الجزيرة العربية خصوصاً عندما اصبح الامر يتطلب ارسال النجدات للتعويض عن الخسائر التي لحقت بالارواح . »(٣٠) . ويقصد بروكلمان - الذي يعتبر من المنصفين لتاريخنا !! - بالخسائر هنا ، الخسائر بالارواح في معركة القادسية ، رغم ان الفارق الزمني بين القادسية وتوزيع غنائم المدائن فارق كبير يصل الى اكثر من السنتين . حسب بعض الروايات ،إذ يصح قول بروكلمان لو ان الغنائم جاءت في معركة حاسمة بعد القادسية مباشرة ، لمدة زمنية وجيزة . كما ان العرب خاضوا معارك كثيرة بين القادسية والمدائن ، وكانوا في جميعها منتصرين وبشكل حاسم ، ومن دون حاجة الى امدادات . إذ كفى سعد نفسه بنفسه بعد خسائر القادسية بارسال الطلائع المتلاحقة لملاحقة الفرس ، وانتظاره شهرين بعد معركة القادسية حتى يتم شفاء الجرحى فيعوض بهم عن النقص الذي حدث لديه . ولم نعثر على نص واحد يشير الى ان هناك نقصاً في عدد المقاتلين اثناء معارك مابين القادسية والمدائن لابل ان العرب كانوا يقاتلون بسيطرة واضحة تماماً .

وإذا كان بروكلمان يقصد بان غنائم المدائن كانت الدافع لعرب الجزيرة في ارسال النجدات للمشاركة في معارك مابعد فتح المدائن ، فهو غير محق ايضاً . إذ ان الجيش الذي تحرك بعد دخول المدائن الى (جلولاء) كان تعداده اثني عشر الفاً وامده سعد «بمائتي فارس ، ثم مائتين ، ثم مائتين»(٣١) وهذه الاعداد يمكن تزويدها بسهولة إذا ماقارناها بعدد الجنود الكلي في المنطقة وقدره (٦٠ / ٠٠٠) مقاتل . كما لا توجد هناك روايات تقول بان العرب كانوا بحاجة ملحة الى امدادات عسكرية بعد معركة المدائن .

والظاهر ان كل مااراده بروكلمان - رغم وصفه بانه من المنصفين لتاريخنا - هو الطعن بالمقاتل العربي من طرف خفي على اعتبار انه انسان مادي ، يفضل المادة على المبدأ ، والدنيا على الدين ، فاصبحت الغنائم المغرية دافعه القوي للالتحاق بالقوات الاسلامية بعد القادسية . وهنا نسي اوتناسى بروكلمان كل ما في تاريخ العرب من ايجابيات روحية ، فجعل الدافع المادي البحت هو الدافع الاساسي للفتوحات العربية الاسلامية . وليس بروكلمان هو الوحيد الذي اتجه هذا الاتجاه في هذا المجال فحسب . فالدور الان للواء (كلوب Glubb) ليقول «ووجد الخليفة التقي ذو العباءة المرقعة عمر بن الخطاب نفسه المالك لجميع الممتلكات الملكية الامبراطورية

لبلاد فارس تتألق بالجواهر والذهب ، وبساط هائل لقاعة الطعام مزين بفصوص من الماس والياقوت واللآلي ، وقد نسجت بخيوط من الذهب والفضة .»[٣٢] . وغني عن القول هنا كلوب يغمز بصورة غير مباشرة الى مطامع في نفس عمر (رضي الله عنه) ، بحيث انه استولى لنفسه على مغانم هذه المعركة ، علماً بان جميع كتب التاريخ تؤكد بانه قسمها بين العرب المسلمين ، ولم يبق لنفسه منها شيئاً ، وكان نصيبه منها نصيب واحد من المسلمين لااقل ولااكثر وبالاضافة الى هذا وذاك فقط اتخذ بعض مؤرخي الغرب مثل (Vaglieri) ومن سار على نهجهم من بعض مؤرخي الشرق مثل (فيليب حتي Hitti) بعض الحوادث الفردية والشاذة كي يجعلوا منها تعميماً يراد به الطعن في الانسان العربي المسلم وفي مبدأه السامي . فقد اعادوا وكرروا بعض الحوادث التي تدل كما يقولون على «خشونة وجهل وسذاجة البدو الفاتحين» ومن جملتها ان العرب قسموا ذلك البساط الزاهي المدهش الملبس بقشرة من الاحجار الكريمة الى قطع وزعوها بين الجنود ، وظنوا الكافور ملحاً فاضافوه الى الطعام . واستبدل بعضهم الذهب (الصفراء) بالفضة (البيضاء)[٣٣] والواقع ان العرب المسلمين وكما علمنا من قبل لم يستسيغوا تقسيم البساط على الجنود بعد ان وجدوا صعوبة في تجزئته ، حتى ان سعداً ارسله الى عمر (رضي الله عنه) يضعه في المكان المناسب له في المدينة ، وان عمر قسمه بعد استشارة المسلمين وباشارة من علي (رضي الله عنه) الذي وجد ضرورة استفادة العرب المسلمين منه خوفاً من ان تغري الدنيا في مستقبل الايام احدهم فيحوله الى ملك شخصي ـ كما يتضح من النص المذكور سابقاً ـ . وماضر الا يعرف اعراب الجزيرة مادة الكافور فيظنونها ملحاً ، هل ان هذا يلغي كل حسنة لديهم ، وابن كثير يشير الى ان «بعض» الناس استعملوه في العجين بدل الملح وليس كلهم فيقول «وربما استعمله بعضهم في العجين فوجده مراً»[٣٤] .

وما النقص في ان يستبدل بعض الاعراب الفضة بالذهب ذلك العمل الذي اعتبره (حتي) دليلاً على سذاجة العرب ، والذي يمكن ان يفسر ايضاً بانه تبديل المواد ببعضها على شكل مقايضة على شرط ان يحافظ كل نوع على قيمته ، كما نحول نحن الان العملات النقدية الورقية الكبيرة الى عملات اصغر . إذ يقول الطبري بهذا الخصوص «وقال حبيب . وقد رأيت الرجل يطوف ويقول من معه بيضاء بصفراء» وهو القول الذي اعتبره (حتي) دليلاً على سذاجة العرب . بل ان الدينوري يقول «وقال مخنف ابن سليم : لقد سمعت في ذلك اليوم (رجلاً) ينادي من يأخذ صفحة حمراء بصفحة بيضاء لصفحة من ذهب لايعلم ماهي» والبلاذري لايذكر ذلك مطلقاً ولا ابن خلدون ايضاً وهما من المؤرخين المحققين المشهود لهما . اما ابن الاثير الذي ذكر ذلك بقوله «وكان الرجل يطوف ليبيع الذهب بالفضة متماثلين» فلا يعتبر كلامه حجة ، إذ هو من المتأخرين جداً عن المؤرخين الرواد المذكورين ، كما انه ينقل عن الطبري بشكل حرفي احياناً . والظاهر ان الطبري لم يذكر ما ذكره ابن الاثير . كما هو واضح من نص الطبري المذكور اعلاه .[٣٥]

ولو افترضنا جدلاً ان هذا التصرف ينطبق على بعض (اعراب) الجزيرة الموغلين في البداوة ، فلا اعتقد بانه ينطبق على اهل الحواضر في الجزيرة كمكة والمدينة واهل حواضر اليمن الذين اشتهروا بالتجارة شهرة عظيمة يعرفها القاصي والداني انذاك ، وليس من المعقول لمن يشتغل بالتجارة الا تكون له معرفة بمعدني الذهب والفضة التي كانت تصنع منها النقود الفارسية والبيزنطية والتي كانت تستعمل في التداول في منطقة الشرق الاوسط منذ أيام ماقبل الاسلام . زد على هذا ان ارض الجزيرة غنية بالمعادن ومنها الذهب والفضة التي عرفها العرب منذ زمان ما قبل الاسلام ايضاً . ويصل الامر عند (Vaglieri) الى القول «وقدم العرب الطعام الى الكلاب على اطباق من ذهب»[٣٦] ولاادري من اين استقى هذا المؤلف هذه المعلومات . إذ لم اعثر على مثل هذا النص ابداً لدى المؤرخين الرواد . وما في النص يحمل الرد عليه .

واخيراً اعود لاكرر ماذكرته بهذا الخصوص اولاً ، وهو اننا لاننكر وجود بعض الاعمال الفردية الخاصة التي قد تدل على سذاجة وخشونة ـ كما صورها من اراد ـ (ولكن ليس طمعاً او خيانة او جشعاً او رعونة) . وهذا امر طبيعي جداً لاتخلو منه امة ، ولايعتبر مقياساً لروحية ونفسية رجال تلك الامة جميعاً أو تتخذ قاعدة للتعميم ، فحضارة العرب ودينهم القويم كانا كفيلين بتقويم النفوس .

وهكذا فتحت المدائن في اجرأ عملية عسكرية عرفها تاريخ العصور الوسطى وقد ولى عمر (رضي الله عنه) سعد بن ابي وقاص (رض الله عنه) امامة الصلاة وشؤون الحرب لكل ما غلب عليه ، وولى خراج ماسقى الفرات (سويد بن مقرن المزني) وخراج ماسقى دجلة (النعمان بن مقرن المزني)[٣٧]

وبقي العرب وسعد في المدائن حتى فرغوا من فتح جلولاء وحلوان وتكريت والموصل . ثم انتقلوا الى الكوفة .

(*) يتفق المؤرخون المحدثون على توقيت العبور (صفر / اذار - نيسان) ولكنهم يختلفون في سنة العبور ، (فالدرة) و (كمال) يجعلاها سنة (٦٣٧م) . في حين يجعلها (عماش) و (كلوب Glubb سنة (٦٣٨م) ويضيف كلوب (وإذا ماقضى العرب ثمانية عشر شهراً على الجانب الغربي - يقصد في حصار بهرسير - فيكون العبور في نيسان (٦٣٩م) . وهذا امر طبيعي جاء نتيجة اختلاف المؤرخين الرواد في تحديد مدة حصار (بهرسير - سلوقية -) بين الشهرين والثمانية والعشرين شهراً . ولما كان العبور قد تم حسب مايروي الطبري وابن الاثير في صفر سنة ١٦هـ ، وهذا مايعادل في التاريخ الميلادي شهر مارس (اذار) سنة (٦٣٧م) ، فاننا نتفق مع (الدرة) و (كمال) خاصة بان العبور قد تم في اواخر شهر اذار ، وصلى سعد في المدائن اول صلاة جمعة في (٢٦ صفر ١٦هـ / ٢٨ مارس ٦٣٧م على الارجح ، خاصة وان كمال استنتج ذلك على مايبدو من اطلاعه على كتاب (التوفيقات الالهامية) . [الطبري - ابو جعفر محمد بن جرير - تاريخ الامم والملوك - المطبعة الحسينية المصرية - ط - (٤ / ١٧٠ ، ١٧٤) ، ابن الاثير - عز الدين ابي الحسن - الكامل في التاريخ - بيروت - ١٩٦٥ - (٢ / ٥١١) ، باشا - اللواء المصري محمد مختار - كتاب التوفيقات الالهامية - مصر - ١٣١١هـ - ط١ - ص٨ ، الدرة - محمود - تاريخ العرب العسكري - بيروت - ١٩٦٤ - ط١ - ص٢٨ - عماش - الفريق الركن صالح مهدي - من ذي قار الى القادسية - بغداد - ١٩٧٢ - ص٦٠ - ، كمال - احمد عادل - فتوح الشرق بعد القادسية - بيروت - ١٩٧٤ - ط١ - ص٤٤-٤٦ -

GLubb — Lieutenant — General — sirJon Bagot — The Great Arab Conquest — London — 1963 — P — 202 —

(*) عند ابن الاثير (تحصدكم)

(١) الواقدي - محمد بن عمر - فتوح الاسلام لبلاد العجم وخراسان - مصر - ١٨٩١ - ص٤١ - ، البلاذري - احمد بن يحيى بن جابر - فتوح البلدان - القاهرة - ١٩٥٧ - (٢ / ٣٢٢ - ٣٢٣) ، الطبري - المصدر نفسه - (٤ / ١٧٠ ، ١٧٢ - ١٧٣) ، ابن الاثير - المصدر نفسه - (٢ / ٥١١ - ٥١٢) ، الدرة - المرجع نفسه - ص٢٨ - ، عماش - المرجع نفسه - ص٦٠ - ، كمال - المرجع نفسه - ص٤١ - ٤٣-٤٢ -

Muir, Sir William — The callPhate — its Rise Decline and Fall — Beirut — 1963 — P — 128 Gulbb — oP — cit — P 202 —

(*) اصبح جيش سعد بعد القادسية جميعه تقريباً من الفرسان .

(*) عند ابن الاثير «العبور»

(٢) الطبري - المصدر نفسه - (٤ / ١٧٠) ، ابن الاثير - المصدر نفسه - (٢ / ٥١٢) ، العسلي - بسام - فن الحرب في عهود الخلفاء الراشدين والامويين - بيروت - ١٩٧٤ ط١ - ص٣١٩ - ٣٢٠ ، فرج - محمد - المدرسة العسكرية الاسلامية - القاهرة - ١٩٦٩ - ص٣٧ - خطاب - اللواء الركن محمود شيت - قادة فتح العراق والجزيرة - القاهرة - بلا - ص٤٤ - الدرة - المرجع نفسه - ص٢٨٧ - Muir — oP — cit — P — 128 —

(٣) الطبري - المصدر نفسه - (٤ / ١٧٠) ، ابن الاثير - المصدر نفسه - (٢ / ٥١٢) ، ابن خلدون - العبر وديوان المبتدأ والخبر - بيروت - ١٩٥٦ (٢ / ٩٣٧) ، ابن كثير - عماد الدين ابي الفدا - البداية والنهاية - مصر - ١٩٣٢ (٧ / ٦٤ - ٦٥) عون - عبد الرؤوف - الفن الحربي في صدر الاسلام - القاهرة - ١٩٦١ - ص٢٢ -

(٥) البلاذري - المصدر نفسه - (٢ / ٣٢٣) ، الدينوري - ابي حنيفة احمد بن داؤد - الاخبار الطوال - القاهرة - ١٩٦٠ - ط١ - ص١٢ -

(٦) كمال - المرجع السابق نفسه - ص٤٧ -

(٧) العصفري - خليفة بن خياط - تاريخ خليفة بن خياط - تحقيق سهيل زكار - دمشق - ١٩٦٨ - (١ / ١٢٣) ، الطبري - المصدر نفسه - (٤ / ١٧١ - ١٧٢) ، ابن الاثير - المصدر نفسه - (٢ / ٥١٢) .

(*) عند الدينوري «اما والذي نفس سلمان بيده ليُغيرُن فيه ، وليبدلن» [الدينوري - المصدر نفسه - ص١٢ -]

(٨) الطبري - المصدر نفسه (٤ / ١٧٢) ، ابن الاثير . المصدر نفسه (٢ / ٥١٢) ، ابن كثير - المصدر نفسه (٧ / ٦٥) ، كمال - المرجع نفسه - ص٤٨ - الدرة - المرجع نفسه - ص٢٨٨ .

(*) عند الدينوري ان الرجل من طي ويسمى «سليك بن عبد الله» [الدينوري - المصدر نفسه - ص١٢ -]

(*) عند الدينوري «ديوان آمدند ، ديوان آمدند» [المصدر نفسه - ص١٢]

(٩) المصدر السابق نفسه - ص١٣ ، الطبري - المصدر نفسه (٤ / ١٧٢ - ١٧٣) ، ابن الاثير - المصدر نفسه - (٢ - ٥١٣) .

(*) عند الدينوري انه ولى «خُرّزاد هُرمُز» اخا رستم المقتول بالقادسية .

(١٠) الواقدي - المصدر نفسه - ص٤١ - ، البلاذري - المصدر نفسه - (٢ / ٣٢٢) الطبري - المصدر نفسه - (٤ / ١٧٣) ، ابن الاثير - المصدر نفسه (٢ /٥١٣) ، كمال - المرجع نفسه - ص٤٩ - ٥٠ -

(١٢) الطبري - المصدر نفسه - (٤ / ١٧٤)

(١٣) كلاوزفيتز - المرجع نفسه - ص٩٧ -

(١٥) عماش - المرجع نفسه - ص٦٠ -

(١٦) ابن كثير - المصدر نفسه - (٧ / ٦٥)

(١٧) الطبري - المصدر نفسه - (٤ / ١٧٣) ، ابن الاثير - المصدر نفسه - (٢ / ٥١٣) ، ابن خلدون - المصدر نفسه - (٢ / ٩٣٨)

(١٨) الطبري - المصدر نفسه - (٤ / ١٧٤)

(١٩) المصدر نفسه (٤ / ١٧٤) ، كمال - ص٥٠ -

(*) هناك اختلافات في موقع الايوان وموقع القصر الابيض ، حتى التبس الامر على المؤرخين فلم يفرقوا بين الاثنين . وينقل لسترانج عن اليعقوبي بان (الايوان) كان يقع في (أسبانْبر) التي تقع في الجانب الشرقي من نهر دجلة على بعد ميل الى الجنوب من المدائن - اما القصر الابيض فكان يرى في (المدينة العتيقة) على ميل من شمالها (وهو يقصد هنا بالمدينة العتيقة - طيسفون او المدائن -) والذي اندرس منذ المئة الرابعة (العاشرة) . ويرى لسترنج ان جميع المصنفين المتأخرين اطلقوا اسم (القصر الابيض) على (ايوان كسرى) دون تفريق ، وان الاخير هو البناء المعقود الكبير ، وهو الاثر الوحيد القائم حتى اليوم .. [اليعقوبي - احمد بن ابي يعقوب بن واضح الكاتب - البلدان - ضمن كتاب الاعلاق النفسية لابن رستة - ليدن - ١٨٩١ (٧ / ٣٢٠ - ٣٢١) ، لسترنج - بلدان الخلافة الشرقية - ترجمة وتعليق بشير فرنسيس وكوركيس عواد - بغداد - ١٩٥٤ - ص٤٢ - ٤٣ -

(٢٠) الطبري ـ المصدر نفسه ـ (٤ / ١٧٣ ـ ١٧٤) ، ابن الاثير ـ المصدر نفسه ـ (٢ / ٥١٣ ـ ٥١٤)

(٢١) كمال ـ المرجع نفسه ـ ص٦١ ـ

(*) اشرنا في القسم الاول من هذا البحث الى ان ذكر زهرة سيرد مرة اخرى ، وهذا يدل على انه لم تقبل في معركة (بهرسير) وانما عاش حتى زمن الحجاج حيث قتله شبيب الخارجي . وهذا يعزز راي (خطاب) من انـه جُرح ممـا استدعى خروجه من ميدان المعارك ، وربما بقي مدة من الزمن عاد بعدها لممارسة دور اقل من دوره الرئيس في المعارك السابقة بسبب مانتج عن اصابته

(٢٢) الطبري ـ المصدر نفسه ـ (٤ / ١٧٤ ـ ١٧٥) ، ابن الاثير ـ المصدر نفسه (٢ / ٥١٤) ابن كثير ـ المصدر نفسه ـ (٧ / ٦٧) ، ويشير بن كثير الى انه «زهرة بن حوية» صراحة ، ولايمكن ان يكون غيره ، فقد اعتاد الطبري وابن الاثير على تسميته بزهرة فقط .

(*) المحفة : غرفة دائرية كالمقصورة او الهودج .

(٢٣) الواقدي ـ المصدر نفسه ـ ص٩٠ ـ ٩٢ ـ

(٢٤) الطبري ـ المصدر نفسه ـ (٤ / ١٧٥) ، ابن الاثير ـ المصدر نفسه (٢ / ٥١٥) ، ابن كثير ـ المصدر نفسه ـ (٧ / ٦٧)

(٢٥) الطبري ـ المصدر نفسه ـ (٤ /١٧٦) ، ابن الاثير ـ المصدر نفسه ـ (٢ / ٥١٧)

(٢٦) الطبري ـ المصدر نفسه ـ (٤ / ١٧٧) ، ابن الاثير ـ المصدر نفسه ـ (٢ / ٥١٧ ـ ٥١٨)

(٢٧) الطبري ـ المصدر نفسه ـ (٤ / ١٧٦ ـ ١٧٧) ، ابن الاثير ـ المصدر نفسه ـ (٢ / ٥١٧)

(٢٨) راجع الطبري ـ المصدر نفسه ـ (٤ / ١٧٤ ـ ١٧٩) ، ابن الاثير ـ المصدر نفسه ـ (٢ / ٥١٥ ـ ٥١٩)

(*) يقول الواقدي . فاصاب الفارس اثني عشر الف (دينار)بينما لم يذكر الطبري ولاابن الاثير نوعية العملة . وهذا ماجعل البعض من المحدثين يعتبرونها (الدرهم)]الواقدي ـ المصدر نفسه ـ ص٩٢ ـ الدرة ـ المصدر نفسه ـ ص٣٨١ ـ Hitti — oP — cit — P — 156 كما ان هذا المقدار الذي اصاب الفارس الواحد شمل الفرسان الذين بقوا لحماية القاعدة في الفرات .

وقد اختلف المؤرخون المحدثون في تقديراتهم لما كان موجوداً في خزائن كسرى من الاموال عندما فتح العرب المدائن ، معتمدين على ماأورده كل من الطبري وابن الاثير اللذين يشيران الى ان بيت مال كسرى كان يضم فيه من المال «ثلاثة الاف الف الف الف ثلاث مرات . ، اخذ منها رستم عند مسيره الى القادسية النصف وبقي النصف حيث يشير الدرة الى ان هذا يعني بان ما كان موجوداً في بيت المال (ثلاثة الاف بليون درهم) . بينما يقول حتي ، بان تقدير الاخباريين العرب المفرط بلغ (تسعة بلايين درهم) معتمداً على نفس النص الذي اورده الطبري وابن الاثير . الا ان ابن خلدون يقول عن «الثلاثة الاف الف الف الف مكررة ثلاث مرات» بانها «تكون جملتها ثلاثمائة الف قنطار من الدنانير» [الطبري ـ المصدر نفسه ـ (٤ / ١٧١) ، ابن الاثير ـ المصدر نفسه ـ (٢ / ٥١٣) ، ابن خلدون ـ المصدر نفسه . (٢ / ٩٣٨) ، الدرة ـ المرجع نفسه ـ ص٣٨٩ .

Hitti — op — cit — p — 156

(٢٩) الواقدي ـ المصدر نفسه ـ ص٩٠ ـ ، الطبري ـ المصدر نفسه ـ (٤ / ١٧٧ ـ ١٧٨) ، ابن الاثير ـ المصدر نفسه ـ (٢ / ٥١٨ ـ ٥١٩)

(٣٠) BrocKeLmann — CarL — History of the Islamic Peoples — London — 1940 — P — 54 —

(٣١) البلاذري ـ المصدر نفسه (٢ / ٣٢٤) ، الطبري ـ المصدر نفسه ـ (٤ / ١٧٩ ، ١٨١) ، ابن الاثير ـ المصدر نفسه ـ (٢ / ٥٢٠) .

(٣٢) GLubb — OP — cit — P — 203 —

(٣٣) Vaqlieri — Laura Veccia — University of NaPles — the Patriarchal and Umayyad CaliPhates — the Cambridge History of Islam — Holt,P.M. and Others —Cambridge — 1970 — voLume — I — Part — I — Chapter — 3 — P — 61 Hitti — OP — Cit — P — 156 — 157 —

(٣٤) ابن كثير ـ المصدر نفسه ـ (٧ / ٦٧)

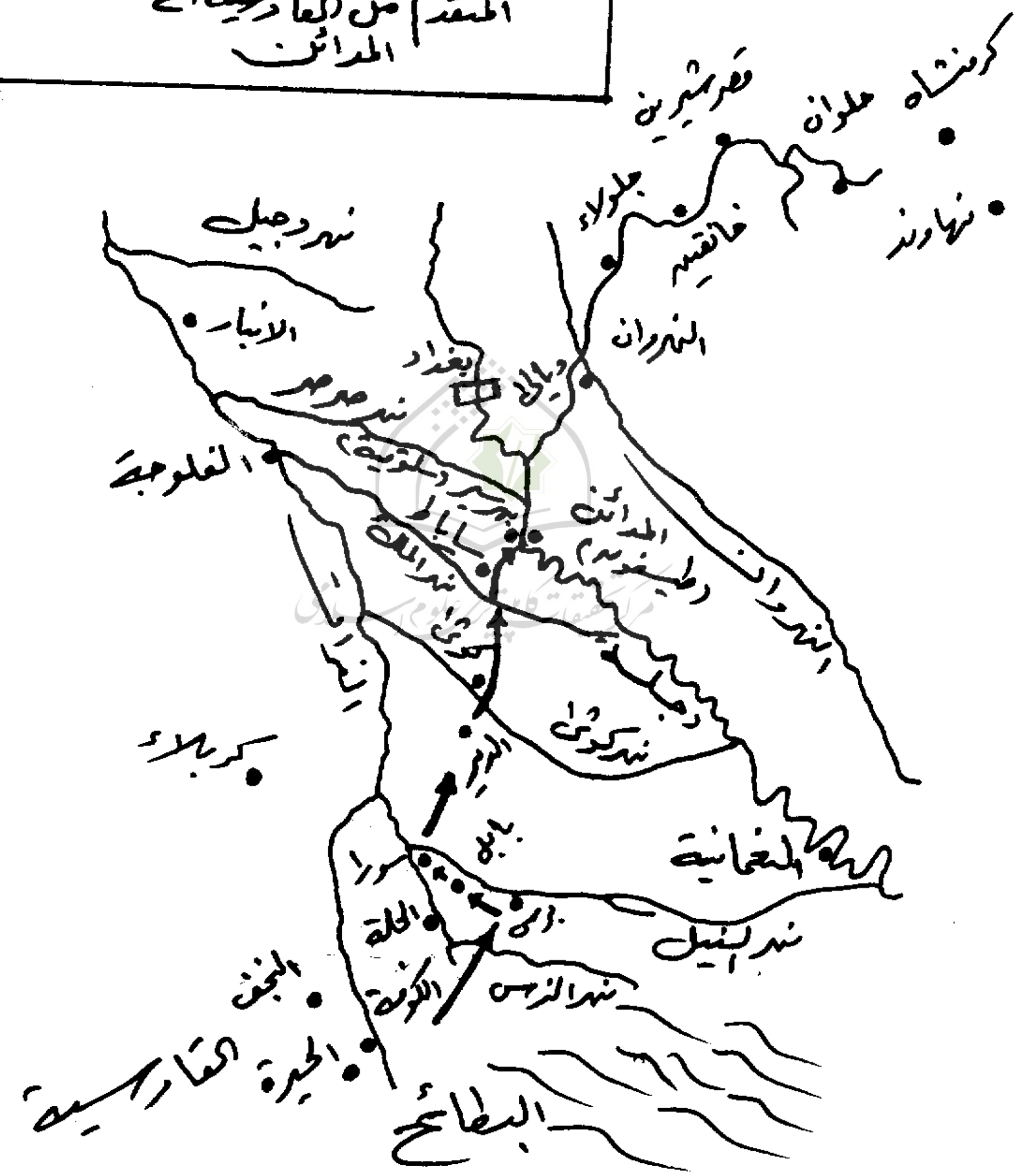
(٣٥) انظر البلاذري ـ المصدر نفسه (٢ / ٣٢٢ ـ ٣٢٣) ، الدينوري ـ المصدر نفسه ـ ص١٢٢ ، الطبري ـ المصدر نفسه ـ (٤ / ١٧٥) ، انظر ابن الاثير ـ المصدر نفسه ـ (٢ / ٥١٥) ، انظر ابن خلدون ـ المصدر نفسه ـ (٢ / ٩٣٨ ـ ٩٤٠)

(٣٦) Vaglieri — OP — cit — p — 61

(٣٧) الطبري ـ المصدر نفسه ـ (١ / ١٧٩) ، ابن الاثير المصدر نفسه (٢ / ٥١٩)

* * *

خارطة تمثل مسيرة الجيش العربي الإسلامي المتقدم من القادسية الى المدائن



المقدمة وبنائية معنى القصيدة في شعر زهير بن ابي سلمى

فايز عارف القرعان
مركز الدراسات الاردنية/ جامعة اليرموك

لقد سبق ان قمت بدراسة بنائية المعنى مكتفيا بنص شعري واحد[1] . لكني اثرت ان اقوم بمحاولة اخرى واسعة في هذا الجانب النقدي التطبيقي من خلال ديوان لزهير بن ابي سلمى ، ذلك لمحاولة فك بعض الرموز والمواقف الرؤيوية التي تتعلق بالمقدمات الشعرية . فالمقدمات تلك المتكررة عند زهير ، خصوصا ، وعند الشعراء الجاهليين ، عموما ، تبدو متشابهة نوعا ما ، اذا ما نظر اليها للوهلة الاولى ، وقد لاحظ الدارسون ان بعض الدراسات قد خرجت بما يقارب هذا الظن ، الا انني حاولت قدر المستطاع ان اذيب ركامات تلك الظنون عن الحقيقة الكامنة في سلسلة الابداعات الشعرية لدى شاعر من الشعراء العرب القدامى . فليست العملية الشعرية عند شاعر ما تكرارا للتجربة نفسها التي خاضها الشاعر ، فتجربة الطلل في قصيدة ما ليست هي تجربة الطلل في قصيدة اخرى عند الشاعر نفسه ، ذلك لان طبيعة الموقف الشعري او التجربة تختلف عن سابقتها . فعلى الرغم من ان الشكل الخارجي للتجربة الطللية واحدة الا ان الرؤيا المرتبطة بتلك التجربة تختلف عن غيرها كما نلاحظ من خلال المواقف المشارة في تحليل نصوص الديوان .

قبل الولوج في الدراسة لابد ان اضع التوضيحات امام القارىء ليكون على معرفة عند قراءته لها .

تتناول هذه الدراسة شكلين من اشكال البناء . يمثلان الجزء الكبير من الديوان ، ويتنوعان في الوقت نفسه لاعطاء اتجاه عام لنوعية القصائد . ودراستهما قائمة على محاولة توضيح الوظيفة الرئيسة لكل شريحة وعلاقتها بالموضوع وبرؤيا الشاعر . وتحاول ايجاد التشابه والاشتراك في بعض العناصر والاختلاف في بعضها الاخر ان وجد ذلك . ولاتنظر هذه الدراسة كذلك الى الشريحة نظرة منفصلة عن الكل الشعري بل من خلال السياق العام للقصيدة لان هذا نابع من ايماني بان القصيدة كل لايمكن النظر الى جزء منه وتفسيره بمعزل عن السياق الكلي ، لذلك تراني قد كشفت رؤيا كل قصيدة بكلمات قصيرة تعبر عنها ، ذلك بعد ان قمت بتحليلها وتمحيصها . وقد عملت على اقامة موازنة شريحة الطلل بين شعر زهير من خلال المعلقة وشعر شاعرين اخرين من خلال معلقتيهما لزيادة توضيح الدراسة وتبيان الفوارق والاختلاف .

مدخل :

لقد تنوعت القصائد التي وقعت في ديوان زهير بن

ابي سلمى : فبلغت ستا وخمسين انشودة شعر تراوح عدد ابياتها من خمسة وستين بيتا الى بيت واحد وقد اشتمل على قصائد تعددت شرائحها ، اذ تناوبت بين الطلل والنسيب والرحلة وغيرها من الشرائح ، وقد كان مجموع هذه القصائد خمسا وعشرين قصيدة ، وقد وزعها الشاعر على المواضيع توزيعا مدهشا بحيث تنوعت في الموضوع الواحد كالمديح مثلا ، يبين هذا التوزيع الجدول رقم (١) . فتجد المديح قد تناول عددا كبير من الشرائح المتنوعة بين الطلل والنسيب والرحلة حتى انه اوجد شريحة قد تكون نادرة الوجود في الشعر العربي ، هي شريحة الحديث عن النفس هذه الشريحة لها دلالتها العميقة في ارتباطها بالموضوع (المديح) . كما نوع الشاعر في المواضيع ، غير ان المديح هو الموضوع الغالب على هذا النوع من القصائد ، اذ بلغ ، كما هو مبين في الجدول بستة عشر موضوعا ، على حين ، توزعت المواضيع الباقية على الهجاء في قصيدة واحدة وثمة عدد من المواضيع المتفرقة في الديوان بالامكان الرجوع اليها والنظر فيها . ويقع في الديوان قصائد ذات شريحة واحدة ، وقد تنوعت هذه القصائد او المقطوعات بين عدة مواضيع اشهرها حديثه لامراته ، وقصائده في راعيه يسار ، وفي المديح وغيرها من المواضيع . وقد بلغ عدد هذا القسم من القصائد التي تتصف بوحيدة الشريحة احدى وثلاثين قصيدة .

الاشكال البنائية

في البدء لابد من حديث عام عن اشكال البناء في قصائد زهير الذي تنقل بين ستة عشر شكلا للقصائد المدحية التي تحمل عددا من الشرائح . هذا التنقل يختلف من شكل الى اخر في تناوله لكل شريحة على الرغم من تشابه بعضها في الاطار العام لها فيبدو في تناوله شريحة الاطلال في القصيدة رقم (٢) بانه يحاول ايجاد علاقة مفارقة في زمان واحد عبرت فيه الديار ، وهو الزمان الماضي (حينما كانت فاطمة وآلها في الديار) . متمثلا بفترة زمنية تنتهي عند لحظة فراق اهل فاطمة الديار ، وفترة زمنية ماضية تبدأ برحيل اهلها وحلول الحيوان وحلهم . فهاتان الفترتان اذن وقعتا في الزمن الماضي غير انهما تحملان ثنائية ضدية تتمثل في الحياة / الموت من ناحية ، والحياة (الانسان) / الحياة (الحيوان) من ناحية اخرى وعند النظر الى شكل اخر من اشكال هذه القصائد يظهر الاختلاف اكثر في تعامله مع الشريحة نفسها ، ففي قصيدة رقم (٤) . يتساءل عن صاحبة الديار التي يرى ان عنصر الموت والفناء قد اجتاحها وغمرها ، هذا الاختلاف لايتوقف عند شكلين مختلفين بل يتعمق الى اختلاف في الشكل الواحد الذي يضم عدة قصائد ، ففي الشكل الذي يتضمن القصائد (٤ ، ١١ ، ١٢) . تبدو الشرائح مختلفة اختلافا جوهريا على الرغم من تشابه توزيعها ، ففي القصيدة رقم (٤) لم يذكر الشاعر اسم صاحبة الديار بل تساءل عنها فحسب . فهذه الديار غمرها الموت والفناء ، على حين ان القصيدة رقم (١١) تذكر اسم صاحبة الديار (ليلى) . وتتعمق صفة الاختلاف بين الشريحتين بوصفه الديار في القصيدة ، فالديار (قد بلين) وهي صفة جوهرية في الاختلاف مع الصفة السابقة في القصيدة (٤) التي هي (لعب الرياح بها) . فيصبح ، اذن ، التعامل مع الطلل يختلف باختلاف الموقف الشعري الذي طغى على كل سياق شعري . كما يتعمق الاختلاف في طبيعة التناول للشريحة نفسها في القصيدة (١٢) من الشكل نفسه اذ ان عنصر المرأة قد طغى على الشريحة بحيث ذكر اسم آل ليلى واسم سلمى ، ولا يتوقف على ذكر الاسماء فحسب بل بالصفة التي اعطيت للاطلال ، هذه الصفة هي تشبيه الاطلال بكفي فتاة ترجع الوشم في معصمها ، هذه الصورة او الصفة تختلف كل الاختلاف عن سابقتها من الشرائح ، كما يبدو من الشكل الواحد ايضا ان الاختلاف قائم فيه من حيث تناول الشاعر لكل شريحة ، ويصبح تعامله في القصيدة (٥٦) تعاملا يختلف عن غيره من اشكال البناء التي تحمل الشريحة نفسها فهو يتعامل مع الطلل تعاملا عاطفيا . اذ ان معارف الرسم قد هيجت فؤاده فهذا الترابط ما بين الشاعر والديار اعطى صفة اكثر تعمقا من غيره في الشرائح الاخرى ، اذ كانت الحبيبة تظهر فيها على اختلاف الحال التي تظهر عليها ، غير ان ظهورها في هذه الشريحة قد انعدم ، ذلك لان الشاعر تجاوز ذكرها بعلاقة او ارتباط مكثف بينه وبين الديار .

اما الشرائح التي تمثل النسيب فانها جاءت لتستمر في تعميق الاختلاف بينها عن طريق اختلاف التناول او التعامل الذي قام به الشاعر مع موجودات كل شريحة فالشكل الذي يحتوي على قصيدتي (١٩، ٥٤) يختلف في واقعه عن الشكل الذي يحتوى على قصيدتي (٥، ٢٢) . واضافة الى ذلك فان القصيدة الاولى تختلف مع القصيدة الثانية من الشكل نفسه . ففي القصيدة (١٩) يظهر الشاعر التعلق الكبير والتعمق في علاقته مع ليلى التي يعود ذكراها كعيادة الحمى لصاحبها ، هذه الموازنة بين ذكرى الحبيبة والحمى لايوجد مثلها في الشريحة الثانية من قصيدة (٥٤) التي ظهر فيها الصراع بينه وبين اميمة صاحبته فما الذي يأتيه غير طيفها . كما انه لم ينل منها في فترة حبه لها غير الطيف ايضا . من هنا تتعمق صورة الخلاف بين فكرتي الشريحتين . ويظهر الاختلاف ايضا في الاسماء التي جاءت في الشريحتين ، ففي (١٩) (المرأة : ليلى) على حين في (٥٤) (المرأة : اميمة) ، كما ان الخلاف يظهر في الشكل الذي يضم قصيدتي (٥، ٢٢) ، ففي (٥) يتردد الشاعر في علاقته بمحبوبته سلمى ، ويعرض مدى هذا التردد في قوله :

صحا القلب عن سلمى وقد كاد لايسلو

واقفر من سلمى التعانيق والثقل

ويربط هذا التعلق بسلمى بدروس الديار ، فيظهر الشاعر في القصيدة ثلاثة موجودات الشاعر / الطلل / سلمى ، ويبين علاقة كل واحد بالاخر ، على حين ، ان في القصيدة (٢٢) يختلف في امر التعلق بسلمى . فهو يحاول رفض استمرار التعلق من خلال تساؤلات يرى تحقيقها مستحيلا مثل : (هل فات من ايامه ردد ؟) . هذا الرفض لايقابله الشاعر بالقبول بكل بساطة بل يعاني كثيرا فـ (لهم هوى من هوانا مايقربنا ماتت على قربه الاحشاء والكبد) . ويظهر شكل اخر لقصيدة (٧) يختلف في طريقة تعامله مع موجوداته عن غيره ، فالشاعر يرفض العلاقة رفضا باتا مع محبوبته سلمى التي قد تعني فعلا سلمى المرأة في السياق الكلي للقصيدة . على حين ، ان الشاعر في قصيدة (٢٢) يتعلق بابنه تعلقا يلهيه عن الفه (امرأته) ولذّته واحزانه ، هذا التعلق لايتوقف على تلك المرأة بل يتعلق ايضا بليلى وسلمى ولكنه يختلف عن تعلقه بابنه (مدلج) ، وهو تعلق آني عندما يهيجه ويذكره احد اصحابه او احد الناس بهما .

ويظهر الاختلاف في الشكل الذي يتضمن قصيدتي (٢٣، ٤٩) الذي احتوى على شريحة الحديث عن النفس ففي الاولى (٢٣) يتحدث عن تجاربه التي عاناها في عمره والتي زادته الايمان بالله والشجاعة وغير ذلك ، وفي القصيدة (٤٩) يظهر الحديث عن نفسه من خلال حبه لسلمى ووجده بها ، كما يتحدث عن صبره وكرمه وحفظه للامانة . كما ان الشكل الفريد الذي جاء في الديوان هو الذي يحمل شريحة وصف الصحراء في القصيدة رقم (٢٠) اذ وصف بها الصحراء التي تعزف الجن بها ، والتي تمتلىء بالثعبان ، فيصف مخاوفه واهوالها وموقفه منها .

الشكل البنائي الاول :

يحتوى هذا الشكل على : الطلل / الرحلة / المديح .

تقع مجموعة هذا الشكل في اربع قصائد مدحية ، وتحمل الشرائح نفسها والترتيب البنائي نفسه . القصائد هي (١، ٨، ١٤، ٢٤) . وترصد هذه الدراسة (علاقات) هاتين الشريحتين في الجدولين (٢ ، ٣) . ففي الجدول رقم (٢) توضيح لتشابه الموجودات واختلافها في كل شريحة طللية في الشكل ثم موازنتها مع القصائد المشتركة في الشكل معها ـ انظر الجدول (٢)[١] . من النظر اليه يتبين ان الاختلاف جوهري بين الشرائح ، هذا الاختلاف يأتي في الموجودات الاساسية التي يتعامل معها الطلل ، فالمكان على سبيل المثال في القصيدة رقم (١) يتحدد باماكن معينة على حين ، ان في القصيدة (٨) يتحدد بمكان واحد ، وهكذا في القصيدتين الاخريين اذ تختلف هذه الاماكن ، كما ان الشاعر قد اختلف في تناوله لاسماء الحبيبات فمن ام اوفى الى اسماء والى ام معبد وسلمى ، فهكذا يبدو الاختلاف قائما في معظم العلاقات القائمة في كل شريحة عن غيرها . ولكن السؤال الذي يطرح نفسه : ما سبب الاختلاف هذا ؟ . هذا السؤال جوهر الدراسة وهدفها .

عند النظر الى القصيدة الاولى (١) يتضح ان الشاعر قد

تعامل مع موجودين اساسيين في الشريحة : هما المكان والحبيبة ، اذ يختلف عن تعامله معها في القصائد الاخرى ، فهو في قصيدة (١) يحاول ربط ام اوفى بالمكان من خلال قوله : (امن ام اوفى دمنة لم تكلم) . اذ انه من خلال محاولة لتحليل القصيدة تبرز ام اوفى قضية كبيرة لاتتوقف عند (ام اوفى) المرأة ، بل تتعداها الى ان تكون الفعل الذي ادى بالديار الى الهلاك والدمار فيسبب بعد ام اوفى عن الديار دمارا لها واصبحت عدما ، وحلت محلها الارام . هذا الارتباط القائم بين المكان وام اوفى لايوجد له مثيل في القصيدة ، اذ ان الديار في الطلل لم تتغير ولكن التغيير الذي طرأ عليها تغيير في العلاقات الاجتماعية التي كانت قائمة في الديار ، اذ ان اسماء قد ارتحلت منها ، ولكن (لا الدار غيرها بعد الانيس) . فبهذا الشكل تصبح العلاقة بين القصيدة (١) والقصيدة (٨) علاقة اختلاف وتضاد لاسبيل الى التقائهما ، اذ ان التوحد بين المكان والحبيبة في القصيدة الاولى على اشده ، على حين ان لا ارتباط بين اسماء والمكان في القصيدة الثانية . بالمقابل فان القصيدة (٤) تقف في هذين الجانبين من العلاقات على النقيض من الشريحتين السابقتين ، اذ ان المكان والحبيبة ام معبد لايلتقيان ابدا ، لا من حيث البعد الاجتماعي فحسب بل ثمة علاقة ثورية تقام بين اطراف ثلاثة : الشاعر / ام معبد / الديار ، انظر الى قوله :

غشت الديار بالبقيع فتهمد
دوارس قد اقوين من ام معبد

تبدأ شريحة الطلل بفعل يشهر بالثورة على الطلل نفسه ، هذه الثورة التي تمثلت في (غشيت) اذن فالحدث هو طغيان الحركة الفعلية على الديار ، ويجسد الحركة الثورية في علاقة ام معبد بالديار قوله (قد اقوين من ام معبد) . فعملية الاقواء ليست بسيطة في الفعل بل قوية انها قوة حركية وفعلية توحي بالعلاقة المتضادة بين الحبيبة والمكان ، وتزيد القصيدة تعمقا في الثورة على الطلل اذا ما واصلت الدراسة كشفا للقصيدة من خلال السياق الكلي لها ، انظر الى قوله : (فلما رأيت انها لاتجيبني نهضت الى وجناء) هذه الثورة على الاطلال اصبحت عميقة على مستوى شريحة الطلل ، وتتعمق اكثر من خلال محاكمة السياق بالتحليل الذي ينتهي موضوعه المجسد لمعركة (الحرب/ الثورة) وهكذا تطغى الحركة القوية الثورية على كل القصيدة . وتأتي القصيدة (٢٤) بعلاقات تختلف الاختلاف كله عن سابق الشرائح ، اذ ان العلاقة بين المكان وسلمى في القصيدة هذه هي علاقة حميمية من ناحية وعلاقة تباعدية من ناحية اخرى ، فالحبيبة هذه ترتبط بالمكان ارتباطا حميميا وليس فعليا ، اذ كانت الحبيبة سببا لجدوته فاهلها رحلوا عن الديار (تحمل منها اهلها) والرحيل هذا ايضا كان رحيلا غير عادي ، اذ ان الفعل (تحمل) يشعر بان الامر كان خارجيا عن ارادة اهلها ، فمن هنا تبرز علاقة سلمى بالديار وهي علاقة حميمية ، وهذه العلاقة تجسيد لحركة فعلية طغت على القصيدة ، اذ تناوست ما بين الخير الذي وجد في الديار وما زال موجودا حتى بعد رحيل سلمى بدليل قوله (كان عليها نقبة حميرية) هذه الصورة التي تحمل الخير والبشر والحياة في الديار ، وجانب الشر فيها هو الدمار الذي جعل اهل سلمى يضطرون الى الرحيل .

من تحديد الرؤيا الشعرية لكل قصيدة من تلك القصائد يصبح منطلق البحث في كل موجود في الشريحة وتفسيره والكشف عنه على ضوئها ، والموجود الاخر الذي يقف في صف الموجودات الاساسية هو (الانسان الذي يعاين الطلل) ففي القصيدة (١) يقف الشاعر نفسه يعاين الطلل ، وهذا ينسجم مع الرؤيا الشعرية التي يطرحها ، وهي قضية (السلام والمجتمع)[٣] اذ ان القصيدة لاتحتاج الى استوقاف احد ، لان القضية تتعلق بعامة المجتمع ولاتحتاج لتوضيح وجلاء ، لانها مكشوفة لكل انسان يعيش في المجتمع الجاهلي ، ذلك لان كل رجل في ذلك المجتمع يعتز بشجاعته القتالية في الوقت الذي يعاني من ظلم الغزوات والحروب ، في القصيدة (٨) يستوقف الشاعر احد الناس دون تحديد لهويته بل يجعله مبهما ، وهذا مما ينسجم مع الرؤيا المطروحة في القصيدة وهي قضية (التبدل والتغيير في العلاقات الاجتماعية) اذ ان الوقوف على هذه القضية يستدعى قوة البصيرة والعقل لادراك التغيير ، التغيير الذي

طرأ على الديار ليس حقيقيا بل هو تغيير اجتماعي فيها من خلال تغيير العلاقات الاجتماعية ، اما في القصيدة (١٤) فان الشاعر نفسه الذي يقف ولكن هذا الوقوف يختلف اختلافا شديدا في التعامل في القصيدة الاولى مع وقوفه ، فهو يقف ليعلن ثورته وعزوفه عن الديار لا ليعلن تمسكه وعطفه عليها وحنينه اليها ، واما في القصيدة (٢٤) فلم يكن ثمة معاين للطلل لان الامر يمثل بعدا اجتماعيا هو التمسك والحنين الى الوطن ، لذلك فالديار بقيت ماثلة في ذهنه وليس ثمة حاجة لان يتوقف عندها ويستوقف احدا على دروسها ، وتستمر في اعطاء ترابطات خاصة لكل عنصر فيها مع اختلاف تلك الترابطات عن غيرها داخل الشرائح فالزمان الذي في القصيدة (١) عينه الشاعر بعشرين حجة على حين انه في القصيدة (٨) قد اختفى ، اما في القصيدة (١٤) هو اعوام متتالية من غير تحديد ، وكل هذا يرتبط ارتباطا جوهريا برؤيا الشاعر في كل قصيدة . ولمواصلة اكتشاف الاختلاف بين الشرائح على الرغم من تشابه العناصر يمكن اعطاء فكرة موجزة عن بقية الموجودات . وقد برزت ظاهرة الموت والحياة في الديار في الشرائح ، فكل واحدة منها تختلف عن الاخرى في ملامحها بل تركيبها ، ففي القصيدة (١) قامت حياة الارام بعد موت حياة الانسان على حين ان الحياة في الثانية قائمة : اما في قصيدة (١٤) فانها تختفي اما في (٢٤) فامل في الحياة ، ولكن الموت هو الغالب ، والاثر النفسي في القصيدة (١) هو الاندهاش ساعة اللقاء وتمني الخير لها والسلام ساعة الفراق ، وفي القصيدة (٨) يضطرب بين اثبات ونفي تغييرها ولا اثر لوداعها ، وفي القصيدة (١٤) محاولة للتكلم معها وعندما لاتجيبه يثور عليها ويفارقها ، وفي القصيدة (٢٤) شعور بالاسى والحزن الممجوج بالامل القليل لعودة الحياة بها ، وقد ظهرت بعض العناصر المشتركة في بقايا الديار مثل الاثافي بين قصيدة رقم (١) . وقصيدة رقم (١٤) . غير ان هذا التشابه ينتفي عند ربطه بكل شريحة ينتمي اليها . هكذا يتبين الاختلاف في شرائح الطلل في الشكل الواحد من شعر زهير .

اما البحث في شريحة (الرحلة) فيتبين من خلال رصد العلاقات في الجدول (٢) . ان التعامل مع الرحلة في كل شريحة يتحدد بطبيعة اختلاف الرؤيا الشعرية ، فالمرتحل في قصيدة (١) غير معروف الهوية غير انه بعداكتناه رموزها يمكن ارجاع الممدوح الى فاعل الرحلة ، اما في قصيدة (٨) فان المرتحلين معنيون فهم اهل اسماء ، وهذا تحديد لطبيعة العلاقات الاجتماعية ، على حين في القصيدة (١٤) يكون الشاعر هو المرتحل وهذا مرتبط بالموقف الشعري الذي يقتضي الثورة والقوة ، لذلك فالشاعر هو الحرى بهذه الثورة او هذا الارتحال . وفي القصيدة (٢٤) لايعرف المرتحل في البداية اما في المضي باكتشاف الرؤيا الشعرية في القصيدة فيعرف ان المرتحلين هم اهل اسماء وفيما يتعلق بمخاطبة الصاحب فانه في القصيدة الاولى يخاطب خليليه ، وهذا ما يتفق والرؤيا الشعرية التي تدعو الى التنبيه عما يقوم به الظعن او الراحلون (الممدوح) . وفي القصيدة (٨) ليس ثمة صاحب يخاطبه الشاعر ، وفي القصيدة (١٤) لاتتحدد مخاطبة الصاحب ، لان الموقف لايقتضي من الشاعر السؤال ، فهو موقف ثوري وحركي وفي القصيدة (٢٤) يخاطب خليليه لان الموقف يتطلب منه ذلك ، فهو موقف حنين الى محبوبته من خلال تمسكه بالارض التي تحن اليها سلمى ، اما بالنسبة لمسار الرحلة فان كل شريحة لها طبيعة مكانها الذي تتجه اليه . اما بالنسبة للاثر النفسي للشاعر فيبدي في القصيدة (١) الارتياح من الرحلة التي سارت بكل هدوء ، لان الهدف الذي تسعى اليه كان هدفا نبيلا وهو السلام . وفي القصيدة (٨) كان يبدي البكاء او الدموع الغزيرة ، لان الرحلة هي ايذان لتغيير علاقة اجتماعية بين الناس ، وفي القصيدة (١٤) فانه اعتزاز بناقته المرتحلة ، لانها قوية تستطيع مقاومة كل الصعاب التي يتعرض لها في ثورته . وفي القصيدة (٢٤) يقف موقف الطرب والفرح ، لانه ايذان بلقاء من يحن اليها .

وصفات الراحلة تأتي في كل قصيدة صفات موافقة كل الموافقة ومنسجمة مع الرؤيا الشعرية . فالراحلة في قصيدة (١) تبشر بالخير (ففيهن منظر جميل مونق للعين) . وفي قصيدة (٨) فالراحلات سريعات سرعة التبدل والتغيير في العلاقات الاجتماعية ، وفي القصيدة (١٤) فالراحلات

جنوحات وصبورات على الصعاب وذلك يتناسب مع متطلبات الثورة ، على حين ان في القصيدة (٢٤) الراحلات لا مثيل لهن ، لانهن قويات استطعن ايصال الشاعر الى ما يريد .

الشكل البنائي الثاني :

يحتوي هذا الشكل على : النسيب / الرحلة / المديح .

تقع مجموعة هذا الشكل في قصيدتين مدحيتين ، وتحمل الشرائح نفسها والترتيب نفسه . القصيدتان هما (٢ ، ٦) . وترصد هذه الدراسة علاقاتها في الجدولين (٤ ، ٥) . ففي الجدول رقم (٤) ترصد مكونات شريحة النسيب ـ انظر الجدول ـ يتبين منه ان لا لقاء بين موجودات الشريحتين الا في اسم المحبوبة (اسماء) ذلك الاختلاف آت من الرؤيا الشعرية لكل منها ، اذ تعامل الشاعر مع الشريحة الاولى تعاملا يختلف عن تعامله مع الشريحة الاخرى ، ففي الشريحة الاولى ترى العلاقة بينه وبين صاحبته ممزوجة بالتوتر على حين في الشريحة الاخرى ترى كلا منها يبادل الاخر الحب والود . فلم هذا الاختلاف ؟ .

عند النظر الى الجدول يتبين ان العلاقة تختلف جوهريا في القصيدة (٢) عنها في القصيدة (٦) ، هذا الخلاف يقف منه الشاعر موقفا مغايرا ، ففي القصيدة (٢) يبدو متعلقا بمحبوبته اذ يحاول الوصول اليها غير انه لايستطيع ذلك ، اما في القصيدة قصيدة(٦) يبدو انه يبادل محبوبته المشاعر نفسها هذا الاختلاف بين القصيدتين يعمق هوة الاختلاف بين الشريحتين . واذا ما تم الكشف عن رؤيا كل قصيدة فانه يوصل الى سهولة الكشف عن اختلاف موجوداتها . فالقصيدة (٢) تحاول رؤيا شعرية تتصل بالحياة ، فيحاول من خلالها الوصول الى (القيمة العليا) في الحياة ، تلك القيمة التي حاول ايضاحها من خلال علاقته بأسماء ، ولايخطر على بال احد ان العلاقة هي الحب فحسب بل علاقة غلافها الحب وجوهرها الانسان الذي يرتبط بغيره بالوفاء والاخلاص فتخرج القصيدة عن كونها ارتباطا محدودا بين الشاعر وصاحبته . وفي القصيدة (٦) تحاول تجسيد رؤيا شعرية مغايرة ومخالفة للقصيدة السابقة ، هذه الرؤيا تنصب ايضا على قيمة عليا في الحياة هذه القيمة هي (الحب) في ذاته بين اثنين .

من خلال تلك النظرة لكل من القصيدتين يصبح بالمقدور اضاءة كل موجود في كلتا الشريحتين . ففي قصيدة (٢) يحاول الشاعر ان يوضح علاقته غير المتوازنة مع محبوبته ، ويحاول التمسك بها ، غير انها تخلفه الموعد وتضعه في حالة اضطراب ، وانفعال يتجسد بقوله (قامت تبدى بذى ضال لتحزنني) هذا الموقف في الشريحة يتغاير ، مطلقا ، مع الموقف في الشريحة الثانية من القصيدة (٦) ، اذ يبدو الشاعر منسابا مع محبوبته في الشعور والعاطفة ، فكل منها يبادل الاخر الحب ، على هذا المستوى من تبيان العلاقة تظهر الرؤيا في قصيدة (٢) بانها تحاول الوصول الى قيمة يتجسد فيها (الوفاء) . اما في الرؤيا الثانية في قصيدة (٦) تختفي الاشارة لمحاولة الوصول الى قيمة الحب ، لان كل شيء قد حدث . وتتعمق هوة الخلاف بين الشريحتين بتعمق رؤيا الشاعر ، فاسماء في قصيدة (٢) ارتحلت بمحض ارادتها ، وهذا ما يدعو الشاعر لمحاولة الوصول اليها من جديد والتمسك بها في قصيدة (٦) فان الامر يختلف تماما عن الاول ، اذ انه لايدعو ، بينهما ، الى محاولة التوصل من طرف واحد فكل منهما اذا رحل صاحبه فانه يحزن على رحيله ويتبادل الشعور مع الاخر ، على حين تبدى المحبوبة اهمالها للشاعر في قصيدة (٢) . وقد استخدم الشاعر في القصيدة (٢) الوصف الغزلي لاسماء ليواصل به اعطاء القيمة العليا صفات تستحقها ، فهو يخلع حسن الريقة والجيد على محبوبته وهو بذلك يحاول اعطاء صفات خارجية نوعا ما عن الذات لمحبوبته ، هذه الصفات تعمق رؤياه في (ان الحب ليس هو الوحيد المنشود) في هذه الشريحة ، بهذه النظرة يبدو الخلاف بين الشريحتين في تعاملها مع الموجودات .

اما البحث في شريحتي الرحيل فان موجوداتها تبدو في الجدول (٥) المرافق . من النظر اليه يبدو الاختلاف قائما بين الشريحتين ، فالمرتحل في القصيدة (٢) هم اهل اسماء وبمعيتهم اسماء وكان الارتحال بمحض ارادتها ، لذلك فان الشاعر لم يلاحقهم مرتحلا بل كان يقف موقفا سلبيا ، لان الهدف الذي يسعى اليه يراه وكأنه مستحيل التحقيق ، على هذا المستوى من الكشف تتعمق القصيدة في محاولة لها لتكشف هوة الخلاف بين موقف الشاعر والمحبوبة لتجسيد الرؤيا الشعرية في القصيدة ، على حين ان الحال تختلف في

القصيدة (٦) فالشاعر هو الذي يقوم برحلته ليبحث عن التي يحبها . وتختلف الشريحتان كذلك من حيث ان الذي يقوم بمعاينة الرحلة في قصيدة (٢) الشاعر نفسه ، ولم يكلف احدا بالمخاطبة . فما زال يرمقهم حتى هبطت رحالهم في راكس وغيرها من الاماكن . على حين ان الامر يختلف في القصيدة (٦) ، فالشاعر يخاطب صاحبيه ، فما سبب ذلك ، اذن ، ؟ . يأتي الجواب عن هذا التساؤل بربط العلاقات بالسياق الكلي للقصيدة ، فالشاعر في القصيدة (٢) يعاين موقفا متأزما لامجال لمخاطبة الصحب فيه ، فكل همه ان ينتظر النتيجة التي يسعى لتحقيقها ، على حين ان النتيجة في القصيدة (٦) معروفة مسبقا ، ومن هنا يخرج الشاعر بتعمق اخر في كل شريحة ، ففي الشريحة الاولى ، الرحيل يكاد يكون في اختيار اسماء واهلها ، لذلك ليس من الضروري تحديد الزمان الذي عليهم ان يرتحلوا فيه ، كما يدخل في الشريحة نفسها عنصر الحادي الذي يقود الرحلة ويطرب الركب ، على حين ان الامر مختلف في القصيدة او في الشريحة الثانية ، اذ ان الزمان قد تحدد بزوال النهار ودخول الليل ، وهذا ما ينبيء عن توطد العلاقة بين الشاعر ومحبوبته ، على هذا المستوى يدخل الشاعر التعمق في الشرائح ويظهر كذلك الموقف التأزمي من الرحلة في القصيدة الاولى (٢) بوصف حالة التي علاها البكاء والحزن ، غير ان هذا لايدعوه للحاق بالركب ، على حين ان الشاعر في القصيدة (٦) يظهر مندفعا للحاق بمحبوبته .

اشكال بنائية اخرى :

الاشكال التي اعنيها هنا هي الاشكال وحيدة الشريحة ، وهي تقع في قسمين الاول : عدد ابياته يتراوح بين ثلاثة وعشرين بيتا الى عشرة ابيات ، وقد احتوى هذا القسم على خمس قصائد تناوست في موضوعاتها بين المديح والعتاب (عتاب امرأته) والحديث عن يسار راعيه . والقسم الثاني : عدد ابياته يتراوح بين تسعة ابيات الى بيت واحد . وقد احتوى هذا القسم على ست وعشرين مقطوعة تناوست بين المديح والعتاب والرثاء . وآثرت ان لااقوم بدراسة هذا الشكل حتى لا اخرج عن نطاق الدراسة .

موقع مقدمة زهير الشعرية من شعر شاعرين اخرين :

بعدما عرضنا للاشكال البنائية في شعر زهير تبقى علينا معرفتها من خلال موازنتها بشاعرين اخرين لنتبين موقع بنائية شعره في القصيدة مع بنائيتها لشاعرين هما : امرؤ القيس في معلقته[٣] ولبيد بن ابي ربيعة في معلقته ايضا[٤] .

وحقل الموازنة بينهم (شريحة الطلل) لنكشف عن كيفية تعامل كل منهم مع الاطلال وربط ذلك بالاتجاه العام لطبيعة كل قصيدة من قصائدهم ، لذا نرصد تلك العلاقات في الجدول رقم (٦) . يلاحظ من خلاله الفارق ما بين الشعراء في قصائدهم هذا الفارق يختفي ويظهر ولكن تعامل كل شاعر من هؤلاء له خاصيته التي يتميز بها عن غيره ، فزهير يحاول من خلال رؤياه الشعرية التي تناولها في المعلقة ربط ام اوفى بالمكان ، هذا الربط يخرج عن كونه ربطا منطقيا لان ام اوفى قد سكنت الديار ، بل يتعدا ذلك الى ربط السبب بالمسبب فام اوفى هي التي دمرت الديار فقوله (امن ام اوفى دمنة لم تكلم) يؤكد بحرف الجر انها سببية وتدل على ان ام اوفى هي التي سببت الدمار للديار ، على حين ان امرأ القيس يأتي ليفصل بين الحبيبة والديار ، فهو لايقف بالديار الا لان حبيبته مكثت بها ، ولايبكي عليها الا لذكراها وايامه اللواتي قضاهن معها ، فالمكان بالنسبة له اصبح كأي مكان اخر واصبح الوقوف فيه لايشكل اية قيمة[٥] اما لبيد فانه يختلف عن الشاعرين السابقين فهو لم يحاول ربط الديار بأية امرأة وهذا مما يجعل القصيدة اكثر اغراقا في العمومية في المكان بالرغم من انه . حدده بالريان الا ان هذا التحديد قد استغله في الصفة التي يحملها اسم المكان ، فالريان هو مكان كثرت فيه المجاري والمياه غير ان الشاعر يؤكد هذه العناصر الموجودة في الطلل من خلال صفة المكان اي ان صفة الرواء اساسها دائما من خصائص هذا المكان[٦] .

تتنوع خصائص هذه الشرائح عند كل شاعر يتخذ طريقة يقف بها من الدمار وعدم الوضوح اذ استدل عليها بعد جهد كبير من غير استعانة بالصحب الذين ذكرهم امرؤ القيس ، هذا ينبيء عن ان زهيرا لا يريد حصر الوقوف على

الاطلال بأناس معينين بل يريد الامر للجميع لان القضية كما تظهر قضية اجتماعية فلهذا جاء التعبير مبهما ولا يتفق بخصوصية الصحب على حين ان امرأ القيس استوقف صاحبيه ليعاينا الطلل معه ولكن هذه المعاينة لمواساته بما اصابه من رحيل صاحبته عن المكان . من هنا يأتي امرؤ القيس على خلاف مع زهير في موقفه ، فالاول لايهمه المجتمع بقدر ماتهمه نفسه التي تعاني فراق صاحبته ،[٧] اما لبيد فقد اوقف نفسه وعاين الطلل دون الحاجة الى ايقاف الصحب ويلتقي بهذا مع زهير ويبدو التشابه في هذا غير انه يختفي اذا ما عرفت رؤيا كل شاعر ، فزهير صاحب دعوة (سلام)[٨] على حين ان لبيدا يبدو في قصيدته صاحب رؤيا للوجود : الحياة / الموت اذ يؤمن بأن هذا يصدق بالنسبة للطبيعة نفسها وليس بيد الانسان من حيلة للتأثير على مجراها[٩] . هكذا ، اذن ، يختلف كل من الشاعرين في رؤيتيهما في كل شريحة ، وكذلك يقف امرؤ القيس مختلفا مع الاثنين في رؤياه الشعرية اذ يعرض قضية خاصة به وهذه القضية شخصية لامجال فيها للعمومية على حين ان زهيرا يعرض قضية اجتماعية عامة ولبيدا يعرض قضية عامة لكنها انسانية فكرية .

من خلال كل رؤيا شعرية للشعراء يبدو ان الكشف عن طبيعة كل موجود في الشرائح يصبح عملا سهلا نوعا ما ، فزهير يتناول ثنائية الوجود تناولا يتشابه مع تناول لبيد بن ربيعة ، فالديار بعدما خلت من اهلها جرت الظباء فيها والبقر الوحشي ، هذا من جانب يمثل حياة جديدة بعد ان كان الموت قد طغى على الديار ، هذه الصورة من صور قصيدة زهير التي ترتبط ارتباطا مباشرا بفكرته فيها ، وهي فكرة السلام الذي يمكن تحقيقه داخل الموت لان الديار هي المكان الذي تقوم عليه الحياة ، فما العنصر الحيواني الا تجسيدا لامكانية الحياة واعادة السلام في الديار وفي هذا الجانب يتناول لبيد الثنائية نفسها غير انه تناول يختلف في طبيعته لاثبات رؤياه التي ترى الوجود ثنائية للموت والحياة غير ان الحياة قادرة على تجديد نفسها في لجة الدمار والموت بدليل الصورة المغايرة لطبيعة الحياة الانسانية[١٠] اما صورة زهير الشعرية فهي محاولة لارجاع السلام للمكان من خلال السياق الكلي الذي يطرح فيه القضية على حين ان لبيدا ليس همه ارجاع السلام بقدر ما يحاول اثبات ان الحياة يمكن ان تقوم وسط الدمار . اما بالنسبة لامرىء القيس فان الامر يبدو منتهيا يائسا من ارجاع او ايجاد الحياة على ذلك المكان[١١] . من الملاحظ على نوعية الحيوان وطبيعته في هذه الديار انها حيوانات غير متوحشة وهي صفة تجمع الشرائح الثلاث مع الاختلاف في طبيعة شريحة امرىء القيس كما يتشابه لبيد مع زهير في الموقف النفسي عند مشاهدة الديار فكل منهما وقف مندهشا مستغربا متحيرا من هذا الطلل الذي تغيرت فيه الطبيعة ، ويدعم هذا الاستغراب والاندهاش ان كل شاعر منهما اعطى صفة زمنية ووقتا لوقوفه على الطلل ، فزهير وقف من بعد عشرين حجة من الغياب عنه ، على حين ان لبيدا لم يحدد الزمن تحديدا مباشرا بل هو عدة سنوات بـ (حلالها وحرامها) اما امرؤ القيس فهو يختلف في التحديد معهما اذ يحدد رحيل حبيبته في (غداة البين) هذا مما يدل على اغراق نفسه في الخصوصية . بهذه المفارقات في الزمن والموقف تتشكل جوانب مميزة لكل منهم ، فزهير لايقصد بالزمن عشرين حجة كما هو مبين بل يريد اعطاء صفة زمنية ممتدة وطويلة ليشرح زمن الدمار وعدم السلام ، على حين ان لبيدا يرى ان ثنائية الوجود هي ازلية منذ القدم ولهذا فهو لايحدد زمنا بل يجعل لكل سنة خصوصية (حلالها وحرامها) من الاشهر ، هذه اللانهائية في الزمن تعطي الرؤيا الشعرية الوضوح والكشف عن موجوداتها ، على حين ان امرأ القيس يحدد الزمن بفترة واحدة لان الامر عنده لايتعدى اكثر من رحيل شخصي لحبيبته .

هكذا يبرز كل شاعر بخصوصيته في تعامله مع الاشياء في شريحته ، فزهير كأنه المصلح الاجتماعي كما هو مبين في المعلقة اذ حاول اعطاء نظرة جديدة للحياة لاقامة السلام عليها ، على حين ان لبيدا يظهر بعقلية المفكر العالم بالوجود من خلال عرضه لرؤياه التي برزت فيها ثنائية الوجود الطاغية على الحياة ، اما امرؤ القيس فغارق في نظرته لذاته فلا يدع مجالا لغيره في تلك الرؤيا التي برزت في معلقته .

قائمة بمطالع القصائد ذوات الارقام في الجدول الاول .

القصيدة رقم (١) ص٤ :

امن أم أوفى دمنة لم تكلم   بحومانة الدراج فالمتثلم ؟ .

القصيدة رقم (٢) ص٣٣ :

ان الخليط اجد البين فانفرق   وعلق من اسماء ما علقا

القصيدة رقم (٣) ص٥٦ :

عفا من آل فاطمة الجواء   فيمن فالقوادم فالحساء

القصيدة رقم (٤) ص٨٦ :

لمن الديار بقنة الحجر   اقوين من حجج ومن دهر ؟ .

القصيدة رقم (٥) ص٩٦ :

صحا القلب عن سلمى وقد كادلا يسلو   واقفر من سلمى التعانيق والثقل

القصيدة رقم (٦) ص١١٦ :

كم للمنازل من عام ومن زمن   لآل اسماء بالقفين فالركن

القصيدة رقم (٧) ص١٢٤ :

صحا القلب عن سلمى واقصر باطله   وعرّى أفراس الصبا ورواحله

القصيدة رقم (٨) ص١٤٥ :

قف بالديار التي لم يعفها القدم   بلى وغيرها الارواح والديم

القصيدة رقم (٩) ص١٦٤ :

بان الخليط ولم يأووا لمن تركوا   وزودوك اشتياقا اية سلكوا

القصيدة رقم (١١) ص١٩٣ :

امن آل ليلى عرفت الطلولا   بذي حرض ماثلات مثولا ؟ .

القصيدة رقم (١٢) ص٢٠٦ :

لمن طلل برامة لايريم   عفا وخلا له عهد قديم ؟ .

القصيدة رقم (١٤) ص٢١٩ :

غشيت الديار بالبقيع فثهمد   دوارس قد اقوين من ام معبد

القصيدة رقم (١٥) ص٢٣٧ :

لقد لحقت بأولى الخيل تحملني   لما تذاءب للمشبوبة الفزع

القصيدة رقم (٢٣) ص٢٨٣ :

الا ليت شعري هل يرى الناس ما ارى   من الامر أو يبدو لهم مابدا ليا ؟ .

القصيدة رقم (١٦) ص٢٤٥ :

ويوم تلافيت الصبا ان يفوتني   برحب الفروج ذي محال موثق

القصيدة رقم (١٩) ص٢٦٢ :

أبتْ ذكرى من حب ليلى تعودني   عياد اخي الحمى اذا قلت اقصرا

القصيدة رقم (٢٠) ص٢٦٥ :

وبلدة لا ترام خائفة   زوراء مغبرة جوانبها

القصيدة رقم (٢١) ص٢٦٨ :

لمن الديار غشيتها بالفدفد   كالوحي في حجر المسيل المخلد ؟ .

القصيدة رقم (٢٢) ص٢٧٨ :

هل في تذكر ايام الصبا فند   ام هل لما فات من ايامه ردد ؟ .

القصيدة رقم (٢٤) ص٢٩٢ :

لسلمى بشرقي القنان منازل   ورسم بصحراء اللبين حائل

القصيدة رقم (٢٤) ص٣٢٧ :

لقد أورث العبسي مجدا مؤثلا   ومحمدة من باقيات المحامد

القصيدة رقم (٤٩) ص٣٤٦ :

غدت عذالتاي فقلت مهلا   افي وجد بسلمى تعذلاني ؟ .

القصيدة رقم (٥٠) ص٢٥٨ :

تبين خليلي هل ترى من ظعائن   بمنعرج الوادي فويق أبان ؟ .

القصيدة رقم (٥٤) ص٢٦٨ :

شطت اميمة بعد ما صقبت   ونأت وما فني الجناب فيذهب

القصيدة رقم (٥٦) ص٣٨٢ :

هاج الفؤاد معارف الرسم   قفر بذي الهضبات كالوشم

المصدر الرئيس لمادة الدراسة : شرح ديوان زهير بن ابي سلمى ، صنعة : ثعلب نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب سنة ١٣٦٢ هـ ـ ١٩٤٤) ، الناشر الدار القومية للطباعة والنشر ـ القاهرة

الهوامش

١ ـ انظر مجلة الطليعة الادبية ، تصدرها وزارة الثقافة والاعلام ـ دار الجاحظ ـ بغداد العدد العاشر تشرين الاول ١٩٨٣ م . المقالة : بنائية المعنى في الشعر ص٦ وما بعدها .

٢ ـ لتوضيح الرؤيا : انظر مجلة المعرفة ، دمشق ، عدد ٢١٨ نيسان ١٩٨٠ م : معلقة زهير والبنية الاجتماعية في الشعر الجاهلي ص١٣٤ . للدكتور عبدالقادر الرباعي .

٣ ـ شرح المعلقات السبع ، الزوزني ص٧ ، دار الجيل ، بيروت ـ لبنان ، دون تاريخ .

٤ ـ شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري ، تحقيق د . احسان عباس ص٢٩٧ ، وزارة الارشاد والانباء ـ الكويت ١٩٦٢ م .

٥ ـ انظر مجلة المعرفة ، عدد ٣١٨ ، د . عبدالقادر الرباعي ص١٢٤ .

٦ ـ انظر المرجع السابق ، عدد ١٩٥ ، د . كمال ابو ديب ، مقال له يحلل به معلقة لبيد ص٣٩ .

٧ ـ انظر المرجع السابق ، عدد ٢١٨ ، د . الرباعي ص١٣٤ ـ ١٣٥ .

٨ ـ انظر المرجع السابق ، عدد ٢٢٨ ، د . الرباعي ص١٢٥

٩ ـ انظر المرجع السابق ، عدد ١٩٦ ، د . ابو ديب ص ٧٢ .

١٠ ـ انظر المرجع السابق ، عدد ١٩٥ ، د . ابو ديب ص٤١ .

١١ ـ انظر المرجع السابق ، عدد ٢١٨ ، د . الرباعي ص١٢٥

جدول (١) توزيع الشرائح على الموضوعات

عدد القصائد من الموضوع نفسه	[illegible]							٢		١	[illegible]				
مجموع قصائد الشرائح المتماثلة	٣	٢	١	٢	٢	٢	٢	١	١	١	١	١	١	١	٢
مجموع الشرائح	٢ ٢ ٢ ٢	٢ ٢ ٢	٢	٢ ٢	٣ ٣	٢ ٢	٢ ٢	٢	٣	٢	٢	٢	٢	٢	٢ ٢
الحديث عن نفسه						* *									
وصف الصحراء													■		
الرحلة ومشهد صيد					* *							■			
الرحله من غير مشهد صيد	* * * *		*	* *				*	*		*		*	*	
النسيب				* *	* *		* *	*	*			*			
الأطلال	* * * *	* * *			* *				*	*					* *
رقم القصيدة	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
الموضوع	[illegible]							[illegible]		[illegible]	[illegible]				
عدد المواضيع	١							٢		٢	[illegible]				

جدول (٢)

العلاقات	الأطلال في المعلقة رقم (١) ص ٤	الأطلال في قصيدة رقم (٨) ص ١٤٥	الأطلال في قصيدة رقم (١٤) ص ٢١٩	الأطلال في قصيدة رقم (٢٤) ص ٢٩٢
المكان	حومانة الدراج، المتثلم الرقمتان.	الغمــــــــــــران	المقيمع، ثهمـــــــد	شرقي القنان، صحراء المليس
الحبيبة	أم أوفـــــــــى	أسمـــــــــاء	أم معبـــــــد	سلمـــــــى
معاينة الطلل	الشاعر نفسه (وقفت)	يخاطب صاحبه (قف)	الشاعر نفسه (وقفت)	لم يعاينه أحـــد
الزمان	عشرون عاما من الغياب الذي بدأ في رحيلها وانتهى العام العشرون بالوقوف عليها.	فقد عنصر الزمـــان (زمان غير محدود)	فقد عنصر الزمان الذي مضى على الديار اذ أن (الزمن غير محدد) أما موعد الوقوف هو وقت ارتفاع الشمس.	عدة أعوام متتابعـــة من غير تحديد.
تغير الديار بين الموت و الحياة.	الموت في الأطلال تقابله الحياة التي تمثلها الآرام اللاتي ينهضن من كل موضع.	الديار لم تتغير وهي ماثلة غير أن أهلها هم الذين بعدوا عنها.	الموت الطاغي على الديار بحيث لم تقم ثمة حياة بهـــا.	الموت الطاغي على الديار بعد أن تحمل منها أهلها ولا سبيل الى الحياة فيها الا قليلا.
الأثر النفسي (اللقاء)	موقف مدهش لمشهد الأطلال من الشاعر وكان بمثابة الاستغراب الذي بدا في صيغة السؤال: أمن أم أوفى؟.	الاضطراب بيـــن اثبات عفاء الديار ونفيـــه.	معالجة من الشاعر يحاول بها التكلم مع الديار.	الشعور بالأسى والحزن وهذا يتبين من حديثه عنها.
معرفة الديار	تعب وجهد حتى عرفها	لم يبحث عنها لأنها لم تتغير فهي موجودة.	مكشوفة، لم يبذل جهدا لمعرفتها.	مكشوفة، لم يبذل جهدا لمعرفتها.
أثر الوقع النفسي.	هدوء النفس والتمني السلام للديار.	لا موقف لوداعها.	الثورة عليها بأن ركب وجنا كالفحل وارتحل.	أعطاها صورة من الأمل (بأن رأى عليها ظلة حميرية.
بقايا الديار	الأثافي، معرس المرجل، والنؤى.	الديار لم تتغير.	أثافي، رماد متلبد.	أجزاء منها مستبينة وماثلة.

جدول (٣)

العلاقة	الرحلة في المعلقة رقم (١) ص ٤	الرحلة في قصيدة رقم (٨) ص ١٤٥	الرحلة في قصيدة رقم (١٤) ص ٢١٩	الرحلة في قصيدة رقم (٢٤) ص ٢٩٢
المرتحل	الظعائن من غير تحديد لهوية المرتحل.	المرتحلون هم أهل أسماء.	الشاعر نفسه.	غير محدد. القصيدة تكشف عن أهل سلمى.
مخاطبة الصاحب.	يخاطب خليليه، سائلا عن الظعائن وعن ارتحالهن.	الشاعر يرى المرتحلين فلا يسأل عنهم.	لا يسأل أحدا لأنه هو المرتحل	يخاطب خليليه، سائلا عن الظعائن وعن ارتحالهن.
زمن الرحلة	في الصباح و السحر	لا زمن لها.	بعد أن وقف بالديار الوقت ارتفاع الشمس ارتحل.	في الصباح.
مسار / الرحلة وغايتها	العلياء، جرثم، وادي الرس، القنان من يمينهن، ظهرن من السوبان وورکن فيه.	بباب القريتين، قرقرى، برك العاليات، خيم، فيد القريات، العتكان، الكرم الدار اليمانية.	لا مسار لها.	الدهناء، وسان الجواء، وصارة مفرش وحماو اتهن.
الأثر النفسي للشاعر.	الارتياح للرحلة، اضافة الى صورة جمالية يحف بها الظعائن.	البكاء الشديد، وسيلان الدموع الغزيرة.	الفخر بقوة ناقته، و الاعتزاز بها.	الطرب لاقتراب الشاعر من الظاعن.
صفات الراحلة	ذات أنماط كريمة، تحتها أثواب رقيقة، تتلون باللون الأحمر الذي يشبه الدم، و الراحلات خيف ملهى لكل ومنظر عجيب لمن ينظر. اليمن يتقرب يسير مع الراحلات جمل فخم.	الراحلات مسرعات كالسفن التي تشق الماء.	ناقته كالجمل الذكر، جنوح، ناجية، صور كأنها بقرة وحشية ذات لون أسود يميل الى الحمرة، هذه البقرة ذات قرون قوية وهي سلاح لها وكذلك لها أذنان مرهفتا السمع وعيناها مكحولتان. قوائم ناقته متشابهات وسريعات كالخذروف على الطريق.	هذه الظعائن قوية تقترب الأرض البعيدة، فهي لا مثيل لها.

جدول (٤)

العلاقات	النسيب في قصيدة رقم (٢) ص ٣٣	النسيب في قصيدة رقم (٦) ص ١١٦
الحبيبة.	أسماء	أسماء
ماهية العلاقة بين الشاعر ومحبوبته.	علاقة تمسك من الشاعر و اهمال من المحبوبة.	علاقة متبادلة (حب).
كيفية الفراق.	جاء نتيجة الرحلة التي اشتملت على الخليط وبقاء الشاعر في الديار.	الفراق قد يأتي من الشاعر وقد يأتي من الحبيبة.
الأثر النفسي للفراق.	تعلق الشاعر بأسماء من غير أن تهتم به.	حزن كبير يعتريهما سواء أكان الفراق منها أم منه.
المكان و الحبيبة	لاذكر للمكان.	ربط المكان بالحبيبة.
صفات الحبيبة.	وصفها بالغزال ذي الجسد الجميل، ووصف رقبتها بالخصرة.	لم يصفها

جـــــــدول (٥)

العـــــلاقات.	الرحلـــــــــة في قصيـــــدة (٢) ص ٣٣	الرحلـــــــــة في قصيـــــدة (٦) ص ١١٦
المرتحـــــل.	أهـــل أسمـــاء وهي بمعيتهـــم .	الشاعـــــر نفســـــه .
معاينو الرحلـة .	الشاعر نفســـه ، ولم يخاطب أحـــدا فـــي هذه الشريحـــة .	يخـــاطب صاحبـــــه .
الزمـــــان.	لا زمـــن لرحيلهـــــم .	عنـــــد زوال النهـــــار.
المكـــــان.	راكس، فلقاء شروري، فقفا آدم .	لا يحـــــدده .
موقف الشاعر من الرحلـــة .	شـــديد البكاء والحـــزن.	اندفـــــاع للحاق بمحبوبتـــه .
حـــادي الرحلـة	يبرز الحادي هنـــا .	يختفـــي الحادي هنـــا .

جـــــدول (٦)

العلاقـــــات	شريحة الأطلال في معلقة زهير ص ٤	شريحة الأطلال في معلقة امرئ القيس ص ٧	شريحة الأطلال في معلقة لبيد ص٢٩٧
المـــكان.	حومانة الدراج، المتثلم ، الرقمتان.	سقط اللوى، بين الدخول فحومل، توضح، المقراة.	الريـــــان.
الحبيبـــة .	أم أوفـــى.	لم يذكر اسمها غير أنه لمح لها.	لم يذكر اسمها ولم يلمح لها.
معاينو الطلل.	الشاعر نفســـه .	صاحبـــاه .	الشاعر نفســـه .
الزمـــــان	المدة بين عهده بالديار، والموقف في أطلالها عشرون حجة .	ذكر وقت ارتحال حبيبته ، هو غداة البين.	سنوات غير محدودة (حلالها وحرامها) .
الحياة والموت.	ثنائية الوجود: موت لخلوها من الانسان/ حياة لوجود الحيوان بها.	الموت المطلق.	ثنائية الوجود: موت لخلوها من الانسان/ حياة لوجود الحيوان بها.
طبيعة الحيوان	البقر الوحشي، الظباء البيض، [illegible]	بقايا بعر الآرام .	الظباء والنعام، البقر الوحشي
الأثر النفسي لمشاهدتها.	دهشة واستغراب وصدمة أصابت احساسه لمنظر الأطلال.	البكـــاء المتواصل.	دهشـــة واستغراب وحيرة .
كيفية معرفة الطلل.	بذل الجهـــد لمعرفتة وحقيقته .	لم يبذل جهـــدا.	لم يبذل جهـــدا .
الأثر النفسي لوداعها.	قبول الحقيقة ، التمني للديار ورعيها بالسلام الدائم .	لا تأتيه الديار عن المحبوبة بل بواعل البكاء .	الاقتناع بالدروس وعدم امكانية اجابتها لـه .

السالنامات العثمانية وأهميتها لتاريخ العراق

د. فاضل مهدي بيات
كلية اللغات ـ جامعة بغداد

تمهيد

لم تعد الدراسات التاريخية الحديثة تقتصر على الاعتماد على المصادر التاريخية، بل تعدتها الى الوثائق والسجلات الرسمية المختلفة التي تخلفها الدولة، ومن هنا تأتي اهمية السالنامات العثمانية التي تعتبر بمجموعها وثائق رسمية اعتادت الدولة العثمانية اصدارها للتعريف بمؤسساتها او للتعريف بولاية من ولاياتها. والحقيقة ان القسم الاعظم من المعلومات التي تضمنتها هذه السالنامات يعتبر معلومات فريدة من نوعها لعدم ورودها في المصادر. كما ان صدور هذه السالنامات تباعاً وسنوياً في اغلب الأحيان يساعدنا على التعرف على مراحل التطورات التي حدثت في الدولة في مختلف المجالات. ومما يؤسف له ان هذه السالنامات لم تدرس دراسة أكاديمية كافية ولم يعتمد على الكثير من اعدادها، بل ان الكثير من باحثينا لا يعرفون شيئاً عنها لعدم اجادتهم اللغة التركية العثمانية، ولهذا وجدت ـ انه يتحتم عليّ القيام بدراستها وابراز اهميتها بالنسبة لتاريخ قطرنا العراقي في حقبة زمنية محددة ومهمة في نفس الوقت لكونها فترة انتقال من حكم الى حكم آخر. وسأتبع هذه الدراسة دراستين اخريين: الاولى عن ادارة العراق، والثانية عن التعليم في العراق في العهد العثماني وذلك في ضوء هذه السالنامات. والله ولي التوفيق.

× × ×

السالنامة، هي مصطلح اطلق على الكتاب الذي يتناول بايجاز الاحداث والوقائع المتعلقة بسنة من السنين ويبين الاوضاع الأخيرة لموضوعات مختلفة كالمؤسسات الرسمية المختلفة والتراجم بشكل مختصر. والسالنامة، كلمة مركبة من سال بمعنى سنة، ونامة بمعنى كتاب او رسالة[1] ولهذا من الممكن تعريبها بشكل «الكتاب السنوي» او «الحولية» ويرى المستشرق كارا دي فو «ان الكلمة العربية المستعملة في هذا المعنى هي تقويم»[2] غير ان التقويم، عبارة عن جداول تتضمن الايام والشهور والمواسم والسنين والاعياد[3]، ولهذا فان تسمية التقويم لا تنسجم مع ما تتضمنه هذه السالنامات التي يحتل فيها التقويم حيزاً صغيراً.

وتحتل السالنامات العثمانية مكانة مهمة بين المصادر التاريخية وقبل ابراز اهميتها التاريخية، نتناول وبايجاز كيفية نشوئها. صدرت أول سالنامة عثمانية رسمية في أواسط القرن التاسع عشر في عهد السلطان عبد المجيد وبالضبط في سنة ١٢٦٣ هـ / ١٨٤٧ م بتشجيع من الصدر الاعظم (رئيس الوزراء) الشهير مصطفى رشيد باشا ومن قبل المؤرخ خير الله افندي واحمد وفيق افندي واحمد جودت باشا[4] وكان هؤلاء من خيرة كتاب ذلك العهد، ثم كلف احد اعضاء مجلس المعارف ورئيس كتاب المجلس باصدارها، وبعد مدة انيطت مهمة

اصدارها الى هيأة قلم تحرير وزارة المعارف بأمر سلطاني[٥].

ثم بدىء اعتباراً من سنة ١٢٨٢ هـ /١٨٦٥ م باصدار السالنامات الخاصة بالوزارات والولايات العثمانية ، وبعد هذا التاريخ بست سنين صدرت السالنامات الخاصة[٦] . ويبدو ان هذه السالنامات حظيت باهتمام الدولة العثمانية غاية الاهتمام فقامت بتطويرها وتنظيمها لتصدر سنوياً ، فأناطت مهمة اصدارها سنة ١٣٠٦ هـ / ١٨٨٨ م بدائرة سجل احوال الموظفين (سجل احوال مأمورين دائره سى) التي كانت تابعة لهيأة الموظفين الاداريين (= مأمورين ملكية هيئتي)[٧] وبالفعل فان هذه السالنامات التي كانت تحمل اسم (سالنامة دولت عليه عثمانية = سالنامة الدولة العلية العثمانية) لم تبق على ما كانت عليه ، بل تطورت مادة وحجماً من سنة الى اخرى واستمرت بالصدور حتى سنة ١٣٣٤ هـ / ١٩١٨ م فصدر منها ٦٨ عدداً ، طبع ٣٥ جزءً منها ، اي الصادرة بين سنتي ١٢٦٣ هـ ١٨٤٧ م - ١٢٩٧ هـ ١٨٨٠ م على الحجر ، ثم استخدمت في طبعها الحروف المطبعية الحديثة . واتبع التاريخ الهجري فيها حتى العهد الدستوري حيث اعتمد التاريخ الرومي (المالي)[٨] بدلاً من التاريخ الهجري . وصدرت في هذا العهد اعتباراً من سنة ١٣٢٦ أربعة اعداد بشكل غير منتظم ، واستمرت بالصدور في تركيا في ظل النظام الجمهوري فصدرت خمسة اعداد ، اثنان منها بالحروف اللاتينية[٩] التي استخدمت لكتابة اللغة التركية في سنة ١٩٢٨م.

واتبع في اعداد السالنامات العثمانية العامة وخاصة بعد تطويرها ، منهج معين بقي معمولاً حتى السالنامات الأخيرة ، وهي تبدأ عادة بتقويم هجري يتضمن الايام والشهور وأوقات شروق الشمس والظهر والعصر والعشاء والامساك والايام المشهورة ، يليه بعض الاحداث المشهورة في التاريخ مرتبة حسب الهجرة النبوية الشريفة ، ثم اسماء سلاطين الدولة العثمانية والرتب الادارية والعسكرية والالقاب والاوسمة والانواط الرسمية العثمانية . واعتيد وضع نص القانون الاساسي العثماني الذي صدر سنة ١٢٩٣ هـ في السالنامات الصادرة بعد هذا التاريخ . كما تتضمن هذه السالنامات اسماء الموظفين الذين تقلدوا مناصب رفيعة في الدولة منذ سنة ١٢٨١ هـ ١٨٦٤ م ثم وضعت جداول منفصلة تتعلق بدوائر الباب العالي المختلفة والوزارات تضم اسماء مختلف الدوائر التابعة لها مع اسماء موظفيها ، تتبعها معلومات متعلقة بالولايات العثمانية المختلفة وهي عن المناصب الرسمية في كل ولاية او سنجق (لواء) او قضاء مع اسماء موظفيها والرتب التي حازوا عليها ، والاقضية والنواحي التابعة للولاية او السناجق. وهي ، اي هذه الجداول ، بذلك تعتبر نسخة مصغرة من الجداول التي اوردتها سالنامات الولايات - التي سنأتي إليها.

كما تتضمن هذه السالنامات قائمة باسماء الاقضية والألوية مرتبة حسب الحروف الابجدية مع اسماء الولايات التي هي تتبعها ، واسماء سفراء الدولة العثمانية وموظفي السلك الدبلوماسي موزعين على الدول الاجنبية ، واسماء رؤساء الطوائف الدينية في مختلف بقاع الدولة واسماء الصحف الرسمية والأهلية الصادرة في استانبول العاصمة ثم في الولايات المختلفة واصحاب امتيازها واللغات التي تصدر بها ، واسماء السفراء الأجانب المعتمدين لدى الدولة في العاصمة والقنصليات الاجنبية في الولايات والألوية.

وتكمن اهمية هذه السالنامات العامة لتاريخ العراق في انها تكمل المعلومات التي اوردتها السالنامات الصادرة في بغداد والبصرة والموصل وتوثقها ، والمعلومات التي اوردتها هذه السالنامات في اعدادها التي صدرت قبل صدور سالنامة بغداد الاولى سنة ١٢٩٢ هـ ١٨٧٥ م هي احد اهم مصادرنا في دراسة تاريخ العراق الاداري ، فضلاً عن ان هذه السالنامات هي مرجعنا الاساسي في معرفة التقسيمات الادارية للولايات العراقية (بغداد ، البصرة ، الموصل) وتطورها واسمائها في العهد العثماني وخاصة في الفترة السابقة لتشكيل الولايات سنة ١٢٨١ هـ وما بعدها .

السالنامات التي اصدرتها الوزارات:

والى جانب السالنامات العثمانية العامة ، اصدرت بعض الوزارات والمؤسسات العثمانية سالنامات خاصة بها. وهذه السالنامات هي :

١ - سالنامة نظارت امور خارجية (= سالنامة وزارة الشؤون الخارجية) . وهي تعتبر من أهم السالنامات العثمانية المتخصصة ، اصدرتها مديرية سجل الأحوال التابعة لوزارة الخارجية سنة ١٣٠٢ هـ ١٨٨٤ م وتتضمن معلومات عن تاريخ وزارة الخارجية وكيفية نشوئها وسير الوزراء الذين تقلدوا منصب وزارة الخارجية واسماء رؤساء الكتاب (المديرين العامين) والسفراء والمعاهدات التي ابرمتها الدولة العثمانية مع الدول الاخرى. . وقد استمرت هذه السالنامة بالصدور حتى سنة ١٣٢٠ هـ ١٩٠٤ م حيث صدر العدد الرابع والأخير منها . ويعتبر العدد الأول منها اهمها وهي حافلة بمواضيع مختلفة[١٠] .

٢ ـ سالنامة عسكري (السالنامة العسكرية): صدر العدد الأول منها سنة ١٢٨٢ هـ ١٨٦٥ م من قبل وزارة الحربية والقيادة العسكرية العليا واستمرت بالصدور حتى سنة ١٣٢٦ حيث صدر الجزء السابع عشر والأخير[11] وهي تتضمن تشكيلات الجيش العثماني، الملاك، اسماء الضباط مع رتبهم والاوسمة التي حصلوا عليها، وجداول احصائية مختلفة تتعلق بمختلف الجوانب العسكرية. وتضمنت الاجزاء الاولى منها معلومات متعلقة بصنف البحرية ايضاً الى ان صدرت في سنة ١٣٠٧ هـ ١٨٨٩ م سالنامة خاصة بالبحرية.

٣ ـ سالنامة بحري (= السالنامة البحرية): اصدرتها الهيأة العلمية في وزارة البحرية سنة ١٣٠٧ هـ ١٨٨٩ م وهي تتضمن عرضاً تاريخياً للقوة البحرية العثمانية وتشكيلاتها واسماء ضباطها ورتبهم والسفن التابعة للاسطول العثماني واوصافها. صدر منها ١٧ عدداً حتى سنة ١٣٣٠.

٤ ـ رصد خانة عامرة سالنامه سي (= سالنامة المرصد الحكومي): صدر منها عدد واحد فقط في سنة ١٢٨٨ هـ ١٨٧٢ م، اعد من قبل ادارة المرصد التابعة لوزارة التجارة والاعمار.

٥ ـ رسومات سالنامة سي (= سالنامة الرسوم) اصدرتها دائرة الشؤون الكتابية في (امانة الرسومات) التابعة لوزارة المالية سنة ١٣٣٢ وقد صدر منها عدد واحد فقط وتتضمن كسابقتها عرضاً تاريخياً والتشكيلات الادارية وجداول باسماء الموظفين وشؤون الرسوم والكمارك وواردتها.

٦ ـ علمية سالنامه سي (= السالنامة العلمية)، صدر منها عدد واحد سنة ١٣٣٤ من قبل المشيخة الاسلامية، وتتناول تشكيلات المشايخ واسماء شيوخ الاسلام الذين تقلدوا المشيخة في الدولة العثمانية والمدارس الدينية والانظمة والتعليمات المتعلقة بها[12].

٧ ـ سالنامة نظارت معارف (= سالنامة وزارة المعارف): أصدرتها وزارة المعارف العثمانية سنة ١٣١٦ هـ/١٨٩٨م وصدر منها ستة اعداد متتالية الى سنة ١٣٢١ هـ ١٩٠٤ م[13] وتعتبر اهم السالنامات العثمانية المتخصصة. ولأهميتها لتاريخ التعليم في العراق، ارى من اللازم تناولها بشيء من التفصيل.

تتضمن هذه السالنامة عرضاً تاريخياً للتعليم في الدولة العثمانية ووزارة المعارف العثمانية وسير الوزراء الذين تقلدوا منصبها والقوانين والقرارات والانظمة المتعلقة بالتعليم ومناهج التدريس في مختلف المدارس والهيآت التعليمية في المدارس العالية. والحقيقة ان المعلومات الواردة في هذه السالنامة ذات اهمية قصوى لدراسة التعليم في الدولة العثمانية وولاياتها. وقد افردت فصولاً خاصة بالمؤسسات التعليمية في كل ولاية ومنها ولايات بغداد والبصرة والموصل. وقد اتبع في اعدادها منهج خاص بقي معمولاً حتى العدد الأخير منها. وفيما يتعلق بولاية بغداد، نجد فيها الجداول التالية:

١ ـ ادارة المعارف، ويتضمن جدولها اسماء مدير المعارف ومأمور المحاسبة ورئيس الكتاب (المحررين) والكاتب (المحرر) الثاني ومسجل الاوراق ومعارف المحاسب وأمين الصندوق والمحصل ومأمور متحف الحلة.

٢ ـ المدارس الاعدادية (= مكاتب اعدادي) وتنقسم الى:

أ: مدرسة بغداد الاعدادية: ويتناول الجدول المتعلق بها اسماء الهيأة الادارية والتعليمية للمدرسة والمواد الدراسية واعداد الطلبة من مسلمين وغير مسلمين.

ب: المدرسة الاعدادية العسكرية في بغداد ويتضمن جدوله اسماء الهيأة الادارية والتعليمية فيها واسماء المواد الدراسية المقررة فيها.

٣ ـ المدارس الرشدية (= مكاتب رشدية). وتتناول الجداول المتعلقة بها اسماء الهيآت التعليمية في المدارس الرشدية المنتشرة في مركز الولاية والألوية والاقضية التابعة لبغداد وهي في كل من بغداد وكربلاء وخراسان (= بعقوبة) ومندلي والحلة وسامراء وكوت الأمارة. وادرجت امام اسم كل معلم من معلميها اسماء المواد الدراسية التي يقوم بتدريسها مع عدد الطلبة في كل مدرسة وعلاوة على كل ذلك فقد كانت توجد في بغداد المدرسة الرشدية العسكرية ويتناول جدولها معلومات على غرار ما يرد في الجداول الاخرى.

٤ ـ المدارس الدينية، وكانت تسمى بـ «مدارس» ويتضمن جدولها اسماء هذه المدارس واماكنها ومدرسيها واعداد الطلبة ومؤسسيها.

٥ ـ المدارس غير الاسلامية: ويحوي جدولها اسماء هذه المدارس والطوائف الدينية التي ترتبط بها، واصحاب امتيازها، ومدرائها المسؤولين، ودرجاتها اي كونها رشدية او ابتدائية، واعداد طلبتها من الذكور والاناث، وتواريخ تأسيسها، وتواريخ اجازتها.

٦ ـ المدارس الاجنبية وتتضمن كسابقتها نفس المعلومات.

٧ ـ اسماء المكتبات واماكنها ومؤسسيها وعدد الكتب الموجودة فيها و تواريخ تأسيسها.

٨ ـ اسماء المطابع الرسمية وغير الرسمية واماكنها واصحابها ونوعية الطبع المتبع فيها من حجر او حروف ، واللغات التي تطبع بها وتواريخ تأسيسها وبيان فيما اذا تطبع الصور ام لا .
٩ ـ اسماء الصحف الصادرة في الولاية واللغات التي تصدر بها واصحاب امتيازها .

وهذا المنهج المتبع في سرد المعلومات المتعلقة بالتعليم في ولاية بغداد نجده ايضاً عند تناول التعليم في الولايات العثمانية الاخرى ومنها ولايتا البصرة والموصل .

ومما تجدر الاشارة اليه انه لم يدرج ضمن الجداول الخاصة بالتعليم ما يتعلق بالمدارس الابتدائية ، ويمكن ان يعزى هذا الى الاعداد الضخمة لهذه المدارس التي كانت تنتشر في ارجاء الدولة العثمانية . وقد اوردت سالنامة المعارف جدولاً نقلته من الجداول الاحصائية الرسمية لسنة ١٣١٠ ـ ١٣١١ رومي (١٨٩٣ ـ ١٨٩٤ م) يتضمن اعداد المدارس الابتدائية في مركز الامبراطورية والولايات . وفيما يلي اعداد هذه المدارس في الولايات العراقية الثلاث كما وردت في هذا الجدول[١٤] :

١ ـ ولاية بغداد ، وفيها ٤٩ مدرسة منها ٣٨ تتبع النظام القديم ، و ١١ تتبع النظام الحديث .
٢ ـ ولاية البصرة وفيها ١١٦ مدرسة منها ٩٠ تتبع النظام القديم و ٢٦ تتبع النظام الحديث .
٣ ـ ولاية الموصل وفيها ٣٩٢ مدرسة وجميعها تتبع النظام القديم ، ولم يرد فيه ما يتعلق بالمدارس التي تتبع النظام الحديث .

السالنامات التي اصدرتها الولايات :

تحتل السالنامات التي اصدرتها الولايات العثمانية المختلفة القسم الثالث[١٥] من السالنامات العثمانية . ويذكر العلامة التركي شمس الدين سامي ، ان الكاتب العثماني حالت بك (١٢٥٥ هـ/١٨٣٩ م ـ ١٢٩٥ هـ/١٨٧٨ م)[١٦] هو الذي اعد اول سالنامة احصائية في ولاية حلب سماها « فهرست ولاية حلب» وارسل نسخاً منها الى الباب العالي . وقد أُستحسنت هناك لما تتضمن من معلومات احصائية واقتصادية . فأُرسلت نسخ منها الى الولايات العثمانية المختلفة ، وطلب منها القيام باعداد سالنامات خاصة بها واتخاذ ما اعده حالت بك نموذجاً لها[١٧] . وبالرغم من هذا فان اول سالنامة صدرت في حلب تحمل تاريخ ١٢٨٤ هـ/١٨٦٧ م وقد ورد اسمها في جريدة « غدير الفرات» بشكل « حلب سالنامة سى = سالنامة حلب»[١٨] .

أما اول سالنامة اصدرتها ولاية عثمانية فهي السالنامة التي اصدرتها ولاية طرابزون سنة ١٢٨٢ هـ ١٨٦٥ م[١٩] . ثم توالى صدورها في مختلف الولايات العثمانية وباشكال متفاوته ، وقد اصدرت بعضها اكثر من ثلاثين عدداً ، فقد اصدرت ولاية حلب ٣٥ وولاية خداوندكار ٣٤ وولاية سوريا ٣٢ ، واكتفت بعضها باصدار سالنامة واحدة . ويذكر الكاتب التركي سرور اسكيت ان مجموع اعداد السالنامات التي اصدرتها الولايات العثمانية يقدر حوالي الفي عدد ، كما يذكر ان اعدادها متفرقة في المكتبات ولا توجد مجموعة كاملة منها في اية مكتبة ، غير ان اكثر اعدادها متوفرة في مكتبتي الامة (ملت كتبخانه سى) ومتحف مدينة استانبول[٢٠] . اما كاتب مادة السالنامة في دائرة المعارف الاسلامية ـ الطبعة التركية ـ[٢١] فقد اورد اسماء اربعين ولاية عثمانية مع اعداد السالنامات التي اصدرتها وتواريخ اصدارها ، فذكر ان مجموع اعدادها الصادرة بين سنتي (١٢٨٢ ـ ١٣٣٦هـ) هو ٥٢٧ .

والحقيقة ان السالنامات التي اصدرتها الولايات العثمانية ذات اهمية تاريخية وجغرافية وعسكرية واقتصادية كبيرة فهي تتناول التشكيلات الادارية في كل ولاية وتقسيماتها واسماء موظفيها والوحدات العسكرية العثمانية المترابطة فيها . وتقدم معلومات تاريخية متعلقة بالولاية واثارها القديمة وجغرافيتها وانشطتها الاقتصادية بما فيها اهم المحاصيل الزراعية ومناخها وسكانها . . . الخ . ولم تبق هذه السالنامات على شاكلة واحدة بل تطورت حجماً ومادة ، ويتجلى هذا جيداً خلال مقارنة العدد الأول منها مع اعدادها التالية . ومما تجدر الاشارة إليه ان جميع هذه السالنامات اتبعت منهجاً واحداً في إعدادها ، عدا الاختلافات الطفيفة .

أما السالنامات المتعلقة بقطرنا العراقي فقد صدرت فيه ثلاث سالنامات وفق التقسيمات الادارية المتبعة في الدولة العثمانية :

١ ـ سالنامة ولاية بغداد :
صدر العدد الأول منها سنة ١٢٩٢ هـ ١٨٧٥ م واستمرت حتى سنة ١٣٢٩ هـ ١٩١١ م فصدر منها واحد وعشرون عدداً وهي باللغة التركية العثمانية .

٢ ـ سالنامة ولاية البصرة :
صدر منها تسعة اعداد او احد عشر عدداً بين سنتي ١٣٠٨ هـ ١٨٩٠ م ـ ١٣٢٠ هـ ١٩٠٣ م او ١٣٢٩ هـ ١٩١١ م[٢٢] .

ومما يجدر ذكره ان سالنامة البصرة صدرت في البداية باللغتين العربية والتركية العثمانية[٢٣] وقد اطلعت الاعداد الصادرة بين سنتي ١٣٠٨ هـ - ١٣١١ هـ وهي بهاتين اللغتين . واقتصر صدورها فيما بعد باللغة التركية العثمانية ، كما اتبع في تسلسلها ترقيماً جديداً .

٣ - سالنامة ولاية الموصل :

صدر منها خمسة اعداد بين سنتي ١٣٠٨ هـ ١٨٩٠ م - ١٣٣٠ هـ ١٩١٢ م وهي باللغة التركية العثمانية.

×××

ومما يؤسف له ، ان هذه السالنامات بالرغم من اهميتها القصوى لتاريخ العراق ، فان اعدادها غير كاملة في اية مكتبة من مكتباتنا العامة .

وتتجلى اهمية هذه السالنامات لتاريخ العراق من خلال استعراضنا لما تتضمن من مواد ومعلومات :

١ - تبدأ جميع السالنامات العثمانية العامة منها وتلك التي اصدرتها الوزارات او الولايات المختلفة بتقويم سنوي شامل يتضمن الايام والشهور واوقات شروق الشمس والظهر والعصر والامساك ، محددة بالساعات والدقائق مع ذكر الايام المشهورة والخاصة .

٢ - ماهية تسميات الشهور العربية.

٣ - الاحداث المشهورة في التاريخ مرتبة حسب سني الهجرة النبوية منذ خلق آدم سنة ٦٢١٢ ق . هـ ولغاية سنة صدور السالنامات .

٤ - اسماء الخلفاء الراشدين وخلفاء بني امية والخلفاء العباسيين ومدد حكمهم .

٥ - اسماء السلاطين العثمانيين وتواريخ ولادتهم وجلوسهم على العرش ومدد اعمارهم وحكمهم واماكن مراقدهم.

٦- مراكز الخلافة الاسلامية منذ ظهور الاسلام وحتى العثمانيين .

٧ - عواصم الدولة العثمانية منذ تأسيسها .

٨ - معلومات تاريخية عن رتب السلطنة العثمانية والالقاب الرسمية الممنوحة للعسكريين والمدنيين ، تتقدمها معلومات في اصول هذه الرتب وتطورها عند اليونان والرومان مع تعريفها وترتيبها والاوسمة والانواط الممنوحة من قبل سلاطين آل عثمان . ومما يجدر ذكره ان الالقاب الرسمية العثمانية كانت تستعمل في المخاطبات من قبل ذوي الرتب العليا الى ذوي الرتب الدنيا او بالعكس. وقد اعتادت جميع السالنامات العثمانية ذكرها . وتكمن اهمية هذه الألقاب في انها تساعدنا على معرفة مواقع بعض الاسماء الواردة في المصادر التاريخية او الوثائق الرسمية العثمانية .

٩ - جداول تتضمن اسماء الولايات التابعة للدولة العثمانية وسناجقها (ألويتها) واقضيتها متعلقة بالسنة التي صدرت فيها السالنامة . وتكمن اهمية هذه الجداول في انها تساعدنا على تتبع التطورات والتغييرات التي حدثت في التقسيمات الادارية للولايات العراقية . والمعروف ان التقسيمات الادارية للعراق لم تبق على ما كانت عليه على مر العهد العثماني ، فتارة كانت ولاية بغداد تضم الموصل والبصرة، وتارة كانت هاتان الولايتان تستقلان عنها ، كما ان السناجق (الألوية) والاقضية والنواحي التابعة للولايات ، هي الاخرى كانت عرضة للتغييرات .

١٠ - معلومات عامة تتعلق بالسالنامات العثمانية وكيفية صدورها.

١١ - الجرائد الرسمية الصادرة في الولايات العثمانية المختلفة ، اسماؤها واللغات التي تصدر فيها ، وعدد السنوات التي مضت على اول صدورها ويوم صدورها .

١٢ - معلومات جغرافية وتاريخية واقتصادية عامة عن الولاية وتشمل:

أ - الجغرافية الطبيعية للولاية: موقعها ، حدودها ، مساحتها وعدد نفوسها واحوالها الطبيعية: الانهار والبحيرات الموجودة فيها ، اهم السدود المقامة لصد الفيضانات ، مناخ الولاية ، الغابات والمالح والمعادن فيها .

ب - الجغرافية البشرية للولاية وتتضمن سكان الولاية ، اللغات المتداولة فيها ، اوصاف السكان ، السكان المتحضرون والمهن التي يمتهنونها ، القبائل والعشائر والجماعات التي تقطن فيها ، البدو والقبائل الرحل فيها ، الاديان والمذاهب .

ج - الأوضاع الزراعية للولاية: الاساليب والوسائل المتبعة في الزراعة ، اثر الفيضانات في الزراعة واهم الفيضانات التي حدثت في الولاية ، اهم المحاصيل الزراعية ، الحيوانات الأليفة والوحشية ويضمنها الطيور .

د - الاوضاع الصناعية للولاية: اسباب عدم تقدم الصناعة في الولاية ، اهم الحرف التي يمتهنها الأهالي ، اهم

الصناعات التي تشتهر بها الولاية ، اهم المعامل الصناعية ولاسيما المعمل العسكري في بغداد والذي كان يتبع الفيلق السادس وهو للنسيج .

هـ ـ الاوضاع التجارية للولاية: صادرات الولاية ووارداتها ، تجارتها الخارجية والداخلية ، اهم البضائع المصدرة الى اوربا وأهم المواد المستوردة منها . فعلى سبيل المثال كانت ولاية بغداد لها علاقات تجارية مع بعض الاقطار الأجنبية كالهند وانكلتره وايران ، كما كانت تقيم علاقات تجارية مع الولايات الاخرى . كالبصرة والموصل وسورية وكانت ولاية بغداد تحظى باهمية تجارية لوقوعها بين ايران واوربا[24]

و ـ الطرق البرية والنهرية ، وسائط النقل البري ، السفن التابعة الى الادارة الحميدية (نسبة الى السلطان عبد الحميد الثاني) ، شركات النقل الاجنبية العاملة في الولاية . وانواع السفن المستخدمة في نهري دجلة والفرات .

ز ـ البريد والبرق: الطرق المتبعة لنقل البريد بين الولاية والاماكن الاخرى وبالعكس ودوائر البريد والبرق في السناجق والاقضية

ح ـ المراقد والاماكن المقدسة في الولاية

١٣ ـ معلومات عامة مختلفة عن السناجق (الألوية) والأقضية والنواحي التابعة للولاية تتركز على موقع هذه الوحدات الادارية كل على حده ، وانهارها والمقاطعات التي تتكون منها والعشائر القاطنة فيها مع عدد المنازل والمحلات والخانات والجوامع والمساجد والاضرحة والمعالم الاخرى ، اضافة الى المحاصيل الزراعية التي تزرع فيها والنواحي التابعة لها والمهن التي يمتهنها الأهالي .

ومما يجدر ذكره ان المعلومات التاريخية والجغرافية للولاية وما يتبعها من وحدات ادارية ، تتكرر تقريباً في مختلف اعداد السالنامات ما عدا بعض التعديلات في الاحصائيات . والمعلومات هذه على درجة كبيرة من الأهمية . وقد خصصت هذه السالنامات اماكن واسعة للمعلومات التاريخية للولاية ولا سيما لمراكز الولايات (بغداد ، البصرة ، الموصل) متضمنة نشوءها وما لعبت من ادوار عبر العصور واسماء ولاتها ومتصرفيها المتعاقبين . وقد يستغرق هذا العرض التاريخي احياناً اكثر من مائة صفحة .

والمعروف ان مكتوبي ولايت (= رئيس تحريرات الولاية) الذي يشرف على اصدار السالنامات ، هو الذي يعد هذا العرض التاريخي للولاية ، وقد يذكر في اغلب الأحيان اسماء المصادر التي اعتمد عليها في سرد المعلومات التي قد تبلغ حوالي ١٩٠ صفحة[25]

١٤ ـ واردات الولاية ومصروفاتها خلال سنة كاملة .

١٥ ـ قوائم تتضمن اسماء الولاة الذين تقلدوا ادارة الولاية مع تواريخ تعيينهم ومدد حكمهم وقواد الجيش ونواب الولاة وكبار الموظفين في الولاية ومتصرفي السناجق (الألوية) والاعيان المحليين في الاقضية والنواحي واسماء رؤساء الشيوخ والاطباء والصيادلة ومعلمي المدارس الاسلامية وغير الاسلامية واسماء رؤساء الطوائف الدينية غير الاسلامية كالمسيحيين واليهود .

جداول السالنامات

تتضمن جميع السالنامات اضافة الى المعلومات التي ذكرناها ، جداول مختلفة تضم اسماء المسؤولين العثمانيين من مدنيين وعسكريين في الولاية وما يتبعها من وحدات ادارية . وقد تحتل هذه الجداول ثلث او نصف السالنامة الصادرة في الولاية او حوالي ٩٠٪ من السالنامات العامة . وهذه الجداول ذات فوائد قصوى لدراسة الاوضاع الادارية والعسكرية وبواسطتها يستدل على طبيعة التشكيلات الادارية والعسكرية في الولاية ، كما يمكن معرفة مدى توافق المؤسسات الموجودة في الولاية مع القوانين والانظمة العثمانية المتعلقة بالولايات.

ويستدل من هذه الجداول ان الوالي العثماني كان يعتبر اكبر مسؤول في الولاية يساعده أربعة موظفين من ذوي الرتب العالية يشكلون (اركان الولاية) وهم الدفتردار (المسؤول عن الشؤون المالية) والمكتوبجي او المكتوبي (المسؤول عن المراسلات الرسمية) ونائب الوالي ورئيس ديوان التمييز. وفي كل ولاية هناك مجلس لادارتها يرأسه الوالي ويتكون اعضاؤه من قسمين: اعضاء اصليون يمثلون الدولة واعضاء غير أصليين ينتخبون من قبل الأهالي ومما يجدر ذكره ان هذا المجلس لم يكن مقتصراً على الولاية فقط ، بل كانت السناجق (الألوية) والاقضية هي الاخرى كانت لها مجالس لادارتها ، وكان على رأس مجلس السنجق (اللواء) المتصرف ، وعلى رأس مجلس القضاء القائمقام . ونص قانون الادارة العامة للولايات على وجوب تشكيل هذه المجالس في الوحدات الادارية المختلفة وكيفية تشكيلها[26] كما ألزم هذا القانون الولايات العثمانية ، ادخال عناصر غير مسلمة بين أعضاء المجلس ، ومن هنا تأتي اهمية جداول السالنامة ، فتكون مرجعنا الاساسي في الكشف عن اسماء هؤلاء وعددهم ، ويستدل من هذه الاسماء بالتالي الطوائف الدينية التي ينتمون اليها .

كما ان جداول السالنامات هي مرجعنا الرئيسي في معرفة تشكيلات المؤسسات العثمانية ، كالدوائر الادارية والمالية والقضائية والصحية والاجتماعية والخدمية والبريدية والتعليمية. . . الخ ، في الولاية والسنجق والقضاء والموظفين الذين يديرون هذه التشكيلات ويستشف من هذه الجداول ان هذه التشكيلات لم تبق على حالها على مرّ العهد العثماني ، بل تعرضت الى تغييرات مختلفة ، ومن الممكن تتبع هذه التغييرات بواسطة الاعداد المختلفة للسالنامات . ومما تجدر الاشارة إليه ان هذه الجداول اوردت اسماء عناصر غير مسلمة كلفت بادارة بعض اقسام هذه الدوائر في الولايات العراقية .

وتمدنا هذه الجداول بمعلومات وافية عن التشكيلات العسكرية العثمانية وقوات الدرك في الولايات العراقية وبواسطتها من الممكن معرفة الكثير مما يتعلق بهذه التشكيلات والمعروف ان الحكومة العثمانية بالرغم من تقسيمها العراق الى ثلاث ولايات ، جمعت هذه الولايات تحت أمرة الفيلق السادس الذي كان مقره بغداد ، وقد اوردت جداول السالنامات اسماء الضباط الذين كانوا على رأس الوحدات العسكرية ومقراتهم ومنها نستدل على تقسيمات التشكيلات العسكرية واماكن مرابطتها .

وتساعدنا هذه الجداول على معرفة اصول الكثير من الدوائر الحكومية التي انتقلت من العهد العثماني ، وهنا نشير على سبيل المثال ـ الى دوائر البلدية في الولايات والسناجق والاقضية حيث كانت تدار من قبل رئيس ومجلس ، اعتادت السالنامات ذكر اسماء اعضائه ، ومما تجدر الاشارة اليه ان المادة ١١١ من نظام الادارة العامة للولايات نصت على وجوب تشكيل مجلس للبلدية في المراكز التي يتواجد فيها الوالي نصت على وجوب تشكيل مجلس للبلدية في المراكز التي يتواجد فيها الوالي والمتصرف والقائمقام اي في مراكز الولايات والسناجق والاقضية ، وبينت المادتان ١١٢ و ١١٣ من نفس النظام كيفية انتخاب هذا المجلس الذي يكون اعضاؤه من مختلف الاصناف واصحاب الاملاك والاراضي[٢٧] ويستشف من جداول سالنامة بغداد ان مركز بغداد كان مقسماً الى ثلاث دوائر بلدية ترتبط بالاولى المدرسة الصناعية وبالثالثة مستشفى الغرباء[٢٨] ، إلا اننا نجهل مراكز هذه الدوائر والمحلات التي كانت ترتبط بكل دائرة من هذه الدوائر ، ويستدل من سالنامة بغداد الأخيرة ان هذه الدوائر الثلاث جمعت في دائرة واحدة ارتبطت بها الهيأة الصحية ومستشفى الغرباء .

ونتعرف بواسطة جداول السالنامات على اسماء محلات بغداد والمناطق المهمة فيها وذلك من خلال تقسيمات بغداد الى مراكز للشرطة[٢٩] .

كما تمدنا جداول هذه السالنامات بمعلومات مستفيضة عن الاراضي الاميرية وكيفية ادارتها والمقاطعات[٣٠] التي تنقسم إليها هذه الارضي . وكما هي الحال في تشكيلات الدوائر فان ادارة الاراضي السنية (الاميرية) قد تعرضت هي الاخرى الى تغييرات واصبح قائد الفيلق السادس العثماني هو المسؤول عن ادارة شؤونها بعد ان اصبح اضافة الى وظيفته ـ ناظر هيآت بغداد والعمارة والموصل[٣١] .

الهوامش

(١) شمس سامي : قاموس تركي ، استانبول ١٣١٧ ، ص ٧٠١

(٢) انظر ، دائرة المعارف الاسلامية ، الترجمة العربية ، مادة « سالنامة» ، يقابل مصطلح السالنامة في اللغة الفرنسية (annuaire) ، وقد نشرت اول سالنامة فرنسية سنة ١٧٩٣ م من قبل ميلرmiLLer وكانت تحمل اسم L'annuaire de La Repubqlqiaine . ثم تبعتها سالنامات متخصصة كما صدر في فرنسا في نفس الغرض كتب اخرى حملت اسم 'Almanach' (وقد استعملت هذه الكلمة في اللغة العثمانية بشكل ﻟﻤﻨﺎق) ونشرت مثلها في دول آخرى . ويختلف هذا عن السالنامات في انه يتناول موضوعات مختلفة كما يضم في صفحاتها نكات وطرائف . اما السالنامات فانها تقتصر على تناول المواضيع الجدية ، وتخصص في الغالب لفن واحد من فنون المعرفة . وصدر اول تقويم في فرنسا سنة ١٤٣١ م واضيفت إليه فيما بعد معلومات مفيدة واحداث هامة . كما نشرت بعض الصحف المصورة في اوربا سالنامات تضمنت مختصرات للموضوعات السياسية والعلمية المنشورة فيها في سنة واحدة مع صور مختارة انظر:Mehmet zeki Pakalin, OsmanLı

Tarih Deyimleri ve TerimLeri Sozlugnu, Is tanbuL, 1954, c.3, s.105

(3), Islam Ansiklopedisi, Istanbul, 1960, 10: 134

(٤) انظر (بغداد ولايت جليلة سنة مخصوص سالنامه‌سدر ، يكرمنجي دفعه در ، سنة هجرية ١٣٢٤ .) ص ٨٣ . وانظر كذلك مادة السالنامة في:

Islam Ansiklopedisi, 10.134

(٥) سالنامة بغداد ، ج .٢ ص ٨٣ . حملت سالنامة بغداد اسماء مختلفة في اجزائها وسنكتفي بهذا الاسم (سالنامة) عند الاشارة إليها.

(6) Meydan Larousse, IstanbuL, 1978, c.10, S.885,

اول سالنامة خاصة صدرت باللغة العثمانية هي التي اصدرها علي سو آوى (١٢٨٨ هـ ١٨٧١ م) وابو الضيا (١٢٩٠ هـ ١٨٧٣) ، كما اصدر غاسبرالي اسماعيل بك « سالنامة توركي» (باغجه سراي ، ١٣٠٠ هـ ١٨٨٢ م) وهي مهمة لاحتوائها معلومات متعلقة بالاتراك في روسيا ، انظر اسلام انسيكلوبيه ديسي ، مادة السالنامة ، وعن السالنامة الخاصة انظر:

Server Iskit, Turkye'de

Neseriyat Hareketleri Tarihine bir bakis, s. 361, 373

(7) Osmanli Tarih Deyimleri... s.106

(٨) استخدمت الدولة العثمانية التاريخ الرومي (المالي) سنة ١٢٠٥ هـ فتحولت من الشهور القمرية الى الشهور الشمسية ، ثم اتخذت بداية آذار سنة ١٢٠٩ هـ بداية للتاريخ المالي. واسماء الشهور في هذا التاريخ هي نفس اسماء الشهور الرومية والسريانية (انظر سالنامة البصرة عدد ٤ سنة ١٣١٨ ص ٤٤)

(9) Server Iskit, 36, 356, 358

(١٠) نفس المصدر: ٣٥٩

(١١) ولا يفوتنا هنا الاشارة الى السالنامة التي اصدرها انور باشا خلال الحرب العالمية الاولى ، وقد اتبع فيها الاملاء المسمى (املاء انور باشا) الذي يعتمد الحروف العربية المنفصلة في الكتابة: انظر:Server Iskit, 359

(١٢) للمزيد من التفصيلات حول السالنامات التي اصدرتها الوزارات العثمانية انظر:Islam Anslk 10: 135, Server Iskit, 358, 360

(١٣) نفس المصدر: ٣٥٩

(١٤) انظر سالنامة نظارت معارف عمومية ، برنجي دفعه ، سنة ١٣١٦ هـ ص ١٢٥٦ ـ ١٢٥٧

(١٥) اما القسم الرابع من السالنامات فتشكله السالنامات الخاصة غير الرسمية ، عن هذه السالنامات انظر:I.A.10: 135, 136, S. Iskit, 361, 373

(١٦) حالت بك: كاتب وصحفي تركي ، نجل وزير المالية العثماني خالد افندي ، تقلد بعض الوظائف الصغيرة في الدولة العثمانية ثم عين معاوناً لمدير التحريرات في ولاية حلب واصبح فيما بعد مديراً للتحريرات . اصدر جريدة «فرات» الرسمية في حلب ، كما اصدر جريدة « غدير الفرات» غير الرسمية توفي سنة ١٢٩٥ هـ ١٨٧٨ م . انظر سامي: قاموس الاعلام ج ٣ ص ١٩١٦ S. Iskit: 96, 97

(١٧) ش. سامي: قاموس الاعلام ج ٣ ص ١٩١٦

(18) S . Iskit, 97

(١٩) ورد في سالنامة بغداد ان اول سالنامة ، كانت قد صدرت في ولاية البوسنة ، (انظر سالنامة بغداد ، الجزء ٢٠ ص ٨٣) ، إلا انني لاحظت خلال اطلاعي على قائمة اسماء الولايات التي اصدرت السالنامات (انظر I.A, 10 . 135) ان سالنامة البوسنة الاولى صدرت سنة ١٢٨٣ هـ ، اما سالنامة طرابزون الاولى فقد صدرت سنة ١٢٨٢ هـ .

(20) S. Iskit, 360

(21) I. A. 10: 136

(٢٢) ذكر كاتب مادة السالنامة في دائرة المعارف الاسلامية(الطبعة التركية ج ١٠ ص ١٣٥) ان ولاية البصرة اصدرت تسعة اعداد من السالنامة بين سنتي ١٣٠٨ ـ ١٣٢٠ ، إلا انه يستدل من الجدول الذي اعده د . ابراهيم خليل احمد ان سالنامة البصرة استمرت بالصدور بعد التاريخ المذكور ، وصدر منها عددان في سنتي ١٣٢١ هـ و ١٣٢٩ هـ (١٩٠٤ م، ١٩١١م) (انظر د . ابراهيم خليل احمد: السالنامات العثمانية مصدراً لتاريخ البصرة الحديث ، مجلة دراسات الخليج العربي ، المجلد ١٤ العددان ٣ و ٤ سنة ١٩٨٢ ص ٤٦) ، فيكون مجموع اعدادها بذلك احد عشر

(٢٣) ذكر الباحث الدكتور ابراهيم خليل احمد في بحثه (ن. م ص ٤٥) ان ولاية البصرة اصدرت عددين باللغتين العربية والتركية ، غير اني شاهدت العدد الثالث الصادر سنة ١٣١١ هـ من هذه السالنامة وهي باللغتين المذكورتين.

(٢٤) سالنامة بغداد ، ٢٠: ١٩٨ ـ ٢١٥

(٢٥) انظر على سبيل المثال سالنامة الموصل ، عدد ٢ سنة ١٣١٠ هـ ص ٢٣١ ـ ٤٢١

(٢٦) ادارة عمومية ولايات نظامنامه سى ، سفينة نظامات ، بغداد ، ولايت مطبعة سى ، ١٢٨٨ هـ ص ٣٦٤ وما بعدها.

(٢٧) نفس المصدر: ٤١٣

(٢٨) سالنامة بغداد عدد: ٥ سنة ١٣٠٤هـ

(٢٩) عن اسماء هذه المحلات انظر سالنامة بغداد ، عدد: ٢٠ ص ٢٠

(٣٠) سميت الاماكن التي تضم الاراضي الزراعية ذات المساحات الكبيرة (بالمقاطعة) وهي تعني قرية ، وهذه التسمية استعملت من قبل ولاية بغداد ، انظر سالنامة بغداد ، العدد الاخير ص ١٧٧

(٣١) اوردت سالنامة بغداد تشكيلات هذه الهيآت من شعب ومقاطعات ووكالات واسمائها ، انظر على سبيل المثال العدد (٢٠) ص ١٤٤ ـ ١٤٩ .

ملحق رقم (١)
وصف مدينة بغداد كماورد في سالنامة بغداد (١)

يحد سنجق بغداد (٢) من الشمال ولاية الموصل، ومن الشمال الغربي سنجق الزور، ومن الشرق البلاد الايرانيةومن الجنوب سنجقا العمارة والمنتفك المرتبطان بولاية البصرة ومن الغرب سنجقا الديوانية وكربلاء (٣) وصحراء الشامية.

ويحد قضاء بغداد من الشمال والشمال الشرقي خراسان (٤) ومن الجنوب الشرقي، العزيزية ومن الجنوب، الجزيرة ومن الغرب والشمال الغربي، قضاء الكاظمية. وعلى ضفتي نهر دجلة توجد بساتين النخيل وبساتين تحوي أشجاراً مثمرة وهي تنتج محاصيل وفيرة.

ويسمى القسم الذي يبدأ من الجهة الجنوبية الشرقية (من الباب الشرقي) لمدينة بغداد بالكرادة الشرقية (الكـرادة هي الاراضي التي تزرع بالكرد)، والقسم الذي يمتد من الشمال الغربي (من باب الاعظمية) بالكرادة الغربية. اما القسم الجنوب الشرقي من الجانب الآخر (٥) والواقع على ضفاف النهر فيسمىٰ بكرادة مريم. وقد غمرت مياه الفيضان الذي حدث السنة الماضية العديد من البساتين والمزارع واوقع فيها خسائر كبيرة، فلم يبق في البساتين الواقعة في الجهتين الشرقيـة والغربيـة إلا (١١٧٩٠٠) شجرة نخيل، و ١٤٢٠٠ نخلة في الضفة اليمنى لنهر دجلة (الجانب الآخر)، كما بقيت ٥٥٨٠٠ شجرة مثمرة في الجهتين الشرقية والغربية و ٨١٥٢ شجرة في الجانب الآخر وهناك ٥٢٠ بكرة في الكرادتين الغربية والشرقية و ١٩٠ في الجانب الآخر وذلك لسقي المزارع والبساتين.

ومدينة بغداد هي مركز القضاء واللواء والولاية ومركز الجيش السلطاني (٦) وهي مركز البلاد العراقية كافة. وترتبط ناحية الاعظمية بقضاء بغداد.

تقع مدينة بغداد على خط العرض الشمالي ٣٣ درجة و ١٩ دقيقة، و ٥٠ ثانية وعلى خط الطول الشرقي ٤٢ درجة ودقيقتين و١٥ ثانية، وترتفع ٤٠ متراً عن مستوى سطح البحر. وهي تقع على ضفتي نهر دجلة.

ان القسم الاكبر والمنتظم من المدينة يقع على الجهة الشرقية اي الضفة اليسرى لنهر دجلة ويسمى بالرصافة، اما القسم الواقع على الجانب الغربي اي الضفة اليمنى للنهر فيسمى بالكرخ. وتشتهر بغداد باسم دار السلام والزوراء وهما من الاسماء القديمة لها.

يربط جانبي المدينة جسر اقيم على عوامات طوله ٢٢٠ متراً، وهناك جسر آخر قائم على عوامات أيضاً يربط قرية الاعظمية (وهي مركز ناحية ترتبط بقضاء بغداد) بقصبة الكاظمية. وهناك جسر حديدي في الموضع المسمىٰ بـ(خر) وهو يقع على بعد ساعة من جانب الكرخ على طريق كربلا والحلة، كما ان هناك جسرين آخرين قائمين على عوامات الأول على بعد ساعة من الجانب الشرقي لبغداد على نهر دجلة في الموضع المسمى (قرارة)، اما الثاني فيقع على نهر ديالى في الطريق المؤدي الى قضاء العزيزية تمتد مدينة بغداد ثلاثة كيلومترات على امتداد النهر (من باب الاعظمية حتى الباب الشرقي). واقيم جانب الرصافة في العهد العباسي، وقد خرب القسم الاكبر منه، وهو محاط بسور طوله ٧كم، وبخندق وقد تهدمت بعض اقسام السور. ولهذا السور ثلاثة ابواب رئيسية، الأول يسمى بـ(الباب المعظم) وهو يقابل قرية الاعظمية، و (الباب الوسطاني) ويقع في الطرف الخلفي من المدينة و (الباب الشرقي) ويقع في الجانب السفلي الذي يسمى بـ(الشرقية).

ان الوضع الشاعري للنهر ومجراه اللطيف واشجار النخيل الممتدة على ضفتيه والبساتين التي تحوي اشجاراً مثمرة. . كلها تمنح المدينة جمالاً وبهاءً. واكثر مباني المدينة المنتظمة اقيمت على امتداد ضفاف النهر، ولهذا فان المناظر العامة للمدينة من النهر ملفتة للنظر.

وأزقة محلات المدينة ضيقة عدا شارعي القشلة والميدان. وقد تقرر فتح شارع عام يقطع المدينة على امتدادها وذلك بهمة وعناية الوالي والقائد (٧) ناظم باشا، وبوشر بتوسيع الكثير من الازقة واكساء الطرق بالقير. كما أقر بناء دائرة للبلدية وادارة للبريد والبرق ومدرسة اعدادية ودائرة للكمارك، وقد تمّ اعداد خرائط وتصاميم لها واحتسبت كلفها وابلغت الجهات المعنية بها.

كما ان المقاولة التي بموجبها تم منح حق امتياز تنوير المدينة بالكهرباء واقامة الترامواي الكهربائي قد اقرت من قبل وزارة الاعمار وشورى الدولة، وينتظر صدور الارادة السنية (٨) بشأنها. وقد اقيم جسر حديدي معلق لربط ضفتي النهر بعضها ببعض، وتقرر تشغيل السفن الصغيرة في ارصفة متعددة.

وأهم احياء بغداد واشهرها هي: جديد حسن باشا، الميدان، الحيدر خانة، قرية باشي (رأس القرية) (٩)، شيخ قبوسي (باب الشيخ)، شورجه، قنبر علي، آغا قبوسي (باب الآغا)، وكليا باشي (رأس الكنيسة). وبيوتها مبنية بالطابوق وهي على طابقين. وبالرغم من ان المناظر الخارجية للابنية الجديدة في غاية الجمال، الا ان اصل جمالها في داخلها. واسواقها الرئيسية الكبيرة مبنية بالطابوق وهي متينة. وجو المدينة معتدل، غير ان درجات الحرارة في الصيف تتراوح بين ٣٥ الى ٤٥، وترتفع وبشكل نادر الى ٤٨ و ٤٩ درجة. اما في الشتاء فتتراوح بين ٥-١٥ درجة وتنخفض احياناً الى ٤ و ٥ درجات تحت الصفر. وفي فصل الصيف يقيم الاهالي في السراديب اثناء النهار، وينامون ليلاً على سطوح منازلهم. ويتراوح عدد سكان المدينة بين ١٧٠-١٨٠ ألف نسمة. والقسم الاعظم من السكان، من العرب والترك والكرد والمسلمين، وقسم منهم يهود وقسم آخر من الطوائف الكلدانية والسريانية والارمنية واللاتين والبروتستانت.

وتوجد في جانبي الرصافة والكرخ دائرة للبلدية وخمس دوائر رديف [١٠]، فدائرة الفوج الأول المنسوب للواء ٨١ في الحيدر خانة، ودائرة الفوج الثاني في المرجان ودائرة الفوج الثالث في ديالى، ودائرة الفوج الرابع في الاعظمية، اما الدائرة الخامسة ففي جانب الكرخ وهي مقر الفوج الثاني للواء ٨٣.

وجوامع بغداد ومساجدها الشريفة كثيرة: فجامع الشيخ عبد القادر الكيلاني وجامع الامام الاعظم في قصبة الاعظمية واسعان ومزخرفان. كما ان جوامع الميدان وجديد حسن باشا والوزير والفضل والحيدرخانة واسعة وجميلة، وقد زينت قبابها ومنائرها بالكاشي. وهي حسنة المناظر. وتوجد في بغداد مراقد الكثير من الائمة والشيوخ والعلماء المسلمين منها مراقد الامام الحنبل والشيخ عبد القادر الكيلاني ومعروف الكرخي والجنيد البغدادي والسري السقطي والشبلي والامام الغزالي... واهم الآثار الماثلة للعيان والباقية من العهد العباسي هي منارة جامع الخلفاء (١١) وهي في غاية المتانة والارتفاع، وجامع مرجان (١٢) والمدرسة (المستنصرية) (١٣) وتربة السيدة زبيدة زوجة هارون الرشيد - كما ورد في احدى الروايات - وهي في الجانب الآخر، وقد اقيمت على طراز فني (١٤).

أما الدوائر الرسمية فهي دائرة الحكومة، دائرة القيادة العسكرية، دائرة الاملاك الأميرية، الثكنات العسكرية للمشاة والمدفعية والخيالة، المدرسة الصناعية، مطبعة الولاية، المدارس الرشدية العسكرية (١٥)، المدرسة الرشدية الملكية، دائرة البلدية، دائرة الرديف، دائرة سفن الادارة النهرية، دائرة الرسوم، المحكمة الشرعية، المعمل العسكري، المخبز العسكري، المستشفى العسكري، مستشفى الغرباء دائرة الخيالة، مدرسة الجندرمة (الدرك) والثكنة العسكرية البحرية. وعلاوة على كل ذلك توجد الدوائر والأبنية التالية: مكتب البرق، دائرة الانحصار، دائرة الديون العامة، ادارة فرع البنك العثماني، مدرسة الحقوق العثمانية، مدرسة دار المعلمين، المدرسة الاعدادية الملكية، سجن النساء، معمل الطحين، ٢٠ مخفراً للشرطة، اسطبل خيالة الدرك مضخة الماء، معمل الثلج، المطبخ العسكري، مخزنان عسكريان، معملان للبارود، ادارة الترامواي والنادي العسكري.

ويوجد في بغداد اكثر من ثلاثين الف دار وحوالي خمسة آلاف دكان ومتجر و ٢٠٨ خانات و ٢٣٥ مقهى و ٣٢٥ بستاناً وحديقة، و ١٤٥ جامعاً ومسجداً وثماني مدارس ابتدائية وحوالي ٤٠ مدرسة للصبيان وثماني مدارس غير اسلامية و ٣٢ مدرسة دينية و ٢٠ تكية وخمس زوايا و ٥٠ ضريحاً و ١٢ مكتبة وخمس مطابع خاصة وست كنائس وستة تورات (سيناغون) وثلاثون حماماً و ٢٠٠ عرصة و ١١٧ اسطبلاً و ٤٥ خاناً للجمال، و ٢١ مخزناً للمواد الغذائية و ١٨٢ محلاً (علوة) لبيع المواد الغذائية و ١١٦ مطحنه و ١٣ صيدلية و ١٠ مخابز و ٢٠ فرناً و ١٨ سبيلاً [١٦] و ٦٧ رصيفاً للحطب و ٤٢ مخزناً و ٣ محلات للقراءة و ٢٥ كازينو، وناد واحد، و٣٨ قصراً، و٤ فنادق و ٣١٢ محلاً للحياكة (حياكة السجاد وما شابهه) و٢٢ معملاً للخيوط و ٦٨ معملاً للصبغ و ٧ معامل للطبع على الاقمشة ومعمل للنفط و١٣ معملاً للفخار وحوالي ٢٤ معملاً للسكر، و٣٢ محلاً لبيع

الجص و ٣٥ محلاً للدباغة و٦٠ معملاً للدبس ومحلان لعمل الراشي وسبع زورخانات (محل كان يقام فيه نوع من العاب الجمناستك واربعة معامل وفي الجانب الآخر من بغداد تمتد خطوط الترامواي مسافة سبعة كيلو مترات حتى قصبة الكاظمية . كما ان هناك عربات الشركة تقوم بالسير يومياً من والى قرية الاعظمية وبعقوبة مركز قضاء خراسان وكربلاء والحلة ومن الحلة الى الديوانية ومن كربلاء الى النجف، كما ان السفن التابعة الى الادارة النهرية وشركة لنج تقوم برحلاتها الى البصرة وبالعكس.

ويقيم في بغداد قنصل ايراني وقنصل عام لكل من حكومات روسية وانكلتره وقنصل يمثل حكومات كل من المانيا والنمسا والمجر والولايات المتحدة الامريكية ووكيل قنصل يمثل الحكومة الفرنسية وقنصل لكل من حكومات بلجيكا وايطاليا والسويد والنرويج .

وينسج في داخل المدينة بعض المنسوجات من الحرير كالشراشف والعباءات والكوفيات كما تنسج اشياء اخرى من الصوف والقطن وتصنع بعض الاواني من النحاس والذهب والفضة، وتتوفر وبكثرة جميع انواع المواد الغذائية والخضر والفواكه .

ان المياه الآسنة التي تتجمع في بعض الاماكن بسبب فيضان نهر دجلة في بعض السنين كانت تولد بعض الامراض وتفسد جو المدينة فقام الوالي والقائد ناظم باشا باقامة سد في غاية الجسامة والمتانة على بعد ثلاث ساعات من موقع (قراره) نحو (الصليخ) وعلى بعد الف متر من المدينة وذلك لتحويل مياه النهر الى نهر ديالى عند الفيضان فتتخلص المدينة بذلك من المياه الآسنة والامراض التي تصيب اهلها من جرائها .

كما تم دفن المستنقعات الواقعة في منطقة الشيخ عمر وهي عبارة عن ١٣٠ الف متر مربع.

ويوجد الكثير من القصور في البساتين الممتدة في الكرادة الشرقية وهي منازل صيفية بنيت على ضفاف النهر.

ملحق رقم (٢)

مكتبات بغداد

سالنامة وزارة المعارف لسنة ١٣١٧هـ/ ١٨١٩م ص ١٠٧٠-١٠٧١

اسم المكتبة	محلها	مؤسسها	عدد الكتب فيها	تاريخ تأسيسها
المعارف	الحيدرخانه	ادارة المعارف	١٢٤٥	١٨٧٩
احمد كريه	الميدان	احمد كريه	٥٣	١٧٩٤
نائلة خاتون	الحيدر خانه	نائلة خاتون	٢٠٥	مجهول
نازنده خاتون	الحيدرخانه	نازنده خاتون	٩١	١٨٢١
داود باشا	الحيدرخانه	داود باشا	٦٥٥	مجهول
طبقجي محمد افندي	عاقوليه	محمد افندي	٤٧٠	مجهول
مصطفى سليم افندي	قزغانجيلر (الصفافير)	مصطفى سليم افندي	٩٣	مجهول
عدله خاتون	رأس القرية	عدله خاتون	٥٧	مجهول
سيد سليمان افندي	باب الشيخ	النقيب سيد سليمان افندي	١٦٣٥	مجهول
الاعظمية	ناحية الاعظمية	ادارة الاوقاف	٤٤٣	مجهول
سليمان باشا	البستان	سليمان باشا	١٧٨	مجهول
مرجان	جامع مرجان	مرجان	-	مجهول

الهوامش

(١) هذا الوصف ورد في اعداد مختلفة من سالنامة بغداد (انظر على سبيل المثال السالنامة الصادرة سنة ١٣٢٥ ص ٢٠٤ ـ ٢٠٩، وسنة ١٣٢٩ ص ١٨٠ـ١٨٧) اورد هنا ترجمته كنموذج لما تتضمنه السالنامات.

(٢) كانت الدولة العثمانية تنقسم ادارياً الى ولايات والولاية الى سناجق والسنجق الى اقضية والقضاء الى نواحي. والسنجق يقابل اللواء اي المحافظة. وقد ظل مصطلحا السنجق واللواء متداولين عند العثمانيين.

(٣) كان سنجقا الديوانية وكربلاء مرتبطين ادارياً بولاية بغداد.

(٤) سمي قضاء بعقوبة في العهد العثماني بـ(طريق خراسان) لوقوعه على هذا الطريق، ثم اختصر هذا الاسم الى (خراسان)، غير ان المدينة اي مركز القضاء كانت تسمى ببعقوبة. وكان قضاء بعقوبة يشكل احد اقضية سنجق بغداد

(٥) اي جانب الكرخ.

(٦) وهو الفيلق السادس العثماني. وكان قائد الفيلق يقيم في بغداد.

(٧) المقصود بالقائد هنا هو قائد الفيلق السادس العثماني، اذ جمع هذا المنصب مع منصب الوالي في اغلب الأحيان

(٨) الارادة السنية هي الأمر او الفرمان الصادر من قبل السلطان العثماني

(٩) الاسماء الواردة بين قوسين وضعت من قبلنا وهي تقابل اسماء المحلات باللغة العثمانية

(١٠) «رديف» هو صنف من الجيش العثماني يأتي بعد صنف الجيش النظامي، وهو بمثابة صنف احتياط يستدعى للخدمة عند الحاجة.

(١١) منارة جامع الخلفاء وتعرف بمنارة سوق الغزل شيدت في سنة ٦٨٧هـ/١٢٧٩م اي بعد العهد العباسي، انظر مصطفى جواد واحمد سوسه، دليل بغداد، بغداد ١٩٥٨ ص ١٢٥

(١٢) يرجع بناء جامع مرجان الى سنة ٧٥٨هـ/١٣٥٦م اي الى عهد الدولة الجلائرية وليس كما ورد في النص. انظر محمد عبد العزيز مرزوق، الفن الاسلامي، بغداد ١٩٦٥ ص ٨٤.

(١٣)ورد في الاصل اسم المدرسة النظامية خطأ.

(١٤) هذه التربة نسبت خطأ الى زبيدة زوج هارون الرشيد، وهي لزمرد خاتون زوجة الخليفة المستضيء بامر الله، انظر دليل خارطة بغداد ص١٧

(١٥) هكذا ورد في النص، والمعروف انه لم تؤسس في بغداد اكثر من مدرستين رشديتين عسكريتين في العهد العثماني. وقد ورد ذكرها في سالنامة بغداد لسنة ١٣٠٢ هـ ١١٨٨٤م (ص٤٢،٨٢،١١٤)، ولكنهما لم تستمرا طويلاً فاندمجتا في مدرسة واحدة (انظر سالنامة سنة ١٣١٠ هـ ١٨٩٢م ص١٦٢)

(١٦) السبيل بناء فيه ماء عذب يشرب منه الناس.

* * *

جنتمکان سلطان مرادخان رابع حضرتلرینك بغدادی تسخیرلرندن صکره بغداده تعیین بیوریلان ولاة عظام حضراتنك اسامی ومدت مأموریتلری مبین جدولدر .

اسامی	تاریخ مأموریت سنه	مدت اقامت سنه	شهر	ایام
کوچوك حسن پاشا	١٠٤٨	٠	٤	٠
درویش محمد پاشا	١٠٤٩	٣	٠	١٣
دفعهٔ ثانیه کوچوك حسن پاشا	١٠٥٢	٢	٠	٥
دلی حسین پاشا	١٠٥٤	٠	٥	١٥
حیدر اغا زاده محمد پاشا	١٠٥٤	١	٠	١١
کوچوك موسی پاشا	١٠٥٥	١	٠	٢٢
ابراهیم پاشا	١٠٥٦	١	٢	١٥
سمز موسی پاشا	١٠٥٨	١	١	٢١
ملك احمد پاشا	١٠٥٩	٠	١٠	٢٨
نوغای زاده ارسلان پاشا	١٠٥٩	٠	٦	٠
حسین پاشا	١٠٦٠	٠	١٠	٠
سلحدار قره مصطفی پاشا	١٠٦١	٢	٠	٢٣
سلحدار مرتضی پاشا	١٠٦٣	٢	١١	٠
آق محمد پاشا	١٠٦٥	١	٤	١٥

اسامی	تاریخ مأموریت سنه	مدت اقامت سنه	شهر	ایام
خاصکی محمد پاشا	١٠٦٧	٢	٠	١٧
دفعهٔ ثانیه سلحدار مرتضی پاشا	١٠٦٩	٢	٧	٢
قنبور مصطفی پاشا	١٠٧٢	١	١٠	١٨
یموق مصطفی پاشا	١٠٧٤	٠	٦	٠
دفعهٔ ثانیه سلحدار قره مصطفی پاشا	١٠٧٥	٠	٨	٢٦
اوزون ابراهیم پاشا	١٠٧٧	٤	٢	١
دفعهٔ ثالثه سلحدار قره مصطفی پاشا	١٠٨٢	٣	٤	٢٠
سلحدار حسین پاشا	١٠٨٥	١	١٠	١٧
عبدالرحمن پاشا	١٠٨٦	١	٩	٦
قبلان مصطفی پاشا	١٠٨٧	١	٦	٠
سلحدار عمر پاشا	١٠٨٨	٣	٩	٠
ابراهیم پاشا	١٠٩٢	٢	٥	٠
دفعهٔ ثانیه سلحدار عمر پاشا	١٠٩٥	٣	٠	٢٧
کتخدا احمد پاشا	١٠٩٨	١	٠	٢١
دفعهٔ ثالثه سلحدار عمر پاشا	١٠٩٩	١	٨	٢٢
بازرکان احمد پاشا	١١٠٢	٣	٠	٠
احمد پاشا	١١٠٥	٢	٠	٠

اسماء ولاة بغداد من سالنامة بغداد الجزء ١٥ سنة ١٢١٧ هـ

مأموریت	اسامی	رتبه	تاریخی
عنه قضاسی (صنف ٣)			
قائممقام وکیل	مصطفی افندی	٠	٠
نائب	محمد سعید افندی	٠	٠

قضاء مذکوره مربوط : ناحیه
١ القائم
١ حدیثه
١ جبه والوس
٣

مأموریت	اسامی	رتبه	تاریخی
دیوانیه سنجاغی (صنف ١)			
متصرف	حمدی پاشا	روم ایلی	٢٣ ذا ٣١٩
نائب وبدایت محکمه‌سی حقوق رئیسی	شوکت افندی	٠	٠
محاسبه‌جی	حسن واصف افندی	٠	٠
تحریرات مدیری	شوکت بك	٠	٠
بدایت محکمه‌سی جزا رئیسی	عثمان وهبی افندی	ازمیر پایهٔ مجردی	٢٤ ج ٣٢٠
مدعی عمومی معاونی	فوزی افندی	٠	٠
دفتر خاقانی مأموری	احمد حفظی افندی	٠	٠
تلغراف وپوسته مدیری	حسن افندی	٠	٠

مرکز لوایه ملحق : نواحی
١ البدیر
١ دغاره
٢

مأموریت	اسامی	رتبه	تاریخی
حله قضاسی (صنف ١)			
قائممقام	محمد علی بك	٠	٠
نائب	شمس الدین افندی	٠	٠

قضاء مذکوره مربوط : نواحی
١ محمودیه
١ نهرشاه
١ خواص
١ محاویل
١ بارمانه
٥

مأموریت	اسامی	رتبه	تاریخی	م	تاریخی
سماوه قضاسی (صنف ٢)					
قائممقام	صالح افندی	ثالثه	٠	٠	٠
نائب	رسول خیری افندی	٠	٠	٠	٠

قضاء مذکوره مربوط : نواحی
١ خصر دراجی
١ ابو جوارير
٢

مأموریت	اسامی	رتبه	تاریخی	م	تاریخی
شامیه قضاسی (صنف ١)					
قائممقام	اسماعیل انور بك	٠	٠	٠	٠
نائب	صالح افندی	دوریه مدرسی	٠	٠	٠

قضاء مذکوره مربوط : نواحی
١ شنافیه
١ اصلاحیه
١ موراه
١ غماس
٤

مأموریت	اسامی	رتبه	تاریخی	م	تاریخی
کربلا سنجاغی (صنف ٢)					
متصرف	عبداللطیف پاشا	روم ایلی	١٩ ص ٣١٨	٢	٧ ص ٣١٥
نائب وبدایت محکمه‌سی رئیسی	عارف حکمت افندی	ادرنه پایهٔ مجردی	٢٧ ج ٣٢١	٣	٠
محاسبه‌جی	عثمان افندی	رابعه	٠	٠	٠
تحریرات مدیری	عزت افندی	ثالثه	٠	٤	٠
بدایت محکمه‌سی جزا رئیسی	سعید افندی	٠	٠	٠	٠

معلومات متعلقة بولاية بغداد - سالنامة الدولة العثمانية العامة الجزء ٦٠ سنـ

موصل ولایتی

مأموریت	اسامی	رتبه	تاریخی	مدالیه	ع	م

معارف اداره‌سی

معارف مدیریتی وظیفه‌سنی اعدادی مدیری رؤیت ایتمکده‌در

مأموریت	اسامی	رتبه	تاریخی	مدالیه	ع	م
محاسبه مأموری	فخری افندی	.	.	.	.	.
صندوق امینی	میقائل »	.	.	.	.	.
فخری موزه مأموری	موسیو سه باستین شابل	.	.	.	.	.

موصل مکتب اعدادیسی

مأموریت	اسامی	رتبه	تاریخی	مدالیه	ع	م
مدیر	محمد توفیق افندی	.	.	.	.	.
حساب وتاریخ عمومی واصول دفتری وفرانسزجه وجبر وانشا وکتابت معلمی	»	.	.	.	.	.
علوم دینیه وعربی وهندسه وفارسی وترکجه معلمی	ابراهیم »	ادرنه رؤسی	١٣٠٩	مرب	.	.
جغرافیا ومعلومات نافعه »	حسن خیرالدین »	.	.	.	.	.
ترکجه »	احمد عزت »	.	.	.	.	.
حسن خط »	محمد سعدی »	.	.	.	.	.
رسم »	عبداه »	.	.	.	.	.
سر مبصر	احمد »	.	.	.	.	.
ایکنجی مبصر	سید عبدالرحمن »	.	.	.	.	.

خدمه : ٢

١٣١٣ــ١٣١٤ سنهٔ تدریسیه‌سی ظرفنده موجود طلبه

مسلم	غیرمسلم	یکون
٣٠٢	١	٣٠٣

مأموریت	اسامی	رتبه	تاریخی	ع	م

مکاتب رشدیه

سلیمانیه مکتب رشدیسی

مأموریت	اسامی	رتبه	تاریخی	ع	م
معلم اول	عبدالفتاح افندی	.	.	.	.
» ثانی	عرفان »	.	.	.	.
حسن خط معلمی	»	.	.	.	.

طلبه : ٢١ — خدمه : ١

کرکوك مکتب رشدیسی

مأموریت	اسامی	رتبه	تاریخی	ع	م
معلم اول وکیلی	معروف افندی	.	.	.	.
حسن خط معلمی	»	.	.	.	.

طلبه : ٣٤ — خدمه : ١

راوندز مکتب رشدیسی

مأموریت	اسامی	رتبه	تاریخی	ع	م
معلم اول وکیلی	شیخ علی افندی	.	.	.	.
حسن خط معلمی	مصطفی »	.	.	.	.

طلبه : ٢٢ — خدمه : ١

اربیل مکتب رشدیسی

مأموریت	اسامی	رتبه	تاریخی	ع	م
معلم اول	عبدالحکیم افندی	.	.	.	.
حسن خط معلمی	محمد عارف »	.	.	.	.

طلبه : ٢٨ — خدمه : ١

صلاحیه مکتب رشدیسی

مأموریت	اسامی	رتبه	تاریخی	ع	م
معلم اول وکیلی	محمد افندی	.	.	.	.
حسن خط معلمی	مصطفی »	.	.	.	.

معلومات متعلقة بالتعليم في ولاية الموصل سالنامة المعارف ١٣١٦ هـ

بغداد ولایت جلیله‌سنه مخصوص

سالنامه‌در

دفعه

١٥

سنهٔ قمریه ١٣١٧

و

شمسیه ١٣١٥-١٣١٦

بغداد ولایتی مطبعه‌سنده طبع اولنمشدر

غلاف سالنامة بغداد ١٣١٧ هـ

رسالتان لأحمد بن برد الأصغر

بقلم : فرناندو دي لاجرانخا
ترجمة : عبد اللطيف عبد الحليم

مدريد.

أحمد بن برد الأصغر هو أحد الشعراء الذين حظوا بصيت كبير بين جماعة الشعراء الاندلسيين، اعطاه مكانته اللائقة به ثلاثة من مشاهير مصنفي المختارات في الاندلس : ابن بسام[1]، وابن خاقان[2]، وابن سعيد[3] . يتناثر شعره أيضا ليس في التراجم التي تتحدث عنه فحسب بل في الكتب ذات الطابع التاريخي، وقد ابرز علماء الغرب مكانة ابن برد وقيمته كذلك .

كان ابن برد الأصغر كاتبا متميزا في النثر، وقد تعاطى السجع الذي وافق هوى النقاد الأندلسيين الذين قرظوا رسالته في السيف والقلم .

أركز في هذه الصفحات فحسب على نثره الذي اخترته، وترجمت منه رسالتيه : (رسالة السيف والقلم) وأخرى بعنوان (رسالة في النخلة) .

اسرة بني برد .

ينتمي أحمد بن برد ـ كما يخبرنا كل الذين تحدثوا عنه ـ الى أسرة ذات شأن في قرطبة، سواء في مجال الكتابة أو السياسة؛ وهذا صحيح، اذا تذكرنا جده أحمد بن برد الأكبر شخصية تبرز في الصدارة في لحظات متعددة وحاسمة في تاريخ الخلافة من بداية العامريين، شخصية تؤثر في سير الأحداث من وراء حجاب، وفيما يختص بأنه كان يستطيع الاحتفاظ بمنصبه الرسمي كاتبا للرسائل (أو أمين الدولة كما يسميه دوزي) خلال سنوات طويلة تميزت بالاضطرابات المثيرة في نهاية الخلافة التي تغير فيها شخص الخليفة أكثر من مرة يكشف لنا هذا بوضوح الى اي حد كانت مهارته ونفوذه في مكان عظيم، وقد شارك بشكل بارز في لحظات جد حرجة، كلفت آخرين حياتهم بسبب اشتراكهم فيها .

أخذ أحمد بن برد الأصغر من جده، اسمه وكنيته أبا حفص، ولهذا السبب خلط بينهما مرارا ليس الدارسون العرب وحدهم، بل بعض الدارسين الاوربيين كذلك .

أما اللقب الذي يميز بينهما : الأكبر أو الوزير للجد، والأصغر أو الكاتب للحفيد، فانه لايظهر بصفة دائمة في المصادر القديمة عند الحديث عن احدهما .

ماصنف أحد ترجمة كاملة عن الجد أو الحفيد، ولا أحد فيما اعلم درس اعمالهما خاصة، والأخبار التي نقلها

الينا مترجموهما هي فقط موجز مقتضب لحياتهما، او على الأكثر مديح معهود، مبالغ فيه .

اما شخصية الجد البالغة الاهمية فانني أحيل القارىء على مقال سأنشره قريبا حين انتهى من دراسة اعماله، يكفينا أن نقول انه برز شخصية نابهة في عهد المنصور، وان لم يكن ثابتا انه شغل آنذاك مناصب سياسية، وظهر كاتبا للرسائل منذ عهد عبد الملك المظفر بن ابي عامر ولد المنصور وخليفته، وتأخذ مكانته في البروز مع الحكام المتعاقبين حتى زمن الخليفة المستظهر بالله، ليموت بعد أربع سنوات بعد بيعة هذا عام ٤١٨ هـ = ١٠٢٧م[4] في سرقسطة بعد ان نيف على الثمانين حسب ماحدده ابن بسام[5] .

اما ابنه محمد بن احمد بن برد ويكنى أبا العباس، فانه لم ينل في الاغلب حتى من بعيد ـ لابمهنته السياسية، ولابمواهبه الأدبية الشهرة التي حظى بها الجد الحفيد . ونصادف الترجمة الموجزة الوحيدة عنه في التكملة[6]، وأكثر الأخبار اهمية ـ الموجود فيها ـ هو قرابته بالكاتبين اللذين يشير الى مكانتهما ابن الابار في عالم السياسة، والادب . ولم يحدثنا عنه هو : كان شاعرا او اديبا، وهل اشترك في مجال السياسة . حتى لم يذكر لاسنة مولده ولا وفاته؛ الا انه ظل على قيد الحياة بعد وفاة ولده سنة ٤٤٥هـ = ١٠٥٣ ـ ١٠٥٤م .

في البيان لابن عذارى خبر واحد يبدو أنه يشير اليه ـ ويجب تصحيحه ـ يحدثنا عند الكلام عن يحيى بن علي بن حمود أن كاتبه كان أبا العباس أحمد بن برد، وأنه عيّن الكاتب محمد بن الفرضي وزيرا[7] من المحتمل أنه حدث لبس في الكنية، وأن الأمر يتعلق بأبي حفص الأكبر، لأن اسم ابنه ـ كما رأينا ـ هو محمد وليس احمد، ونعلم من مصدر آخر أن ابن برد الأكبر كان كاتبا للحموديين، ووصلت إلينا كذلك رسالة كتبها هو لعلي بن حمود[8] .

فيما يتعلق بابن برد الأصغر لاندري في أي تاريخ ولد، ولا أين، ربما كان في قرطبة حيث كانت تعيش أسرته، وفي نهايات القرن العاشر حسب ماقال هو نفسه في خبر سوف نراه فيما بعد .

احمد بن برد الأصغر

لاندري شيئا عن سنواته الاولى التي أمضاها في قرطبة، لكننا وقفنا على صداقته بأبي عامر بن شهيد وأسرته، الذين كانت تربطهم علائق ذمة ببني برد عبر أخبار عديدة : أحد هذه الاخبار عند موت صديق لكليهما هو محمد بن ربيب، وقد كتب ابن برد شعرا يتحدث فيه عن مرضه الأخير بناء على سؤال ابن شهيد ذلك[9]، وخبر آخر رواه ابن شهيد نفسه، يدرجه بين أصدقائه، بصدد رغبة أبي جعفر ابن عباس (وزير زهير المعروف) الذي كان يريد أن يلتقي بابن شهيد[10] وعندما مات ابن شهيد في (أول جمعة من جمادى الاولى سنة ٤٢٦ = ١٤ من مارس سنة ١٠٣٥) كان ابن برد احد الشعراء الذي رثوا ذا الكاتب الكبير[11] .

وفي عام ٤٢٧هـ = ١٠٣٥م حرر أبو حفص احمد ابن برد وثيقة مبايعة الخليفة المزيف (بائع الحصر في قلعة رباح)، بل انه كتب أيضا من تلقاء نفسه دعوة للاحتفال بعودة الخلافة، وفي هذا الخبر الذي رواه ابن عذارى[12] يلقبه بالوزير الكاتب، وقد رأينا أن لقب الكاتب هو الذي يلقب به ابن برد ليفرق بينه وبين الجد الوزير، وواضح أن هذا الخبر لايمكن أن يتعلق بالجد الذي مات من ثماني سنوات .

ينبغي أن نصحح قبل أن نمضي قدما الخطأ الذي اقترفه نيكل NYKL الذي جعل من الجد والحفيد شخصا واحدا، ويتحدث عن مكانته العظمى لدى العامريين عازيا اليه رسالة السيف والقلم[13]، ويعزو بيريس PERES * بدوره الى الحفيد تحرير بيعة شنجول وليا لعهد الخليفة هشام الثاني[14]، كما ينسب اليه كذلك رسالتين محررتين باسم سليمان المستعين، على حين أن كاتبهما هو الجد، بل أن كلتا الرسالتين موجودتان في الذخيرة بالفصل المعقود عنه[15] .

أما اهم الاخبار التي لدينا عن ابن الأصغر، فانها وصلتنا عن لسانه هو، وقفنا على نشاته الادبية في كنف جده، وقد كتب ذلك مزهوا ـ في مقدمة كتابه سر الأدب وسبك الذهب، وهو لون من التراجم الذاتية حفظ لنا ابن

بسام جزءا منه، ولاهمية هذه المقدمة في الوقوف على افكار الكاتب الادبية، ولانها تعكس على نحو ما ـ تكوينه النفسي، فقد ترجمتها، ونشرتها ملحقا لهذا الفصل .

نعلم ان ابا حفص الاكبر توفي في سرقسطة، لعله كان ينقب عن ملاذ يتوقى فيه معاكسات الحظ، وليس من المعقول ان نعتقد انه ترك قرطبة باختياره، وقد شهدت كل حياته، وكل امجاده ـ بأخرة من عمره ـ ويبدو ان حفيده يوحي لنا بذلك أيضا في مقطع طويل، يشكو فيه حظه الاعمى، حيث ان هوىّ الكاتب والسياسي في المصائب قد لحق بكل أفراد الأسرة فيما بعد .

واضح أن هذه السطور لايمكن أن تكون محررة قبل سنة ١٠٤١م التي استقل فيها ابو الاحوص معن بالمرية، والذي رفع اليه كتابه، فماذا عن ابن برد منذ وفاة جده ٤١٨هـ = ١٠٢٧م حتى ذلك الحين ؟

نعثر في المغرب على الخبر . فانه ترك قرطبة الى المرية، وعينه المعتصم وزيرا، بعد ذلك ذهب الى دانية، الى بلاط مجاهد[16]، ومع هذا يجب ان نأخذ هذا الخبر بكثير من التحفظ، فان المعتصم الذي خلف أباه في سنة ١٠٥١م لم يبدأ يحكم بنفسه حتى موت عمه صمادح اي في سنة ١٠٥٤م[17]، وهو تاريخ تقريبي، وربما كان بعد موت ابن برد نفسه في سنة (٤٤٥هـ = ١٠٥٣ ـ ١٠٥٤م)[18] فضلاً عن أن مجاهدا امير دانية توفي في سنة ١٠٤٤م وعلى هذا لابد من تصحيح الخبر الذي جاء في المغرب، فانه من المؤكد انه عاش في بلاط واحد منهما، لان رسالة السيف والقلم رفعها الى مجاهد، ورفع (سر الأدب) الى معين بن صمادح كما ثبت في المؤلفين كليهما، بيد أنه من الحتم ـ كما يقتضي التسلسل التاريخي ـ انه كان في دانية أولا .

لاندرى في أي سنة هجر قرطبة، ربما كان في التاريخ نفسه الذي هجرها فيه جده، أي عندما كان صاحبنا حدثا في ذلك الحين، ومن المحتمل ان يكون بعد ذلك بقليل حين ذهب الى بلاط دانية في حكم مجاهد سنة ١٠٠٩ ـ ١٠٤٤م ثم عاد بعد ذلك الى قرطبة، وقد حفظ لنا ابو الوليد الحميري جزءا من رسالة لابن برد عند قفوله من دانية، قاصدا الوزير والكاتب أبا اسحق بن حمان الذي خرج معه الى ارباض قرطبة متنزها[19] لاندري في اي تاريخ، وقد رأينا أنه في العام التالي ٤٢٧هـ حرر وثيقة البيعة لهشام الثاني المزيف .

نجهل المدة التي مكثها في قرطبة، ربما عاصر بني جهور، أو كان أيضا في خدمتهم، بعد أن تمزقت آماله في عودة الخلافة الى استقرارها، وقد كان هو من المؤكد شديد التحمس لها، ومهما يكن من امر وان كنا لاندري متى ـ فقد وجه الى أبي الوليد محمد بن جهور (ربما قبل أن تصل الى الحكم سنة ١٠٤٣م) رسالته الشهيرة مدافعا فيها عن تفضيل الورد ضد ابن الرومي، حفظها لنا الحميري وهو بدوره مناصر لابن الرومي، وقد كتب ردا يفضل فيه النرجس[20] .

وفي لحظة معينة بعد سنة ١٠٤١م يعلن معن بن صمادح ـ على أية حال ـ استقلاله، فيتوجه الشاعر الى المرية، وتبقى الفقر المريرة في مقدمته لسر الأدب لغزا مبهما الى حد بعيد .

هل كان الكاتب يتحدث عن موقفه عامة تجاه ذكريات ماضي أسرته المجيد في قرطبة الخلافة، أم كان يقصد اللحظة التي كان يكتب فيها، اللهم ان لم يتعد ذلك أن يكون فكرة مطروقة تستهدف ابراز تعارض خذلانه، ونقص ولع الجميع بالأدب، ازاء كرم معن وحبه الشديد للأدب . ولعله قد أمضى ـ في الواقع ـ فترة ما صعبة حتى حظى برعاية الملك ابي الأحوص معن، ونعلم ان ابا ابن برد عاش في آلمرية، الم يكن هو ـ في نهاية الامر ـ هو الذي استدعاه ليقيم الى جانبه؟

ازاء فقر المراجع الشديد، فنحن ندور في ارض الافتراضات المحضة لدينا آخر انباء عن كاتبنا رواها الحميدي الذي رآه في ألمرية بعد سنة ٤٤٠ هـ = ١٠٤٨ ـ ١٠٤٩م عند مروره بهذه المدينة في زيارته لأبي محمد علي بن أحمد مؤلف طوق الحمامة[21]، وروى أن ابن برد توفي في المرية سنة ٤٤٥ هـ = ١٠٥٣ ـ ١٠٥٤م في حياة والده، وعلى هذا لابد أن يكون قد مات قبل اتمام العقد الخامس من عمره، لانه هو نفسه قال : انه كان في سن الصبا الأول حين مات جده سنة ٤١٨ هـ = ١٠٢٧م .

شعر ابن برد الأصغر

لم تبق لنا نماذج كثيرة من شعر ابن برد، ولاتتفق والشهرة التي حظى بها شاعرا، والمقطوعات التي اوردها ابن بسام في مؤلفه الضخم[22] نقل بعضها عنه غيره في منتخباتهم الادبية، فمؤلف الذخيرة لكي يبرز تضلعه هو يروق له أن يشهر بسرقات ابن برد، وسلخه لاشعار غيره من شعراء الأندلس : أبي العباس أحمد بن القاسم[23]، وابن هاني[24] وكذلك من المشارقة : أبي نواس[25]، وابن الرومي [26]، وابن المعتز[27] والمتنبي[28]، والمعري[29].

أما ابن خاقان، فقد قرظ مكانته الشعرية، مستشهدا ببعض النماذج يقول عن شعره : «وشعره مثقف المباني، مرهف كالحسام اليماني»[30]

. . . .

ليس بوسعنا الوقوف على المادة التي كانت لدى ابن خاقان حين الف كتابه «مطمح الانفس» وهو تكملة ـ كما هو معروف جيدا ـ لقلائد العقيان، لكن فيما يمس ابن برد، فانه لايكاد يستخدم مصدرا آخر غير جذوة المقتبس للحميدي، لأن الفقر الاربع القصيرة التي يحتويها موجودة في الذخيرة، اختار منها الحميدي ثلاثا، ونسخها عنه الضبي[31] أما الفقرة الرابعة فهي مأخوذة من الذخيرة، نقلها حرفيا حتى مع كلمات ابن بسام في التقديم، وقد أخذ المقرى في نفح الطيب الفصل الخاص بابن برد بتمامه عن ابن خاقان[32] .

أما الشعر الذي اختاره ابن سعيد في المغرب[33] من بيتين أو ثلاثة فهو مأخوذ كله ـ وباختصار دائما ـ من الذخيرة [34]، وثلاث فقرات موجودة في المغرب نقلها ابن سعيد في كتابه الآخر «كتاب رايات المبرزين»[35] احدى هذه الفقر اختارها المؤلف نفسه ـ في النهاية ـ لكتابه الآخر «عنوان المرقصات والمطربات»[36]، ونقل الشقندي أيضا في السياق مقطوعة من بيتين في مؤلفه «رسالة في فضل الأندلس»[37] .

نثر ابن برد الأصغر

اذا كان ابن برد شاعرا، فليس مكانته ناثرا لدى نقاد الأدب الأندلسيين بأقل، يراه الحجاري ناثرا أفضل من جده ابن برد الأكبر[38]، وقد استحق شعره ونثره التقريظ الحار الذي نعته به ابن بسام في كلمات دقيقة موجزة[39] .

يزهو ابن برد ذاته بمكانته كاتبا عربيا مجيدا، يقدر ماله من نتاج أدبي تقديرا كبيرا سواء في حقل الشعر أو النثر، ولايتحفظ في بسط المسألة[40] وحسب ماصرح به فقد كتب السلطانيات والاخوانيات، فكتابه «سر الأدب وسبك الذهب» يعتبر حسب مابقى منه ـ منتخبات من نثره : فصول متنوعة شديدة القصر في التحميدات تشي بموضوع الكتابات، وتتصدر موضوعاته سياسية واخوانية .

وله كتابات اخرى وقفنا عليها، وهي ذات طابع ادبي محض، فرسالته التي نشرها الأستاذ بيريس PERES وحللها وجدت صدى لدى أبي الوليد الحميري الذي عارضها برسالة أخرى، وادرج الرسالتين في مختاراته البديعة عن الربيع والازهار[41]، وفي هذه المختارات مقطوعة اخرى لابن برد أشرت اليها آنفا [42] فيها وصف جيد لنهر قرطبة وأرباضها جعلت الحميري يعلق عليها بأنها قطعة نثر مقطعة من السحر .

حاشا هاتين الرسالتين، فقد وصل الينا ـ للحظ الحسن ـ ثلاث أخر أولاها بعنوان الرسالة البديعة في تفضيل أهب الشاء على مايفترش من الوطاء . أما الاخريان فسوف أترجمها مدروستين، وألحقهما بهذا الفصل، أولاهما بعنوان، «رسالة السيف والقلم»، والاخرى موجهة الى صديق له، ولم يصل الينا عنوان لها .

استرعى نظر النقاد الاندلسيين فحسب رسالته عن السيف والقلم من بين ثلاث الرسائل التي كانت غير منشورة حتى عهد غير بعيد، وليس في ذخيرة ابن بسام بالذات، أي منها، لكن احد النساخ الأذكياء ـ وشكره واجب ـ ضمها الى الذخيرة[43]، عازيا اهمال ابن بسام لها الى سرعته حين صنف كتابه، وهذه الرسائل موجودة فقط ـ في مخطوطتين من المخطوطات التي رجع اليها محققو الذخيرة، لكنهم جعلوها ملحقة بالمجلد الثاني من القسم الأول .[44]

يروي ياقوت[45] وهو الخبر الوحيد الذي لدينا عن هذه

النقطة أن ابن برد ألف ايضا تفسيرا للقرآن الكريم، ويذكر كتابين له : كتاب التحصيل في تفسير القرآن، وكتاب التفصيل في تفسير القرآن، بيد انهما فيما يبدو عنوانان لكتاب واحد، نظرا لتشابه العنوانين اللذين وردا عن مصادر مختلفة، وهذا يفسر اختلاف الروايات . وغريب - مع ذلك - ان الكتاب الأندلسيين، وبخاصة أصحاب التراجم - الذين قد اهتموا بلا ريب - بهذا الموضوع صمتوا عن ذكر هذا الكتاب، وعن جهد ابن برد مفسرا للقرآن[٤٦] .

رسالة السيف والقلم

حسب مايرويه ابن خاقان[٤٧] فان ابن برد برسالته هذه كان أول من اوضح الفرق بين السيف والقلم، وردد المقرى عبارته[٤٨] مستشهدا في اسهاب بابن خاقان، وكررها نيكل عن المقرى[٤٩]، لكن الاصابة الفاصلة في ذلك أن العبارة للحميدي - وقد رأينا الى أي حد أخذ عنه ابن خاقان في ترجمته لابن برد - وقد رددها الضبي[٥٠] . بيد ان الحميدي - مع ذلك - كان اكثر احتراسا في حكمه حيث أشار فقط الى ان المجادلة بين السيف والقلم في هذه الرسالة لاحراز الاولوية فحسب كان ابن برد فيها متقدما على كل أدباء الاندلس (وهو أول من سبق الى القول في ذلك بالاندلس)[٥١] .

هل عولج هذا الموضوع قبل ذلك في المشرق؟ اشار صديقي العزيز المصري الدكتور محمود على مكي - الذي تفضل بقراءة ترجمتي لهذه الرسالة، وأوضح لي بعض ماغمض منها - الى ان هذه الرسالة من المحتمل أن تكون قد استلهمت الابيات الأولى من قصيدة أبي تمام (بحر البسيط)* التي يمدح فيها الخليفة المعتصم بالله بمناسبة فتحه عمورية، ومستهلها :

السيف أصدق أنباء من الكتبِ ... في حده الحد بين الجد واللعب[٥٢]

ومع ذلك فقد كرر أبو تمام الفكرة في البيت الثاني لكي يصل في البيت الثالث الى تفضيل السيف، وهذا الاستهلال مستوحى فقط من الوقعة الحربية التي يتغنى بها قبل الولوج الى موضوعه الرئيس .

تترددفيها بعد فكرة تفضيل السيف على القلم - دون أن يكون لها نتائج ذات شأن - لدى الشاعر العظيم المتنبي فيما يقوله في ترجمة غرثيه غومث له :

حتى رجعت وأقلامي قوائل لي ... المجد للسيف ليس المجد للقلم[٥٣]

وكما نرى فان أبيات هذين الشاعرين وشعراء آخرين في الشعر الاندلسي[٥٤] تأتي عرضا، دون أن تبلغ الى أن تشكل موضوعا رئيسيا والشاعر نفسه هو الذي يتحدث، متخذا موقفا محددا حين يبدأ نظمه .

أما رسالة ابن برد فانها تشكل - على العكس - وحدة مرسومة بدقة : مقدمة تسوغ المجادلة القائمة بين القلم والسيف، عن فضائل كل منهما، والحوار المتميز بعدم الاعتدال بين هاتين الآلتين في مجال الأدب والحرب، يئولان في النهاية الى المصالحة، كي يصل الى مدح مجاهد الذي كان ذريعة انشئت من أجله الرسالة[٥٥] .

تنضوي رسالة السيف والقلم تحت ضرب من الأدب العربي معروف جيدا بأسم المفاخرة، كتبت على طريقة الحوار، وتشبه أدب المجادلة في اوربا في العصر الوسيط . ومحاولة اعطاء هذه الرسالة - فضلا عن صعوبة هذا النثر المسجوع - صيغة اسبانية كان عذابا شديدا . والرسالة كلها وبخاصة مقدمتها عبارة عن سيل عارم من المجازات المتقابلة، ومترادفات متوالية في استعارات من الصعوبة بمكان أن تترجم الى لغة أخرى، يكثر فيها كما هو طبيعي - الافكار المطروقة - مستعارة - من تلك الافكار المستعملة في الشعر، وفيها وصف الشعر مرات متعددة السيف والقلم وللأسف فان موضوعا له مثل هذه الامكانيات الكثيرة ظل تقريبا موضوعاً بيانيا محضا، ونفتقر في الرسالة هنا لتأملات سرفنتس الرائعة في دون كيخوتي الجزء الأول الفصل ٣٧ - بل في اطار موقف من الحياة نفتقد كل عظمة الكتاب الاسبان الذين عالجوا الموضوع[٥٦] .

ولكون مجاهد الذي رفعت اليه الرسالة عاهلا كان شغفه بالحرب واضحا عبرملكه الطويل فان ابن برد - رغما عنه - جعل الميزان بالقسط، فتعليلاته الحارة المليئة بالحدة موزعة

بالعدل بين بطلي المجادلة اللذين خلع عليهما الصفات الانسانية، وتنتهي بالسلام، مؤكدة أن شرط التفضيل بينهما يرتكز في أن الاثنين مفضلان لدى مجاهد، لكن ابن برد - أديبا بميوله، ومن سلالة أدباء - وجد من الحتم أن يميل لتفضيل القلم، وهكذا نرى أن شعوره بالندم جعله يكتب - في نهاية الأمر - لكي يبرىء ذمته - مدحا للقلم، طغى فيه الحب كل الحب لصديق صناعته، الذي لايفترق عنه، ويكسر الوضع القائم الذي ترك فيه القلم والسيف وعاد - الآن - لايسمح للسيف أن يرفع عقيرته منافحا عن نفسه، وآض حانقا عليه، فلم يخصص له حتى كلمة ود، رغم انه نعته قبل ذلك بنعوت مدح كثيرة، وبعبارات تمجيد هائلة .

هذا التغني بالقلم موجود في الذخيرة[٥٧]، ضمه ابن سعيد بايجاز - في المغرب [٥٨]، ويؤكد ابن سعيد - بالمناسبة - أن الكتاب - الذي يشكل جزءا منه - لابد أنه يقصد سر الأدب - رفعه الى المعتصم (وليس لمعن)[٥٩] وليس ثمة شيء أرق موقعا - ولعله غير صحيح - في نفس أي ملك من ذلك الدفاع عن القلم، (خادم الفكر) كما يلقبه ابن برد مثلما هو في نفس المعتصم، ملك مسالم، محب للآداب، حام لها، الى أي مدى حددت كلمات ابن برد - ابن برد ذاته الذي كان بجانب الأمير الفتى وأثر فيه - سلوك هذا الملك العالم المتواضع في اسبانيا الاسلامية؟

فقر في وصف القلم والمداد والكتاب

الكتاب من حلية الملائكة . قال الله تعالى : (كراما كاتبين يعلمون ماتفعلون)[٦٠] المداد كالبحر، والقلم كالغواص، واللفظ كالجوهر، والقرطاس كالسلك الدواة كالقلب، والقلم كالخاطر، والصحيفة كاللسان . العقل أب، والعلم أم، والفكر ابن، والقلم خادم، ماأعجب شأن القلم، يشرب ظلمة ويلفظ نورا، قد يكون قلم الكاتب أمضى من سنان المحارب، القلم سهم تنفذ به المقاتل، وشفرة تطبق بها المفاصل . اذا أخذ الكتاب شكتهم للكلام، واخترطوا ظبات الاقلام فكم من عرش يثل، ودم يطل، وجبار يذل، وجيش يفل، ولولا القلم ماعبئت كتائب، ولاسريت مقانب، ولاانتضيت سيوف، ولاازدلفت صفوف . على غيث القلم يتفتح زهر الكلم، ماأصوغ القلم لحلي الحكم! قاتل الله القلم، كيف يفل السنان وهو يكسر بالأسنان! فساد القلم خدر في اعضاء الخط (قال ابن بسام : وهذا محلول من قول القائل حيث يقول :

من خط يوما ببرية فسدت ... أصاب اعضاء خطه حذر

رداءة الخط قذى في عين القارىء*

ماكتب على غرار رسالة السيف والقلم

لم يشر أحد من أدباء الأندلس الذين تناولوا هذه الرسالة أية اشارة الى الرسائل التي من المحتمل ان تكون قد احتذت تلك الرسالة، مامدى الشهرة التي بلغتها رسالة ابن برد؟

لايبدو انه حفظت منها نسخ كثيرة حاشا نسخة الذخيرة، وقد قلنا آنفا انها لم تكن موجودة فيما حرره ابن بسام، ربما تكون موجودة في مخطوطة أخرى في اسطمبول[٦١]، لكني اعتقد - في وضوح - أنها حظيت بشهرة داخل الأدب العربي، وربما خارجه .

وبما أن الموضوع يعنيني - وأفكر في العودة اليه - فانني أشير فحسب الى بعض الكتاب - لكن هناك غيرهم - الذين أثرت في مصنفاتهم رسالة السيف والقلم .

أول هؤلاء شاعر بلنسي معروف هو محمد بن غالب الرصافي (توفي ١٩ من رمضان سنة ٥٧٢ هـ = ٢١ من مارس من سنة ١١٧٧م) كتب مقامة نقل الينا ابن الخطيب فقرة منها في وصف القلم، تناولتها بالدراسة في فصل آخر من هذا الكتاب[٦٢] وبما أن المقامة لم تصلنا كاملة فاننا لانسمح لانفسنا بالمغامرة في الحكم على علاقتها برسالة ابن برد، لكني استطيع ان أؤكد - على الاقل التبعية التي لاريب فيها في مدح القلم للكاتب نفسه والذي ترجمته سابقا .

ثاني هؤلاء هو المصري ابن نباتة (٦٨٧ - ٧١٦ هـ = ١٢٨٧ - ١٣١٦م) مؤلف (مغايرة بين السيف والقلم) توجد منها بعض مخطوطات، ونشرت في المشرق ضمن مؤلفات قصيرة أخرى تنضوي تحت نوع المناظرات[٦٣]

وقد استطعت - في النهاية - أن أحصل على رسالة ابن نباتة هذه، لكن قراءة عاجلة لها كانت حسبي لاقف على علاقتها الوثقى برسالة السيف والقلم لابن برد التي أخذ ابن نباتة حتى عنوانها .

ثالث هؤلاء هو الحريزي احد أدباء الاسبان (١١٦٥ - ١٢٢٥) المعروف بكتابه سفر تحكيموني : SEFER TAHKEMONI (وقد عرف أيضا - فيما يبدو - رسالة ابن برد . ففي المقامة رقم ٤٠ من تحكيموني استقبل هيمان خزرجي في احدى الامسيات التي انهكه فيها الألم صديقه العالم حبير هاكيني الذي - بعد الطعام وحمد الله) لام مضيفه لرميه قلمين تحطما عندما تهيأ لنسخ خطبته الرائعة، وفي الحال جلس يكتب مدحا للقلم، راويا حكاية ملك قديم ومحاورته مع وزرائه وقادته بعضهم ينافح عن القلم، وآخرون يفضلون السيف وبالتالي تعاور القلم والسيف والحوار حتى ختمه القلم في النهاية في هذه المقامة ايضا ..

لم تسمح لي - للأسف .. معرفتي باللغة العبرية بقراءة النص في لغتيه الأصلية وهي شديدة الصعوبة، لكني استطعت من خلال ترجمتين لها الى الألمانية احداهما لكرافت[64] KRAFFT في نثر مسجوع، وفي شعر لكي يحافظ على بناء المقامة، وثانيتهما لدوكس[65] DOKES - وكلها في النثر - أن ارى - فضلا عن أن الهيكل مختلف - في صلبهما - أن التعليلات المتناجزة في وصف السيف والقلم سلبا وايجابا تقفو من قريب طريقة ابن برد . ومعروف جيدا أن معرفة الحريزي بلغة العرب وآدابهم معرفة ضخمة قد خولت له أن يترجم الى العبرية احد المصنفات الشديدة العسر وهي مقامات الحريري .

في سنة ١٩٥٢ نشر الاستاذ شيرمان : SCHIRMANN مقالا موجزا بالعبرية من مصادر تحكيموني للحريزي، ولم يشر فيه الى الموضوع الذي يعنينا[66] . وبعد عشر سنوات حينما ظهرت الصفحات السابقة نشر دراسة هامة حول LES CONTES RIMES ليعقوب بن اليعازر الطليطلي[67] عاش في القرن الثالث عشر، مشفوعة بالتحليل . احدى هذه MESALIM الرابعة في المجموعة موضوع عن القلم والسيف، دخل صاحباهما في مناقشة حول تفضيل احدهما على الآخر، وأسبقيته، كي يصل في النهاية، ويعترف صاحب السيف بأن كليهما تابعان لله . وان كان الموجز الذي قدمه شيرمان يحتوي فقط على سطور قليلة[68]، فان هذه الرواية تبدو صدى لرسالة ابن برد مع ختامها بحل الهي . وبعد ذلك يشير شيرمان الى أن المجادلة بين السيف والقلم موضوع يبدو له بكل تأكيد - انه ذو أصل عربي، وكذلك الاطار وهو يشير اشارة سريعة في هامش الفصل ٤٠ من تحكيموني الى ابراهام بيدريسي ABRAHAM BEDERSI محيلا على دراسته المعروفة عن الشعر العبري في اسبانيا وبروفانس[69]

وقد نشر مؤخرا صديقي العزيز فرناندو دياث استيبان دراسة هامة عالج فيها مناظرة القلم والمقص للكاتب المشهور سيم توب دى كاريون SEM TOBDE CARRION، وهي عبارة عن دراسة مكثفة وهامة تأخذ في الحسبان الى حد كبير صفحاتي هذه في الجزء العبري، حيث ترجم - ليس فحسب مناظرة سيم توب - بل أيضا المقامة رقم ٤٠ في تحكيموني التي اوجزتها سابقا، وهي دراسة أحيل عليها القارىء الذي تهمه القضية[70] .

رسالة النخلة

النخلة هي أحد الموضوعات القديمة الى جانب الناقة والطلول الدوارس في الادب الجاهلي . وعندما انتقلت الثقافة العربية من الصحراء الى الحاضرة انتقلت معها الموضوعات التقليدية في الشعر الجاهلي، وليس لهذا علة في البداية - سوى الحنين، وسطوة التقاليد الراسخة في مجمل الأمر .

لانعرف العنوان الأصلي لهذه الرسالة (النخلة) الذي سماها به ناشرو الذخيرة، وهي رسالة مناسبات تدخل في اطار الكتابات الصغيرة ذات الطابع المهرجاني في الأدب العربي، والتي نحتفظ منها بمجموعة كثيرة من تصنيفات أدباء الأندلس . هي عبارة عن رسالة من ابن برد الى صديقه أبي عبدالله، يلومه فيها على انانيته وبخله، لأنه لم يدعه الى الأكل من جنى نخلته .

يبسط الكاتب القول في هذا الموضوع الذي [illegible] سوى تعلة للكتابة ـ المأساة الضخمة في الأد[illegible] العربي الكلاسيكي اللغة الجميلة، وفقر المضمون ـ ب[illegible] كبار الادباء ـ مستعرضا قدرته وتضلعه في رشا[illegible]قة نثره المسجوع .

رسالة كهذه حين تعرى من ثوبها الأصلي، وينقلها الى لغة أخرى غير حاذق لاتكاد تبدو ـ كما يقول العرب ـ الا كلاما فارغا لدى غير المستعربين . هل في وسع حزن الكاتب أن يسوغ كل هذه الصفحات لكونه لم يذق جنى النخلة (غريبة عن وطننا) يقول هذا ليناقض نفسه ـ فيما بعد ـ حينما يتحدث «التمر» المعروض للبيع في الاسواق ؟

ليس مسوغا بمنتهى الوضوح، وحتى من المحتمل ان تكون هذه التعلة الواهية هي فحسب مجرد اختراع، فانه يتأتى معها أن تكون مبالغة ممقوتة، لكن ابن برد ـ مثله في ذلك مثل اغلبية الكتاب العرب في كل العصور ـ كان يشعر بالحاجة الى الكتابة ليفرغ على الورق العبارات البديعة، والكلمات المهجورة، والاستعارات المجنحة، والتعبيرات الذكية، هذا هو المسوغ الاكبر .

سوف يكتب أيضا ـ فيما بعد ـ عن نخلة غرناطية ـ اديب أندلسي هو أبو الحسن الجذامي النباهي (مات في نهاية القرن الرابع عشر الميلادي) مقامة وصلت الينا بعنوان المقامة النخلية، وأتبعها المؤلف بتعليق مسهب[٢١] عن النخلة في الاندلس كتب منذ سنوات الأستاذ هنري بيريس دراسة جيدة جمع فيها كل النصوص الادبية والجغرافية التي استطاع الوقوف عليها[٢٢] . وعليه وفقا لمعلوماته الواسعة بالادب العربي أن يضم اليها رسالة ابن برد هذه التي كانت مخطوطة حينذاك، على هذه الدراسة أحيل القارىء كيلا أبسط القول في موضوع طرقه العلامة المستشرق الفرنسي بأستاذية معهودة فيه .

الهوامش

١ ـ انظر الذخيرة ١/٢ ص ١٨ ـ ٥٢

٢ ـ مطمح الأنفس ص ٢٤، ٢٥

٣ ـ المغرب جـ ١ ص ٨٦ ـ ٩١

٤ ـ ابن بشكوال ـ الصلة . ص ٤٠

٥ ـ الذخيرة ١/١ ص ٨٤

٦ ـ ابن الأبار ـ التكملة حـ ١ ص ١٢٤ . ترجمة رقم ٤٣٥ . خبر مأخوذ بعضه عن ابن حيان . وهذه الترجمة اخذها ابن عبد الملك في الذيل والتكملة جـ ٥ ص ترجمة رقم ١١٧١

٧ ـ البيان المغرب جـ ٣ ص ١٣٢

٨ ـ الذخيرة ١/١ ص ٩٧ ومابعدها .

٩ ـ الذخيرة ١/٢ ص ٥١

١٠ ـ الذخيرة ١/١ ص ٥٦١، وفي نفح الطيب مع بعض اختلاف حـ ٢ ص ٤١٣، وحلل النص هنري بيريس في كتابه عن الشعر الاندلسي ص ٨٦، ويبدو لي غير مرضٍ

١١ ـ المغرب جـ ١ ص ٨٥

١٢ ـ البيان المغرب جـ ٣ ص ١٩٠ .

١٣ A. R. NYKL, HISPANO — ARAbiC poETRY. PP. 121 - 122. ١٣ ـ د . نيكل . الشعر الاندلسي . ص ١٢١ ـ ١٢٢ .

* ترجم صديقي الجليل العلامة الدكتور الطاهر مكي كتاب بيريس «الشعر الاندلسي» الى العربية [المترجم]

١٤ ـ هنري بيريس . الشعر . ص ٤، وهامش ١ . وراجع الذخيرة ١/١ ص ٨٤، ٨٦ . وانظر ليفي بروفنسال : تاريخ اسبانيا الاسلامية (المجلد الرابع من تاريخ اسبانيا باشراف د . مينذث بيدال . مدريد ١٩٥٩) ص ٤٥٦، ٤٨٨ هامش ٣ .

١٥ ـ هنري بيريس ص ٩٤، وقارنه بالذخيرة ١/١ ص ٩٤ .

١٦ ـ المغرب حـ ١ ص ٩١ .

١٧ ـ د . دوزي . بحوث ط ٣ : RECHERCHES³ . حـ ١ ص ٢٤٢ .

١٨ ـ هذا التاريخ يشير ـ كما قلنا ـ الى ترجمة أبيه في التكملة لابن الابار رقم ٤٣٥ .

١٩ ـ راجع . أبو الوليد الحميري . البديع في وصف الربيع . المنشور بعناية هنري بيريس ـ الرباط عام ١٩٤٠ ص ٢٢

٢٠ ـ المرجع السابق، ص ٥٢ ـ ٥٨ . ورد أبي الوليد في ص ٥٨ ـ ٦٧، انظر ايضا هذا الموضوع المشهور . بيريس عن الشعر الاندلسي ص ١٨٤، ١٨٥

٢١ ـ قارن . الحميدي . الجذوة ص ١٠٧، ونقل الضبى في البغية ص ١٥٣، ويسميه في الواقع ـ أبا محمد بن حزم .

٢٢ ـ الذخيرة ١/٢ ص ٣٧ ـ ٥٢

٢٣ ـ = ١/٢ ص ٣٨

٢٤ ـ = ١/٢ ص ٣٩

٢٥ ـ = ١/٢ ص ٣٨ ، ٣٩

٢٦ ـ = ١/٢ ص ٣٩، ٥٠

٢٧ = ١/٢ ص ٥٠

٢٨ ـ = ١/٢ ص ٤١

٢٩ ـ = ١/٢ ص ٥٠

٣٠ ـ مطمح الأنفس ص ٢٤

٣١ ـ راجع المطمح ص ٢٤، ٢٥، والجذوة ص ١٠٧، ١٠٨، والبغية ص ١٥٣، ١٥٤، والذخيرة ١/٢ ص ٣٧، ٤٨، ٤٩، ٥١ .

٣٢ ـ نفح الطيب جـ ٢ ص ٣٦٧ ـ ٣٦٨ .

٣٣ ـ المغرب جـ ١ ص ٩٠، ٩١

٣٤ ـ راجع الذخيرة ١/٢ ص ٣٧، ٣٨، ٤٠، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩ .

٣٥ ـ النص العربي ص ٤١، وترجمته الاسبانية ص ١٨٠ .

٣٦ ـ عنوان المرقصات والمطربات . طبعة عبدالقادر مهداد ـ الجزائر عام ١٩٤٩ ص ٢٢، ٢٣ .

٣٧ ـ نفح الطيب جـ ٢ ص ١٣٣، وراجع فضل الاسلام الاسباني . ترجمة اميليو غرثيه غومث . مدريد، غرناطة عام ١٩٣٤ ص ٦٥

٣٨ ـ المغرب جـ ١ ص ٩١

٣٩ ـ قارنه بما يأتي ص ٥٤ .

٤٠ ـ أنظر خاصة الملحق ص ٥٥، ٥٦ .

٤١ ـ انظر ماسبق ص ١١

٤٢ ـ انظر ماسبق ص ١٠، ١١

٤٣ ـ راجع الذخيرة ١/٢ ص ٥٢ هامش ١

٤٤ ـ الذخيرة ١/٢ ص ٤٣٥ ـ ٤٤١ .

٤٥ ـ معجم الأدباء جـ ٥ ص ٤١ ـ ٤٣ .

٤٦ ـ ينبغي أن يضاف الى المصادر المدروسة تلك المصادر التي ذكرها هنري بيريس في «الشعر في فاس على عهد المرابطين والموحدين» في مجلة هسبريس عدد ١٧ عام ١٩٣٤ هامش ١ ص ١٥ . ولم تقل تلك المصادر شيئا جديدا . لم استطع استشارة المخطوطات ولا كتاب أحمد ضيف . بلاغة العرب في الاندلس . القاهرة عام ١٣٤٢ هـ .

٤٧ ـ مطمح الأنفس ص ٢٤

٤٨ ـ نفح الطيب جـ ٢ ص ٣٦٧ .

٤٩ . HispoNo ARAbic PoETRY . P 122

٥٠ ـ البغية ص ١٥٣

٥١ ـ الجذوة ص ١٠٧ .

* وهم الاستاذ جرانخا في عزوه بيت ابي تمام الى بحر الطويل وعدلناه في المتن [المترجم]

٥٢ ـ ديوان ابي تمام بشرح التبريزي . تحقيق محمد عبْده عزام . القاهرة سنة ١٩٥١ . جـ ١ ص ٤٥ . وعن عمّورية المعروفة قديما باسم AMORiUM . راجع دائرة المعارف الاسلامية ط ـ ٢ ص ٤٦٢ . مقال (م . كانارد) .

٥٣ ـ اميليو غرثيه غومث . خمسة شعراء مسلمون ص ٥٧، وراجع ص ٤٧، ٤٩ التي يشير فيها الكاتب الى ازدواجية السيف والقلم في شعر المتنبي [ترجم هذا الكتاب ترجمة جيدة الى العربية صديقي العلامة الدكتور الطاهر مكي ـ المترجم]

٥٤ ـ انظر عن هذه القضية : الشعر الأندلسي لاميليو غرثيه غومث . حول خسوف الشعر في اشبيليه على عهد المرابطين في مجلة الأندلس عدد ١٠ سنة ١٩٤٥ ص ٣١٨ حيث يشير الى ابن برد . وكذلك هنري بيريس في كتابه الشعر الأندلسي ص ٤٣٦، ٤٣٨ .

٥٥ ـ لم تنته رسالة ابن برد بانتصار القلم كما يقول بيريس في «الشعر في فاس .. ص ١٥» المذكور سابقا في هامش ٤٦ .

٥٦ ـ لم ينته الموضوع . لكن من المفيد ـ من حيث البداية ـ الرجوع الى مقال غونثالو مينذث بيدال «الاسلحة والآداب» في مجلة الاسكوريال عدد ٤٢ سنة ١٩٤٤ ص ٢٢٧، ٢٤٤ .

٥٧ ـ الذخيرة ١/٢ ص ٢٨

٥٨ ـ المغرب جـ ١ ص ٨٧، ٨٨

٥٩ ـ المرجع السابق جـ ١ ص ٨٦

٦٠ ـ القرآن الكريم سورة الانفطار . آية ١١، ١٢ .

* [ ] مابين معقوفتين ليس في الترجمة الاسبانية وقد رأينا نقله [المترجم] .

٦١ ـ من بين عناوين المؤلفات التي أجهل مسقط رأس كتابها والعصر الذي عاشوا فيه، والذين يوجدون في ملحق جال، يذكر بروكلمان مفاخرات السيف والقلم لمحمد بن احمد الكاتبي الأندلسي (قارن ملحق حـ ٢ ص ٩١٠ رقم ٥٣ والتي ينبغي بلا ريب أن تكون الرسالة التي نتحدث عنها والتي اعتور عنوانها وبخاصة اسم كاتبها التغيرات الشرقية المعروفة ويجب أن نتعود عليها حينما يتعلق الأمر بمؤلفات وكتاب أندلسيين .

٦٢ ـ سياتي في الفصل الخامس ص ١٣١ ـ ١٣٧

٦٣ ـ مناظرات في الادب . طبعة عزت العطار ـ القاهرة ١٩٣٢، وملكتبه «ابن نباته يستغرق من ص ٥ ـ ١٩ .

٦٤ ـ VIEZIGSTE MEKAME . SCHWERT UND FEDER SIN- DIM STEITE, - WER DEN GROSSTEN NUTZEN BEREIT, EN LITERATWRBLATT DES ORIENTS, 1840, HEFT 13, PP . 196- 198, HEFT 14, PP 213 - 215 .

٦٥ ـ FEDER UND SCHWERT STREITEN, WER DEN MENSCHEN UND IBREN KRIEGEN MEHR BEDURFNISS ist, EN LEOPOLD DUKES, EHRENSAULEN UND DENK- STEINE ZU EINEM KUNFTIGEN PANTHEON HEBRAIS - CHER DICHTER UND DICHTUNGEN, WIEN 1873, PP 92 - 94 . واشكر الآنسة اورسولا جارتنير اهتمامها وعنايتها الكبيرة أن امدتنى بصورة من هاتين الترجمتين .

جارتنير اهتمامها وعنايتها الكبيرة ان امدتنى بصورة من هاتين الترجمتين .

٦٦ ـ H . SCHIRMAN, L - HEqER mqOROTAU SEL SEFER HA - TAHKMONIL - YHUDA AL - HARIZI, EN TARBIZ, 23, 3 - 4 (1952) PP 198 - 202 . كل هذه الفقرة حتى الاستشهاد الذي يليها اضفته الى هذه الصفحات التي كانت قد ظهرت من قبل في سنة ١٩٦٠ .

٦٧ ـ EN ETUDES D, ORIENTALISME DEDIEES A LA MEMOIRE DE LEVI - PROVENCAL, PARIS 1962, 11, 285 - 297 .

٦٨ ـ المرجع السابق ص ٢٨٨

٦٩ ـ المرجع السابق ص ٢٩٣ وهامش ١٢، وعن ابراهام بيدرس (القرن : ١٣) وعلاقته بالموضوع انظر المؤلف الذي اذكره في الهامش التالي ص ٨٤، ٨٥ .

٧٠ ـ دياث استيبان «مناظرة القلم والمقص» ليم توب اردوتيل، ودون سانتودى كاريون . في مجلة جامعة مدريد مجلد ١٨ . عدد ٦٩ [١٩٦٩] ص ٦١ ـ ١٠٢ .

٧١ ـ عنوان الكتاب . مقامة وتعليق هو : كتاب البصائر والابصار محفوظ في مخطوطتين في مكتبة الاسكوريال، ولدىّ مقامة النباهي مترجمة ونشرها ماركوس جوزيف مولر في BEITRAGE ZUR GESCHICHTE ARABER, MUNCHEN 1866, PP . 139 - 159 . لكني تركتها دون نشر؛ لان الدكتور مكي اخبرني ان لديه مخطوطا آخر مغربيا ويفكر في نشر طبعة جديدة وكاملة لها .

٧٢ ـ هنري بيريس . النخلة في اسبانيا الاسلامية، NOTES D'APRES LES TEXTES ARABES, EN MELANGES GAUDEFROY - DEMOMBYNES, CAIRO, 1935 -1945 PP . 225 - 239 .

* * *

رسـالة في السيف والقلم كتبها الى المـوفق ابي الجيش مجاهد .

يقول فيها : اما بعد حمد الله بجميع محـامده وآلائـه، والصلاة على خاتم انبيائه، فان التسابق من جوادين سبقا في حلبة، وقضيبين نسقا في تربة، والتحاسـد من نجمين انـارا في افق، وسهمين صـارا على نسق، والتفـاخر من زهرتين تفتحتا من كمامة، وبارقتين توضحتا من غمامة، لأحمد وجوه الحسد وان كان مذمومـا مع الأبـد، وربما امتـد أحد الجـوادين بخطوة، أو خص احـد القضيبين بربوة، أو كان احد السهمين أنفذ مصيـرا، أو راح أحد النجمين اضوأ تنويرا، أو غدت احدى الزهـرتين أنـدى غضارة، أو أمست احدى البارقتين اسنى إنارة، فالمقصر يرتقب تقدما، وتقارب الحالتين في المجـانسة، يشب نـار المنافسة، وان حال بينهما قـدح النقاد، وقبـح تحاسـد الأضداد .

وان السيف والقلم لما كانا مصباحين يهديان الى القصد، من بات يسرى الى المجد، وسلمين يلحقان بالكواكب، من ارتقى لساميات المراتب، وطريقين يشرعان نهج الشرف لمن تقرى اليه، ويجمعان شمل الفخـر لمن تأشب عليـه، ووسيلتين يرشفان العلى فم عاشقها، ويبسطان في وصال المنى يد وامقها وشفيعين لايؤخر تشفيعهما، ومجمعـين لايفرق تجميعهما جررا أذيال الخيـلاء تفاخـرا، وأشما بأنف الكبرياء تنافرا، وادعى كل واحد منهما أن الفوز لقدحه، وان الدر من اصدافه، وان البكر من زفافه، وان البناء من تشييده، وان الملاء من تعضيده، وأن كباء الثناء موقوف عـلى مجامـره، وأن خطيب الفخـر محبوس عـلى منابره، وان حلل المآثر من نسيجه، وأن أفراد المفاخر من تزويجه، وحين كشف الجدال قناعه، ومد الخصام ذراعه، وهز الاباء من عطفه، وأشم الأنف من انفه، قاما يتباريان في المقال، ويتساجلان في الخصال، ويصف كل واحد منهما جلال نفسه، ويذكر فضـل ماأجتنى من غـرسه، ويبـأى بمنقبة نافرت السها، ومرتبة ريضة خيسها ورياسة من ذوائب الجوزاء صادها، ونباهة في صهوة العيوق أفادها .

فقال القلم : ها! الله أكبر! ايها المسائل بدءا يعقل لسانك ويحير جنانك وبديهة تملأ سمعـك، وتضيق ذرعك، خـير الاقـوال الحق، وأحمد السجـايا الصـدق والأفضل من فضله الله عز وجل في تنزيله، مقسما به لرسوله، فقال : «ن . والقلم ومايسطرون»، وقال «أقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم» . فجل من مقسم . وعز من قسم! فماتراني وقـد حللت بين جفن الايمـان ونـاظره، وجلت بـين قلب الانسان وخاطره، لقد أخذت الفضل برمته، وقدت الفخر بأزمته .

فقال السيف : عدنا من ذكر الطبيعة الى ذكر الشريعة، ومن وصـف الخصلة الى وصف الملة، لااسر ولكـن اعلن، قيمة كل امرىء مايحسن، ان عاتقا حمل نجادي لسعيد، وان عضداً بات وسـادي لسديد، وان فتى اتخذني دليله لمهدي، وان امرأ صيرني رسيله لمفدى، يشق منى الدجى بمصباح، ويقابل كل باب بمفتاح، افصح والبطل قد خرس وابتسم والأجل قد عبس، أقضي فـلا أنصف وامضى فلا اصرف، ازرى بالوفاء، واهتك اللأمة هتك الرداء!

فقال القلم : نعوذ بـالله من الحور بعـد الكور، وقبحـا للتحلي بالجور! و[الخيانة] تسود مابيض الصفاء، وتكدر ماأخلص الاخاء، وتؤكد أسباب الفتن، وتضرب بقـداح الحق ابلج، والباطل لجلج ان .. [تأبى النصفة] فانها في قدحها لمأمونة الطائر، محمودة الباطن والظاهـر، أحكم فأعدل، وأشهد فأقبل، وترحل عزماتي شرقا وغربـا ولا ارحـل، اعـد فـأني وأستكفي فـأكفي، أجلب الغنى من ضروعه، وأجتنى الندى من فروعه، وهل أنا الاقطب تدور عليه الدول، وجواد شأوه يدرك الأمل، شفيع كل ملك الى مطالبه، ووسيلته الى مكاسبـه، وشاهـد نجواه قبـل كل شاهد، ووارد معناه قبل كل وارد .

فقال السيف : يالله! استنت الفصال حتى القرعى! ورب صلف تحت الراعدة، لقد تحاول امتدادا ببـاع قصيرة، وانتفـاضا بجنـاح كسيـرة، أمستعـرب والفلس ثمنـك، ومستجلب وكل بقعة وطنك؟ جسم [عار] ودمع بار تحفى فتنعل بريا، حتى يعود جسمك فيأ، ان الملوك لتبادر الى دركي ولتتحاسد في ملكي، ولتتوارثني على النسب، ولتغالى في عـلى الحسب، فتكلّلني المرجـان وتنعلني العقيـان،

وتلحفني بخلل كحلل، وحمائل كخمائل، حتى ابـرز براز الهندي يوم الجلاء والروض غب السماء .

فقال القلم : من ساء سمعا ساء اجابة : استعيذ بالله من خطل ارعيت فيه سوامك وزلل افتتحت بـه كلامـك! ان ازدراءك بتمكن وجـداني، وبخس اثـمـاني، لنـقص في طباعك، وقصر في باعك، الا وان الذهب معدنه في العفـر، وهو أنفس الجواهر، والنار مكمنها في الحجر وهي احدى العناصر، وان الماء وهـو الحياة اكثـر المعايش وجـدانا، واقلها اثمانا، وقلما تلفي الاعلاق النفسية، الا في الامكنة الخسيسة . واما التعري، فغنينا بالجمال عن جرّ الاذيال، وهل يصلح الدر حتى يطرح صدفه، او يبتهج الاغريض حتى يشذب سعفه، أم يتلالا الصبح حتى تنجلي سدفه، ان الضحـاء للرجال معـروف، وان الخفر عـلى النسـاء موقوف، ولولا جلاء الصياقـل صداك لاسـرعت ذهـابـا، وعدت مع التراب ترابا .

فقال السيف : جعجعة رحى لايتبعها طحن، وجلجلة رعد لايليها مزن، في وجه مالك تعرف إمرته، وجه لئيم، وجسم سقيم، وغـرب يفل، ودم يـطل، ودموع سجـام، كـأنهن سخام، وراس لم يتقلقل فيه لب، وجوف لم يتخضخض فيه قلب، أوحش من جوف العير يشهد عليه كثرة الجور بقلة الخير، فهب من نومـك، وأفطر من صـومك، وتحكم بطرف نظار، في جسم ماء وحلة نار . ان انتضاني جاهل، أوهمته أني سائل، ففر خـوفا أن يغـرق، وولى حذرا ان يحتـرق في بحر زبـده الشُعل وبـرق سحَابـه الخلل، لو انتضيت والشمس كـاسفـة لم ينـظر وقت تجليهـا، او السنون مجدبة ايقن بالحيا راعيها، قـد خط الفـرند في صفحتي امثال صغار الخيـلان، في البيض من صفحات الحسان، اكرع يوم الوغى في لبة البطل، فـأعود كالخـد كسى صبغ الخجل، كأنما اشتملت بالشقيق، أو شربت ماء العقيق .

فقـال القلم : ان كنت ربما فقـد لاقيت اعصارا، مـاكل بيضاء شحمة، ولاكل سوداء تمرة، ان ماءك السائل لجامد، وان جرحك الملتهب لبارد، ولن يغرق فيـه حتى تكرع في السباسب العطاش، ولن يحترق به حتى يقع في نار الحباحب الفراش، فأقصر عن جفنك من العمى رواقا، واحلل من خصرك للجهل نطاقا، يسفر البلاء لك عن قضيب عاج، ولسان سراج، وقدح ورق جلل بالعقيـان، وحلة نرجس فوق جسم اقحوان، لليـل في فوديـه لطخ، وللمسـك في صدغيه نضـخ، أنجلى عن المهـارق، انجلاء الغمـام عن الحدائق، وأرقم في بطون الصحف، مالايرقم الـربيع في الروضة الأنف، من منمنم يختال بين مسهم، ومعضد فوق مسرد .

ولما كثر تعارضهما، وطال تراوضهما، وقابل كل واحد منهما بجمعه جمعا، وقرع بنبعه نبعـا، ولم ينثنِ احد الصـارمين كهاما، ولا ارتدَّ أحد العارضين جهاما، تبادرا الى السلم يعقدان لواءها، والى المؤالفة يردان ماءها، وقالا : ان من القبيح ان تتشتت اهواؤنا وتتفرق آراؤنا، وقد جمعنا الله في المألف الكريم، وأحلنا بمحل غير ذميم، بأعـلى يد نـالت آمالها، ووافت المطالب في أوطانها، ولم تقابل بابا مغلقا الا فرعته، ولاحجـابا مضلعـا الا رفعته، ولاجـدّاً عاثـرا الا اقالته، ولا املا غائرا الا أسالته، تلك يد الموفق أبي الجيش مولى المعالي ومسترقها، ومستـوجب المكارم ومستحقهـا، العاقد لواء المجد بـذوائب السماك، والمـطل بنخره عـلى الافلاك ـ والمقدم اذا احجمت الأبـطال، والضاحـك اذا بكت الآجـال، والساري الى العليـاء اذا ادلج الكـرام، والمسهد في الآراء اذا هجد الانام، والطالب ثـأر العديم بجوده، والمشفع النيل بمزيده، والمسعف لميعاده، والمخلف لايعـاده، والمجـري في ذاويـات الهمم مـاء، والمـطلع في ظلمات الآمال سناء، فاذا قد عدل بيننا بحكمه، يوم وغاه ويـوم سلمه، فجـاوز بك حـد المسالمة، وجـاوز بي حـد المشارسة، ولم يثنـك حتى بلغ منـاه، ولم يثنني حتى وافق [هواه] ولم يقصر بي عن غاية بلغك اليها ولم يقدمك الى مرتبة اخرني عنها، فـأجمل رداء نـرتديـه، وأفضل حـذاء نحتـذيه، وأهـدى سبيل نقصـده، وأصفى منهـل نـرده، مؤالفة نجرر ذيلها، ونميل ميلها، ومعاشرة نتجانى ثمارها، ونتعاطى عقارهـا، ذنوب نخـلي اوطانها، ونهدم بنيـانها، ودمن نعفي دمنها، ونرد في أجفانها وسنها .

ثم قال القلم : ان مما نبرم به عقدنا، وننظم عقدنا ويستظهر به بعضنا على بعض، ان حالت حال، كان للدهر انتقال، أن نخط كتابا مصيبا يكون لنا منابا وعلينا رقيبا، فقد يدب الدهر بعقاربه، بين المرء وأقاربه، ويسعى بالنميمة، بين الفرعين من الارومة .

فقال السيف : أنت والبيان، وجرياً والميدان، فقال القلم : ان النثر في ذلك مثل يسير، وان الشعر في ذلك ذكر خطر، وانه لشدو الحادي، وزاد الرائح والغادي، واختاره على النثر تنويها بالذكر فقال :

قد آن للسيف الا يفضل القلما
مذ سخرا لفتى حاز العلى بهما
أن يجتنى المجد غضا من كمائمه
فانما يجتنى من بعض غرسهما
ماجاريا أملا فوافيا أمداً
الا وكانت خصال السبق بينهما
سقاهما الدهر من تشتيته جرعا
ولليالي حروف تقطع الرحما
حتى اذا نام طرف الجهل وانتبهت
عين النهى قرعا سنيهما ندما
راحا بكف أبي الجيش التي خلقت
غمامة كل حين تمطر النعما
فعاد حبلهما المنبت منعقدا
وراح شملهما المنفضّ ملتئما
ياايها الملك السامي بهمته
الى سماء علا قد اعيت الهمما
لولا طلابي غريب المدح فيك لما
وصفت قبل علاك السيف والقلما
وانما كان تعريضا كشفت به
من البلاغة وجها كان ملتثما .

رسالته في النخلة

أما بعد : جعلك الله من المؤثرين على أنفسهم والموقين شحها، والمنجزين لمواعيدهم والمعطين صدقها فقد علمت ماسلف لنا في العام الفارط من عتابك ولبسنا شكته من ملامك، لماكتمتنا صرام النخلة التي هي بأرضنا احدى الغرائب، وفريدة العجائب، هربا من أن نلزمك الاسهام في رطبها، وحرصا على تمام لذة الاستبداد بها، وقلت، وقد سألناك من جناها قليلا، ورجونا أن تنيلنا منها ولو فتيلا : «لو علمت أن لكم به هذا الكلف، واليه هذا النزاع، لامسكته عليكم، وجعلت حكم جداده، اليكم، ولكنها ان شاء الله في العام الآنف غلتكم، عتاد نفيس لكم وذخر حبيس عليكم .

فأما نحن فرسمنا تلك العدة في سويداوات قلوبنا، ووكلنا بها حفظة خواطرنا، وأما أنت فهلت عليها التراب، وأسلمتها الى يد البلى، حتى اذا اخذت الارض زخرفها، وازينت زينتها، وبلغت غايتها، وأشبع القمر صبغها واحكمت الشمس نضجها، دببت اليها الضراء بصرامك، ومشيت نحوها الجهر بجرامك وتحكمت فيها تحكمه في عنيزته، ولما رأينا على ذلك طلائع الرطب في الاسواق والجنى من بكر النخيل على الاطباق، هزت جوانحنا ذكر العدة، وقلقل أحشاءنا حذر الخيبة، فركضنا الهماليج الى حرمتك، وجعلنا نشتد طمعا في لقائك، فلما غشينا الجهة تلقانا فتى وضاح الجبين آخذ بالعيون، في وجهه للادب شاهد، وبين عينيه من الظرف رائد، فقال : «بأبي أنتم، وعين الله تكلؤكم حيث كنتم، اراكم ناشدى ضالة او مستدركى سيب فائت، فاسألوا فربما سقطتم على الخبير، وشاوروا فالمشورة تفتح غلق الامور» فقلنا له : «بآبائنا أنت! إنا لنرجو بيمن لقياك ظفرا بالمطلب، ونجحاً في المذهب . جارك وصديقنا الذي نحن تلقاء منزله، وفي حاشية محله، وعدنا منذ عام بان يسهم لنا في جنى نخلة لديه، لم تتفقأ تربة هجر عن مثلها، ولاأوت قماري بصري الى شكلها، فجئناه لناكل منها وتطمئن قلوبنا، ونعلم أن قد صدقتنا، ونكون عليها من الشاهدين» .

قال الفتى : «ياالاخواني في الخيبة، وشركائي في فوت الامل! أنا ساكن المحلة التي منبت هذه النخلة في ساحتها، وقد صرمها منذ خمسة عشر يوما، ولقد كنت قبل صرامها أمنحها نظر العاشق الى المعشوق، فاذا رأت الطير وهي على سعفها ما أواصل اليها من لحظاتي، وأتابع عليها من زفراتي، رمتني بأفراد من رطبها أحلى من شفاه العذارى، وأنا اليوم أبكى منها ربعا خاليا، وبعد ثالثة أغدو عنها جاليا» .

فما هذا الخيس أبا عبدالله بعهدك، وماهذه الربدة في وجه عدوّك، وماهذا الاستئثار على اخوانك المؤثرين لك؟ ان كنت لم تحضرنا يوم صرامها لنحتكم على قولك فيها، ونأخذ معك بأجزل الأقسام منها، فالعذر لايضيق عنك، واللوم لاينبسط اليك . هات مما ذخرته لساعات تفكهك، اسهم لنا فيما اعتدته ليوم نوروزك . لم يكن جناها بنزر فيتقسمه الاهداء ولا بدون فتطيب عنه النفس . ولاتخش منا ما افسد به [ابن الزبير عماله]، حين قال لهم «أكلتم تمري وعصيتم أمري» اذا نحن أكلنا منها فمرنا نناصب عنك اعداءك برا وبحرا، ولانعص لك امرا، جعلنا الله فداك، نحن عصابة نتحلى بأدب، وننتمي الى حفظ غريب، وصياغة قريض . وربما لم تصدق في هذا الطريق مضاءنا، ولاقبلت يقينا غَناءنا ، فأردنا أن نصف لك شيئا من كلام العرب في النخل وبدء نباته، والتمر وتلوّن حالاته، فان سرّك ماجئنا به وراقك ماأفضنا فيه، جعلت جوائزنا تمرا، وكان ذلك لنا اجرا!

نعم، تقول العرب لصغار النخل : الجثيث، والوديّ، والهراء، والفسيل، والأشاء، والكافور، والضمد، والإغريض، فاذا انعقد سمته السياب، فاذا اخضر قبل أن يشتد سمته الجدال، فاذا اعظم فهو البسر، فاذا صارت فيه طرائق فهو المخطم، فاذا تغيرت البسرة الى الحمرة فهي شقحة، فاذا ظهرت الحمرة فهي الزهو وقد أزهى، فاذا ابدت فيه نقطة من الارطاب قيل قد وكت، هي بسرة موكتة، فاذا أدرك حمل النخلة فهو الإناض، فاذا اتاها التوكيت من قبل ذنبها فهي مذنِّبة فاذا ابلغ الارطاب نصفها فهو المجزع والمجزع لغتان، فاذا بلغ ثلثيها فهي حلقانة فاذا جرى الارطاب فيها كلها فهي مُنسبِتة .

فيا أبا عبدالله أمجدنا رطبا، نمجدك خطبا، هذا قليل من كثير، وثماد من بحور وليس يطيب وصفنا نظما ونثرا لمناقب هذه النخلة الا بعد اختيارنا منها، وفوز قداحنا بها، اذا أنت فعلت فكلفنا فيها خاصة ماتكلفه عمرو بن بحر الجاحظ في نخل الدنيا عامة ناتك به، ونربي فيه عليه، ولعلك تحب أن تسمع شيئا من منظوم الكلام في النخل يذيب من جمودك، ويولد عقيم جودك، فالمنظوم خداع بحسنه، مستميل ببطنه، أنشد الاصمعي لأبي الغفار الرياحي :

غدت سلمى تعاتبني وقالت	رأيتك لاتريغ لنا معاشا
فقلت لها أما تكفيك دهم	اذا أمحلت كن لنا رياشا
بوارك مايالين الليالي	ضربن لها وللأيام جاشا
اذا ماالقاريات طلبن مدت	بأسباب ننال بها انتعاشا
ترى أمطاءها بالبسر هدلا	من الألوان ترتعش ارتعاشا

هذا وانا لنخش انك أزيد تماديا في امرك، وأعظم شحا على تمرك، اراغة المعاش ومعالجة الاقتيات . فقال لها . في النخل التى رزقنا الله كفاف من العيش كاف، وبلغة من القوت مقنعة ثم أعظم من أمرها بدنو طعامها في الجدوب، وصبرها لتصرف الليالي والأيام، وماترى أرسل هذه الابيات على ألسنتنا إلاشيطان قد شكا اليك عسرة، فأنلته بسرة، فهو يحب ابقاءنا عندك، ودفع متطفلي الاخوان عنك، فلعن الله الشيطان وأعاذنا منه، وصلى الله على محمد ولاصدنا عنه، فانه يقول : «نعمت العمة لكم النخلة» والخطاب لجميع المسلمين وأنت قد استوليت على عمة من عماتهم تستبد بخيرها دونهم، وتمسك معروفها عنهم . ونحن رجال من بنى أخيها أتينا نعتفيها، فان أنت سويتنا مع نفسك فيما تدر به عليك، وتملأ منه يديك، والاّ نافرناك الى السلطان، وألبنا عليك أبناء الزمان، ونستغفر الله ونسأله أن يبدلنا من بخلك نوالا، وبمطلك اعجالا!

ملحق

حفظ لنا ابن بسام في الفصل الذي خصصه لابن برد الأصغر في

الذخيرة بعض فقر من كتابه سر الأدب وسبك الذهب، أنقله فيمايلي :

قال ابن بسام :

كان أبو حفص بن برد الأصغر في وقته فلك البلاغة الدائر، ومثلها السائر، نفث فيها بسحره، واقام من أودها بناصع نظمه وبارع نثره، وله اليها طروق، وفي عروقها الصالحات عروق، اذ كان جدّه أبو حفص الأكبر واسطة السلك . وقطب رحى الملك بالحضرة العظمى قرطبة . وقد فخر أبو حفص هذا بذلك في كتابه الموسوم بـ «سر الأدب وسبك الذهب» من ارجوزة يقول فيها .

ياطالب الدنيا بأقصى الجهد	اسع بجد منك لا بكد
من شاء خبري فأنا ابن برد	حد حسامي قطعة من حدى
أرفع الناس بناء جدى	من نظم الالفاظ نظم العقد
ونقد الكلام حق النقد	وكف بالاقلام ايدي الاسد
به استضاء في الخطوب الربد	كل امام وولى عهد ...

فصول مقتضبة من كتابه المذكور :

قال في صدره أما بعد، فان الله تعالى ـ وله الحمد ـ جعلنا أهل بيت أشرب حب صناعة الكلام نفوسهم، وشغل بطلب البيان والتبيين قلوبهم، فغذانا بالبحث عن الاصول، على حسب ماوهب الله تعالى لنا من المعرفة، وسهل علينا من الحزونة، حتى عرفنا المقسوم لنا منها فتفقهناه، وفهمنا المنعم به علينا فأحكمناه، ثم انعطفنا على الفروع فذهبنا مع فنونها واستكثرنا من عيونها، ثم انا لما رأينا أن الاصول قد اخترناها زكية المنابت طيبة المغارس، وأن الفروع قد لويناها لدنة الأفنان عذبة [الجنى]، ترامت بنا آمالنا الى أن نجتني من زهرتها ونطعم من ثمرتها، فرأينا أن نمد يدا الى غرس قد ابرناه حتى بلغ اناه، فنقطف من خياره! ونتأنق في اختياره، وآصبحنا بعد نرمى اغراض الكلام بأسهم أزرها التسديد، ونعقل مناظم القول بألسن بريء منها التعقيد، ونذيب من المنثور جداول النطاف، ونجمد من المنظوم جواهر الأصداف، وكان جدى أحمد بن برد ـ رحمه الله ـ بطول ممارسته لهذه الصناعة برخاء اللبب والنهمة في الطلب، ودعة الزمان واقبال السلطان، ومسافة العمر الممتدة له، قد اقتعد سنامها، ورفع اعلامها، وأصبح امامها، وزين أيامها، وركب وسط مساقها، واحرز قصب سباقها .

وفي فصل منه :

فاني وافقت أول معالجتي لهذه الصناعة آخر أيامه، وأوان بتات عمره وانصرافه، خلا أنه ـ عفا الله عنه ـ ولما يحل المقدور به، قد كان أقبسني مصابيح من وصاياه فيها، ووطأ لي مراكب من دلائله اليها، وضرب لى صوى من هداياته نحوها، أفاد الله بها نفعا، وأوسع معها ارشادا . ثم ان الايام اثر مصابه وبعد ذهابه باكرتني صروفها، وشغلتني برقع خروقها، ومكابدة ضيقها، وسوق الأدب قد كسدت، وجمرة السلطان قد همدت، والعى أمضى من البيان، والاساءة أحمد من الاحسان، وأقلامنا يومئذ في عطلة، ومحابرنا في عقله، وكتبنا تحت موجدة، وحينئذ قلت :

قرعنا بالكتابة باب حظ	لندخله فزاد لنا انغلاقا
فلم تبلغ ببلاغتنا مناها	ولاامدّ المداد لنا ارتفاقا
ولاراحت تقرطس بالاماني	قراطيس أجدناها مساقا
وقلمت المطالب من حداها	لنا اقلامنا ساقا فساقا
فلاهطلت على الآداب مزن	ولابرحت اهلتها محاقا
وعوضنا بماندريه . جهلا	لعل السوق مدركة نفاقا .

فمازلنا مع الخطوب مساجلين، ولصروف الايام مناضلين، فيوم لنا ويوم علينا، حتى اذا اراد الله أن يحيى لهذه الصناعة رسما، ويعيد لها دولة واسما، ويرفع سائر العلوم من التخوم الى النجوم، وفنون الآداب من التراب الى السحاب، طرف جفن السعد الباهت، وارتد نفس الجد الخافت، ولقى عثرة العلم مقيلها، ودولة الجهل مديلها، ونخوة الباطل مزيلها، ورسوم الغباوة محيلها، وقداح البلاغة مجيلها، ورفعت لي سجوف الأماني عن الملك اليماني غُرّة كندة التي تضحك عنها، وهضبة تجيب التي تأوي اليها، الأحوص معن بن محمد أيده الله كما ايد الحق، وصدقه وعده كما احيا الصدق، فوصلت به سببى، ولويت

بقوى أطنابه طنبي، ورأيت به للحلم جبلا موطودا، وللديانة ظلا ممدودا وللتقوى حبلا مشدودا، وللعلم بحرا طموحا، وللأدب روضاً مجودا مروحاً. ولم يزل منذ اعتصمت بحرمته، واعتزيت الى خدمته، يقبل عليّ في مجالسه المأنوسة باللحظ واللفظ، ويكسبني بمنازعة الأدب شرف المرتبة والحظ، فأتمرن على تثقيفه وتقويمه، وأتضمر عن رياضته وتعليمه، وتلزّني هيبة كماله وروعة جلاله الى شحذ سجاياي وجمع قواي، واجتناب الخطل في ايوانه، والزلل في ميدانه، فلا ترى شيئا أشبه به في التفضل وبي في التقبل من قول حبيب:

نرمى بأشباحنا الى ملك ... نأخذ من ماله ومن أدبه

والبلاغة وان كانت من فنون العلم أرق مااسترق، وألطف ماغرف، وأيسر مابه حاضر، ؛ وأقل ماامل، وأوهن ماخزن، وأدنى مااقتنى، فله كلف بانتقادها شديد، وصوت في معرفة نقادها بعيد، وقد خلص بيمينه العالية جوهر الكلام من أخباثه، وممر القول من انكاثه، في غير ماكتاب منتم الى البلاغة معلم في الكتابة، فجاء بالصواب حاسرا، وبيان الحقيقة سائرا، وفي هذا النقد سقط العشاء بمن سقط على السرّحان، وفيه أساء من أحسن بنفسه الظن في الاحسان.

ومن هذا الباب تولجت الى صنعة هذا الكتاب ليرى - ايده الله - كيف نبت كلامي على سقيه. ونما ماأودع تربة قبولي من غرسه، فاني ضمنته في فنون من البلاغة وفصول من الكتابة سلطانيات واخوانيات. وكل ماأوردته مما ولدته، وما وضعته مما صنعته، لم اغله لغيري، ولاخنت فيه أمانة سواى. الا انني طرزته بأبواب من بيوت الشعر المحتوية على الحكم البوالغ، والجارية مجرى الامثال السوائر، لشعراء مجيدين وعلماء مفيدين، قد ركبوا من المعاني أوطاها مركبا، ووردوا للألفاظ اعذبها مشربا، وتخطوا في نظمهم الخشونة الى اللدونة والتكلف الى التلطف. وخاضوا جسوم الحكم الى الارواح، وخرجوا بحسن التخلص من الالتباس الى الايضاح، لئلا تباين طبقة منثورة طبقة منظومة، ولاتبعد مرتبة جامدة من مرتبة ذائبة، وليأتي في ازدواج الليل والنهار، وامتزاج الماء بالعقار.

* * *

الجذور التاريخية لمناهج العلوم الاجتماعية عند العرب

د. احسان محمد الحسن

كلية الاداب /جامعة بغداد

(ا) مقدمة تمهيدية

لم يهتم رواد وأساطين الفكر الاجتماعي العرب بقضايا التنظير الأجتماعي المستنبطة من دراسة الفرد والجماعة والمجتمع وتحليل النظم والظواهر والعمليات الأنسانية فحسب بل أهتموا أيضاً بقضايا المنهج أو الطريقة التي اعتمدوها في البحوث والدراسات الأجتماعية والتي مكنتهم من جمع المادة العلمية وتبويبها وتصنيفها الى حقول متنوعة تبعاً لمقياس معين ثم صياغتها بشكل نظري يمكّن الباحث او القارىء من أدراك وفهم الحقائق والقيم المتعلقة بالموضوع الذي يريد دراسته والتخصص به، ولعل أهتمامات المفكرين الأجتماعيين العرب بقضايا المنهج وأصول البحث الأجتماعي سبقت آهتماماتهم بقضايا التنظير والوصف والتحليل لطبيعة الأنسان ومكنوناته وطبيعة النظم والمؤسسات الاجتماعية التي تفاعل معها وطبيعة الظواهر والعمليات الأجتماعية التي كان يحس بها والتي اثرت بطريقة أو أخرى على نمط حياته العامة والخاصة وعناصرها التركيبية ومساراتها التحويلية عبر الأزمان والعصور.

وأهمية المنهج وأصول البحث عند العرب تكمن في نقطتين أساسيتين هما أولاً استعمالهم للمنهج الذي يمكنهم من جمع الحقائق والبيانات والمعلومات عن ظاهرة معينة يريدون كشفها وتحليلها، وثانياً تبني المنهج العلمي الذي يساعدهم على أجراء بحوث ودراسات تتسم بالأمانة العلمية والمصداقية والثبات والقدرة على وصف الظاهرة أو الظواهر وتحليلها وفق طبيعتها الموضوعية وخواصها الجوهرية والعوامل الخارجية المادية منها وغير المادية المؤثرة فيها. اذن كان العرب المسلمون مصدر الحضارة الأوربية القائمة على المنهج العلمي التجريبي.[1] وقد برهنت المناهج العلمية التي أعتمدها المفكرون الأجتماعيون العرب على كفاءتها ومقدرتها في جمع وتصنيف وتنظير الحقائق الأجتماعية التي كانوا يهتمون بها وفصلها عن الأهواء والنزعات والقيم الذاتية التي غالباً ماكانت تفسد الحقائق الموضوعية وتسيء اليها وتشوه جوهرها وتبعثر جوانبها المختلفة التي يهتم المفكر أو الكاتب[2]. كما أن أعتماد العلماء العرب على المناهج البحثية الرصينة قد مكنهم من القيام بالاعمال العلمية المتميزة التي خرجت الى حيز الوجود على شكل كتب وأبحاث ومخطوطات ودراسات ومقالات أستطاعت أن تطور العلوم والآداب والفلسفة واللاهوت في ضروب شتى. أضافة الى أهمية المناهج البحثية في اعطاء الصفة العلمية للدراسات والأبحاث والمؤلفات التي أنتجها المفكرون الأجتماعيون العرب خلال فترة القرون الوسطى عندما كانت

تيارات الثقافة العربية الاسلامية هي المسيطرة على الغرب بصورة عامة وبلاد الأندلس بصورة خاصة قبل أن تظهر أشعاعات العطاء الفكري في اسبانيا[٣]. فأعتماد مناهج البحث العلمي التي تفصل بين الحقائق والقيم وأنتهاج الأساليب الكفوءة في جمع وتقصي الحقائق واستعمال الوسائل المتطورة في الكتابات الوصفية والتحليلية هي التي مكنت العديد من الرواد الاجتماعيين العرب من تأليف الكتب والمخطوطات المهمة التي كان لها الفضل الكبير في دراسة حقيقة الأجتماع البشري والأسس الموضوعية التي ترتكز اليها، والبحث عن نظم المجتمع من حيث تركيبها ووظائفها وتفاضلها وتكاملها ومعرفة أسباب السكون والدانيميكية واخيراً تحديد الظواهر الأجتماعية والسلوكية وتباين أسبابها الموضوعية والذاتية وآثارها على الوجود الأجتماعي مع أستخلاص ما تخضع له هذه الآثار والوقائع من قواعد وقوانين[٤]. فقد ألف الفارابي كتاب أهل المدينة الفاضلة وكتاب السياسات المدنية، وألفّ ابن سينا كتاب السياسة وكتاب الأسرة، وكتب ابن طفيل رسالته الموسومة «حي بن يقظان»، وألف الغزالي كتاب ميزان العمل وكتاب الوسيط وكتاب تهافت الفلاسفة والف ابن مسكويه كتاب التهذيب وكتاب الفوز الاصغر وألفّ البلاذري كتاب فتوح البلدان وألف البيروني كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية وألف ابن خلدون كتاب المقدمة وألف ابن بطوطة كتاب تحفة الانظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار. وكافة هؤلاء المفكرين والاعلام

يستعملون مناهج بحثية مختلفة كالمنهج التاريخي والمنهج المقارن ومنهج المشاهدة والمشاهدة بالمشاركة والمنهج الأستقرائي[٥]. وقد يستعمل مفكر أجتماعي عربي اكثر من منهج علمي في الدراسة والتحليل وتقصي المعلومات كأستعمال ابن خلدون للمنهج التاريخي والمنهج المقارن والمنهج الأستقرائي في آن واحد عند دراسته لأصل نشوء المجتمع والدولة وعلاقة طبيعة المجتمع بالنظام السياسي القائم[٦]. وأستعمال أبن بطوطة لمنهج المشاهدة والمنهج الأستقرائي التحليلي في دراسته للأوضاع الطبوغرافية والمناخية للمجتمع وعلاقتها بالعادات والتقاليد والطقوس الاجتماعية[٧]. وأستعمال الغزالي للمنهج الاستقرائي عند دراسته لاثر التربية في تغيير السلوك وأستعماله للمنهج المقارن في تصنيفه للعلوم وفي دراسته لطرق المكسب والعيش المتبعة في مجتمعات متباينة[٨].

تعالج هذه الدراسة التحليلية ثلاثة موضوعات أساسية هي مستلزمات المنهج العلمي عند العرب وصفات المفكر أو العالم عند العرب وأخيراً مناهج العلوم الأجتماعية عند العرب التي تم تقسيمها الى أربعة مناهج أساسية هي المنهج التاريخي والمنهج المقارن ومنهج المشاهدة والمشاهدة بالمشاركة والمنهج الأستقرائي. والآن علينا شرح وتحليل هذه الموضوعات بالتفصيل لكي نطلع عليها أولاً ونستوعب الهبات الحضارية والعلمية التي قدمها العرب في تنمية المعرفة وتطوير العلوم. ذلك أن العرب لم يترجموا وينسخوا العلوم والفنون عند الأغريق والرومان والهنود والصينيين فقط كما يدعى بعض المفكرين بل أضافوا اليها أيضاً الشيء الكثير وطوروها في مجالات عديدة واكتشفوا بعض المناهج والعلوم التي أغنت المعرفة البشرية وعمقتها وجعلتها اكثر قدرة في تفسير الظواهر الطبيعية والأجتماعية ومعرفة أسرارها وكوامنها. أضافة الى أن العرب الأوائل في حضارتي وادي الرافدين ووادي النيل هم الذين برزوا في حقول العلم والدين والقانون والفلسفة وأن الأغريق والرومان هم الذين أستنسخوا هذه العلوم منهم ونقلوها الى حضارتهم بعد أن كيفوها الى واقعهم وأضافوا اليها بعض الأفكار والمفاهيم والطروحات الجديدة[٩].

(ب) مستلزمات المنهج العلمي عند العرب

أستعمل كافة المفكرين الأجتماعيين التقليديين العرب الذين عاشوا خلال فترة القرون الوسطى كالفارابي والبلاذري والكندي والغزالي وابن خلدون والرازي وابن بطوطة مناهج علمية في الدراسات والبحوث التي قاموا بها، مناهج ساعدتهم على جمع وتصنيف وتحليل وصياغة الفرضيات والنظريات والقوانين الكونية المفسرة للظواهر والنظم والعمليات الأجتماعية التي اهتموا بها. والمناهج البحثية التي أعتمدوها في دراساتهم ومؤلفاتهم كالمنهج التاريخي والمنهج المقارن والمنهج الأستقرائي كانت تعتمد على أسس ومقومات معروفة للكتاب والمفكرين، وهذه الأسس والمقومات المنهجية كانت تعتبر من المسلمات الجوهرية التي يهتدي بها الكاتب او المفكر عند قيامه بدراسة علمية عن ظاهرة أو مشكلة معينة. فبدون المنهج المحدد وطرائقه المألوفة وتقنياته العلمية لا يستطيع الكاتب المضي قدماً في دراسته ولا يستطيع أكمالها والتوصل الى نتائجها النهائية.

غير أن المنهج العلمي الذي يقتفيه المفكر الاجتماعي العربي عند دراسته للنظام او الظاهرة ينبغي أن يتسم ببعض المواصفات الموضوعية التي تمكن المفكر من أنتاج الدراسة العلمية ذات القدرة على فهم الواقع وأستيعابه ومعالجة مشكلاته وأدرانه على نحو هادف وبناء. أن من أهم مستلزمات المنهج العلمي عند العرب الأوائل كونه قادراً على جمع مايمكن جمعه من المعلومات والبيانات[١٠]. وعملية الجمع هذه تكون عملية غرضية وهادفة. ذلك أن المفكر لا يجمع المعلومات والحقائق بصورة عفوية وأعتباطية ولا يجمع مايستطيع جمعه والتوصل اليه نتيجة لتوفر المصادر والمخطوطات والتجارب والخبرات بل يجمع المعلومات التي لها علاقة مباشرة بدراسته والتي يمكن أستخدامها في فهم الواقع وتحليله ومعالجته. وجمع المعلومات وزيادتها وتراكمها انما يتأتى من عدة قنوات أهمها الكتب والمصادر والمخطوطات القديمة والبقايا الاثرية والتراثية والمخلفات الحضارية والاجتماعية والخبر والتجارب الموضوعية والذاتية عند المفكر[١١]. آضافة الى مشاهداته وزياراته الميدانية وأحتكاكه بالآفراد والجماعات والنظم التي يتعامل معها في حياته اليومية.

لكن لكل منهج أسلوبه في الدراسة والتحليل. فالمنهج التاريخي يبحث الماضي السحيق الموغل في القدم ويهدف الى كشف مادار في الزمن الماضي والعوامل الجوهرية المؤثرة في الأحداث التاريخية والربط العقلاني الموزون بين حادثة وأخرى. أضافة الى دراسة نتائج الحادثة على مسيرة المجتمع التحولية وعلاقتها بالأهداف العليا التي يريد المجتمع بلوغها خلال فترة زمنية محددة. أما المنهج المقارن الذي أعتمده المفكرون العرب وأخص منهم الفارابي وأبن خلدون والغزالي فيتوخى مقارنة المراحل التاريخية التي مر بها المجتمع ومقارنة النظم والتراكيب الاجتماعية في مجتمعات ودول ومناطق جغرافية متباينة. فأبن خلدون يقارن بين المجتمع وهو في طور النشأة والتكوين وبين المجتمع وهو في طور الهرم والشيخوخة والفارابي يقارن بين المدينة الكاملة والمدينة الناقصة وبين المدينة الضالة والمدينة الفاسقة والغزالي يقارن بين العلوم الشرعية والعلوم غير الشرعية وبين العلوم المحمودة والعلوم المذمومة، ويقارن بين ظاهرة البيع وظاهرة الربا وظاهرة الاجارة.

ومن المستلزمات الأخرى للمنهج العلمي عند العرب كون المنهج متوافقاً مع طبيعة الدراسة التي يزمع الكاتب أو المفكر القيام بها[١٢]. فلكل دراسة منهجها العلمي وطريقتها الموضوعية في جمع وتصنيف وتنظير الحقائق والمعلومات التي يهتم بها المفكر. وقد يعتمد المفكر اكثر من منهج واحد في دراسته الوصفية أو التحليلية، وهذه المناهج تمكنه من التوصل الى الحقائق والتفصيلات التي يحتاجها بحثه. فعندما يستعمل المفكر الأجتماعي المنهج التاريخي في دراسة المجتمع أو الظاهرة فأنه يضطر الى معرفة المراحل التاريخية التي مر بها المجتمع او مرت بها الظاهرة حيث أن دراسة ماضي المجتمع تمكن المفكر من فهم وأستيعاب حاضر المجتمع، وفهم كلٍّ من الماضي والحاضر يساعده في تنبؤ المستقبل وكشف أسراره وكوامنه[١٣]. ومثل هذه الدراسة المنهجية تكمن في موضوع فلسفة التاريخ الذي برز فيه أبن خلدون قبل غيره من العلماء والفلاسفة والمفكرين. أن فلسفة أبن خلدون التاريخية وتطبيقها على مسيرة المجتمعات البشرية لعبت الدور القيادي في فهم وأستيعاب طبيعة المراحل التطورية التي مرت بها المجتمعات. فأبن خلدون يقسم المجتمعات الى نوعين أساسيين هما مجتمعات البدو ومجتمعات الحضر، ومجتمع البدو غالباً ما يتحول الى مجتمع الحضر خصوصاً بعد الأستقرار الجغرافي للسكان وتحسين الظروف المعيشية وأنتشار الثقافة وأعتماد نظام التخصص في العمل وزيادة الكثافة السكانية[١٤].

لقد أجرى أبن خلدون في الكتاب الثاني من مؤلفه المقدمة تحقيقات علمية هامة على تراث أسلافه من المؤرخين الذين كتبوا عن تاريخ العرب والأسلام كأبن هشام وابن أسحق والواقدي والبلاذري وابن عبد الحاتم والطبري والمسعودي وأبن الأثير فأستبعد بعضها على أنه محض اختلاق غير ممكن الحدوث بسبب طبائع الأشياء وقوانين العمران وشكك في صحة البعض الآخر على أنه موضع ريبة نتيجة لأبتعاده عن الحقيقة والواقع[١٥].

وينتهج الغزالي المنهج الأستقرائي عند دراسته لموضوع التربية. فهو لم يحدد دستور التربية وفلسفتها وأهدافها وصفات كل من المعلم والمتعلم فحسب بل ربط أيضاً بين التربية والسلوك. وذلك أنه يعتقد بأن سلوك الأنسان يعتمد على أنماط التربية التي يتلقاها من المجتمع، وتغيير السلوك لا يمكن أن يتم الا بتغيير أساليب التربية والتقويم[١٦]. يقول الغزالي أن النفس البشرية مقر للعلم والحكمة ومنبع لها، فالمعارف أصلية فيها لا دخيلة عليها لذلك وجب التعليم لتقويم النفس وتهذيبها وصقل معالمها الجوهرية. ويرى الغزالي أن هدف التربية أنما هو بلوغ النفس كمالها[١٧]. لهذا وضع دستوراً شاملاً للآداب والأخلاق

والمبادىء الواجبة على المتعلم والمعلم وطرق التعليم ووسائله ودعا الى التمسك بها والأهتداء بنصوصها. ويضيف الغزالي بأن السلوك يعتمد على التربية وأنه بأمكاننا تغيير السلوك الخلقي من خلال تغيير نظم التربية.

والمنهج العلمي الذي يقتفيه المفكرون الأجتماعيون العرب يهتم بوصف وتحليل الحقائق والظواهر والنظم كما هي ولا يهتم بالقيم والمثل والأحكام القيمية التي يعتمدها الكاتب او المفكر في تقييمة للآشياء[18]. فالمفكر الأجتماعي يصف ويحلل ولا يقيم لأن التقييم هو من أختصاص الدين واللاهوت والفلسفة. لذا نستطيع القول بأن علم الأجتماع هو علم يهتم بما هو كائن ولا يهتم بما ينبغي أن يكون. آضافة الى أن المفكر الأجتماعي لايدخل نزعاته وأهواءه وميوله وأتجاهاته ورغباته ونزواته في كتاباته العلمية لأن الأهواء والنزعات والميول غالباً ما تفسد الحقائق وتسيء اليها لذا يعتقد المفكرون الأجتماعيون العرب كالفارابي وابن خلدون والغزالي والمسعودي وأخوان الصفا بضرورة فصل الحقائق عن القيم والمثل والرغبات والميول والأتجاهات.

ومن الجدير بالذكر أن مبادرة المفكرين الأجتماعيين العرب الى فصل الحقائق عن القيم أدت الى توسع المعرفة والمفاهيم الأجتماعية وتشعب حقولها وتراكم خبراتها وتجاربها وأرتفاع منزلتها العلمية بحيث أصبحت لاتقل آهمية عن المعرفة العلمية المتعلقة بالحقول الطبيعية والرياضية كحقل علم الفلك والرياضيات والفيزياء والهندسة والكيمياء. ونتيجة للفصل المتعمد بين الحقائق والقيم أنكب العلماء والمفكرون الآجتماعيون العرب على دراسة الحقائق والظواهر الأجتماعية والسلوكية دراسة علمية وتحليلية أذ درسوا حقيقة الأجتماع البشري وآصل نشوئه وتطوره واهميته لنمو وتقدم المجتمعات، وحللوا العلاقة الجدلية بين الفرد والجماعة والمجتمع وألقوا الأضواء المنيرة على بنى ووظائف النظم الأجتماعية الفرعية وأسهبوا في معالجة ظواهر السكون أو الثبات الأجتماعي وظواهر الداينميكية أو التغير الأجتماعي[19] وأخيراً آهتموا بدراسة العلاقات الأنسانية والسلوك والأخلاق والتربية والشخصية. أما القيم والتقييم والأحكام القيمية فقد تركوها الى الفلسفة والدين واللاهوت لان هذه الموضوعات مؤهلة لها اكثر من علم الأجتماع[20]. ذلك أن عالم الأجتماع يدرس نظم العبودية والأقطاع من حيث تراكيبها ووظائفها وآصولها وتطورها ولا يدرس تفضيل نظام على نظام آخر طالما أن التفضيل يتعلق بالجانب الذاتي للمقيم ولا يتعلق قط بموضوعية الأشياء وآطرها الخارجية والقوى الظاهرة المؤثرة فيها[21].

لقد كان ابن بطوطة وأبن خلدون وأبن سينا أول من نادوا بضرورة التزام العالم أو الباحث بمنهجية البحث العلمي التي تتطلب ضرورة الفصل الواضح بين الحقائق والقيم اي الفصل بين ماهو كائن وما ينبغي أن يكون. ومثل هذا الفصل لابد أن يمكن المفكر او الباحث من التخصص بوصف الظواهر وتحليلها والربط بينها من أجل تعليل عملية أجتماعية مهمة كالزواج والاسرة والحرب والحضارة والأرث والملكية والدولة والقانون.

وأخيراً ينبغي أن يكون للمنهج الذي يعتمده المفكر الأجتماعي العربي أساليبه البحثية وتقنياته العلمية الكفيلة بجمع الحقائق وتصنيفها وتنظيرها. وأساليب وتقنيات المنهج المعتمد ترتكز على نوعية المنهج وطبيعته. فالمنهج التاريخي يتطلب أستعراض وسرد الحوادث التاريخية التي شهدها المجتمع والربط العقلاني الموزون بينها وعلاقتها بالبيئة وملابساتها والعوامل المؤثرة فيها[22]. علماً بأن دراسة الماضي ماهي الا واسطة لفهم الحاضر والتنبؤ عن المستقبل. والمنهج التاريخي يستعين بعدة تقنيات يستطيع من خلالها المفكر معرفة ما وقع في الماضي. وهذه التقنيات تتجسد في الكتب والمصادر والمخطوطات القديمة والبقايا والمخلفات الأثرية كالبنايات والمقابر والنقود والأثاث والأثار والمفكرات والوثائق والمستمسكات وسير الشخصيات والقادة والملوك. بينما يعتمد المنهج المقارن على مقارنه المجتمعات المتباينة من النواحي الحضارية والجغرافية والروحية ومقارنة الحقب التاريخية المختلفة لنفس المجتمع ثم أستنباط قوانين كونية تفسر حقيقة الوجود الأجتماعي وملابسات الظواهر والنظم والعمليات التي يهتم الباحث بدراستها[23]. وتقنيات طريقة المقارنه التي أستعملها المفكرون العرب في دراساتهم هي المصادر والمخطوطات والرحلات الجغرافية والأستكشافية والزيارات الميدانية. أضافة الى الآثار والبقايا التاريخية والكتب القديمة.

أما منهج المشاهدة والمشاهدة بالمشاركة فهو المنهج الذي أعتمده رواد الفكر الأجتماعي العربي. ويتلخص أسلوب المنهج هذا بملاحظة البيئة وخواصها ومعالمها والقوى المؤثرة فيها مع التركيز على أنماط الحياة الأجتماعية وما تنطوي عليها من ظواهر وتفاعلات وعمليات سلوكية. ومنهج المشاهدة بالمشاركة يتطلب أستعمال وسيلة الملاحظة ووسيلة التفاعل والتعايش مع الناس الذين يقع عليهم البحث[24]. كما تتطلب من الباحث تكييف

نفسه الى المجتمع الذي يدرسه والتكييف يكون من ناحية الملابس واللغة والسلوك والعادات والتقاليد والقيم والطقوس.

(ج) صفات المفكر او العالم عند العرب

يحتل المفكر او العالم عند العرب والمسلمين مكانة أجتماعية متميزة ورفيعة في المجتمع العربي الأسلامي[٢٥]. فلا توجد مهنة أووظيفة ارقى من مهنة العالم في الأسلام لآن العالم مقرب الى الله سبحانه وتعالى ومقرب الى الناس ايضاً كقوله تعالى «يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير[٢٦]». وأن أهتمام العرب والمسلمين بالعلم والمعرفة يفسر بوضوح الآنجازات العظيمة التي أستطاع المجتمع العربي الأسلامي تحقيقها في مجالات العلوم الصرفة والتطبيقية والفلسفة والآداب والفنون خصوصاً خلال عصر الأمبراطورية الأموية والعباسية. ولما كانت مهنة العالم تحتل مكانة عالية في المجتمع فآن العالم او المفكر يجب ان يتسم ببعض الصفات الآيجابية التي يتميز بها العلماء والمفكرون عن غيرهم من الناس. وهذه الصفات تدفعهم الى طلب المزيد من العلم وتجعلهم متواضعين ومضحين بأعز ما يملكون من اجل خدمة العلم ورفعته ونشره في أرجاء المعمورة والأستفادة منه في تطوير الشؤون الدنيوية والأخروية.

والمفكر أو العالم الحقيقي عند العرب والمسلمين ينبغي أن يتميز على المفكر أو العالم المزيف أو المحرف بالصفات الحقيقية التي يجب أن تكون متوفرة وشاخصة عند العالم، وهذه الصفات تتعلق بطبية شخصيته وسيرته وسلوكه وعلاقاته ومنجزاته ومبادئه وقدراته التفكيرية والآبداعية. ولعل من اهم الأركان الدينية في الديانة الأسلامية نصب العالم او المعلم ليؤدي عمل البحث أو التعليم وأقامة المؤدب الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر[٢٧]. فالمفكر أو العالم الحقيقي عند العرب والمسلمين هو ذلك الشخص الذي يتفانى في كسب العلم والأختصاص ويكرس جل حياته من آجل النهل من منابع العلم الصافية ويكون مستعداً على التضحية في سبيل العلم والمبادىء العلمية التي يحملها ويؤمن بها. كما يتميز بالشعور الذي يدفعه الى ضرورة الآستمرار بطلب العلم وعدم التوقف عن الدراسة والبحث وأستقصاء الحقائق مهما تكن نوعية الظروف والملابسات التي يمر بها. والعالم الحقيقي كما يراه العرب والمسلمون هو ذلك الشخص الذي يطلب العلم ويرتشف من منابعه العميقة ليس من آجل مصلحة مادية أو دنيوية معينة بل من أجل العلم ذاته ومن أجل كشف الحقيقة وتعرية جوهرها الداخلي ومعرفة أطرها الخارجية والعوامل الموضوعية المؤثرة فيها. وهو الشخص الذي يعتقد بعدم محدودية العلم وأن يبقى دائباً على الدرس والأجتهاد والتتبع والبحث العلمي الصحيح[٢٨].

أذن المفكر أو العالم الحقيقي لا يطلب العلم والمعرفة من أجل غاية معينة كالحصول على وظيفة تدر عليه مقداراً معيناً من الأموال أو الحصول على ثروة أو جاه أو منصب بل يطلب العلم من أجل العلم ذاته ومن أجل تطويره وعلو مكانته وتمكينه من معالجة مشكلات الأنسان والمجتمع على حد سواء.

والفضيلة الأخرى التي يجب أن تتوفر عند العالم كما يراها العرب والمسلمون الأوائل هي أن يكون العالم مختصاً في حقل من الحقول الدراسية كالعلوم والآداب والفلسفة والدين والطب والهندسة وعلم الفلك. . . . الخ وأن يكون متدرباً على البحث العلمي وتقصي الحقائق ومتضلعاً في الكتابة والتأليف. أن أختصاص العالم في حقل من الحقول الدراسية يمكنه من التركيز على ذلك الحقل والتعمق فيه والأبداع في محاوره والتضلع في قهر وتذليل مشكلاته النظرية والتطبيقية. أما تدريبه على طرق البحث وتقصي الحقائق العلمية فيساعده على أجراء البحوث العلمية المستقلة التي تنمي العلم في ضرب من الضروب وتؤدي الى تراكم المعلومات وأكتمال العلم وقابليته على تطوير جانب من جوانب حياة الأنسان[٢٩]. أضافة الى أتقان العالم فن الكتابه والتأليف الذي يمكنه من التعبير عن أفكاره ونتائجه الدراسية وطروحاته وجمعها في شكل كتب ومخطوطات يمكن الأستفادة منها في خزن التراث الفكري والعلمي للآمة.

ومن الصفات المهمة للآخرى التي يتسم بها العالم قابليته على عدم المزج بين الحقائق والأفكار العلمية وبين القيم والأحكام القيمية المتأثرة بنزعاته وآهوائه وميوله الشخصية[٣٠]. فالأهواء والمقاصد الذاتية تفسد الحقائق والكتابات العلمية وتشوه صورتها ولا توصل العلم أو الفكر الى الحقيقة العلمية المجردة من الأغراض والعواطف. يقول أبن خلدون في هذا الصدد أن على الباحث أن لايقبل شيئاً على أنه حق الا بعد أن يتأكد بوضوح أنه كذلك، أي يجدر به أن لايتأثر بأهوائه الذاتية وآرائه المذهبية أو أن يتخذ من الأساطير وآراء الأخرين غير المؤكده

أساساً لدراسته[٣١]. ولذلك يجب الأعتماد على الملاحظة المباشرة التي تتم بطريقة علمية ونقدية في ضوء التجربة الشخصية والتجربة الأنسانية بالنسبة للظاهرة المدروسة. كذلك يرى أنه ينبغي أن يعمل الباحث على توضيح مابين الظاهر والحوادث من أقتران سببي لأن الظواهر والحوادث ترتبط بعضها ببعض أرتباط العلة بالمعلول.

وصفة شجاعة ومبدئية العالم أو الباحث هي من الصفات التي يؤكد العرب والمسلمون على ضرورة تواجدها عند الباحث أو العالم. فالباحث المقتدر هو الرجل الذي يتسم بصفة الشجاعة في تناوله للموضوع الذي يبحث فيه ويكتب عنه ويهتم بكشف الحقيقة وتعرية جوانبها للناس سواء كانت الحقيقة محببة أو مكروهة. فعلى الباحث أظهار معالمها شريطة أن تكون مستنبطة من جوالظاهرة التي يدرسها وتعبر عن واقعها وملابساتها. أما أذا كان الباحث خائفاً من أظهار الحقيقة ومجاملاً على حساب العلم وأنتهازياً في معالجته للموضوع الذي يكتب عنه وميالاً لتحريف المعلومات وتزويرها رغبة في مجارات التيارات الأجتماعية السائدة فأن عمله العلمي يكون هامشياً وهشاً وعاجزاً عن تطوير المعرفة وتنمية أختصاصاتها. كذلك على العالم أن يتصف بميزة المبدئية في النتاجات الفكرية والعلمية التي ينجزها، فهذه الميزة تجعل كتاباته تسير في خط واضح لايعتريه التنافر والتقلب وتضفي عليها صفة الألتزام والولاء للمبادىء التي يؤمن بها[٣٢]. كما أن مبدئية المفكر وتحيزه للواقع والحقيقة فقط يجعلانه قادراً على وصف وتفسير وتحليل كل شيء في ضوء المنطلقات الفكرية والمبدئية التي يحملها، هذه المنطلقات التي تساعده على أكمال دراساته بكل كفاءة وأقتدار والتوصل الى نتائج ثابتة ومستقرة لها أهميتها في تطوير المعرفة العلمية وتعميق مناهجها الدراسية وأهدافها النظرية والتطبيقية.

والصفة المهمة الأخرى التي يؤكد العرب والمسلمون على توفرها عند الباحث أو العالم هي صفة التواضع والأبتعاد عن التشنج والغرور والأعتداد بالنفس. فكلما كان الباحث متواضعاً كلما كان قادراً على التعليم[٣٣]. ذلك أن الباحث المقتدر هو ذلك الشخص الذي لديه القدرة على التعليم واكتساب المعرفة الجديدة. وفي ذات الوقت يكون مستعداً على تعليم الآخرين وتزويدهم بالمعلومات والحقائق التي يعرفها. بينما الباحث المغرور بنفسه والمتعالي على الآخرين والمتظاهر بأنه يعرف كل شيء فانه الباحث الذي لايستطيع تطوير البحث وتنمية المعرفة ويفشل في تحقيق رسالته العلمية ذات المدلول الحضاري والأنساني. وفي هذا الصدد يخبرنا الغزالي بأن على العالم أن لا يتكبر على العلم وأن لا يعتقد بأن علمه وصل حد الكمال وأنه لايحتاج الى المزيد من العلم لأن هذا هو الجهل بعينه[٣٤]. وأخيراً تنطوي صفة التواضع التي يتميز بها العالم على فضيلة أخرى تتجسد في النسبية، أي نسبية الحقائق العلمية التي يتفوه بها العالم ومرونتها وقدرتها على التغير والتحويل بين فترة وأخرى وملائمتها للظروف التي تنشأ فيها.

وأخيراً يرى العرب والمسلمون بأن الباحث أو العالم الكبير ينبغي أن يتسم بصفة غزارة المعلومات التي يمتلكها وبصفة التأثير في طلبته وأصحابه نتيجة للسياقات العلمية المتكاملة التي يطرحها والنظريات والقوانين الموضوعية التي يصوغها والمنهج الواضح الذي يعتمده والأهداف العلمية الرصينة التي يضعها. ومثل هذه الصفات السلوكية ذات الأبعاد العلمية والمنهجية التي يتصف بها العالم تجعله مؤهلاً على تكوين مدرسة فكرية يكون هو رئيسها، مدرسة لها أنصارها ومؤيديها ولها القدرة على النمو والتوسع. علماً بأن المدرسة تبلور سمعة العالم وتساعده على أنجاز الكثير من الأبحاث والدراسات وتدعم منزلة العلم في المجتمع بحيث يكون العلم وسيلة فعالة في تنمية المجتمع وتطوير الحضارة وأرساء قواعدها المادية والروحية.

مناهج العلوم الأجتماعية عند العرب

يمكن تصنيف مناهج العلوم الأجتماعية التي أعتمدها العرب في دراساتهم وابحاثهم الأجتماعية العلمية الى أربعة انواع أساسية هي: المنهج التاريخي، والمنهج المقارن، ومنهج المشاهدة والمشاهدة بالمشاركة، والمنهج الأستقرائي. والآن نود شرح ودراسة هذه المناهج بالتفصيل.

١- المنهج التاريخي عند العرب

من اقطاب هذا المنهج هو العلامة ابن خلدون الذي كان عالماً يؤمن بالمنهج التاريخي العلمي القائم على الملاحظة والمشاهدة والوصف والتحليل والنقد ومحاولة التفسير[٣٥]. يشير ابن خلدون الى أن هناك قوانين تحدد مسيرة المجتمع وصيرورته ومروره في مراحل تاريخية متباينة كل مراحلة تتميز بصفات معينة. أما عملية التحويل والصيرورة الأجتماعية فهي عملية حتمية لها بدايتها ولها نهايتها ولها أسبابها ونتائجها الظاهرة والكامنة. والتحول الأجتماعي كما يراه ابن خلدون هو

شيء حتمي يتسم بالأستمرارية والفاعلية. ذلك ان المجتمع يمكن تشبيهه بالكائن الحيواني الحي، فكما يولد الكائن الحيواني وينمو ويهرم ويموت فان المجتمع البشري هو الاخر يولد وينمو ويهرم ويموت. اذن الداينميكية الاجتماعية هي ظاهرة حتمية لابد من وقوعها. يقول ابن خلدون بأن المجتمع البشري شأنه شأن الفرد يمر بمراحل منذ ولادته وحتى وفاته. وأن للدولة أعماراً وهذه الاعمار تتحدد بثلاثة اجيال والجيل أربعون سنة. فعمر الدولة أذن مائة وعشرون سنة، وفي هذه الاجيال الثلاثة يمر المجتمع بمرحلة النشأة والتكوين ثم مرحلة النضوج [illegible]مال ومرحلة الهرم والشيخوخة[36]. وفي بعض المناسبات يعبر عن هذه المراحل بمرحلة البداوة ومرحلة الملك والتحضر ومرحلة الضعف والاستكانة.

ولعملية الصيرورة الاجتماعية التي تكلم عنها ابن خلدون في سياق حديثه عن فلسفة التاريخ في كتابه «المقدمة» اسبابها ونتائجها فأسباب الصيرورة قد ترجع الى تكاثر السكان وأستقراره الجغرافي وأنتهاجه لنظام التخصص وتقسيم العمل الاجتماعي، او قد ترجع الى تغيير ملحوظ يطرأ على نظام أجتماعي فرعي كالنظام السياسي او الاقتصادي، وهذا التغيير لابد أن ينعكس على بقية النظم الاجتماعية الفرعية بحيث يسبب هذا مايسمى بالصيرورة او الداينميكية. وقد يرجع التغيير الى تعرض المجتمع الى تبديلات مناخية او غزوات عسكرية أو تغير المهنة التي يعتاش عليها ابناء المجتمع من مهنة رعوية الى مهنة زراعية أو تجارية أو صناعية.

ويعتقد ابن خلدون بأن أستمرارية المجتمع البشري في التغير والتطوير لها نتائجها الواضحة المعالم. وهذه النتائج قد تتجسد في تغيير وسائل الضبط الأجتماعي وتغيير هيكل التوزيع الجغرافي والمهني والأجتماعي للسكان وتحسن أنماط الحياة ومستويات المعيشة وتسريع عملية الحراك الأجتماعي بين الشرائح والطبقات وتغيير أنماط السلوك والعلاقات الأجتماعية وزيادة المشكلات الأجتماعية نتيجة لتعقد الحياة وتشبعها وأخيراً تكامل او تنافر البنى والهياكل المؤسسية للمجتمع.... الخ..

أن فضل أبي خلدون في تطوير المنهج التاريخي يكمن في ناحيتين مهمتين الأولى هي تمييزه بين التاريخ وفلسفة التاريخ، والثانية هي محاولته معرفة العلل والأسباب التي تفسر الوقائع والأحداث التاريخية[37]. فالتاريخ بالنسبة لأبن خلدون هو ذكر الأخبار الخاصة بعصر أو جيل معين، بينما فلسفة التاريخ هي معرفة الأحوال والظروف العامة للأجيال والعصور. وقد مكنت هذه الدراسة أبن خلدون من أستقراء نظريات كثيرة خاصة بالعمران البشري، وساعدته في معرفة وأدراك ظاهرة التغير الأجتماعي. كما أهتم أبن خلدون بمعرفة العلل والأسباب الخاصة بالحقائق الأجتماعية. وقد أنتقد أبن خلدون من سبقه من المؤرخين لعدم ذكرهم الأسباب والعلل الكافية وراء حدوث الظواهر الأجتماعية[38]. وهنا يعتبر أبن خلدون أول عالم يدعو صراحة الى أستخدام المنهج العلمي في دراسة المجتمع.

وقد أنتقد أبن خلدون الطريقة التاريخية التقليدية السائدة في عصره. فهو يعتقد بأن الروايات التاريخية ليست جميعها صحيحة، فبعضها قد وقع فعلاً وبعضها لم يقع أصلاً وبعضها يستحيل حدوثه لانه لايتفق وطبائع وخواص الأشياء (٣٩) ويذكر أبن خلدون عدة أمور تؤدي بالمؤرخ الى الوقوع في الأخطاء أهمها مايلي:

١- الامور الذاتية التي تتعلق بميول الباحث وأهوائه وميول وأهواء من ينقل عنهم ومدى تأثر الباحث بهذه الميول والأهواء.

٢- الجهل بالقوانين التي تخضع لها الظواهر وعدم معرفة طبيعتها[40]. وهذا الجهل قد يتعلق بالقوانين التي تخضع لها الظواهر الطبيعية كظواهر الفلك والكيمياء والحيوان والنبات... الخ. وقد يتعلق هذا الجهل بالقوانين التي تخضع لها الظواهر الأجتماعية. فمعرفة طبائع العمران وأحواله من الأمور المهمة في معرفة حقيقة الحوادث.

ويضيف أبن خلدون في دراسته للمجتمع دراسة تاريخية معلومات قيمة أخرى هي ضرورة قيام الباحث بدراسة تطور الظواهر والنظم العمرانية دراسة داينميكية تاريخية. ذلك لأن الظاهرة العمرانية هي ظاهرة متطورة ومتبدلة وفي ذلك يقول «وذلك لأن أحوال الأمم وعاداتهم ونحلهم لاتدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقر وأنما هو أختلاف على الأيام والأزمنة وأنتقال من حال الى حال[41]». ويحرص أبن خلدون على أن يفسر ويعلل الظاهرة العمرانية في حالتي أستقرارها وتطورها ونموها بظاهرة أجتماعية عمرانية أخرى وفقاً للأساس الذي ينادي به أصحاب المدرسة الأجتماعية الحديثة. فمثلاً نجده يعلل تطور العادات والأعراف بتبدل وتطور العاملين الأقتصادي والسياسي حيث أنه يقول «أن أختلاف الأجيال في أحوالهم أنما هو بأختلاف نحلتهم في المعاش». وفي مناسبة أخرى يقول والسبب الشائع في تبدل

الأحوال والعادات هو أن عادات كل جيل تابعة لعادات سلطانه، كما يقال في الأمثال الحكيمة الناس على دين الملك، وأهل الملك والسلطان أذا أستولوا على الدولة وأمورها فلا بد من أن يرجعوا الى عادات من قبلهم ويأخذوا الكثير منها ولا يغفلوا عادات جيلهم الذي يحكمونه[42]. لكنه يقع غالباً في عادات الدولة بعض الأختلاف مع عادات الجيل الأول، فأذا جاءت دولة أخرى بعدهم ومزجت بين عاداتهم وعاداتها خالفت أيضاً بعض الشيء ثم لايزال التدرج في المخالفة حتى ينتهي الى المباينة بالجملة. فما دامت الامم والأجيال تتعاقب في الملك والسلطان فأن المخالفة في العادات والأحوال تستمر والقياس والمحاكاه للأنسان طبيعة معروفة[43]. من كل هذا نستنتج مبدأ التأثير والتأثر المتبادل بين الظواهر الأجتماعية، فأذا طرأ تغير على أحدى الظواهر طرأ تغير على الظواهر الأخرى المرتبطة بها.

وأخيراً يؤمن أصحاب المنهج التاريخي العرب وعلى رأسهم ابن خلدون بمبدأ الحتمية بالنسبة للظاهرة العمرانية وبالنسبة للفلسفة التاريخية، فهم يؤكدون الحتمية أذ يعتقدون أن للمدينة والعمران البشري قوانين ثابتة يسير كل منها في تطوره، ومن هنا كان على الباحث أن يحاول الوصول الى المقاييس التي يجري عليها العمران، وأن ينظر الى التاريخ الحضاري نظرته الى المجهر الذي يكشف ويبرز تفاصيل وعناصر الظاهرة ويلقي الضوء على العوامل الأيجابية في نشأتها وتطورها، وبذلك حدد بشكل واضح دور الدراسة التاريخية للظاهرة العمرانية وهو في هذا الموقف يشبه الى حد كبير موقف كبار علماء الأنثروبولوجيا الأجتماعية المعاصرين.

٢- المنهج المقارن عند العرب

لم يستعن المفكرون الأجتماعيون العرب بالمنهج التاريخي فقط في دراساتهم وبحوثهم الأجتماعية عن المجتمع والجماعة والنظام والظاهرة والأنسان بل أستعانوا أيضاً بالمنهج المقارن. فقد درسوا ظواهر وعادات وقيم وآداب مجتمعهم خلال فترات تاريخية متباينة وقارنوا بينها، ودرسوا الظواهر والتفاعلات والنظم الأجتماعية والسياسية والاقتصادية في مجتمعات مختلفة ومناطق جغرافية متباينة وقارنوا بينها وأستنبطوا قوانين كونية شمولية على جانب كبير من الدقة والموضوعية تحكم طبيعة الظواهر والتفاعلات وتحدد مسيرة المجتمعات والحضارات وترسم أنماط البنى والتراكيب المؤسسية التي يتكون منها البناء الأجتماعي وما يكتنفه من نظم فرعية وادوار وظيفية وواجبات وحقوق أجتماعية.

ولا يمكن اعتبار العرب أول من أستعملوا المنهج المقارن فقد استعمله أرسطو في دراسته للنظم السياسية وأستعمله سينكا في تحليله ومقارنته بين النظامين السياسي والديني واستعمله سسيرو في مقارنته بين المجتمع الاغريقي الذي كان فلاسفته يدعون للمثالية وبين المجتمع الروماني أي الذي كان قادته ومفكروه يدعون للأصلاح والعدالة والبناء والتغيير.

ومن أول علماء العرب والمسلمين الذين أعتمدوا المنهج المقارن في الدراسة والتحليل هو الفارابي الذي قارن في كتابة آهل المدينة الفاضلة بين المجتمعات الكاملة والمجتمعات الناقصة[44]. فالمجتمعات الكاملة هي المجتمعات التي يتحقق فيها التعاون الأجتماعي والتي تستطيع جلب السعادة والرفاهية للأنسان أما المجتمعات الناقصة فهي المجتمعات التي يتوفر فيها التعاون الأجتماعي ولا تستطيع تحقيق الأستقرار والسعادة للأنسان. ويقارن الفارابي بين الأنماط الثلاثة للمجتمعات الكاملة وهي المجتمعات العظمى والمجتمعات الوسطى والمجتمعات الصغرى. فالمجتمعات العظمى هي المجتمعات الناجمة عن اجتماع العالم كله في دولة واحدة وتحت سيطرة حكومة واحدة، والمجتمعات الوسطى هي مجتمعات تتكون من أجتماع أمة في جزء من الأرض، أما المجتمعات الصغرى فهي اجتماع سكان مدينة واحدة وتعاون بعضهم مع بعض في تمشية آمور حياتهم وتحقيق اهدافهم، اما المجتمعات الناقصة التي قارنها الفارابي بالمجتمعات الكاملة فهي المجتمعات التي تتمخض عن اجتماع اهل القرية وأجتماع أهل المحلة وأجتماع اعضاء العائلة في بيت واحد[45].

ويستعمل الفارابي منهجه المقارن في دراسة المدينة الفاضلة ومقارنتها بالمدينة الجاهلة. فالمدينة الفاضلة هي المدينة التي يؤدي فيها الأنسان عمله آداءً تاماً بفضل مايسود فيها من علاقات صميمية وما يوجد فيها من تعاون وألفة ومحبة وما يتوفر فيها من عدالة ومساواة وديمقراطية تحدد علاقة الحاكم بالمحكوم. آما المدينة الجاهلة فهي المدينة التي لم يعرف أهلها السعادة فالسعادة لاتخطر ببالهم وإن أرشدوا اليها فأنهم لا يقيمونها ولا يعترفون بها. كما يقارن الفارابي بين الأنماط المختلفة للمدينة الجاهلة كالمدينة الفاسقة والمدينة الضالة ومدينة التغلب ومدينة الأباحية ومدينة الخسة ومدينة النذالة. . . . الخ[46]. فالمدينة الجاهلة هي المدينة

التي لايعرف أهلها أعمال الخير، فهم لايميزون بين الخير والشر وذلك لتخلفهم وتحجرهم. أما مدينة الخسة فهي المدينة التي يقصد أهلها التمتع باللذة وأيثار الهزل واللعب بكل وجه وعلى كل نحو. ومدينة التغلب هي المدينة التي يقصد أهلها أن يكونوا القاهرين لغيرهم ويكون كدهم اللذة التي تنالهم من الغلبة فقط. ومدينة النذالة هي المدينة التي يتعاون أفرادها على جمع الثروة والمال واكتنازهما وصرف المال على ضرورات الحياة وعدم آنفاقه على الفقراء واليتامى والمساكين. والمدينة الضالة هي المدينة التي يعتقد آهلها بمبادىء ووصايا الدين، الا آنهم يسيئون الى الدين ويحرفون تعاليمه واوامره ويجتهدون في مبادئه بطريقة تتعارض مع جوهر الدين وتتنافى مع روحه الحقيقية.

وأعتمد أبن خلدون في دراسته للمجتمعات المنهج المقارن حيث أشار الى ضرورة مقارنة الظاهرة بغيرها من الظواهر المرتبطة بها في المجتمع نفسه وفي غيره من المجتمعات. ذلك أن الظواهر الأجتماعية كما يعتقد أبن خلدون لا تختلف بأختلاف العصور فحسب ولكنها تختلف أيضاً من مجتمع لآخر ومن بيئة الى بيئة أخرى. لقد اكتشف أبن خلدون قانوني التشابه والتباين[٤٧]. فقانون التشابه يتأتي من حقيقة تشابه المجتمعات في بنائها ووظائفها وتحولها من نمط الى نمط اخر وفي وحدتها العقلية والتفكيرية. أما قانون التباين فيفسر أختلاف المجتمعات في ظروفها وآحوالها وعاداتها وتقاليدها ومستويات تقدمها ونضجها الحضاري والتاريخي. آذن المجتمعات بموجب قانون التشابه والتباين تتشابه في وجوه معينة وتختلف في وجوه آخرى. ومن عوامل التشابه والأختلاف يمكن صياغة قوانين كونية تفسر حقيقة الوجود الأجتماعي وما ينطوي عليه من بنى وظروف وعوامل موضوعية وذاتية تؤثر فيه وتترك معالمها وبصماتها الثابتة عليه.

ويعتقد أبن خلدون بضرورة قيام الباحث على أظهار الأقتران السببي بين الحوادث والنظم التي يدرسها لأن الحوادث والنظم ترتبط بعضها ببعض أرتباط العلة بالمعلول. فالوقائع المتشابهة لابد أن تنشأ عن ظروف وأجواء متشابهة، وفي ظروف الحضارة المتشابهة تحدث وقائع متشابهة. ومعنى ذلك أن الأنظمة الأجتماعية تتماثل متى كانت المستويات الثقافية متوحدة أو متماثلة أو متجانسة. ويستنتج أبن خلدون من ذلك بأنه يمكن في ضوء هذه القاعدة العامة التنبؤ بما كان عليه الحال في الماضي في ضوء الحاضر وفي ضوء تقدير المستوى الحضاري للمرحلة التاريخية للظاهرة الأجتماعية. وبذلك يجب على الباحث كما يخبرنا أبن خلدون قياس الأحداث على أصول العادات وطبائع العمران بحيث لا يأخذ ماينقل عنها بالتسليم دون تمحيص ما أذا كانت ممكنة الحدوث أو مستحيلة في ضوء معرفته لطبيعة الأشياء ومستوى العمران[٤٨]. أن أبن خلدون يؤمن بنسبية الظاهرة العمرانية ولذلك فأنه ينصح الباحثين بمراعاة هذه القاعدة أذ يقول «ولذا يحتاج صاحب هذا الفن الى العلم بقواعد السياسة وطبائع الموجودات وأختلاف الأمم والبقاع في السير والأخلاق والنحل والمذاهب وسائر الأحوال.

ويستعمل أبن خلدون منهجه المقارن في تصنيف المجتمعات الى أنماط مختلفة تبعاً للمهن التي تزاولها والحياة الأقتصادية التي تعيشها. فالمرحلة البدائية للمجتمعات البشرية هي مرحلة الزراعة البدائية ومرحلة الرعي والزراعة المتقدمة ثم تليها مرحلة الصناعة والتجارة. ويربط أبن خلدون بين المستوى الأقتصادي للمجتمع وبين الطباع والأخلاق فيقول بأن لكل مستوى أقتصادي طبائعه وأخلاقه، فالبدو بصورة عامة أقرب الى الشجاعة والتضامن والعصبية والأخلاق الحميدة، والحضر أقرب الى الرفاهية والتأنق وأبعد عن الأخلاق المحمودة[٤٩]. وهوفي هذا يشير الى طبيعة العلاقات الأجتماعية بين الشكلين الأساسيين للمجتمعات البشرية الشكل الأول الذي يسود فيه التماسك العاطفي والأتصال الدموي والتضامن الآلي، والشكل الثاني الذي يستند الى التعاقد الحر والأرتباط النفعي.

ويعتمد أبن خلدون منهجه المقارن في دراسة المجتمع دراسة سكونية ودراسة داينميكية في آن واحد[٥٠]. ففي دراسته السكونية يحدد أبن خلدون ماهية النظم الأجتماعية أو العمرانية التي يتكون منها البناء الآجتماعي وهي النظام او العمران الديني والعمران الأقتصادي والعمران السياسي والعمران الأسري. وفي هذه الدراسة يوضح أهمية ووظائف النظم العمرانية ويقارن بينها ويستخلص القوانين الشموليه حول عملياتها وتفاعلاتها وتكاملها وصيرورتها وعلاقتها بالفرد والمجتمع. أما دراسته الداينميكية للمجتمع فتنطوي على تصنيف المجتمعات الى أنماط مختلفة كمجتمعات البدو ومجتمعات الحضر. وفي هذه الدراسة يقارن بين البداوة والحضارة ويلقي الأضواء المنيرة على أثر كل نظام آجتماعي في النظام الآخر.

(٣) منهج المشاهدة والمشاهدة بالمشاركة عند العرب

أستعمل المفكرون الأجتماعيون العرب منهج المشاهدة

والمشاهدة بالمشاركة كمناهـج علمية لأشتقـاق وجمع وتنـظير الحقائق والبيانات التي آهتموا بدراستها. وقد أعتمدوا عـلى منهج المشاهدة وزاوجوه مع المنهج التاريخي أو المنهج المقارن في كشف الحقائق والمعلومات الصادقة التي كانوا يفتشون عنها في دراسـاتهم عن الفرد والجمـاعة والمجتمـع وفي تحليلاتهم للأنظمة الأجتماعية وما تنطوي عليها من مباديء وقوانين ومثل وأعـراف لها آهميتهـا في تحديـد نماذج السلوك والعـلاقات الأنسـانية. فكـل من أبن سينا وابن خلدون والآدريسي وأبن بطوطه آعتمدوا على منهج المشـاهدة بـالمشاركـة في آستنباط حقائقهم وجمع معلومـاتهم وصياغتهـا في قوالب نـظرية لهـا أهميتها في وصف وتحليل مقومات البناء الأجتماعي وتفسـير دوافع السلوك والعلاقات وتعليل الظواهر الأجتماعية بموجب العلاقة الجدلية بين السبب والنتيجة.

ومعنى المشاهدة العلمية عند العرب رؤية وفحص ظاهرة موضوع الدراسة مع الأستعانة بأساليب البحث الأخرى التي تتلاءم مع طبيعة هذه الظاهرة. ولا تنحصر المشاهدة في توجيه الحواس فقط ولكنها تنطوي على عمليات عقلية وتدخل أيجابي من جانب العقل[٥١]. وقد يصل أسهام العقل في المشـاهدة الى درجة الأبتكار والأختراع. ومنهج المشاهدة هو الأسلوب الفني الذي يستخدمه الباحث في رؤيته وتبصـره وحصره للأشيـاء والظواهر والعوامل والملابسات التي تقع أمام عينيه. والباحث المدرب على أساليب المشاهدة يعرف تمام المعرفة التمييز بـين الاشياء والظواهر التي تستحق المشاهدة والفحص والتسجيل والأشياء والظواهر التي يجب أن تهمل ولا تشاهد ولا تسجل من قبله لعـدم أهميتها وفـاعليتها في الدارسـة المطلوبـة[٥٢]. وأستعمل المفكرون الأجتماعيون العـرب منهج المشـاهدة في دراستهم لنظم المجتمع كنـظام الأسرة والنـظام الأقتصادي والنظام الديني والنظام السياسي. وأستعملوه في دراسة الربط بين الظواهر الأجتماعية كالربط بين وحدة المجتمع وتماسكـه وبين تقدمه في المجالات المادية والروحية. كذلك أستعملوا منهج المشاهدة في دراسة العادات والتقـاليد والأعـراف والطقوس الأجتمـاعيـة لمجتمعهم وللمجتمعـات الغـربيـة التي زاروهـا ودرسوها دراسة علمية أثناء رحلاتهم الجغرافية وأسفارهم[٥٣].

وأستعمل المفكرون والبـاحثون الأجتمـاعيون العـرب خصوصاً في دراساتهم الأنثربـولوجية والأثنـوغرافيـة منهج ا[illegible] بالمشاركة. وهذا المنهج يتضمن أشتراك الباحث في حيـاة الناس الذين يقـوم بمشاهـدتهم، ومساهمتـه في أوجه النشاط التي يقومون بها لفترة قصيرة تلك هي فترة المشاهدة. ويتطلب هذا النوع من المشاهدة أن يكون الباحث عضواً في مع الجماعة التي يقوم بدراستها وأن يتجاوب الجماعة ويتفـاعل معها وأن يمر في نفس الظروف التي تمر بها ويخضع لكافـة المؤثرات التي تخضع لها. ولا يكشف الملاحظ عن هـويته أو يفصح عن شخصيته ليكون سلوك الجماعة تلقائياً بعيداً عن التصنع والرياء. وقد يكشف الباحث عن شخصيته ويفصح عن غرضه. وهنا قد يـألفه أبنـاء المجتمع بمـرور الزمن ويصبح وجوده شيئاً أعتيادياً.

يعتقد أبن خلدون بأن أسلوب المشاهدة الـذي يعتمده الباحث يجعل دراسته أوبحثه ذا قيمة علمية عالية لاجدال فيها. فهو يرى أن على الباحث أن لايقبل شيئاً على أنه حق الا بعد أن يتأكد بوضوح أنه كذلك. أي يجدر به أن لايتأثر بأهوائه الذاتية وآرائه المذهبية أو أن يتخذ من الأساطير الوهمية وآراء الآخرين غير المؤكدة أساساً لدراسته. ولذلك يجب الأعتماد على المشاهدة المباشرة التي تتم بطريقة علمية ونقدية في ضوء التجربة الشخصية والتجربة الأنسـانية للظاهـرة المدروسـة[٥٤]. وقد أستفـاد أبن خلدون من كثرة أسفاره ومشاهداته للشعوب التي أحتك بها وهي شعوب العرب والبربر في تحليل كثير من الظواهر الأجتماعية. ولعل من المفيد أن نشير هنا الى أن الكتاب الثاني من مقدمة أبن خلدون الخاص بتاريخ العرب ومن أتصل بهم من شعوب وقبائل يحتوي على بحوث تاريخية أستمدها أبن خلدون من مشاهداته وقراءاته الخاصة التي لم يطلع عليها مؤرخو العرب من قبله ومن بعض المصادر التي كانت موجودة في عصره ولم تصل الينا. ويبدو هذا على الاخص في حديثه عن دول الأسلام في صقلية وعن تاريخ الطوائف بالأندلس والممالك النصرانية في أسبانيا وتاريخ دولة بني الأحمر في غرناطة. وقد نوه بقيمة هذه البحوث وأشاد بفضلها على التاريخ الكثير من علماء الغرب في العصر الحديث ومن هؤلاء البروفسور دوزي الذي يصف رواية أبن خلدون عن تاريخ النصارى في أسبانيا بأنها رواية منقطعة النظير ولا يوجد في بحوث علماء الغرب المسيحيين في العصور الوسطى مايستحق أن يقارن بها[٥٥].

ويعد القسم الخاص بتاريخ البربر الـذي. عرضـه أبن خلدون في الكتـاب الثالث من مقـدمته أقـوى الأقسام أصـالة

واكثرها تحقيقاً وتجديداً وطرافة واكبرها فضلاً على بحوث التاريخ. ذلك أن معظم ماجاء في هذا الكتاب لم ينقل عن مراجع مدونة وأنما سجله أبن خلدون نفسه لأول مرة من مشاهداته. ولذلك كان كتابه أهم مرجع للباحثين في تاريخ هذه الدول والشعوب في العصور التي يتحدث عنها.

وأستعمل أبن بطوطة منهج المشاهدة والمشاهدة بالمشاركة في دراساته الأجتماعية والأنثروبولوجية والجغرافية التي قام بها في كافة أجزاء الوطن العربي وبلاد الهند والسند والصين وجنوب شرق أسيا وأفغانستان وبلاد فارس والأنضول والسودان والحبشه وشرق أفريقيا.(٥٦) ودون خلاصة دراساته وتجاربه في كتابه المشهور «تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار» الذي ظهر لأول مرة عام ١٣٥٦م. أن أفكار أبن بطوطة الأجتماعية والسياسية والأنثرويولوجية والجغرافية ليست مشتقة من قراءاته ولا من الكتب والمصادر التي كانت بحوزته ولا من أخبار وقصص المفكرين ورجال المعرفة والادب بل كانت مشتقة من مشاهداته وخبرته وتجاربه التي حصل عليها من رحلاته وأسفاره الجغرافية. فمشاهداته جعلته يربط بين الظواهر الطبيعية والمناخية والأرضية وبين عادات وتقاليد ومثل ومقاييس واديان المجتمعات التي زارها. وتمكن من أشتقاق قوانين أجتماعية كونية تفسر أثر الأرض والمناخ في قيام الحضارة الأنسانية حيث ذكر بأن الحضارات الأنسانية العريقة توجد في الأقاليم الجغرافية المعتدلة المناخ والخالية من الكوارث الطبيعية كالزلازل والبراكين والفيضانات، ولا توجد في الأقاليم الجغرافية المتطرفة المناخ كالأقاليم الحارة جداً أو الباردة جداً أو الأقاليم التي تتعرض للكوارث الطبيعية بين فترة وأخرى. اذن ربط أبن بطوطة بين المناخ والأرض وبين مزاج وفاعلية الشعوب التي زارها وأستخرج قوانين أجتماعية ونفسية عنها لاتزال صحيحة الى وقتنا هذا.

وأعتمد ابن سينا على منهج المشاهدة في دراسته لطبيعة المجتمع وطبيعة الأنسان وخواصه الذاتية والمجتمعية. يعتقد أبن سينا بعد مشاهداته الميدانية لمجتمعي الأنسان والحيوان أن حياة الأنسان تختلف أختلافاً واضحاً عن حياة الحيوان لأن الحيوان يحيا حياة غريزية طبيعية، أما الأنسان فقد تنوعت صناعات مأكله وملبسه ومسكنه مما أستلزم الأستنباط والرؤية، فكثرت من جراء ذلك حاجاته وتنوعت. لذا كان من الضروري وجود مجتمع يقوم على تعاون الأفراد فيما بينهم. غير ان هذا التعاون لايتم الا بتفاوت كفاءات الأفراد. والتفاوت بالذات أنما هو حكمة الهية على حد قول أبن سينا(٥٧). فلو كان الناس ملوكاً كلهم لتفانوا فيما بينهم، ولو كانوا عامة كلهم لهلكوا ولو تساووا في الفقر لماتوا بؤساً أو تساووا في الغنى لما أستخدم أحدٌ غيره. وعليه كان لزاماً على الأفراد والجماعات الأشتراك الفاعل في المسؤولية الاجتماعية. وعليه فأننا نستنتج مما ذكره أبن سينا أن طبيعة المجتمع البشري تقوم على التفاوت في القدرات والتفرغ في التخصصات وتقسيم العمل الأجتماعي والتعاون المشترك. وقد توصل أبن سينا الى هذه الحقائق بعد مشاهداته المركزة لأنشطة الأفراد في المجتمع وعملية الفعل ورد الفعل بين الفرد والجماعة والمجتمع.

(٤) المنهج الأستقرائي عند العرب

أهتم المفكرون والعلماء العرب بأمور البحث عن المعرفة وبذلوا قصارى جهودهم في التنقيب عن الحقائق الطبيعية والأجتماعية وما تنطوي عليها من ظواهر وعمليات وتفاعلات لها أصولها وطرق تحولها وأتجاهاتها الظاهرة والكامنة. ومستلزمات البحث عن المعرفة خصوصاً المعرفة النظرية دفعتهم الى أعتماد مناهج دراسية تتميز بالموضوعية والعلمية. ولعل من أهم هذه المناهج المنهج الأستقرائي. فالأستقراء عند العرب هو طريقة بحثية تقوم على أستنتاج الحقائق والمعلومات من الأدلة والبراهين والحجج العلمية المتيسرة عند الباحث كأن يستنتج الباحث وقوع ظاهرة أجتماعية معينة كالتحضر مثلاً من دراسته للظروف العامة التي يشهدها المجتمع كزيادة السكان والأحتكاك الحضاري بالمجتمعات الراقية وأنتشار العلم والمعرفة والتنمية الأقتصادية. . . . الخ. أوقد يستنتج العالم المرحلة الحضارية التاريخية التي سيمر بها المجتمع من دراسته للمراحل التاريخية الماضية والحاضرة.

أن المعرفة العلمية عند العرب تعتمد أساساً على الأستقراء. ذلك أن النتائج التي يصل اليها المفكر عن طريق الأستنباط (التفكير الفلسفي) والقياس المنطقي لا تصدق ولا يمكن أخذها بعين الأعتبار الا أذا قامت على مقدمات صادقة وثابتة وموضوعية(٥٨). وعليه فقد أبتكر العقل العربي أبان فترة القرون الوسطى التفكير في البحث عن المعرفة. ففي الوقت الذي يعتمد فيه الأستنباط على قضايا وبديهيات ومسلمات وقرائح ليخرج منها بنتائج، يعتمد الأستقراء كما يخبرنا أبن خلدون في كتابه المقدمة على جمع الأدلة والبراهين التي تساعد على أصدار تعميمات محتملة الصدق والثبات، تعميمات يدرس الباحث أجزاءها ومن ثم يصل الى النتائج النهائية المتعلقة

بموضوعه الدراسي[٥٩]. وأذا أستطاع الباحث أن يصل الى نتيجة عن طريق الأستقراء فمن الممكن أن يستخدمها كحجة علمية في أستدلال أستنباطي أو فلسفي. وهذا يدل على أن البحث العلمي عند العرب يعتمد على الأستقراء ويعتمد على الأستنباط أيضاً. فكل جانب يعزز نتائج الجانب الآخر ويدعم صحتها وعلميتها.

لقد أعتمد المفكرون والفلاسفة الآجتماعيون العرب المنهج الأستقرائي في دراساتهم وبحوثهم العلمية. فالمنهج الأستقرائي يقوم عندهم على عدة أعتبارات أهمها مايلي:

(١) أستنتاج الحقائق العلمية الجديدة من فرضيات وأدلة وبراهين معروفة.

(٢)دراسة العلاقة السببية بين عاملين متلازمين العامل الأول هو العامل المستقل والعامل الثاني هو العامل المعتمد أو الثانوي.

(٣) أستقراء مرحلة مستقبلية سيمر بها المجتمع او النظام الأجتماعي الفرعي من دراسة المراحل الماضية والحاضرة التي يشهدها المجتمع أو النظام.

وفي سياق أعتماد المنهج الأستقرائي من قبل المفكرين والفلاسفة العرب يقول أبن خلدون بعد الأنتهاء من جمع المادة المتعلقة بالظاهرة موضوع البحث عن طريق المشاهدة المباشرة والدراسة لمختلف الفترات التاريخية والمقارنة يمكن أستخدام الأستقرار والتعليل والتحليل للوصول الى القوانين العامة التي تحكم الظواهر المختلفة. وفي هذا السياق يضيف أبن خلدون قائلاً ينبغي أن يعمل الباحث على توضيح مابين الظواهر والحوادث من أقتران سببي لأن الظواهر ترتبط ببعض أرتباط العلة بالمعلول. أما أبن طفيل فيؤكد في رسالته الموسومة «حي بن يقظان» على مبدأ السببية الذي ينص على «وجوب محدث لكل حادث»[٦٠]. ويتفق الغزالي مع كل من أبن خلدون وابن طفيل عندما يدرس العلاقة المنطقية بين العامل المسبب للظاهرة والظاهرة المستنبطة من العامل الفاعل، فالغزالي يعتقد بأن التربية أساس لسلوك وان السلوك يمكن تغيره عن طريق التربية والتهذيب، تلك العملية التي يضطلع بها المعلم أو رجل الدين.

كما يرى الغزالي أن الفكرة الأنسانية قابلة لكل شيء وأنه ليس مثل التربية أي لون من القيم الأخلاقية، فالخير يصيب الأنسان من خلال التربية التي يتلقاها والشريمسه أذا كانت تربيته ناقصة أو مضللة وليس للأنسان بالفطرة ميل خاص لا الى الخير ولا الى الشر[٦١].

وهنا ينفي الغزالي أثر الوراثة وعواملها ولعل ذلك راجع من نزوعه الى التأثر بتعاليم الدين وأهتمامه بالتنشئة والتربية التي يعطيها الوالدان للطفل، وهي دلالة على الأهتمام بالناحية الأجتماعية التي تؤكد أنها تفوق في فاعليتها دور الوراثة والفطرة.

أما الماوردي فيدرس العلاقة العضوية بين السبب والنتيجة كدراسته للعلاقة بين العقل والسلوك. يشير الماوردي في كتابه «أدب الدنيا والدين» الى تأثير العقل في سلوك الفرد ودوره في التأثيرات غير العقلية حيث يقول «أعلم أن لكل فضيلة أساساً ولكل أدب ينبوعا وأسس الفضائل وينبوع الآداب هو العقل الذي جعله الله تعالى للدين آصلاً وللدنيا عماداً فأوجب التكليف بكماله وجعل الدنيا مدبرة بأحكامه والف به بين خلقه مع أختلاف هممهم ومآربهم وتباين أغراضهم ومقاصدهم.»[٦٢].

وقد درس أبن خلدون العلاقة السببية بين العامل الجغرافي والمظهر العمراني في اكثر من موضع. ففسر كثرة العمران وزيادة السكان بالظروف المناخية، وفي ذلك يقول «وأفراط الحر يفعل في الهواء تجفيفاً وتيبساً يمنع من التكوين أذ التكوين لايكون الا بالرطوبة، وعندما تنكسر الشمس يتحول الحر الى الأعتدال فيكون التكوين، ويتزايد الأعتدال على التدريج الى أن يفرط البرد في شدته فينقص التكوين ويفسد. ولذلك كان العمران في الأقليم الأول قليلاً وفي الثاني متوسطاً لأعتدال الحر وفي الثالث كبيراً لنقصان الحر.»[٦٣]

وفي موطن آخر يشير أبن خلدون الى تأثير المعتدل من الأقاليم والمنحرف منها في الوان البشر والكثير من أحوالهم، ويقرر أن الأقاليم المعتدلة يكون سكانها أعدل أجساماً وأخلاقاً وأدياناً. بل أنه يؤكد اكثر من ذلك أثر المناخ في أحوالهم المعيشية حين يقول «وأما الأقاليم البعيدة عن الأعتدال فأهلها أبعد في جميع أحوالهم فبناؤهم بالطين والقصب وقوتهم من الذرة والعشب وملابسهم من اوراق الشجر والجلود وأخلاقهم تشبه أخلاق الحيوانات[٦٤]. «ويذكر كذلك أنه» أذا كان الهواء ساخناً فانه يبعث على النشوة ويكون السكان أسرع أستجابة لدواعي الفرح والسرور واكثر أنبساطاً، ويجيء الطيش على أثر هذه. آما سكان التلول الباردة فترى أهلها مطرقين أطراق الحزين ويفرطون في نظر العواقب حتى أن الرجل منهم ليدخر قوت سنتين من حبوب الحنطة.[٦٥]

أن محور ثقل نظرية أبن خلدون الأيكولوجية يتمركز حول توضيح أثر البيئة الطبيعية والمناخية في قيام الحضارة وأثر الأخيرة في طبيعة النظم الأجتماعية وسلوكية وأخلاقية الناس على أختلاف أوطانهم وأممهم.

أما نظرية أبن خلدون عن التحول الأجتماعي فتعتمد على منهجه الأستقرائي اكثر من أي منهج آخر أستعمله في دراساته التاريخية والأجتماعية. أن نظرية أبن خلدون في التحول الأجتماعي قد فهمها الكثير من الناس على أنها تطبيق لقوانين البيولوجيا على العمليات التاريخية من حيث النشوء والأرتقاء والفناء بالنسبة للدولة ونظمها ولكن البعد الجديد لتفسير وجهة نظر أبن خلدون يكمن في نظره الى أن المجتمع يحمل في طياته عوامل هدمه فهو ينشأ بدوياً غايته تأمين ماهو ضروري للحياة، ولكنه لايلبث أن ينتقل الى مرحلة أعلى بفعل ماينشأ فيه من ميل دائم الى التحسين، وأنتقاله هذا يولد تناقضات جديدة تؤدي بالنهاية الى أنحلال المجتمع وسقوط الدولة.(٦٦)

وقد وجد أبن خلدون في تزايد الترف في مرحلة المدينة السبب الأساسي في فسخ المجتمع، ونظرته في هذا الباب تلتقي مع نظرة المفكر الفرنسي جان جاك روسو. ذلك لان ركون مؤسسي الدولة الذين نشأوا يوماً ما في متاهات البادية الى حياة الترف من شأنه أن يفسد أخلاقهم ويضعف عصبيتهم فيفقدوا عبر أجيال محدودة كل صفات الرجوله والشهامة فيخرج جيل جديد من البادية يزيل الدولة القديمة ويقيم مكانها دولة جديدة. ومن هذا الطريق يتحدد التاريخ.

الخاتمة

مما ذكر أعلاه نستنتج بآن المفكرين الأجتماعيين العرب آبان فترة القرون الوسطى كالفارابي وأبن خلدون وأبن بطوطة والماوردي وأبن سينا وأبن طفيل والغزالي وغيرهم قد برزوا في مناهج العلوم الأجتماعية قبل غيرهم من علماء ومفكري الأمم الأخرى. فهم لم ينقلوا ويترجموا ماجاء به الفلاسفة الأغريق والرومان كما يزعم بعض المفكرين والكتاب الغربيين بل درسوا الأرث الأجتماعي والفلسفي والفكري لأقطاب الحضارات الأنسانية القديمة وآضافوا اليه الشيء الكثير وطوره في مجالات عديدة واكتشفوا مختلف النظريات والقوانين والعلوم الطبيعية والأجتماعية التي أخذها منهم الآوربيون بعد فترة القرون الوسطى.

غير أن بروز العرب في مجالات العلم والفكر والفلسفة لم يكن ممكناً لولا أعتمادهم على العديد من مناهج العلوم التي اكتشفوا بعضها ونموا وطوروا البعض الآخر. ومناهج العلوم التي أعتمد عليها المفكرون والفلاسفة العرب هي المنهج التاريخي والمنهج المقارن ومنهج المشاهدة والمشاهدة بالمشاركة والمنهج الأستقرائي. ومن خلال هذه المناهج الدراسية والبحثية آستطاعوا تكوين الفرضيات والنظريات والقوانين العلمية حول الظواهر الأجتماعية والسلوكية والعمرانية التي تناولوها بالبحث والدراسة والتي آغنت دراسات الأجتماع والأنثروبولوجيا والآقتصاد والفلسفة بالحقائق والمعلومات القيمة التي لاتزال صحيحة الى وقتنا هذا. آذن سبق المفكرون والفلاسفة الأجتماعيون العرب غيرهم من المفكرين والفلاسفة في أمور المنهج وطرق البحث العلمي وتنظير الحقائق والمعلومات وأستعمالها في الحياة العلمية. وحقيقة كهذه تدفعنا الى الأعتقاد بأن العرب كانوا رواداً في مجال البحث الأجتماعي والدراسة الأجتماعية كما كانوا رواداً في مجال العلوم والفنون والآداب ورواداً في مجال الحضارة وتخصصاتها وأقسامها.

الهوامش والمصادر

(١) النشار، علي سامي (الدكتور). مناهج البحث عند مفكري الأسلام، الأسكندرية، دار المعارف، ١٩٦٦، ص ٣٨٤

(٢) الحسن، احسان محمد (الدكتور). علم الاجتماع: دراسة نظامية، مطبعة الجامعة، بغداد، ١٩٧٦، ص ٢٧

(٣) الأوسي، حكمت (الدكتور). التأثير العربي في الثقافة الاسبانية، الموسوعة الصغيرة، بغداد ١٩٨٤، ص ١٣.

(٤) سعفان، حسن شحاته (الدكتور). اسس علم الأجتماع دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٤، ص ١٢٦.

(٥) الساعاتي، حسن (الدكتور). منهجية العلوم وقضية التراث الفكري، بحث مقدم الى ندوة التراث الأجتماعي العربي، الخرطوم، ١٩٨٥.

(٦) ابن خلدون، المقدمة، دار القلم، بيروت، ١٩٧٨، ص ٤١– ٤٤.

(٧) ابن بطوطة، تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار (مخطوطة) تم أنجازها سنة ١٣٥٦م.

(٨) الرفاعي، احمد فريد. الغزالي، الجزء الأول، القاهرة، ١٩٥٤، ص ٢٧٧.

(٩) التل، صفوان خلف (الدكتور). العلوم والفنون عند العرب ودورهم في الحضارة العالمية، دراسات في المجتمع العربي، أتحاد الجامعات العربية، عمان، ١٩٨٥، ص ٣٨٣– ٣٨٥.

(١٠) نفس المصدر السابق، ص ٣٩٢.

(١١) نفس المصدر السابق، ص ٤٠٢.

(١٢) حتي، فيليب. تاريخ العرب المطول، الجزء الأول، الطبعة الثالثة، بيروت، ١٩٦٩، ص ٦٧٤– ٦٧٥.

(١٣) الخشاب، احمد (الدكتور). التفكير الأجتماعي، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٧٠، ص ٣٠٥.

(١٤) الحسن، احسان محمد (الدكتور). الاوليات التاريخية لأهتمامات العرب بعلم الأجتماع، مجلة المورد، العدد الثالث، ١٩٨٦، ١٩٨٦، ص ٦٦

(١٥) ابن خلدون، المقدمة، الكتاب الثاني.

(١٦) الأمام حامد الغزالي، أحياء علوم الدين ج ١ مخطوطة، ص ٤٤- ٤٨ كماورد المصدر في كتاب الدكتور احمد الخشاب ص ٢٧٦.

(١٧) الرفاعي احمد فريد. الغزالي، الجزء الأول، ص ٢٩٥.

(١٨) ابن خلدون، المقدمة، ص ١٠٧

(١٩) الخشاب، مصطفى (الدكتور). علم الأجتماع ومدارسه الجزء الأول، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ١٩٧٥ ص ١١٢- ١١٥.

(20) Abraham, T. Origin and Growth of Sociology, A Pelican Book, Middlesex, England, 1973, P. 11.

(21) Johnson, H. Sociology: A Systematic introduction, london, Routledge and kegan Paul, 1961, P.2.

(22) Radcliffe- Brown, A. Structure and Function in Primitive Societies, London, oxford University Press 1950, Ch. I.

(23) Anderski, S. Compera tive Societies, london, 1952, See the introduction.

(24) Moser, C. A. Survey Methods in social investigation, Heine mann, london, 1967, P. 166.

(٢٥ التل، صفوان خلف (الدكتور). العلوم والفنون عند العرب، ص ٣٩١.

(٢٦) القرآن الكريم، سورة المجادلة، آية ١١.

(٢٧) عبد الحميد، محسن (الدكتور). جمال الدين الافغاني المصلح المفترى عليه، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٣، ص ١٧١

(٢٨) طلفاح، خير الله. كيف السبيل الى الله، الجزء الأول، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٧٤، ص ٥٤- ٥٥

(29) Barnes, B. Sociology of Science, A Penguin Book, Middlesex, England, 1972, P. 202.

(30) Zanden, T. Sociology, 4th ed. New York, Tohn Wiley and sons, 1979, PP. 8- 90

(٣١) ابن خلدون، المقدمة، ص ١٠٨.

(32) Barnes, B. So ciology of Science, PP. 227- 2280

(٣٣) طلفاح، خير الله. كيف السبيل الى الله، ص ٥٥.

(٣٤) الخشاب، احمد (الدكتور). التفكير الأجتماعي، ص ٢٧٧.

(٣٥) الخشاب، احمد (الدكتور). التفكير الأجتماعي، ص ٢٩٤.

(٣٦) عزت، عبد العزيز (الدكتور). تطور المجتمع البشري عند ابن خلدون، مهرجان ابن خلدون، القاهرة، ١٩٦٢.

(٣٧) سالم، نادية حسن (الدكتور). اصالة ابن خلدون، ندوة التراث الاجتماعي العربي، الخرطوم، ١٩٨٥، ص ٩.

(٣٨) نفس المصدر السابق، ص ٧.

(٣٩) الساعاتي، حسن (الدكتور). المنهج العلمي في مقدمة ابن خلدون، اعمال مهرجان ابن خلدون، القاهرة، ١٩٦٢، منشورات المركز القومي للبحوث الاجتماعيةوالجنائية ص ٢٠٤- ٢٠٥.

(٤٠) الحسن، احسان محمد (الدكتور). والدكتور عبد المنعم الحسني، طرق البحث الاجتماعي، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بغداد، ١٩٨٢، ص ١٢٤.

(٤١) ابن خلدون، المقدمة راجع الى فصل ابتقال الدولة من البداوة الى الحضارة ص ١٧٢

(٤٢) الخشاب، احمد. التفكير الأجتماعي، ص ٣٠٦

(٤٣) نفس المصدر السابق، ص ٣٠٧.

(٤٤) الفارابي. اهل المدينة الفاضلة، دار المشرق، بيروت، ١٩٧٣.

(٤٥) الحسن، احسان محمد (الدكتور) علم الأجتماع: دراسة نظامية، ص ٢٨- ٢٩.

(٤٦) الخشاب، مصطفى. علم الاجتماع ومدارسة، ص ١٢٤.

(٤٧) التوانسي، ابو الفتوح محمد. ابن خلدون، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية، ١٩٦١، ص ٢١.

(٤٨) الخشاب، احمد. التفكير الأجتماعي، ص ٣٠٥

(٤٩) ابن خلدون المقدمة، ارجع الى فصل ان اهل البدو اقرب الى الخير من اهل الحضر، ص ١٢٣.

(٥٠) الخشاب، احمد (الدكتور). التفكير الاجتماعي، ص ٣٠٦.

(51) Moss, I. Samp le Survey and the Administative Process, International So cial Science Bulletin, 5, 1953, P. 488.

(52) Ibid., P. 4890

(٥٣) الحسن، احسان محمد (الدكتور). الاوليات التاريخية لاهتمامات العرب بعلم الاجتماع، ص ٦٥.

(٥٤) محمد حسن، عبد الباسط (الدكتور). اصول البحث الاجتماعي، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧١، ص ٨٤-٨٧.

(٥٥) وافي، علي عبد الواحد (الدكتور). عبقريات ابن خلدون، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٣، ص ١٠٦.

(٥٦) البروفسور دينكن ميتشيل. معجم علم الاجتماع، ترجمة الدكتور احسان محمد الحسن، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٦ (الطبعة الثانية)، ص ١١٧.

(٥٧) الخشاب، احمد (الدكتور). التفكير الاجتماعي، ص ٢٤٧- ٢٤٨.

(٥٨) الحسن، احسان محمد (الدكتور). الأسس العلمية لمناهج البحث الأجتماعي، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، ١٩٨٦، ص ١٢.

(٥٩) ابن خلدون، المقدمة، الكتاب الأول.

(٦٠) سعد، علي (الدكتور). ابن طفيل في ميزان العلم، مجلة المعارف اللبنانية، كانون ثاني، ١٩٦٢.

(٦١) الرفاعي، احمد فريد. الغزالي، الجزء الأول، ص ٢٩٤.

(٦٢) الماوردي، ابو الحسن. آدب الدنيا والدين، دار أحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٧٩

(٦٣) ابن خلدون، المقدمة، الكتاب الأول.

(٦٤) نفس المصدر السابق (الكتاب الأول).

(٦٥) نفس المصدر السابق (الكتاب الثالث).

(٦٦) الخشاب، احمد (الدكتور). التفكير الأجتماعي، ص ٣٢٠.

علم النبات في الأندلس

عادل محمد علي الشيخ حسين

بغداد / ص . ب ١٧٠٢٦

عندما جاء العرب المسلمون الاندلس أعتنوا بالزراعة وعلم النبات عنايتهم بالعلوم والاداب الاخرى . فقد جاءوا معهم بانواع جديدة من النبات ودرسوا مايتعلق بها بصورة منهجيه للبلاد الاوربية كالارز وقصب السكر والرمان والقطن والموز وحب الملك والبرتقال والليمون والخوخ والتمر وغيرها واغنوا الاعشاب بألفي نوع . وهناك العديد من الاعشاب لم يكن يعرف الاغريق عنها شيئاً البته[١] . ومن الادله الدامغه عن تأثير العرب في نشر النباتات الزراعية في اوروبا اننا نرى كثيرا من المصطلحات العربية في النبات قد نقلت الى الانكليزيه والفرنسية والاسبانية وغيرها من اللغات الاوربية بنصها العربي المعروف ، وان كان قد دخلها شيء قليل من التحريف .

ونذكر على سبيل المثال الحصر مايأتي : الخروبه (Alcarroba) والحنظل (Alhandul) والحنة (Henne) وبندق (Banduc) وقسط (Gos) وياسمين (Jasmine) والكمون (Cumin) والقطن (cotton) والسكر (sugar) والليمون (Lemon) والكافور (caphor) والزعفران (safran) وكركم (crocus) وسمسم(sesame) وسنبل (sumbul) ولبلاب (lablab) ، ونبات المر (myrrh) [٢] .

ومن اهتمام العرب الكبير بعلم النبات بالذات ترجماتهم لمعظم الكتب الزراعية القديمة المدونة بالنبطية . واليونانية والفارسية واقتباسهم منها مارأوه معقولا ومفيدا فحسنوا بذلك زراعة اراضيهم واراضي الاقاليم التي فتحوها فزادوا في غلاتها ونوعوا ثمراتها وادخلوا في الاستعمال الطبي ماهو صالح لذلك من النبات بعد ان خبروا تأثيره . وهكذا ادخلوا في الطب نباتات لم تكن معروفة عند اليونان مثل التمر الهندي والكافور والراوندوورق السنامي وغيرها . ونقل العرب ايضا النباتات الغريبة الى بلادهم وعرفوا بخواصها الطبية والصحيه مثل الاترج المدور الذي نقلوه من الهند ايام المقتدر بالله العباسي ثم الى البصرة والعراق والشام[٣] .

ومؤلفات العرب الاولى في العلوم قد وضعت علمي النبات والفلاحه معا ، فلم يظهرا كعلمين مستقلين الا في وقت متأخر . كذلك لم تفصل دراسة الصيد له عن دراسة النبات[٤] في بحوثهم الاولى . ثم ان دراسات المسلمين للنبات تراوحت بين الوصف العلمي الادق ودراسة الخواص الباطنه للنباتات وكذلك مالها من المعاني الرمزية والروحية في الكون[٥] .

ومن الكتب ذات الاهمية الخاصة في تقدم علم النبات

والفلاحة العربية كتاب «الفلاحه النبطية» لابن وحشيه ، الذي يتعرض لطرق الزراعة القديمة في الشرق الاوسط ، مع اعتبارات من نطاق علوم الباطن . وهو مؤلف كان له اثر كبير في المؤلفين العرب والمسلمين الذين جاءوا بعد ذلك[٦] .

وتبدأ مؤلفات المسلمين في علم النبات في القرن الثاني للهجرة/ الثامن للميلاد بكتاب النبات لعبد الملك بن عبد العزيز البصري (المتوفى ١٤٠ هـ) وكتاب ربيع بن صبح (١٦٠ هـ) وبرسائل جابر بن حيان (٧٠٠ ـ ٧٦٥ م) في علم النبات والفلاحه . وعلماء اللغة والنحو أيضا في تلك الفترة اهتموا بالنباتات وجمعوا المعلومات عن اشكالها وخواصها واسمائها ومن بينهم الخليل بن احمد الفراهيدي (١٨٠ هـ) وابو النضر إبن شميل (٢٠٤ هـ) وابو زيد الانصاري (٢١٥ هـ) من البصرة ، وابن السكيت (٢٤٣ هـ) من الكوفه . ومن كتب هذا النوع «كتاب النبات والشجر» لابي سعيد الاصمعي[٧] (٤١٦ هـ) .

وفي القرن الثالث للهجرة / التاسع للميلاد كانت بدايه ظهور الكتب المخصصة للنباتات ومنافعها الطبيه . ومن بين كتب هذه الفترة فردوس الحكمة لعلي بن ربان الطبري (توفي بعد ٢٤٠ هـ/ ٨٥٥ م) وكذلك كتب حنين بن اسحاق (توفي ٢٦٦ هـ/ ٨٧٣ م) المترجمة عن اليونانية .

وكتاب النبات لابي حنيفه الدينوري «توفي عام ٢٨٢ هـ ـ ٨٩٥ م» الذي جمع فيه النبات من الوجهتين التاريخية واللغوية ويمتاز بدقة وعناية وصف كل نوع من النبات . وفي القرن الرابع للهجره / العاشر للميلاد ظهرت عدة دراسات فلسفية عن النباتات فخصص اخوان الصفا «القرن الرابع الهجري / العاشر الميلاد» احدى رسائلهم لوصف النباتات وذكر انواعها وكيفيه نموها ، كما تعرضوا للاعداد الرمزية لاجزائها المختلفة ومكانها في مجموع النظام الكوني .

وكذلك ابن سينا ايضا في الفن السابع من الطبيعيات من كتابه «الشفاء» تناول بالتفصيل انواع النباتات من الناحيتين الفلسفيه والعلمية[٨] .

واستند العرب في دراستهم لعلم النبات على دقه الملاحظه والمعاينه واستمرار التتبع فقد كان رشيد[٩] الدين الصوري «٥٧٣ ـ ٦٣٩ هـ / ١١٧٧ ـ ١٢٤١١ م» يستصحب معه مصوراً مزوداً بالاصباغ على اختلاف انواعها ويذهب الى الاماكن التي تكثر فيها النباتات فيشاهده ويحققه ويريه للرسام فيقدر لونه وورقه واغصانه واصوله ويصور بحسبها ويجتهد في محاكاتها ، كما سلك طريقه اخرى تدل على عنايته ودقته في دراسه النبات ، وذلك انه كان يري النبات للمصور في ابان نباته وطراوته فيصوره ، ثم يريه اياه ايضا وقت كما له وظهور بزره فيصوره ، ثم يريه اياه ايضا في وقت يبسه فيصوره في هذه الحالة ، فيكون النبات الواحد يشاهده الناظر اليه في الكتاب وهو على انحاء مايمكن ان يراه به في الارض فيكون تحقيقه له اتم ومعرفته له ابين[١٠].

ومما تقدم يمكن استخلاص دراسات العرب والمسلمين في علم النبات تركزت بصورة اساسية في تناول مسائل تتعلق[١١] بتصنيف النباتات ووظائفها ونشأتها ومراحل نموها ، ووصف اجزائها وعلاقتها بالظروف الجغرافية والمناخية المحيطه بها ، ثم خواصها بما فيها الطبية والباطنية . وقد اكد العلماء العرب على دراسة عالم النبات بنية استخلاص السلوك الروحي والعبر الخلقية والتأمل ايضا في صورة على انها آثار من صنع الله . فالمعاني الروحية للاشجار والزهور والنباتات المختلفة في الحدائق العباسية والمغربيه والاندلسية كما في الاشعار والامثال العربية وفي غيرذلك من المجالات في الفن الاسلامي وفي حياة المسلمين عامه والعرب خاصة في الواقع لاتنفصل عن النواحي التي تتناول خصائص الاعشاب الطبيعية والطبية .

فدراسة النبات عند العرب والمسلمين في حقيقة الامر تشمل جميع النواحي معا .

وعند تصفحنا للكتب والدراسات التي كتبت وحللت ماأصاب الزراعة والنبات في اسبانيا العربية التي سميت بالاندلس آنذاك يمكننا ان نستشف مانال هذين العلمين من عناية بالغة وما بلغته البحوث والتجارب الزراعية والنباتيه من القوة والكمال .

ومن الامثله على ذلك ماامر بأنشائه الخليفه الاموي الاندلسي (عبد الرحمن الناصر) بمدينه قرطبه وهو حديقه نباتيه ومشهورة في القرن الثامن الميلادي ، خصصها للنباتات الطبية وبعث بكثير من المتخصصين في علوم النبات والحشائش الى الشام والعراق وبلاد فارس وبلاد العرب واليمن واواسط افريقيا والهند والقوقاز وبخارى وبلوخستان والصين وسيلان وبعض جزر الهند الشرقية (سو مطره وجاوه والملايو وسنغافورة) وغيرها للبحث عن بذور للنباتات وجلب انواع من المزروعات الطبية والاقتصادية واصناف من الاشجار الغريبة

لضمها لهذه الحديقة الضخمة التي لاتزال اثارها باقيه للان تدل دلالة واضحة على عقليه العرب الشاملة المزدهرة في تلك البقاع . انها نموذج لما كان يجري ايام مجد العرب الحضاري التليد من بحوث علميه وتطبيقيه ناجحه ولها مقومات اشبه بالمختبرات الحالية .

ونتيجة حتميه لذلك ظهر عدد كبير من العلماء في مجال الزراعة والنبات ، تجنبوا ذكر الاوهام والخرافات في كتبهم .[١٢] وعكفوا على اجراء التجارب الرصينه في الحدائق والحقول والبساتين من اجل استنباط ماهو افضل واصلح ومفيد . يقول المستشرق الالماني ماكسي مايرهوف : (لقد نال علم الزراعه وبضمنها النبات على يد علماء اسبانيا الاسلاميه عنايه فائقه . وبلغت الدراسات والتجارب الزراعيه اقصى القوة والكمال . وقد كانت تجلب بذور النباتات من الشرقين الادنى والاوسط ، حيث تجرى عليها التجارب التطبيقية قبل زراعتها وكانت تقارن الاصناف المختلفه من النبات الواحد وتدرس خصائصها الزراعية والطبية والبيئية) .

وقد ازدهر[١٣] علم النبات كثيراً وبصورة اعمق واعم ابان عهد المأمون بن ذي النون امير طليطله خلال النصف الثاني من القرن الحادي عشر للميلاد . الذي عرف عنه انه يهتم بالعلم والعلماء ويشجع كل ماله علاقة بالبحث والدراسة والتتبع العلمي ، واحب بصورة متميزه دراسة الزراعة والنبات واولع بها كثيراً ، ومن جمله مايروى عن اهتمامات المأمون الاندلسي بهذا الشأن انشاؤه حديقه نباتيه جامعه على ضفاف نهر التاجه بالقرب من مدينه طليطله عهد برعايتها الى الطبيب وعالم النبات المشهور ابن وافد المعاصر للعالم الزراعي ابن بصال .

وقد جلبت النباتات من جميع انحاء العالم فغرست فيها وجربت زراعتها وفوائدها الاقتصادية والطبية . وانشأ في هذه الحديقة الرائعة التي صارت تعرف ببستان الناعورة بعد ذلك قبه مائيه كبيرة توزع منها المياه الى كافه انحاء البستان حتى تصل الى قصر المأمون الذي كان مشيدا في وسطها[١٤] .

ومما هو جدير بالذكر ان معظم علماء النبات والزراعة المسلمين قد نبغوا في (الاندلس) ، وان الزراعة وتطور علم النبات لم يصلا في اي بلد آخر في العالم الاسلامي ، بل في سائر العالم المعروف يومئذ ، الى ماوصلت اليه في الاندلس من التقدم والازدهار .

ويرجع ذلك اولا الى طبيعة شبه الجزيرة الاسبانية ، وكثرة انهارها ووديانها ، وبقاعها الخصبة وتنوع اقليمها وتربتها ، وثانيا الى نبوغ اهل الاندلس في الفنون الزراعية ، وبراعتهم المثالية في فلاحه الارض وغرسها واستخراج ثمراتها[١٥] .

ويذكر المؤرخ العربي الاستاذ محمد عبد الله عنان : (ان اهل الاندلس من انبغ الشعوب في فلاحه الارض وتربيه الماشيه وغرس الحدائق وتنظيم طرق الري والصرف ومعرفة احوال الجو ، وكل مايتعلق بفنون الزراعة وخواص النبات .

وكانت مزارعهم وحدائقهم مضرب الامثال في الجودة والنماء . وقد نقل العرب من المشرق وشمال افريقيا الى اسبانيا ، كثيرا من المحاصيل والاشجار كالقطن والارز وقصب السكر والزعفران والنخيل الذي مازالت تزدان به الحدائق والمدن الاسبانية الجنوبيه والزيتون الذي غدا فيها بعد وحتى اليوم اعظم محاصيل اسبانيا ، وكانت بسائط شبه الجزيرة الاسبانية في ايامهم ، رياضا نضرة ، وكانت حقول القمح وغابات الزيتون وحدائق البرتقال والرمان واعراش الكروم ، من ابدع ماترى العين في وديان الاندلس ومروجها[١٦] .

ولاتزال الآثار في اسبانيا من القناطر والجداول الدارسة تشهد الى الآن على نبوغ اهل اسبانيا العربية الاسلامية . ولاتزال ثمة مناطق كثيرة ولاسيما في بلنسية ومرسية تقوم في اعمالها الزراعية على مشاريع الري القديمة التي خطط لها وشيدها علماء الزراعة العرب من اهل الاندلس وقد اشتهر اهل الاندلس ايضاً بغرس الحدائق وتنظيمها بصورة تدعو للروعة والدهشه .

وقد كانت حدائق الرصافة والزهراء والزاهرة وطليطلة واشبيلية بدائع تشهد لهم بوفرة البراعة وحسن الذوق ، وكان اشعاعها النفسي الممتاز مستقى لخيال الشعراء والكتاب ، ولاتزال هذه البراعة حتى اليوم ، علماً على جمال الحدائق الاندلسية .[١٧]

ومن المتفق عليه ان الفنون الزراعية واصول دراسة علم النبات انتقلت على يد الرواد المسلمين ، وعلى يد محلات العشابين المسلمين المتعددة التي قامت خلال القرن العاشر الميلادي في جنوبي فرنسا ، وفي ليجوريا وجنوبي سويسرة الى

شعوب هذه البلدان[١٨] .

ويقال ان القمح الاسود الذي يعتبر اليوم من اهم محاصيل فرنسا الجنوبية انما هوآثر اولئك الرواد ، فهم الذين نقلوا بذوره الى فرنسا ، وهم ايضا الذين نقلوا فسائل النخيل الذي لاتزال تزدان به شواطيء الريفييرا .

«مشاهير علماء النبات في الاندلس»

(١) ابن جلجل (ابو داود سليمان بن حسان بن جلجل) «توفي بعد ٣٨٤ هـ ـ ٩٩٤ م» ، ظهر في مدينة قرطبة ، وعاصر الخليفة هشام بن عبد الحكيم المؤيد بالله واصبح طبيبه الخاص . اهتم واعتنى واجرى تجارب خاصة على مجموعة من النباتات من اجل الكشف عن فوائدها الطبية ، وعارض ديسقوريدس في كثير من ارائه في الادوية وبصورة خاصة فيما يخص النباتات .

من مؤلفاته :

١ـ كتاب تفسير اسماء الادوية المفردة من كتاب ديسقوريدس . الفه سنة ٣٧٢ هـ .

٢ـ كتاب الترياق اورسالة التبيين فيما غلط فيه بعض المتطببين .

وهذا الكتاب يدل على ان علم النبات الطبي قد بلغ درجة عظيمة من التقدم في الأندلس خلال القرن الرابع الهجري[١٩] .

٣ـ مقالة في ذكر الادوية التي لم يذكرها ديسقوريدس في كتابه مما يستعمل في صناعة الطب وينتفع به ، ومالا يستعمل لكيلا يغفل ذكره . واوضح ابن جلجل معتذراً عن ديسقوريدس فيما اغفله في ذلك بقوله اما لانه لم يره ولم يشاهده عيانا ، واما لان ذلك كان غير مستعمل في دهره وابناء جنسه . وهذا هو شأن اخلاق علماء العرب الفاضلة في عدم الطعن بعلوم وعلماء الامم الاخرى .

(٢) ابن وافد (الوزير ابو المطرف عبد الرحمن بن محمد بن عبد الكبير بن يحيى بن وافد بن مهند اللخمي (٣٨٧ ـ ٤٦٧ هـ ٩٧٧ ـ ١٠٧٤ م) ظهر في مدينة طليطلة في ايام الامير ابن ذي النون . وهو من اشراف واغنياء الاندلس . اهتم وشغف بكتب جالينوس وارسطو طاليس وديسقوريدس بشكل خاص . واشتهر في علم النبات الطبي وضبط منها مالم يضبطه ويرتبه ويصححه احد في عصره . وانتشرت كتبه في فرنسا وهولنده وايطاليا وبقيت اهم مصادر النباتات الطبية ردحاً من الزمن في اوروبا . وله من الكتب الادوية المفردة ، كتاب الوساد في الطب ، مجربات في الطب ، كتاب المغيث ، كتاب تدقيق النظر في علل حاسه البصر[٢٠] .

(٣) ابن سمجسون (ابو بكر حامد بن سمجسون «توفى ٣٩٢ هـ / ١٠٠١ م» ، من اهم علماء الاندلس في النبات ، اجهد نفسه في وضع كتاب مهم ضم فيه آراء المتقدمين في الادوية المفردة نقل عنه ابن البيطار[٢١] .

عاصر الامير المنصور الحاجب محمد بن ابي عامر (المتوفى سنة ٣٩٢ هـ) .

من مؤلفاته : كتاب الادوية المفردة وكتاب الاقراباذين .

(٤) البكري (ابو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري) (توفى سنة ٤٨٧) ، هو من اهل مدينة مُرْسيه ثم استوطن قرطبة . واشتهر كونه من اكابر علماء اللغة والفقه والعلوم المختلفة والانساب . ولكن الذي عرف به معرفته الجيدة بالادويه المفردة وقواها ومنافعها واسمائها ونعوتها ومايتعلق بها . ومن كتبه التي تخص النبات كتاب (اعيان النبات والشجريات الاندلسية) . وقد استفاد منه ابن البيطار كثيراً في تأليف كتبه .

(٥) الغافقي (ابو جعفر احمد بن السيد الغافقي) (توفي سنة ٥٦٠ هـ ـ ١١٦٤ م) .

من علماء اهل الاندلس الذين اشتهروا بمعرفتهم في مجال الادوية المفردة والنباتات الطبية . ساح كثيراً في اسبانيا وشمالي افريقيا وجمع نباتات كثيرة متنوعة ودرس خواصها الطبية والغذائية ووضع فهرساً كبيراً ذكر فيه كل نبات حصل عليه باسمه العربي واللاتيني والبربري .

وترك كتاباً هاماً هو «منتخب كتاب جامع المفردات» وقد لخصه ابو الفرج غريغوريوس المعروف بابن العبري (المتوفى سنة ٦٨٤ هـ) . وقد نشره مع ترجمته الانكليزية وحققه وشرحه الدكتور ماكس مايرهوف والدكتور جورجي صبحي في القاهرة .

وقد جمع الغافقي في كتابه هذا ماجاء من اقوال المتقدمين والمتأخرين واضافاته العديدة من المعلومات الجديدة من خبرته . وكان وصفه للنباتات المختلفة وصفاً بديعاً وبالغ الدقة والامانة العلمية مع وضع الاسماء اللاتينية والبربرية الى جانب الاسم العربي . وعمله هذا جعله يعتبر من ارفع النباتيين مكانه في العصور الوسطى بصورة عامة .

(٦) الشفرة (محمد بن علي فرح) (لم تعرف بالضبط سنة وفاته) الملقب بالشفرة لكونه جراحاً . وهو طبيب وعالم نبات اندلسي فاضل ، قام بجمع الاعشاب وبعض النباتات ذات الطابع العلاجي من ابعد النواحي ذات المسالك الوعرة والطرق المجهولة في جنوبي اسبانيا . وانشأ حديقة نباتيه في وادي آنس . الا انه مع الاسف الشديد قد ضاع كتابه الذي وضعه عن النبات[٢٢] .

(٧) الشريف الادريسي (ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله ابن ادريس الحسيني) (٤٩٣ هـ - ٥٧٣ هـ/ ١١٠٠ - ١١٨٠ م) ويلقب في الاندلس بالعالي بالله ، وهو من سلالة العلويين . تثقف في قرطبة . وهو بالاضافة الى كونه عالماً ممتازاً بالنبات ، فانه رحالة له افاق واسعة في معرفة الارض التي وطئتها قدماه لذلك فقد كان وصفه للنباتات ، المختلفة لايختلف كثيراً عن الوصف العلمي الحديث .

وله من الكتب النبات وكتاب الادوية المفردة وكتاب الجامع لصفات أشتات النبات في اربعة اجزاء ويوجد منه نسخة في خزانة الفاتح باستنبول بتركيا (رقم ٣٦١٠) وكتاب الصيدلة .

ولنأخذ بعض الامثلة على وصف الشريف الادريسي لمجمل النباتات التي ذكرها في كتبه ففي مدينة شرشال شمال ايران وصف هذا النبات حيث قال (سفر جل كبير الجرم ذو أعناق كأعناق القرع الصغار وهو من الطرائف غريب في ذاته) . وكان لايترك اية شاردة او واردة عن اية نبته اوعشب او شجر الاذكر نوعه وصفاته العامة وفوائده الاقتصادية او الطبية . ولنبق معه يصف لنا ماشاهده ولاحظه في بلاد المغرب . قال «فعند جبل مجاور لمدينة بجايه في المغرب ، وفي اكتافه جمل من النبات المنتفع به في صناعة الطب مثل شجر الحضض والستولوقندريون ، والبرباريس والقنطوريون الكبير والقسطون والافسنين ، وهذه اعشاب مفيدة جداً لمعالجة الامراض» .

وعن قصب السكر قال : انه قصب يحتوي لبه على مادة حلوة ولذيذة ، ذات لون ابيض ، مسمر وغليظة القوام تشبه النشاولها منافع طبية ويعمل منها العديد من المواد الغذائية[٢٣] .

(٨) ابو العباس بن الرومية (ابو العباس احمد بن محمد بن مفرج ابن ابي الخليل الاموي الاشبيلي النباتي المعروف بابن الرومية) . (٥٦١ - ٦٣٧هـ / ١١٦٥ - ١٢٣٩م) ولد وترعرع في اشبيليه وهو في الاصل من اسرة قرطبية من موالي بني امية .

ساح في مصر والشام والعراق والحجاز وتعرف على انواع نباتاتها في مواضعها التي لاتنبت في بلاد الاندلس او المغرب التي عرفها وخبرها شبراً شبراً .

وقد تمكن ان يحقق اصول مجموعة ضخمة من الاعشاب والنباتات المختلفة وخواصها وميز فوائدها بعكس العلماء الاخرين الذين ركزوا جل اهتمامهم على النباتات الطبية[٢٤] . وقضى ابن الرومية في رحلاته الدراسية والاستقصائية في شمال افريقيا وبلاد المشرق مذ بدأها بعد سنة ٥٨٠ هـ (١١٨٤م) بقليل زهاء ثلاثين سنة ولقى خلال تجواله جمهرة كبيرة من العلماء المشارقة (بمصر والعراق والشام ومكه) ، واخذ وروى عنهم . وبعد عودته استقر في مدينته اشبيلية وافتتح بها معشباً اشبه بالصيدلية للنباتات الطبية . حيث اصبح مقصداً للاطباء والنباتيين وطالبي العلاج والدواء من سائر انحاء الاندلس وشمال افريقيا .

قال ابن عبد الملك المراكشي في (الذيل والتكملة) يصف ابن الرومية ورحلاته وبحوثه : «امام المغرب قاطبة فيما كان سبيله ، جال بالاندلس ومغرب العدوة ، ورحل الى المشرق فاستوعب المشهور من افريقية ومصره وشامه وعراقه وحجازه ، وعاين الكثير مما ليس بالمغرب وعارض كثيرا فيه كل ماامكنه ، ولم يزل باحثاً على حقائقه ، كاشفا من غوامضه حتى وقف منه مالم يقف عليه غيره ، ممن تقدم في الملة الاسلامية ، فصار واحد عصره فردا ، لايجاريه فيه احد باجماع اهل ذلك الشأن»[٢٥] .

ولابن الرومية مؤلفات عديدة في الحديث وعلم النبات ومن اهمها التي نحن بصددها .

(١) شرح حشائش ديسقوريدس وادوية جالينوس والتنبيه على اوهام ترجمتها .

(٢) التنبيه على اغلاط الغافقي .

(٣) الرحلة النباتية .

(٤) المستدركة . وغيرها

ويذكر الاستاذ المؤرخ محمد عبد الله عنان ان له كتاباً في الادوية المفردة على نمط كتب بني زهر في ذلك ، وله غير ذلك مصنفات ورسائل عديدة . بيد اننا لم نتلق مع الاسف من هذا التراث الحافل سوى القليل ، ومعظمه فصول وشذور نقلت الينا على يد المتأخرين[٢٦] .

(٩) ضياء الدين بن البيطار ، (الحكيم الاجل العالم ابو محمد عبد الله بن احمد المالقى النباتي ابن البيطار) ، اوحد زمانه وعلامة العرب في معرفة النبات ، وتحقيقه واختباره ، ومواضع نباته

ونعت اسمائه على اختلافها وتنوعها[٢٧] . ولد في مالقه باسبانيا في اواخر القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) درس في اشبيليه واخذ عن اساتذته ابي العباس ابن الرومية النباتي وعبد الله بن صالح وابي الحجاج وتشرب بنباتها وعرف فوائدها وخصوصاً الطبية منها رحل الى المشرق وعمره في العشرين زار خلالها المغرب واقطار شمال افريقيا وبضمنها مصر ومن ثم ساح في سوريا وبلاد الاغريق وايطاليا وتركيا حيث تعرف على انواع نباتاتها واجتمع باكثر علمائها في علوم النبات واخذ عنهم الشيء الكثير . قال عنه ابن ابي اصيبعة : (كان اول اجتماعي به بدمشق سنة ٦٣٣ هـ ـ فرأيت من حسن عشرته وكمال مروءته ، وطيب اعراقه ، وجودة اخلاقه وكرم نفسه مايفوق الوصف ، ولقد شاهدت معه في ظاهر دمشق كثيراً من النبات في مواضعه وقرأت عليه ايضا تفسيره لاسماء (كتاب ادوية ديسقوريدس) فكنت اجد من غزارة علمه ودرايته في الادوية المفردة مالم اجده في غيره من العلماء)[٢٨] .

نزل مصر فقربه الكامل محمد بن ابي بكر ابن ايوب وجعله رئيساً لسائر العشابين واصحاب البسطات وقد اعتمد عليه في الادوية المفردة والحشائش . وعندما توفي هذا الملك في دمشق التحق بحاشية ابنه الملك الصالح نجم الدين ايوب ابن الملك الكامل وكانت له مرتبة عليا في ايامه .

ثم عاد الى دمشق مرة اخرى حيث توفي سنة ٦٤٦ هـ / ١٠٤٨ م نتيجة تناوله عقاراً ساماً حسب رواية صاحب نفح الطيب[٢٩] .

وقد ترك ابن البيطار كتباً كثيرة الا ان اهمها في مجال علوم النبات كتابان هما المغني في الادوية المفردة ، والجامع لمفردات الادوية والاغذية الذي جمع فيه معلومات يونانية وعربية في علم النبات والاقر اباذين ، ولاسيما معلوماته الخاصة المكتسبة من ابحاثه وتجاربه الشخصية التي كان يجريها بنفسه .

وقد رجع الى اكثر من ١٥٠ مؤلفاً وكتاباً وذكر فضل كل منها في موضوعه وقد وصف اكثر من (١٤٠٠) صنف من الادوية المختلفة مابين نباتي وحيواني ومعدني منها (٣٠٠ صنف) جديد لم يتناولها احد قبله من علماء النبات والادوية . ووصفه دقيق للغاية وهو يذكر المترادفات ، كما يذكر ترجمتها بالاغريقية وبالفارسية والبربرية والاسبانية الدراجة . وتعتبر مؤلفات ودراسات ابن البيطار في جملتها تقدماً بعيد المدى . ولكن بالرغم من ذلك كان تأثيره قليلاً في اوروبّة وذلك لان تيارات الترجمة العربية اللاتينية كانت قد اخذت طابعها النهائي .

بعكس ذلك درست كتب ابن البيطار في العالم العربي والاسلامي دراسة مستفيضة واسعة المدى وانتفع بها علماء النبات والصيدلة المتأخرون[٣٠] .

وقد طبع كتاب الجامع لابن البيطار في ٤ أجزاء بالقاهرة سنة ١٨٧٥ ، وترجم للفرنسية بقلم لوكليرك وترجم للالمانية ايضاً بقلم زونتها يمر في جزأين سنة ١٨٤٠ ـ ١٨٤٢ . وقد تلتها عدة طبعات في مصر وبغداد وغيرها . الا انه لحد الآن لم يحقق ويدرس دراسة علمية يستحقها هذا الكتاب الثمين في ضوء مستجدات العلم الحديث .

اثر ابن البيطار في تقدم العلوم النباتية :

لقد كان لابن البيطار الدور العظيم في الانتقال بالزراعة والنبات الى مرحلة جديدة وكان لمؤلفاته الاثر البعيد المدى فيمن جاءوا بعده من علماء زراعيين ونباتيين ، كما كان لبحوثه النباتية تأثير أخص ظهر في عصر النهضة الاوربية الحديثة . لقد كان ابن البيطار عالماً نباتياً عربياً مبتكراً ، اضاف الى العلوم النباتية العربية والعالمية مادة غزيرة جديدة من عنده . ويقول ويل ديوارنت في موسوعته قصة الحضارة (الجزء الرابع/ الترجمة العربية ـ ص ٣٢٩) مايلي : (ويدل كتاب الجامع لمفردات الادوية والاغذية) على سعة العلم وقوة الملاحظة وهو اعظم كتاب في علم النبات) ، وظل ابن البيطار المرجع الاصلي في علم النبات حتى القرن السادس عشر ، وجعل منه اعظم نباتي في القرون الوسطى . وقد استعمل كتاب ابن البيطار في تكوين اول معشبة نباتية واول صيدلية انكليزية ، اعدتها كلية الطب في عهد (جيمس الاول) ، وكان كتاب الادوية المفردة أحد أسس تكوين علم العقاقير الحديثة ، وقد ترجم عدة مرات الى اللاتينية وطبع ثلاثاً وعشرين مرة خلال القرن الخامس عشر وبعده . وظلت بعض اجزاء هذا الكتاب موضع العناية فترة طويلة ، فقد أعيد نشرها في مدينة كريمونا سنة ١٧٥٨ م .

لقد اضاف اليها جديدا حقا ، وهذا الجديد يتمثل في اسماء النباتات والعقاقير الحديثة التي ابتكرها اعتمادا على تجاربه الخاصة على النباتات وبذلك وضع الاسس الاولى لربط النبات ، بتصنيفه صيدليا وطبيا . لقد اختلف ابن البيطار عن باقي علماء النبات العرب الاخرين في انه كان عشاباً وطبيباً نباتياً ، يتحدث عن النبات واوصافه : اصله وساقه وورقه وزهره وثمره ، حتى لايخلط بين نبات نافع واخر ضار ، ثم يعقب على ذلك بذكر مايستخلص منه من عقار مفيد في العلاج ، وكيف يؤخذ ، ومتى

يؤخذ وكيف يعد الدواء وكيف يتعاطى ومقدار الجرعه . ان المنهج الذي اختطه ابن البيطار في رسم الصورة في تأليف كتبه ولاسيا الجامع لمفردات الادوية والاغذية ، انه ذلك المنهاج الذي سبقه اليه الشريف الادريسي في كتابه (الجامع لصفات أشتات النبات) . والاسلوب الذي اتبعه ابن البيطار في عرض مواد كتابه في النباتات والاعشاب والعقاقير الطبية . . يجري على نمط أسلوب الشريف الادريسي وهذه امثلة مما قاله ابن البيطار في النباتات : (زيتون) : هو شجر معروف وهو صنفان : بستاني وبري ، والزيتون هو ثمر الشجرة ، الزيتون ـ زيتون الماء ، وزيتون الزيت ، وكلاهما بارد يابس معتدل بين الحرارة والرطوبة . واما الرطوبة السائلة من خشب الزيتون الرطب ، اذا التهب فيه النار ، ولطخت به الابثرة والحزاز والملكونيانفع منها ، واذا مزجت مع التمر وخلط بشحم ودقيق وضمد به الاظفار العارضة منها الاثار السمجة أذهبها ، واذا دق ورق الزيتون واعتصر ماؤه وطبخ مع مقدار مثله من عسل نحل ، وقطر في الاذن نفع من الحول العارض للاطفال .

وتحدث عن (اطلايلال) واكثار وآغرغيس يقول : وهو قشر اصل شجرة البرباريس ، واهل مصر يسمونه عودريح مغربي ، وابهل ، ويقول زعمت جماعة من الاطباء انه العرعر وهوخطأ هو صنف من العرعر ، كثير الحب ، وهو شجر له ورق شبيه بورق الطرفاء ، وثمرته حمراء دسمة تشبه النبق في قدرها ولونها ، وماداخله مصروف له نوى ، ولونه احمر ، اذا نضج ، كان حلوا في المذاق وفيه بعض طعم القطران ، ويجمع في وقت قطاف العنب .

ويقول عن الاترج كثير بارض العرب ، وهو مما يغرس غرساً ، ولايكون برياً وتبق شجرته عشرين سنة تحمل وحملها مرة واحدة في السنة وورقها مثل ورق الجوز ، وهو طيب الرائحة وتفاحه شبيه بنور النرجس ، وهوزكي ولشجر شوك شديد . ثم ينقل من خواص الاترج ماقاله ابن سينا ، وابن رضوان واسحق ابن سليمان وغيرهم . وتحدث عن الاشخيص والاشنان وقال انه اجناس كثيرة وكلها من الحمض والاشنان هو الحرض ، وهو الذي يغسل به الثياب ، نبات لاورق له وله أغصان دقاق شبيه بالعقد ، وهي رخصة كثيرة المياه ، ويعظم حتى يكون له خشب غليظ يستوقد به ، وناره حارة جدا ، ورائحة دخانه كريهة ، وطعمه يميل الى الملوحة ، وهو من الحمض . ويقول عن الافيون لبن الخشخاش الاسود . لايعرف الابديار مصر وخاصة بالصعيد بموضع يعرف باسيوط ، فأنه منها يستخرج ، ومنها يحمل الى سائر البلدان .

وعن امير باريس هو البرباريس منه اندلسي وروصي وشامي ، يجلب من جبل بيروت وجبل بعلبك وهو اجود من الرومي عند باعة العطر بمصر والشام ، وهي شجرة خشنة النبات خضراء ، تضرب الى اا السواد ، تحمل حبا صغيرا بنفسجياً ـ واسهب ابن البيطار في الحديث عن الانجدان ـ والاينسون والانجرة وانا غالس ، والايهقان والبابونج وقال انه ثلاثة اصناف ، والفرق بينها في لون الزهرة ، وله أغصان طولها نحو شبر شبيه باغصان التمنش ، وفيها شعب وورق دقاق صغار ، ورؤوس مستديرة صغار في باطن بعضها زهر ابيض وفي بعضها زهر مثل لون الذهب وفي الذي ظهر من الزهر على الرؤوس يظهر باستدارة حولها ، ويكون لونه ابيض واصفر ومزفيري وهو في قدر زهر السذاب ، وينبت في اماكن خشنة من الطرف ، ويقطع في الربيع .

وكذلك وصف الثوم والثيل والجاوشير والجلنار والجلبان وجوز بواوهو جوز الطيب ، في قدر العفص سهل الكسر ، رقيق القشر ، طيب الرائحة . وعالج ابن البيطار في كتابه الجامع مئات اخر من انواع النبات فتكلم عن حب الزلم وحب الملوك وحب الرشاد وحب القلب وحب الفلفل والحدق والحرمل والمسك والحضض والحلبة والهلتيت والحماض والحنظل والحندقوقى والخس والخروع والخشخاش والخلاف والخلنجان وخيار شنبر والدفلى ، والراوند والربوق والرازيانج والرتم والريباس والزقوم والزنجبيل والزيزفون والكمون والكركم والكراوية واللبخ واللبلاب والمحلب والمروالنارنج والهندباء والياسمين والناردين والبينوت واليتوع واللوف وغيرها .

(١٠) ابن ميمون (ابن عمران موسي بن ميمون) . ولد في سنة ١١٣٥ م في مدينة قرطبة بالاندلس . درس نباتات اسبانيا والبرتغال وجنوبي فرنسا وبعض الجزر المجاورة لها . ثم استقر في مدينة فاس المغربية . ثم ساح في فلسطين ومصر حيث استقر بها سنة ١١٦٦ م . واشتغل في مهنة الطب فاشتهر بذلك مما دعا الخليفة الايوبي صلاح الدين ان يجعله طبيبه الخاص وقد ترك ابن ميمون مؤلفات عدة منها في علم النبات كتابه «العقاقير البسيطة» الذي اعتمد فيه على مؤلفات علماء النبات الاندلسيين من امثال ابن جلجل وابن وافد وابن سمجون واحمد الغافقي وابن جناح[٣١] .

وقد اكتشف مخطوط كتاب العقاقير البسيطة احد العلماء مصادفة في مكتبة اياصوفيا باستانبول بتركيا تحت رقم (٣٧١١) في خمسة فصول مرتبة على الحروف الابجدية .

وهذه بعض الامثلة فيما جاء في نص ابن ميمون المشار اليه سلفاً :

اترج : هو التفاح المائي[٣٢] .

ارز : منه يستخرج الزفت ـ والسرو نوع من الارز .

اسطوخودوس ! الذي يستعمله الاطباء بالمغرب، وفي ديار مصر هو هذا النبات الذي يسميه عامة اهل المغرب الحلحال .

بطيخ : نبات مشهور بهذا الاسم في جميع البلاد العربية ومنه مدور ومنه مستطيل ، والمستطيل منه هو الذي اسمه باليوناني ملونيا ، واهل مصر يسمونه البطيخ الاصفر لانهم يسمون الدلاع البطيخ الاحمر .

الهوامش

(١) مجلة دعوة الحق ، ص ٥٤ .

(٢) مجلة المورد ، العدد ٤ ، مج ٦ ، ص ٢٠٣ .

(٣) ابحاث الندوة العالمية الاولى لتاريخ العلوم عند العرب ١٩٧٧ ، ص ٢٤٧ .

(٤) العلوم في الاسلام ، تونس ١٩٧٨ ، ص ٥٩ نقلا عن تاريخ علم النبات عند المسلمين (كتاب هـ . ف . ماير . رسالة في النبات ، مج ٣ ، كمبردج ١٨٥٦) . (ف . سزجن ، رسالة في اعمال العرب في النبات ، ج ٤ ، ١٩٧١ ، ص ٣٠٣ ومابعدها) .

(٥) العلوم في الاسلام ، ص ٥٩ .

(٦) المصدر السابق ، ص ٥٩ (هناك خليط عجيب من التنجيم والسحر وعلم النبات في هذا المؤلف جلب اليه كثيراً من علماء الغرب ومن بحاثي المسلمين فاقبلوا على دراسته والاطلاع على موجز مما يعرف اليوم من معلومات ابن وحشية .

(٧) المصدر السابق ، ص ٥٩

(٨) المصدر السابق ص ٦٠

(٩) العرب والعلم في عصر الاسلام الذهبي ، ص ٤٣ . دراسات في تاريخ العلوم عند العرب ، ص ٣٣٠ .

(١٠) طبقات الاطباء ، ص ٧٠٣

(١١) العلوم في الاسلام ، ص ٦٠

(١٢) الحضارة الاسلامية في الاندلس ، ص ٦٢ .

(١٣) مجلة المورد ، العدد ٤ ، مج ٦ ، ص ٢٠٤ .

(١٤) علم الفلاحة عند المؤلفين العرب بالاندلس ، ص ٣٥ .

(١٥) مجلة العربي ، العدد ١٤٤ ، ص ٨٧ .

(١٦) نفس المصدر السابق ، ص ٨٨ .

(١٧) نفس المصدر السابق ، ص ٨٨ .

(١٨) نفس المصدر السابق ، ص ٨٨

(١٩) تاريخ النبات عند العرب ، ص ٧٩ ـ ٨٠ ، تاريخ الزراعة القديمة ، ٣٠٣ .

(٢٠) المصدر السابق ، ص ٨٠

(٢١) المصدر السابق ، ص ٨٠ ـ ٨١ .

(٢٢) المصدر السابق ، ص ٨١ .

(٢٣) ابحاث الندوة العالمية الاولى لتاريخ العلوم عند العرب ، ص ٢٤٨ .

(٢٤) مجلة الزراعة العراقية ، مج ٢٧ ، ص ٩٤ .

(٢٥) مجلة العربي ، العدد ٨٣ ، ص ١٧ .

(٢٦) المصدر السابق ، ص ١٧

(٢٧) المصدر السابق ، ص ١٩

(٢٨) تاريخ النبات عند العرب ، ص ٧٣

(٢٩) تاريخ الزراعة القديمة ، ص ٣٢٩ .

(٣٠) نفح الطيب ج٢ ، طبع ليدن ، ص ٢٥٦ . مجلة المجمع العراقي ، مج ٢٧ ، ١٩٧٦ ، ص ٣٠ . تاريخ النبات ، ص ٧٤ . تاريخ الزراعة القديمة ، ص ٣٢٩ .

(٣١) تاريخ الطب وآدابه واعلامه ، ص ٣٩٥ ـ ٣٩٦ .

(٣٢) احياء التذكرة في النباتات الطبية ، ص ٥٠

المراجع

(١) نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب للمقري ج ٢ ، طبع ليدن .

(٢) كتاب طبقات الاطباء والحكماء لابن جلجل ، تحقيق فؤاد سيد ، القاهرة ١٩٥٥ .

(٣) العلوم في الاسلام / سيد حسين نصر ، تونس ١٩٧٨

(٤) دراسات في تاريخ العلوم عند العرب / حكمت نجيب عبد الرحمن ، بغداد ـ ١٩٧٧

(٥) العرب والعلم في عصر الاسلام الذهبي / توفيق الطويل ، القاهرة ـ ١٩٦١

(٦) تاريخ النبات عند العرب / د . احمد عيسى القاهرة ـ ١٩٤٤

(٧) تاريخ الطب وآدابه واعلامه / د . احمد شوكت الشطي ، دمشق ١٩٦٧

(٨) تاريخ الزراعة القديمة / عادل ابو النصر ؛ بيروت ١٩٦١

(٩) احياء التذكرة في النباتات الطبية والمفردات العطارية ، د . رمزي مفتاح / القاهرة ـ ١٩٥٣

(١٠) علم الفلاحة عند المؤلفين العرب بالاندلس / خوس ماريه ميلس بيكروسا ، تعريب عبد اللطيف الخطيب . تطوان المغرب ١٩٥٧

(١١) الفاظ من جامع المفردات لابن البيطار ، د . سليم النعيمي ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، مج (٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩) بغداد (١٩٧٦ ـ ١٩٧٨)

(١٢) ابو العباس بن الرومية / الاستاذ المؤرخ محمد عبد الله عنان ، مجلة العربي ، العدد ٨٣ ، الكويت ـ ١٩٦٥ .

(١٣) علماء الزراعة الاندلسيون / للاستاذ محمد عبد الله عنان ، مجلة العربي ، العدد ١٤٤ ، الكويت ـ ١٩٧٠

(١٤) ملخص عن تاريخ الصيدلة والنبات عند مسلمي اسبانيا / ماكس مايرهوف ، مجلة الاندلس ، ج ٣ ، الرباط ـ ١٩٣٥

(١٥) علم الزراعة والنبات من خلال كتاب الفلاحة لابن بصال ، عادل محمد علي ، مجلة المورد ، العدد ٤ ، مج ٦ ، بغداد ـ ١٩٧٧

(١٦) النبات في وصف الرحالة العرب / عادل محمد علي ، مجلة الزراعة

جوانب من الفوارق اللهجية في النحو والقراءات

د. عبد الحسين محمد الفتلي

كلية الآداب ـ جامعة بغداد

ليس سهلاً على الباحث المعاصر أن يصل إلى نتائج ثابتة في هذا الموضوع. وإن كان القدماء قد أشاروا إلى هذه اللهجات أثناء تتبعهم تطور اللغة العربية إشارات كثيرة وواضحة. ولم يغفلوا شيئاً من ذلك بغير شرح وتمحيص. وقد توصلوا إلى نتائج كثيرة أغنت اللغة وأصبحت مرجعاً يشار إليه إلى يومنا هذا. كذلك فعل النحاة ولكنهم في مجال أقل. لأنهم لم يكونوا قاصدين إلى ذلك قصداً- وإنّما جاء إهتمامهم في هذا الموضوع غير مباشر لأنهم يهتمون بالقواعد والحركات الاعرابية. وربّما قال أحد إذن لماذا تبحث اليوم ما بحث قديماً ؟ الجواب، هو اختيار جانب من هذه اللهجات القديمة وإلقاء الضوء على وجودها في النحو العربي وان النحو قد أكثر منها في قواعده تدعيماً لحركة إعراب أو إشارة لقاعدة يجعل القارىء على صلة بلغة الأجداد يفخر بها ولا ينسى أولئك الأفذاذ صانعي الحضارات. فاللهجات قديمة قدم اللغة العربية موزعة على تلك القبائل التي كانت تسكن الجزيرة العربية وما جاورها قبل فساد الألسنة العربية بعد اختلاطها بالأقوام الأخرى التي آمنت بالدين الاسلامي ديناً جديداً. فالعرب الذين كانوا يسكنون الجزيرة لغتهم واحدة لا اختلاف فيها أول الأمر. لكن الظروف السياسية والاجتماعية والطبيعية أدت كلها مجتمعة إلى اختلاف اللهجات المحلية وظهورها على مسرح الحياة. لكي تستطيع تلك الجماعات التي عزلتها هذه الظروف أن تتفاهم بسهولة ويسر عندما ابتعد موطن هؤلاء عن أولئك، لأن التطور الحضاري الذي كان يحدث لبيئة ما قد لايكون هو نفسه قد حصل في تلك البيئة. .[1]

واجتماع هذه اللغات ينتهي أخيراً بسيادة لهجة على باقي اللغات الأخرى وهذا ما حدث للغة العربية بعد اتساع رقعة الاسلام وقبول أصحاب تلك المناطق لهذا النوع من الحكم الجديد، إذ أصبحوا جزءاً لايتجزأ منه. والتداخل اللغوي الذي كان بين القبائل- كما يقول فندريس- انعكس على الرواة باعتباره مصدراً لجميع اللغة. فالأصمعي وأبو زيد وأبو عبيدة أخذوا عن أبي عمرو. .[2]

في حين أخذ أبو زيد عن سافلة العالية وعالية السافلة. وهو يعني عجز هوازن. وقال فيهم: ولست أقول: قالت العرب إلّا ماسمعت منهم. وإلّا لم أقل قالت العرب[3]. .

وكان علماء اللغة والنحو العرب يشترطون في الفصاحة قبائل معينة لا كل القبائل. فأفصح العرب عند أبي عمرو بن العلاء عليا هوازن وسفلى تميم[4]. . وأفصح الناس لديه عليا تميم وسفلى قيس، أما أفصح الشعراء لساناً وأعذبهم كلاماً فهم أهل السروات[5]. .

والعالم العربي الكبير الخليل بن أحمد تنقل في بوادي الحجاز ونجد وتهامة وأخذ عن أهلها. كما أخذ عن أماكن أخرى غير تلك البوادي. وإلّا لما كان محيطاً بعلم اللغة على هذه الصورة التي عرفت عنه[6].

وكانت المواد المعتمدة عند أصحاب اللغة في استخلاص الأمثلة والتراكيب اللغوية التي أصبحت مادة بعد ذلك مقاييس عندهم لطرد القواعد النحوية، يضاف إلى ذلك السماع من أفواه الأعراب في البوادي المختلفة. ولم يتفق هؤلاء النحاة على تحديد الرقعة الجغرافية التي يجب أنْ يقاس على كلام سكانها. فابن جني مثلاً يبيح أنْ يقاس على مختلف اللغات العربية. فلكل لغة ضرب من القياس يؤخذ به. وليس لك أن تردّ إحدى اللغتين بصاحبتها. لأنها ليست أحق بذلك من وسيلتها، ولكن غاية مالك في ذلك أن تميز إحداهما فتقويها[٧]. وعند الفارابي أن قريشاً أجود العرب انتقاء للفصيح من الألفاظ وأسهلها على اللسان عند النطق. والذين نقلت عنهم العربية وبهم اقتدى وعنهم أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم: قيس وتميم وأسد. فإن هؤلاء هم الذين أكثر الأخذ عنهم ومعظمه، وعليهم أُتكل في الغريب والاعراب والتصريف. ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم. والمحصلة الأخيرة أنه لم يؤخذ من حضري قط. ومن سكان البراري ممن كان يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الأمم الذين حولهم[٨].

ثم يعطي الفارابي تحديداً دقيقاً وعلمياً للقبائل التي امتنع علماء العرب عن الأخذ عنها بسبب قربها لأهل مصر من الأقباط أو لمجاورتها لأهل الشام من النصارى أو لمجاورة الفرس أو اليونان[٩]. . والذي يتأمل في الخريطة التي حددها مورداً للأخذ منها يجد أن معظم القبائل القاطنة فيها هي بمنأى عن أي غزو لغوي من شأنه أن يصيب الألسنة بالضعف أو يتطرق إلى فصاحة اللغة التي كانوا يحافظون عليها من كل فساد.

وقد استطاع القيام بهذا العمل القومي التراثي وهو مهمة الجمع والتحري جماعة من علماء اللغة الذين آمنوا بعروبتهم ودينهم والذين عرفوا بطول الباع والأمانة العلمية وسعة الفهم. وكانوا آنذاك أئمة الناس في اللغة والنحو والشعر وعلوم العرب والقراءات، وعنهم أخذ العرب تلك العلوم. وكان في مقدمة هؤلاء أبو زيد الأنصاري وأبو عبيدة والأصمعي الذين أخذوا كلهم عن أبي عمرو بن العلاء[١٠]. . غير أن هذه الفوارق في اللهجات سرعان ما أخذت تقترب من التوحيد اللغوي العام على نحو ما كان عليه اليوم في البلد الواحد يبدو ذلك واضحاً بين شعراء التوحيد اللغوي بعد أن شعر العرب بالتقارب القومي والديني بفضل الاسلام. وما لبثت هذه الفوارق أن تلاشت إلى حد كبير مع ضعف في العصبية القبلية والميل نحو وحدة القبيلة التي آمنت بالدين الجديد.

ان مواقف معروفة من بعض القراءات القرانية المعروفة أحياناً والتي تعزى إلى الصحابة والتابعين لهم تجعل الباحث ولا سيما الذي يحاول دراسة اللهجات في النحو. ربما يقوده ذلك إلى الوقوف على شواهد رواها ثقات وان قراء القرآن الكريم أول من جوبهوا بتعدد الأوجه التي أجازها الشرع لقراء القرآن بحسب تعدد هذه اللهجات الفصيحة الأساسية التي كانت لها الغلبة والسيادة الأدبية منذ العصر القديم. وسوف يكون هذا البحث مقتصراً على قسم من الفوارق اللغوية المعروفة دون تتبع الغامض منها، فذاك تولاه علماء كبار من ذوى الفضل أفنوا جل أعمارهم في جلاء غامضه وشرح مافيه من صعوبات وقدموه لدارسي العربية زاداً يعودون إليه كلما أشتاقوا للغتهم الجميلة الخالدة.

١- **الاستثناء المنقطع**: قسم النحاة الاستثناء إلى موجب وإلى سالب وإلى متصل ومنقطع وغير ذلك من الأقسام التي احتفظت بها كتب النحو فإذا كان الاستثناء منقطعاً فإنه يتعين النصب عند الجمهور، ولا يجوز عندهم الاتباع، ولكن بني تميم يجيزون اتباعه حسب ما قبله، وهم بهذا لا ينصبون إلاّ في حالة واحدة من الحالات الثلاث، ويجيزون هذه سواء في نفي أم شبهه، قال سيبويه: وأما بنو تميم فيقولون: لاأحدَ فيها إلاّ حمارٌ. ارادوا ليس فيها إلاّ حمارٌ ولكنه ذكر أحداً توكيداً، لأن يعلم أن ليس فيها آدمي، ثم أبدل. فكأنه قال: ليس فيها إلاّ حمارٌ[١١]... وهنا يظهر الخلاف في اللهجتين في باب الاستثناء. ولعل انقسام النحاة إلى قسمين في هذا الباب لايدل على أنَّ جمهور العرب كلهم كانوا ينطقون بلغة أهل الحجاز في نصب الاستثناء المنقطع وعدم جواز إبداله، ذلك أن آثار القوم التي تظهر في أشعارهم تنفي هذه الدلالة، فالرفع والنصب في الاستثناء المنقطع كلاهما كان مقبولاً وعلى نطاق واسع بين شعراء التقارب اللغوي الذين كانت لغتهم هي اللغة الأدبية الفصيحة العامة في مختلف اللهجات. قال النابغة

يادارَ مَيَّةَ بالعلياءِ فالسندِ	أقوت وطالَ عليها سالفُ الأبدِ
وقفتُ فيها أُصيلاناً أسائلها	عيّتْ جواباً وما بالرَّبعِ مِنْ أحدِ
إلّا أواريَّ لأياً ما أُبينُها	والنويُ كالحوضِ بالمظلومةِ الجلَدِ

قال سيبويه: وعلى هذا انشدت بنو تميم قول النابغة – أي رفع الاواري على البدل من الموضع. ثم قال: وأهل الحجاز ينصبون، أي على الاستثناء المنقطع، لأنها من غير جنس الأحدين[١٢]...

وكان أبو عبيدة والاصمعي يرويان «الأواري» بالرفع في

شرح ديوان النابغة. وقد سأل الأصمعي أبا عمرو لِمَ رفعتَ الأواري. ؟ فقال: لأنها من بعض الدار. وليس في هذه الرواية مجافاة للغة، فأبو عمرو بن العلاء تميمي والاصمعي وأبو عبيدة من تلامذته. والتلميذ في الغالب يحترم آراء استاذه ويجلها. وقرأ ابو عمرو وابن كثير «ولا يلتفتْ منكم أَحَدٌ إلّا امراتُك»[١٣] برفع «امراتُك» على البدل، فانكر هذه القراءة جماعة منهم ابو عبيد، قال: ولو كان كذا لكان ولا يلتفتُ بالرفع... قال ابو جعفر النحّاس وهذا الحمل من أبي عبيد على مثل أبي عمرو مع جلالته ومحله من العربية لايجب أن يكون[١٤].. وقد قرأ الباقون بالنصب على الاستثناء على القراءة البينة[١٥].. وقرأ السبعة «مالهم بهِ مِنْ عِلْم ، إلّا اتباعَ الظَّنّ»[١٦]...

قال أبو جعفر النحاس: استثناء ليس من الأول في موضوع نصب. وقد يجوز أن يكون في موضع رفع على البدل[١٧].. وتميم ترجح النصب وتجيز الاتباع قال الشاعر:[١٨]

وبلدةٍ ليس بها أنيسُ ... إلّا اليعافيرُ وإلّا العيسُ

فقد رفع الشاعر اليعافير والعيس بدلا من الأنيس.. كذلك قرأ القراء

«مَافَعَلوهُ إلّا قليلٌ منهُم[١٩]» برفع «قليل» على لغة تميم على البدل.

وأهل الكوفة يقولون: على التكرير. مافعلوهُ مافعلهُ إلّا قليل منهم[٢٠]. وقرأ عبد الله بن عامر وعيسى بن عمر «مافعلوهُ إلّا قليلاً منهم» نصباً[٢١] على الاستثناء والرفع أجود عند جميع النحويين. وإنما صار الرفع أجود. لأن اللفظ أولى من المعنى[٢٢]. . واختلاف القراء في هذه الآيات وفي غيرها في باب الاستثناء تدل على اختلاف اللهجات الموجودة في آثار العرب الأدبية المحتج بها.

وتبين أن العرب جميعاً ولا سيما القراء والشعراء كانوا يتكلمون بلغة الحجاز مرة وبلغة تميم أخرى ولا فرق عندهم بين اللهجتين إلّا ماكان قريباً من المعنى، فالحجازيون ينصبون الاستثناء المنقطع مثل.. مافيها أحدٌ إلّا حماراً، جاءوا به على معنى.. ولكنّ حماراً، كرهوا أن يبدلوا الآخر من الأول فصير كأنه من نوعه فحمل على معنى ولكنّ، وعمل فيه ماقبله كعمل العشرين في الدرهم[٢٣] لأن العشرين وإن كان يميز بها مابعدها إلّا أن مثل هذه التراكيب تكاد تكون مميزة عما قبلها، ولعل الذي قد اضطر الحجازيين إلى النصب في هذا الباب هو أن المصادر وغيرها يستثنى بها استثناءً منقطعاً،

قال تعالى «ولنْ أجدَ من دُونهِ ملتحداً إلّا بلاغاً مِنَ الله»[٢٤] قال أبو جعفر النحاس: نصب «بلاغاً» على الاستثناء (٢٥) المنقطع، أي إلّا أن أبلغكم بلاغاً من اللهِ. قال ثعلب: المصادر وغيرها يستثنى بها استثناء منقطعاً[٢٦]. .

ومن قبل ذكر سيبويه: مالَهُ عليه سلطان إلّا التكلف «لأن التكلف ليس من السلطان. . . وإنما يجئ هذا على معنى ولكنَّ. أما بنو تميم فيرفعون هذا كله، يجعلون اتباع الظن علمهم وحسن الظن علمه. والتكلف سلطانه وهم ينشدون بيت ابن الأيهم التغلبي رفعاً:

ليسَ بيني وبين قيسٍ عتابٌ ... غيرُ طَعْنِ الكُلى وضَرْب الرقاب

جعلوا ذلك، العتاب. وأهل الحجاز ينصبون على التفسير الذي ذكرنا[٢٧].

٢- ما العاملة عمل ليس:-

تعمل ما «عمل ليس بلغة أهل الحجاز. ثم ماتلبث أن تعود إلى أصلها وهو عدم إجرائها مجرى ليس على لغة تميم. قال سيبويه: هذا باب ما أُجري مجرى ليس في بعض المواضع بلغة أهل الحجاز ثم يصير إلى أصله وذلك الحرف ما «نقول: ماعبدُ الله أخاك، وما زيدٌ منطلقاً، وأما بنو تميم فيجرونها مُجرى أما وهل،، وهو القياس، لأنها ليست بفعل...[٢٨] فالقياس كما يقول شيخ النحاة الاهمال، لأنها ليست بفعل، وهذا الوجه هو الاحسن، لأن قواعد اللغة أفضلها ثابتاً لامتغيراً وأهل الحجاز أنفسهم حين يرتابون في قوة عملها في بعض المواضع يردونها إلى لغة تميم، لكنهم يقرأون قوله تعالى «ماهذا بَشَراً»[٢٩]، بالنصب، أمابنو تميم فيقرأون بالرفع إلّا من عرف كيف هي في المصحف[٣٠]..

ولأن معنى «ما» «معنى» «ليس» انتقض نفيها ب«إلا». لانه لولم ينتقض معناها لكان معنى الآية «ماأنتُم إلّا بَشَرٌ مثلنا[٣١]» لستم إيها الأنبياء بشر مثلنا فيما فضلكم الله به، وهذا عكس ماهو في الآية الكريمة، وقال سيبويه: لم تقو «ما» حيثُ نقضتَ معنى «ليس» كما لم تقوحين قدمت الخبر. أي يبطل عملها، قال سيبويه «وزعموا أنَّ الفرزدق قال:

فأصبحوا قد أعادَ نعمتَهُم   إذهم قريشٌ وإذ مامِثلَهمُ بَشَرُ

بنصب «مثلهم» وهذا لايكاد يعرف[٣٢] ولم يكن الرجل مجافياً للحقيقة هنا، لأنه تميمي يرفع الخبر مؤخراً فكيف ينصبه وهو مقدم ؟ وقيل: إنّ الفرزدق إراد أنْ يتكلم بلغة أهل الحجاز فلم يعرف أنهم لا يعملون «ما» إذا تقدم الخبر. وهذا بعيد عن الحقيقة فشاعر كبير مثل الفرزدق لايعرف كيف تستعمل «ما» عاملة عند الحجازيين، فإذا سلمنا برواية النصب. فإن «مثل» مبنية لامعربة. اكتسبت البناء من المضاف اليه وهو بناء جائز لاواجب، وله شواهد كثيرة منها قوله تعالى «إنّهُ لَحَقٌّ مثل ماأنكم تَنْطِقُون . .»[٣٣] ولقد ورد في القرآن، إعمال «ما» عمل ليس في ثلاث آياتٍ . «مَا مِنكم مِنْ أحدٍ عنهُ حاجزين»[٣٤] و «ما هذا بشراً»[٣٥] و «ماهُنّ أُمهاتِهم»[٣٦] ولم يختلف القراء السبعة في قراءة هذه الآيات لكن ابن مسعود قرأ «بشراً» بالرفع[٣٧]. على لهجة تميم،/ وقرأ بعضهم من غير السبعة كما ذكر ابن هشام[٣٨] «ماهُنَّ أمهاتُهم» بالرفع، وهذا يرجح قوة القياس في لهجة تميم، وكثرة استعمال العرب للهجة الحجازيين أيضاً، على الرغم من ضعف القياس في هذه اللغة عند علماء ذلك العصر.

نصب خبر ليس ونفيها منتقض بـ«إلاّ»:

لما كانت «ليس» فعلاً بخلاف «ما» فأجاز النحاة أن يتقدم خبرها عليها وهذا مذهب البصريين حملاً لها على «كان . . إذ يتقدم خبرها عليها»[٣٩].

أما الكوفيون وأبو العباس المبرد فقد منعوا ذلك، لأنها فعل غير متصرف فلا يجري مجرى الفعل المتصرف، كما أجريت «كان. مجراه لأنها متصرفة»[٤٠]. . .

أما نصب خبرها مع الحصر فقد رَدَّ عيسى بن عمر على أبي عمرو بن العلاء لما سمعه يرفع المسك» في قولهم «ليس الطيبُ إلاّ المسكُ» فقال أبو عمرو: ليس في الأرض حجازي إلاّ وهو ينصب، وليس في الأرض تميمي إلاّ وهو يرفع[٤١]. . . . فأهل الحجاز ينصبون خبر ليس مع الحصر بخلاف بني تميم الذين يرفعون مثل هذا الأسلوب. قال سيبويه زعموا أن بعضهم قال: ليس الطيبُ إلاّ المسكُ «وما كان الطيب إلاّ المسكُ. . . . .

وقال: وقد زعموا أنَّ بعضهم يجعل «ليس» كـ «ما» وذلك قليل لايكاد يعرف[٤٢]. . فهو هنا يشير إلى لغة تميم.

مايتصب بعد أمامن المصادر:-

قال سيبويه: هذا باب ما ينصب من المصادر لأنه حال صار فيه المذكور وذلك قولك: أما سَمِناً فسمينٌ وأما عِلْماً فعَالِمٌ، وزعم الخليل أنه بمنزلة قولك، أنت الرجلُ علماً وديناً، وأنتَ الرجلُ فَهماً وأدباً، أي أنت الرجل في هذه الحال، وعمل فيه ماقبله وما بعده. . . فانتصب المصدر لأنه حال مصيرٌ فيه. ومن ذلك قولك: أما علماً فلا عِلْمَ له. وأما عِلْماً فلا علْم عنده وأما عِلْماً فلا عِلْمَ، تضمر له. لأنّك إنما تعنى رجلاً. وقد يرفع هذا في لغة بني تميم، والنصب في لغتهم أحسن، لأنهم يتوهمون الحال. فإذا أدخلت الألف واللام رفعوا، لأنه يمتنع من أن يكون حالاً[٤٣]. . .

فبنو تميم لهم في المصدر المنكر النصب بعد «أما» والرفع في المعرف لامتناعه من الحالية. وقد ينصب أهل الحجاز في هذا الباب بالألف واللام لأنهم قد يتوهمون في هذا الباب غير الحال. توهموا أنه منصوب بعده مفعولاً له نحو قولك: فعلتُه مخافةَ ذلك[٤٤]. . وهو والمنكر مفعول مطلق عند الأخفش[٤٥] وذكر سيبويه شاهداً على نصب المصدر مفعولاً له:

أَلا لَيْتَ شعري هَلْ إلى أم مَعْمرٍ   سَبيلٌ فأمّا الصبرَ عنها فَلا صَبْرَا

وهذا على لغة الحجاز، أما بنو تميم فيرفعون ولم ينصبوا في الإلف واللام وتركوا القبح. فيقولونَ: أما العِلْمُ فعالمٌ. كأنه قال: فأنا أو فهو عالمٌ بهِ وكان اضمار هذا أحسن عندهم من أن يدخلوا فيه مالا يجوز، كما قال تعالى «يَوماً لاتجزي نفسٌ»[٤٦] أي جعله مبتدأ وخبراً وقدر فيه كما قدر الضمير في جملة الصفة «لاتجزي فيه»

فَعالِ المعدولة عن فاعلة:

الاسماء المعدولة عن «فاعلة» منقولة إلى بناء «فَعالِ» دالة على علم لمؤنث فأهل الحجاز يبنونه على الكسر، فيقال جاءتني (حَذَامِ)، وكلمتُ، حَذَامِ وسلمتُ على حَذَامِ، فهو يلازم حالة واحدة وتقدر الدلالات الاعرابية فيه، كما تقدر في الافعال الناقصة والأسماء المنقوصة والمقصورة في أغلب حالاتها. قال الشاعر:

(٤٧)

إذا قالتْ حَذَامِ فصدقوها   فإنَّ القول ما قالتْ حَذامِ

وقول النابغة

أتداركةٌ تدللها قطامِ ... وضناً بالتحية والسَّلامِ

أما سيبويه فقد ذكر هذه الصيغة وقال: واعلم أن جميع ماذكرنا إذا سميت به امرأة. فإنَّ بني تميم ترفعه وتنصبه وتجريه مجرى اسم لا ينصرف. وهو القياس. لأن هذا لم يكن اسماً عَلَماً عندهم بمنزلة الفعل الذي يكون «فَعالِ» محدوداً عنه، وذلك الفعل «افْعَل» لأنَّ «فَعالِ» لايتغير عن الكسر، كما أنَّ «أفْعَل» لايتغير عن حالة واحدة. . . . ألا ترى بني تميم يقولون، هذه قطامُ، وهذه حذامُ. لأنَّ هذه معدولة عن حاذمة وقطامُ معدولة عن قاطمة أو قطمة. . . وأما أهل الحجاز ... اسماً لمؤنث، ورأوا ذلك البناء على حاله لم يغيروه. لأنَّ البـ ... واحد، وهو ها هنا اسم للمؤنث. كما كان ثَمَّ اسماً للمؤنث، وهو ها هنا معرفة، كما كان ثمّ. ومن كلامهم أن يشبهوا الشيء بالشيء وإن لم يكن مثله في جميع الأشياء[48]. . فأما ما كان آخره راء، فإنَّ أهل الحجاز وبني تميم متفقون فيه، ويختار بنو تميم فيه لغة أهل الحجاز. كما اتفقوا في «يرى» والحجازية هي اللغة الأولى والقدمى[49]. .

وللخليل رأي في هذا مبنى على ظاهرة صوتية وهي الأمالة لدى تميم، قال سيبويه: فزعم الخليل أنَّ إخبار الألف أخف عليهم ليكون العمل من وجه واحدٍ. فكرهوا ترك الخفة وعلموا أنهم إن كسروا الراء وصلوا إلى ذلك، وأنهم إنْ رفعوا لم يصلوا[50]. . .

وإذا كان أهل الحجاز يبنون «فَعالِ» معدولة عن فاعلة على الكسر بلا خلاف عندما تكون علماً لمؤنث. فإن بني تميم غير متفقين في هذا فالقله منهم تعرب هذا كله بالضمة رفعاً وبالفتحة نصباً وجراً، بمنزلة ما لاينصرف فيقولون: هذه حذامُ، ومررتُ بحذامَ. ورأيتُ حَذامَ[51]. . . أما الغالبية فتميز بين ماكان آخره راء مثل «وبار» قبيلة «وحضارِ» كوكب، و«سفارِ» ماء. مبنياً على الكسر مطلقاً على لغة أهل الحجاز[52]. . . وما كان آخره غير راء مثل حَذَامِ وقَطامِ ورقاشِ فلا خلاف بينهم في إعرابه.

قال سيبويه: وقد يجوز أن ترفع وتنصب ما كان في آخره الراء قال الأعشى.

ومَرَّ دهرٌ على وبارِ ... فهلكتْ جَهْرَةً وبارُ

والقوافي مرفوعة. . . وقال المبرد، ومنهم من يجرى الراء مجرى غيرها ويمضي على قياسه الأول[53]. . . أي البناء على الكسر عند الحجازين والتميميين معاً والأعشى قد رفع «وبارِ» الثانية هنا. لأن القوافي مرفوعة كما قال سيبويه خوفاً من الوقوع في الاقواء. ويبدو أن بني تميم قاسوا صيغة «فَعالِ» غير المنتهية بالراء على الأسماء المعدولة، ثم أعربوها إعراب ما ينصرف للعلمية والعدل. كما عدل عمر وجشم عن عامر وجاشم. ولغة الحجاز هنا أقيس وأثبت لأن لها قاعدة مطردة تدل على تطورها وسبق هذا التطور للغة تميم.

وأما ما جاء معدولاً عن حده من بنات الأربعة فربما أستشهر عنه جهة لغوية دون أخرى مثل قول الشاعر[54]:

قالت لَهُ ريحُ الصبا قرقارِ

وذكر أبو زيد أن في بعض لغة العرب وهم قوم من قيس إذا سئل أحدهم هل بقي عندك شيء من طعامك ؟ فيقول، هَمهامِ، معناه لم يبقَ له شيء[55]، وجاء آخر هذا الفعل مبنياً على السكون- كما ذكر- ابن دريد ولعل الحركة للسكت أو للوقف وليست للبناء. بدليل أنّ الصيغ الأخرى مبنية على الكسر ماعدا الصيغة التي ترد اسماً مثل قولهم: سمعتُ عرعار[56]. . . بفتح الراء وهي لعبة وإنما هي من عَرعرتُ[57]. . .

وقال النابغة:

متكنفي جنبي عُكاظ كليهما ... يدعو وليدهم عَرْعَارِ

وقال أبو حاتم عن أبي زيد سمعت عادياً يقول إذا قيل له: هل عندك شيء ؟ فيقول: هَمهامِ باهذا[58]. . . وهذا يشير إلى أن قوماً من بني عامر وقيس كانوا يتكلمون بمثل هذه الصيغ المبنية على الكسر مع قلتها. لأنها معروفة عند قبائل شتى في شرق الجزيرة وغربها.

أمس ظرف مبني على الكسر:

قال المبرد: ومن المبنيات «أمسِ» تقول: مضى أمسِ بما فيه، ولقيتك أَمْسِ يافتى. وإنما بني لأنه اسم لايخص يوماً بعينه وقد ضارع الحروف. . . ثم قال: فأما كسر آخر «أمسِ» فلالتقاء الساكنين الميم والسين[59]. . . وقال ابن الأنباري. وأما أمسِ فإنما بنيت، لأنها تضمنت معنى لام التعريف. لأن الأصل في أَمس: الأمس. فلما تضمنت معنى اللام تضمنت معنى

الحرف، فوجب أن تبنى[٦٠]. . . وذكر الزجاجي أن «أمس» في كلام العرب مبنى على الكسر أبداً[٦١]. . أما إذا أضيف أو دخله الألف واللام. فإنه يعرب فيقال كان أمسنا طيباً، ومن العرب من يبنيه على الفتح[٦٢]. . .

وكان سيبويه قد سأل الخليل عن «أمس» اسم رجل. فقال: مصروف لأن «أمس» ها هنا ليس على الحد. ولكنه لما كثر في كلامهم وكان من الظروف تركوه على حال واحدة. كما فعلوا ذلك ب- «أينَ» وكسروه، كما كسروا «غاقِ» إذ كانت الحركة تدخله لغير إعراب، كما أنّ حركة «غاقِ» لغير إعراب[٦٣]. . .

وذكر سيبويه أنّ بني تميم يقولون في موضوع الرفع. ذهَب أمسُ بمافيه وما رأيتُه مُذ أمسُ. فلا يصرفون في الرفع. لأنهم عدلوه عن الإصل الذي هو عليه في الكلام لاعن ماينبغي له أن يكون عليه في القياس. الا ترى أنّ أهل الحجاز يكسرونه في كل المواضع، وبنوتميم يكسرونه في أكثر المواضع في النصب والجر، فلما عدلوه عن أصله في الكلام ومجراه. تركوا صرفه، كما تركوا صرف «أُخَر» حين فارقت أخواتها في حذف الألف واللام منها. وكما تركوا صرف «سَحرَ» ظرفاً، إذا كان مجروراً أو مرفوعاً أو منصوباً غير ظرف لم يكن معرفة إلاّ وفيه الألف واللام[٦٤]. . . وقال: وقد فتح قوم[٦٥] «أمس» في مُذْ لما رفعوا. وكانت في الجر هي التي ترفع شبهت بها. قال الشاعر:

لقد رأيتُ عجباً مُذ أمْسا   عجائزَ مثلَ السعالى خَمْسَا

وعلق على هذا بقوله: وهذا قليل[٦٦]. . . أي إعراب «أمس» ومنعها من الصرف، لأنها اسم لليوم الماضي قبل يومك معدول عن الألف واللام.

ونسب السيرافي والأعلم لغة الفتح في «أمسِ» إلى بعض بني تميم مؤولين ذلك بتركهم صرفه[٦٧]. . لكن كسر سين «أمس» هي اللغة المطردة كما عرفنا. قال الراجز:

مازالَ هزيزها مُذأمس   صافحةً خدوَدَها للشَمْسِ

حيث كسرت السين في «أمس» على لغة الحجاز. وأكثر بني تميم يبنونه على الكسر نصباً وجراً. قال أبو زيد: ومن لغة هذا الراجز أن يبني «أَمس» على الكسر. فلذلك قال: أمس[٦٨]. . . . وقد رأينا أنه إذا دخلت عليها الألف واللام تكون معربة ولاخلاف في ذلك عند جميع العرب قال زهير[٦٩]:

وأعْلَم ما في اليوم والامسِ قَبلَهُ   ولكنني عن عِلْمِ مافي غَدٍ عَمِ

يتبين من هذا أنّ أهل الحجاز مجمعون على بنائها بينما بنو تميم على فريقين فريق يعربها بالضمة رفعاً، وبالفتحة مطلقاً، والآخر يعربها بالضمة رفعاً ويبنيها على الكسر نصباً وجراً، أما البناء على الفتح فإنّ لابن هشام رأياً فيه. وقد وصفه بالوهم ويرى أنّ «أمْسَا» في الرجز المذكور فعل وفاعله ضمير مستتر، والتقدير: مذ أمسى المساء[٧٠]. . . وهذا بعيد عن طبيعة اللغة وانكار للغة قبيلة يشهد لها بالفصاحة عند أهل العربية

هَلُمّ اسم فعل عند الحجازيين وفعل أمر عند بني تميم:

الظاهر من كلام العرب أن اللهجات المختلفة كالحجازية والتميمية وغيرهما لم تختلف في أسماء أفعال الأمر إلاّ في «هَلُمّ» قال المبرد في باب مايوضع الفعل وليس بفعل، من ذلك «هَلُمّ» في لغة أهل الحجاز لأنهم يقولون. هُلَمّ للواحد وللاثنين والجماعة على لفظ واحد[٧١].

وأما على مذهب بني تميم فإن النون تدخلها، لأنهم يقولون للواحد: هَلُمّ وللاثنين هَلُمّا، وللجماعة، هَلُمّوا. وللجماعة النسوة هَلمُمن وللواحدة هَلُمّي، وإنّما هي «لُمّ» لحقتها الهاء، فعلى هذا تقول: هُلُمّنّ. وهُلمّنّ ياامراة، وهلممنانّ يانسوة، فيكون بمنزلة سائر الأفعال[٧٢]. . والذي قال بأنها «لُمّ» لحقتها ها التنبيه هو الخليل بن أحمد[٧٣]. . . فهي عند بني تميم بمنزلة رُدّ، ورُدّا، ورُدّي وارْدُدنَ[٧٤]. . أي فعل أمر ولهذا تدخل عليها نون التوكيد الثقيلة والخفيفة.

وقال سيبويه ومن أسماء الأفعال هَلُمّ زيداً، إنما نريد هاتِ زيداً. . .[٧٥]

وذكر في مكان آخر: هَلُمّ لكَ أنتَ وأخوك، وهَلُمّ لكم أجمعونَ، كأنك قلت: تعالوا أنتم أجمعون، وتعالَ أنتَ وأخوك[٧٦]. . وقال. واعلم أنّ ناساً من العرب يجعلون «هَلُمّ» بمنزلة الأمثلة التي أخذت من الفعل، يقولون. هَلُمّي وهَلُمّا وهَلُمّوا،[٧٧]. . وقال: وأما هُلُمّ فزعم - يعني الخليل - أنها حكاية في اللغتين

جميعاً كأنها «لُمّ» ادخلت عليها الهاء، كما ادخلت «ها» على «ذا» لأني لم أر فعلاً قط بني على ذا، ولا اسماً ولا شيئاً يوضع موضع الفعل وليس من الفعل. وقول بني تميم هَلُمّمن «يقوي ذا، كأنك قلت أَلُمّنَ. فاذهبت ألف الوصل[٧٨]... «وذكر الأعلم أن غير سيبويه قال إن أصلها» هل «زادوا عليها» «أُمّ» التي بمعنى اقصد. وحذفوا الهمزة لما جعلوها كشيء واحد، وألقوا حركة الهمزة من «أُمّ» على اللام فضموها، وهذا قول غريب[٧٩].. وذهب بعضهم إلى أنّ أصل «هَلُمّ» «هاولمّ» فعل، وعلى هذا يثنى ويجمع، وأما إذا كان اسماً للفعل فإنّه لايثنى ولا يجمع ولا يؤنث، وزعموا أنّ هذه اللغة أفصح من الأول[٨٠]... وخلاصةُ ماذكر أن تميماً تجعل «هَلُمّ» فعلاً، لأنه مأخوذ من «لَمّ» ولهذا يسند إلى ضمائر الرفع وتدخله النون ثقيلة وخفيفة، وأما أهل الحجاز فيجعلونه اسماً للفعل لا يختلف لفظه بحسب من هو مسند إليه، وعلى لغتهم ورد في القرآن الكريم، قال تعالى «قُلْ هَلُمَّ شهداءكم»[٨١] وقوله تعالى. «والقائلينَ لاخوانهم هَلُمَّ إلينا»[٨٢] وهذا يجعل علماء اللغة يميلون إلى القول بأن لغة أهل الحجاز أفصح من لغة تميم في «هَلُمّ». وذكر الأصمعي أنه إذا قيل لك: هَلُمّ، فقل: لاأهلم، قال: هلممتَ بالرجل إذا قلت له: هَلُمّ فاشتقوا منها وأصلها «هالُمّ»[٨٣].... وقيل: إنّ أهل نجد يصرفونه. ويفضلون لغة الحجاز على لغة تميم[٨٤]....

إبدال لام لعل في بعض اللغات:

في هذا اللفظ لغات كثيرة. يقال: لعلَّ، ولَعَلَّنَ، ولَعَنَّ، ورَعَنَّ، وعَنَّ، وعَلّ وأنَّ وغَنَّ، ولَغَلَّ، وغَلَّ،[٨٥] وربما كانت هذه اللغات تحويلات صوتية شائعة. فتحويل اللام نوناً أو راء تبادل صوتي أشهر من أن يبرهن عليه، وحذف اللام من «لعل» لغة معروفة، كما حذفوا النون من مضارع «كان» في الجزم. وتاء المضارعة

قال ابن الانباري: فلما كثرت هذه الكلمة في استعمالهم حذفوا اللام لكثرة الاستعمال[٨٦] بل، قد تذهب العرب إلى أبعد من هذا فقد سمع سيبويه من العرب

من يقول: ألاتا. بلى فا، فإنما أرادوا: ألا تفعل وبلى فافعل.. قال الراجز

بالخير خَيراتٍ وإنْ شَراً فَا ... ولاأُريدُ الشَرَّ إلا أنْ تَا

يريد إنْ شراً فشرّ. ولا يريد الشر إلاّ أنْ تشاء....

وقد قيل: إنّ ابدال لامها الأولى راءً فهي لهجة تميم. إذ كل مايلفظه الحجازيون لاماً ينطقه التميميون راءً فإذا قال أهل الحجاز: لعمري - قال بنو تميم، رعملي. ولكن الأفصح عندهم أن تقول: لعلَّ وعَلَّ، كما يقر النحاة ذلك[٨٧].... قال تعالى «لعلك باخعٌ نَفْسَكَ»[٨٨] وقال رؤبة[٨٩]:

يا أبتا علك أو عساكا

وقال الشاعر[٩٠]:

ولى نفسٌ أقول لها إذاما ... تُنازعني لعلّي أو عساني

وقال الآخر:

تربصْ بها الأيامَ عَلَّ صروفَها ... سَترمي بها في جاحمٍ مُتَسعّرِ

أراد «لعلَّ» قال ابن الانباري فلما وجدناهم يستعملونها عارية عن اللام في معنى اثباتها دَلّنا ذلك على أنها زائدة... ونسب هذه الزيادة إلى البصريين[٩١]... وقال تعالى «وما يُشعركم أنها إذا جَاءَتْ لَا يُؤمنونَ»[٩٢].. أي لعلها، وذلك في مذهب من فتح الهمزة، فقد حكى الخليل: إئتِ السوقَ أنَّكِ تشتري لنا شيئاً أي لعلكَ[٩٣]..

«ولَعلَّ» في لغة بني عقيل حرف جر. فقد روى أبو زيد بيت كعب الغنوي بجر أبي المغوار «بـ» «لعل»

فقلتُ ادعُ وارفَعْ الصَّوْتَ دَعوةً ... لعلّ أبا المغوارِ مِنكَ قريبُ

قال: ويروى: لعلَ أَبي المغوارِ. وهي الرواية كذا. أنشد اللام الثانية مكسورة وأبي المغوار مجرور[٩٤]... لكنه قال: والرواية المشهورة التي لااختلاف فيها:

لَعلَّ أبا المِغوارِ مِنكَ قريب...

وهذا يدل على أن الجر بـ«لعلَّ» نادر لايكاد يذكر، وقد أقلعوا عنه بعد نزول القرآن الكريم وأصبحت «لعل» لا تعمل إلاّ النصب فقط. وإلاّ فإنّ القوم ممن يشهد لهم بالفصاحة.

«لَدُنْ» بمعنى «عند» ودليل اسميتها دخول «من» عليها: -

قال المبرد: ومن هذه الحروف «لَدُن» وهي اسم فمعناها «عند» يدلك على أنه اسم دخول الالات. كقولك: من لَدُنك، كما تقول: من عندك[95]... وربما كانت الآية الكريمة من هذا الباب. قال تعالى «قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا»[96].. فنافع قرأها من «لَدُني» بضم الدال وتخفيف النـون. وأبو بكـر باسكـان الدال واشمامها بالضم وتخفيف النون. أما قراءة أبي عمرو والأعمش وحمزة والكسائي بتشديد النون، قال أبو جعفر النحاس والقراءة بتشـديد النـون أولى في العربيـة وأقيس، لأن الأصل «لَـدُنْ» باسكان النون ثم تزيد عليها ياءً لتضيفها إلى نفسك ثم تزيد نوناً ليسلم سكون نون «لَدُنْ» كما تقول: عنّي ومنّي[97]...

وقد ذهب ابو اسحـاق الزجـاج أن «لَدُنْ» اسم و«عن» حرف، والحذف في الاسماء جائز، كما قال:

قَدْني من نصرِ الخُبيبينِ قَدي

فجاء باللغتين جميعاً. وأيضاً فإنّ «لَـدُنْ» اثقل من «عن ومن»[98]...

وقال سيبويه: وأماءلَدُفهي «لَدُنْ» محذوفة، كما حذفـوا «يكن» ألا ترى أنك إذا أضفت إلى مضمر رددته إلى الأصل. تقول: من لَدُنْهُ ومن لَدُنّي، فإنما لَدُنْ كـ«عن»[99]... وقال في مكان آخر: وقـد يحذف بعض العـرب النون حتى تصيـر على حرفين، قال الراجز[100]:

مِنْ لَدُ لحييه إلى مُنْحُورِهِ

فبقيت لدُ» على حركتها، ولو كانت مما بني على حـرفين للزمهـا السكون كقـد. وواضح من كـلام سيبويـه أنـه يعلل استعمالات هذا الظرف تعليلاً لغوياً ونحوياً ولا يشير الى التعليل اللهجي. فكل وجه من هذه الأوجه التي ذكرها صار عن فارق في النطق اللهجي المحلي الفصيح، ولاأدل على ذلك من تفاوت القراء في قراءة الآية. فأهل المدينة يقرأون بتخفيف النون وغيـرهم بتشديدها[101]... بل أدل على هذا من نسبة بعض الأوجه فيها إلى قبيلة أو قبائل بعينها، من ذلك انها مبنية في سائر اللهجات أو أغلبها إلّا في لهجة قيس، فإنها معربة فيها[102].... وعلى لغـة هؤلاء قرئ «من لَدُنِهِ» بالكسر، والغالب في الفصحـى أن تكون مجرورة بـ«من»، وقد تضاف إلى الجمل مثل قول الشاعر[103]:

لَدُنْ شَبَّ حتى شابَ سُودُ الذَوائبِ

وكما تكون معربة على لغة قيس فقد تكون منونة، من ذلك ما ذكره أبو زيد. قال القشيريون: جئتَ فلاناً لَدَاً، - بالتنوين - غدوةَ، ففتحوا الدال، وقال بعضهم: لَدَا غدوةٍ، بغير تنوين، فأضاف وجزم الألف[104]... ويتبين مما ذكره أبو زيد فإنّ مَن نون منع غدوة من الصرف، ومن لم ينون صرفها للاضافة، ومعنى هذا أنَّ القشيريين يعربونها على لغة قيس، ويذهبون مذهباً أبعد، حيث ينونها تأكيداً لاعرابهم إياها وبنو قشير كانوا يسكنون العراق بجهات البصرة. وقيس عيلان جد لبني قشير[105]... ولا غرابة إذا اقتفى الحفيد لغة جده القديم.

اختلاف الاعراب في الاسماء الستة:

من العـرب من يلزم الاسماء الثلاثـة: الأب، والأخ، والعم. الألف مطلقاً في جميع أحوال الاعراب وتسمى هذه اللغة لغة القصر

قال الراجز:

إنَّ أبـاهـا وأبـا أبـاهـا ... قـد بلغا في المجد غايتـاهـا

وحكي عن الامام أبي حنيفة أنـه سئل عن إنسـان رمى إنساناً بحجـر فقتله هل يجب عليـه القَوَدُ؟ فقـال: لاولورمـاه بأباقُبيس - بالألف على هذه اللغة، لأن أصله أبَوٌ فلما تحركت الواو وانفتح ماقبلها قلبوها ألفاً بعد اسكانها إضعافـاً لها. كما قالوا: عَصاً وقفاً وأصله عصَو وقَفَو[106]... ومثل هذا ماذكره أبو زيد بعد ذكر بيتين من القصيدة التي منها الشاهد. قال: ولغة بني الحارث بن كعب قلب الياء السـاكنة إذا انفتح ماقبلهـا ألفاً، يقولون: أخذت الدرهمان واشتريت ثوبان والسلام علاكم وهذه الأبيات على لغتهم. وأما «أباها» فيمكن أن يكون أراد «أبوها» فجاء به على لغة مَن قال: هذا أَباكَ في وزن: هذا قفاكَ وكذا كان القياس[107]... ومن العرب من ينقص أباً وأخاً بحذف الواو والألف والياء ويعربها بالحركات الظاهرة على الباء والخاء والميم، قال ابن الأنباري وقد يحكى عن بعض العرب أنهم يقولون: هذا أبُكَ. ورأيتُ أبَكَ ومررتُ بأبِكَ من غير واو ولا ألف ولا ياء. كما يقولون في حالة الافراد من غير إضافة[108]... وعلى هذه اللغة جاء قول الشاعر[109]: -

بأبهِ اقتـدى عديٌ في الكَـرم ... ومَنْ يُشـابـه أَبَـهُ فـما ظَلَم

وقول الآخر:

سوى أبكَ الأعلى وأنَّ محمداً ... علا كلّ عَالٍ يابن عم محمد

وإذا كان الشاهد الأول ينسب للعجاج، فإن هذه اللغة لقومه بني أسد بن مناة من تميم وأنها كانت متفشية على نطاق واسع في جزيرة العرب. وربما كان الشاعر يعرف لهجة أخرى غير لهجة قبيلته فاستعملها في شعره. وجاء في شعر زهير بن أبي سُلمى: –

سَئِمتُ تكاليفَ الحياةِ ومَنْ يعش ... ثمانينَ حولاً لِا أبالَكَ يسأمِ

قال ابن الانباري: «الأب» منصوب ب «لا» على التبرئة. ولَكَ «خبر وهذه اللغة العالية. وهي مبنية على رأى الذين يقولون: قام أباك وأكرمتُ أباكَ، ومررتُ بأباكَ، ويقال على لغة الذين يقولون: قام أبَكَ، وأكرمتُ أبَكَ، ومررتُ بأبكَ[١١٠]... أما التبريزي فيرى أنَّ اللام في «لاأبالَك» زائدة، والتقدير. لاأباكَ. ولولا أنها زائدة لكان: لاأبَ لَكَ، لأنَّ الألف إنما تثبت مع الاضافة، والخبر محذوف، والتقدير: لاأباكَ موجود[١١١] –

إعراب المثنى بالألف مطلقاً:

قال الشاعر:

إنّ أباها وأبا أباها ... قد بلغا في المجد غايتاها

وقال الاخر:

تزود منا بين أُذناهُ طعنةً ... دعته إلى هابي التُرابِ عَقيمُ

وقال الآخر[١١٢]:

فأطرق إطراقَ الشجاع ولويرى ... مَساغاً لناباهُ الشجاعُ لَصَمما

قال أبو زيد والكسائي والاخفش والفراء: هذا على لغة بني الحارث بن كعب، قال الفراء: يقولون: رأيتُ الزيدانِ، ومررتُ بالزيدانِ[١١٣]... وحكى أبو الخطاب الأخفش الكبير أنّ هذه لغة بني كنانة[١١٤]... ثم أن القراء تفاوتوا في قراءة قوله تعالى «إنّ هذانِ لَساحِرانِ[١١٥]» قرأ الكوفيون والمدنيون بتشديد النون[١١٦]، وقرأ، ابن كثير باسكان نون «إنْ»[١١٧] وقرأ أبو عمرو «هذين» بالياء والباقون بالألف[١١٨].. ويتضح من أوجه القراءات هذه أنّ من قرأ باسكان نون «إنْ» لاضير في قراءته ما دام قرأها على لغة أهل التخفيف والالغاء. أما عمرو فقد قرأها على اللغة المشهورة على النصب بالياء. والرفع بالالف باعمال «إنَّ» تبعاً للقاعدة المطردة المعروفة في إعراب المثنى، أما الباقون فقرأوها «هذانِ» بالألف مع تشديد نون «إنَّ» قال ابن الأنباري إنَّ القياس كان يقتضى أن لاتتغير كقراءة من قرأ «إنَّ هذانِ لساحرانِ على لغة بني الحارث بن كعب. إلاّ أنهم عدلوا عن هذا القياس لازالة اللبس[١١٩]... أما ابن كثير المكي المتوفى «١٢٠»هـ فقد انفرد بتشديد نون «هذين» على لغة قيس وتميم[١٢٠]...

وعلى الرغم من تباعد المسافات بين هؤلاء القراء فإنّهم يكادون يتفقون فيما بينهم على أوجه القراءات هذه. فابن كثير المكي متفق مع عاصم الكوفي من جهة. ونافع وابن عامر وحمزة والكسائي من جهة ثانية. ورأينا أبا عمرو مقرئ البصرة المشهور يختار الوجه الأشهر بين اللهجات العربية الفصيحة، وهذا التباعد الجغرافي

ويوحي بانتشار هذه اللهجة، وهي الزام المثنى الألف مطلقاً وانتشارها بين القبائل العربية ووقوفها إلى جانب نصب وجرالمثنى بالياء، ورفعه بالألف.. قال ابن خالويه: إنّ من قرأ «هذانِ» بالألف مع تشديد النون في «إنَّ» قرأها على لغة بلحارث بن كعب خاصة لأنهم يجعلون التثنية بالألف في كلِّ وجهٍ[١٢١]... وقال ابن هشام إنها للحارث بن كعب وخثعم، وزبيد، وكنانة، وقبائل أخرى[١٢٢].. ونسبها الكسائي إلى بني الحارث بن كعب وخثعم. وزبيد وهمدان، بينما عزاها بعضهم الآخر إلى بني العنبر وعُذرة ومراد[١٢٣].. كما نسبت أيضاً إلى بني الهجيم وبطون من ربيعة وبكر بن وائل[١٢٤]....

فإذا كان العدد الكبير من القبائل قد ارتضى هذه اللغة فلا ضير أن نلتزم بها تبعاً لأجدادنا القدماء الذين بذلوا الجهود المضنية في سبيل وضع قواعد العربية الخالدة، ولاداعي إلى التأويلات التي تجافي منطق العربية المبنية على قواعد دقيقة لا يمكن الخروج عليها بأي حال. وإلاّ تبدل نظام هذه اللغة.

لغة أكلوني البراغيثُ

حكى البصريون عن طيىء، وبعضهم عن شنؤة نحو: ضربوني أخوتك وضربتني نسوتُكَ، وضربانِي أخواكَ. وقال الشاعر: يلومونني في اشتراء النخيل أهلي فكلّهُم يعذلُ

وقوله:

أُلفيَتا عيناك عند القَفا أولى فأولى لك ذا واقيَهْ

وقوله:

رأينَ الغواني الشيّبَ لاحَ بعارضي فأعرضْنَ عنّي بالخدود النَواضرِ

قال ابن هشام: والصحيح أن الألف والواو والنون في ذلك أحرف دلوا بها على التثنية والجمع، كما دَلّ الجمع بالتاء في نحو: قامت على التأنيث[125]. . . وقال في المغنى: الواو علامة المذكرين في طيء أو أزد شنوءة أو بلحارث، ومنه الحديث «يتعاقبونَ فيكم ملائكةٌ بالليلِ وملائكةٌ بالنهار[126]. . .

وقال سيبويه: فإنْ قلت: ضربتُ وضربوني قومَك. نصبتَ إلاّ في قول من قال: أكلوني البراغيثُ. أو تحمله على البدل[127]. . .

فسيبويه يقول نصبتَ «أي نصبت قومَك» على المفعولية والواو حرف دال على الجماعة لافاعل. . . لكنه لاينكر لغة الفاعلين لفعل واحد أو أن تجعل «قومك» بدلاً من الواو في ضربوني» وعلى كلا الحالين فالواو عنده فاعل، وعلى هذه تفسر قراءة القراء: وأسروا النَجوى الذينَ ظَلَمُوا[128] «وقوله تعالى» «ثُمّ عَموا وصمُوا كثيرٌ منهم»[129]

قال أبو جعفر النحاس معلقاً على الآية الأولى: ولم يقل: وأَسَرَّ النَجوى والفعل متقدم، لأنّ الفعل إذا تقدم الأسماء وحّدَ وإذا تأخر ثُني وجُمعَ الذي فيه، فكيف جاء هذا متقدماً مجموعاً؟ وقال: قديكون بدلاً من «الواو» أو على إخبار مبتدأ أو نصباً بمعنى «أعني». . . وأجاز الأخفش أن يكون على لغة من قال: أكلوني البراغيث[130]. . . . وهذا يدل على وجود هذه الطريقة من التعبير والاقرار بفصاحتها ولا سيما عند البصريين ممن رويت عنهم هذه اللهجة عن [131] طيء. .

ومواطن طيء وبلحارث حدد في شمال اليمن. وكان موطنهم يتصل بسلمى جبل طيء. وأزد شنوءة كانت مجاورة لأزد السراة بأطراف اليمن[132]. . . . وهذا يدل على أنّ أصحاب هذه اللغة مرتبطون نسباً ومتقاربون موطناً وهذه اللغة كما يبدو أصلها من جنوب الحجاز، ولم تلق رواجاً لدى القبائل الشمالية الأخرى التي كانت متعارفة على عدم إظهار علامتي التثنية والجمع، إلاّ ان بعض الشعراء قد تأثر مع ذلك بهذه اللهجة الجنوبية فضمنها تراكيبه. وقد أظهر الشاعر محمد بن عبد الله القتّبي نون النسوة في الشاهد المذكور آنفاً: فلمّا رأينَ الغواني الشيبَ. .

ولا يمكن وصف هذه اللغة بالشذوذ أو الضعف أو الرداءة، وقد وجد لهذه اللهجة آثار في العامية العراقية والمصرية فعلى سبيل المثال «ظلموني الناس لكن الإجتزاء بفاعل واحد يكفي عن الاتيان بفاعلين يعبران عن غرض واحد ولا سيما إذا كانت العربية لغة حذف وايجاز وإخبار ثم هناك إعراب آخر يقره علماء اللغة الكبار أمثال سيبويه والاخفش والنحاس وغيرهم وهو الاعراب على البدلية من الواو والألف ونون النسوة.

تنوين الترنم:

وهذا التنوين يلحق القوافي المطلقة بحرف علة.

قال سيبويه: هذا ماينون فيه وما لاينون فيه، قولهم لجرير:[133]

أقلي اللّومَ عاذلَ والعتابا وقولي إنْ أصبتُ فقد أصابا

وقال في الرفع لجرير:[134]

مَتَى كان الخيامُ بذي طُلوحٍ سُقيتِ الغيثَ أيتها الخيامُو

وقال في الجر لجرير:

أيهاتَ منزلنا بنعفِ سُويقَةٍ كانت مُباركةً من الإيامِي

وإنما ألحقوا هذه المدة في حروف الروي، لأنّ الشعر للغناء والترنم فألحقوا كل حرف الذي حركته منه. . . . فإذا أنشدوا ولم يترنموا فعلى ثلاثة أوجهٍ:

أما أهل الحجاز فيدعون هذه القوافي مانون منها ومالم ينون على حالها في الترنم ليفرقوا بينه وبين الكلام الذي لم يوضع للغناء، واما ناس كثيرمن بني تميم فانّهم يبدلون مكان المدة النون فيما ينون، ومالم ينون. لمالم يريدوا الترنم، ابدلوا مكان المدة نوناً ولفظوا بتمام البناء وما هو منه. كما فعل أهل الحجاز بحروف

المد، سمعناهم يقولون: -

يا أبَتا عَلّكَ أو عَسَاكنْ

وقال العجاج[١٣٥]. -

من طَلَلٍ كالأتحمي أنهجنْ

وكذلك الجر والرفع، والمكسور والمفتوح والمضموم في جميع هذا كالمجرور والمنصوب والمرفوع. وأما الثالث فإنْ يجروا القوافي في مجراها لو كانت في الكلام ولم تكن في قوافي شعر جعلوه كالكلام حيث لم يترنموا وتركوا المدة لعلمهم أنها في أصل البناء. سمعناهم يقولون لجرير[١٣٦]:

أقلي اللومَ عَاذلَ والعتابْ

حذف الألف من «العتابا» لم يرد الترنم ومَدَّ الصوت.

فإذا أنشدوا على غير الترنم. فأهل الحجاز أجروا آخره مُجرى الترنم على كل حال، ولزموا الأصل الذي يوجهه الشعر من المعنى به، وفرقوا بينه وبين الكلام الذي لم يوضع للغناء. أمّا من أبدل مكان المدة من بني تميم فانّهم أرادوا إتمام الوزن فجعلوا مكان حرف المد نوناً لأنَّ أكثر الأواخر في الكلام فنون فلزم التنوين في هذا كله فحرسوا الوزن ولم ينقصوا منه شيئاً. وفصلوا بين مايترنم به وبين مالايترنم به. وقال البغدادي: ولحاق هذا التنوين إنما هو عند بني تميم وقيس[١٣٧]. .

الأسماء الموضوعة في مواضع المصادر: -

وذلك قولك: مررتُ بزيد وحدَهُ، ومررتُ بأخويك وحدَهما ومررتُ بالقوم وحدَهُم. قال سيبويه: ومثل ذلك في لغة اهل الحجاز مررتُ بهم ثلاثتَهم واربعتَهم، وكذلك إلى العَشرة. وزعمَ الخليل أنّه إذا نصب «ثلاثتَهم» فكأنّهُ يقول: مررتُ بهؤلاءِ فقط ولم أجاوز هؤلاءِ، كما أنه إذا قال: وحدَهُ، فإنما يريد: مَرَرْتُ بهِ فقط ولم أجاوزه[١٣٨]. . . وأما بنو تميم فيجرونه على الاسم الأول، إن كان جراً فجراً، وإنْ كان نصباً فنصباً. وإنْ كان رفعاً فرفعاً[١٣٩]. . . وهذه اللغة أظهر من لغة الحجاز بجعل مثل هذا بدلاً لا حالاً، وكأنهم فروا من النصب في مثل هذه الحالات. قال المبرد: وإذا قلت: مَرَرْتُ بالقوم خمستِهم «فهو على أنه قد علم أنهم خمسة، فإنّما أُجري مُجرى كُلّ أراد: مررتُ بالقوم كُلهم[١٤٠]. . . وكان الخليل من قبل قد أشار إلى هذا المعنى، قال سيبويه: وزعم الخليل أنّ الذين يجرون، كأنهم يريدون أنْ يعموا. كقولك: مررتُ بهم كُلِّهِم، أي لم أدع منهم أحداً[١٤١]. . . والدليل أن لهجة تميم في هذا أقيس وأقرب إلى واقع اللغة من لهجة الحجاز الذين ينصبون على الحال قول الخليل: حيث مَثّل نصب وحدَهُ، وخمستَهم أنه كقولك: أفردتُهم إفراداً، فهذا تمثيل ولكنه لم يستعمل في الكلام[١٤٢]. . . .

إبدال الكاف التي هي علامة المضمر شيناً:

قال سيبويه: اعلم أنها في التأنيث مكسورة، وفي المذكر مفتوحة، وذلك قولك: رأيتُكِ للمرأة ورأيتُكَ للرجل. . . . فأما ناس كثير من تميم وناسٍ من أسدفانّهم يجعلون مكان الكاف للمؤنث الشين. وذلك أنهم أرادوا البيان في الوقف. لأنّها ساكنة في الوقف، فأرادوا أن يفصلوا بين المذكر والمؤنث. . . . وجعلوا مكان الكاف الشين لأنها أقرب مايشبهها من الحروف إليها. لأنها مهموسة. كما أنَّ الكاف مهموسة، ولم يجعلوا مكانها مهموساً من الحلق، لأنها ليست من حروف الحلق، وذلك قولك: إنَّشِ ذاهبةٌ، وما لشيٍ ذاهبة، يريد إنَّكِ ومالَكِ[١٤٣]. . . .

وذكر أيضاً أنَّ قوماً يلحقون الشين بعد الكاف، ليبينوا بها الكسرة في الوقف، كما ابدلوها مكانها للبيان، وذلك قولك: أعطيتكِشْ وأكرمُكِشْ فإذا وصلوا تركوها[١٤٤]. . . قال الأعلم: وهذه اللغة تسمى الكشكشة ويقال: إنّها في قوم من بكر بن وائل. . . وإنما الحقوا الشين في الوقف، لأنهم إذا وقفوا على الكاف سكنت. فلم يكن فصل بين المذكر والمؤنث[١٤٥]. . . وتفسير سيبويه مبني على الظواهر الصوتية كما يبدو. أكثر منه على الفوارق اللهجية، ولم يشر إلى فصاحتها أو رداءتها كعادته عندما يستحسن لهجة أو يستهجنها.

إبدال الكسرة فتحة فتنقلب الياء ألفاً: -

قال الشاعر زيد الخيل[١٤٦]:

أفي كُلّ عام مأتَمٌ تجمعونَهُ ... على مُحَمَّرٍ عودٍ أُثيبَ وما رُضَا

فلو لا زهيرٌ أنْ أكدّرَ نِعمةً ... لقا ذعت كعباً مابقيتُ وما بقَا

وقال زهير[١٤٧]:

تربعَ صارة حتى إذا ما ... فَني الدحلانِ عنه والأضَا

هذه لغة لطيء فانها تبدل الكسرة فتحة فتقلب الياء ألفاً «بقَا ورضَا. . . وكذلك كل فعل ثلاثي سواء كانت الكسرة

والياء فيه أصليتين نحو: بقيَ، ونَسي، وفني ام كان ذلك عارضاً، كما لو بني الفعل للمجهول، يقولون في: هُدَيَ زيدٌ، وفَنِي المالُ وبُني البيتُ، هُدا زيدٌ، وبُنا البيت(١٤٨)... قال ابن سلام وهذه اللغة أثر من آثار العربية القديمة. ولما رحل الطائيون من الجنوب إلى الشمال نشروها فيمن حولهم من مضريين وربيعين، ثم أن أحد المعمرين القدماء وهو المستوغر بن ربيعة قال(١٤٩):

هل ما بقى الّا كما قد فاتنا　　　يومٌ بكرهُ وليلةٌ تحدونا

وقال آخر من طيء: (١٥٠)

إذا لم يكن مالٌ يُرى شَنِفَتْ له　　　صدور رجالٍ قد بَقَالَهُمْ وَفْرُ

وإذا سكن ماقبله فمتى كان واواً أو ياءً أدغم فيه ولم يكن بُدٌّ من تحريكه لئلا يلتقي ساكنانِ كقوله عليه السلام «أو مُخرجيَّ هم» وإذا كان ما قبله ألفاً لم يكن بد من الاتيان به على الأصل وهو تحريكه كقوله(١٥١):

مامن هوايَ ولا شيمتي　　　عَرَكْرَكةٌ ذاتُ لحمٍ زَنَمْ (١٥٢)

أما سيبويه فذكر أنَّ الياء لاتغير الألف وتحركها بالفتحة لئلا يلتقي ساكنان وذلك قولك: بُشرايَ وهُدايَ. وناس من العرب يقولون: بُشريَّ، وهُديَّ، لأنَّ الألف خفيفة والياء خفيفة، وكأنهم تكلموا بواحدة، فأرادوا البيان، كما أنَّ بعض العرب يقول أفْعَى لخفاء الألف في الوقف، فإذا وصل لم يفعل، ومنهم من يقول: أفْعَيْ في الوقف والوصل فيجعلها ياءً ثابتة(١٥٣)...

ولهجة ادغام ياء المتكلم في الأسماء المقصورة لغة هذيل(١٥٤)... قال ابن الناظم(١٥٥): وأما الألف فتبقى ساكنة والياء بعدها مفتوحة ولا فرق بين الألف المقصورة وغيرها في لغة غير هذيل. فيقال في «عصاً، ومسلمان» عصايَ، ومسلمايَ، وبنو هذيل يقلبون الألف المقصورة دون ألف التثنية فيقولون في نحو: فتى، وعصا وحُبلى فتيَّ، وعَصيَّ، وحُبليَّ، قال شاعرهم(١٥٦):

سبقوا هَوِيَّ وأعنقوا لهواهُم　　　فتخرموا ولكلّ جَنْبٍ مَصْرَعُ

أما القرّاء فقد اختلفوا في قراءة قوله تعالى «إنَّ صَلاتي ونُسُكي ومحيايَ ومماتي لِلّهِ رَبِّ العَالمينَ(١٥٧)» قرأ أهل المدينة «ومحيايْ» باسكان الياء في الادراج. وهذا لم يجزه أحد من النحويين إلّا يونس، لأنه جمع بين ساكنين، وإنما أجازه يونس لأن قبله ألفاً، والألف المدة التي فيها تقوم مقام الحركة. وأجاز: اضْرِبانْ زيداً(١٥٨)... وهذه القراءة تنسب لنافع(١٥٩)... قال أبو جعفر النحاس: ومن قرأ بقراءة أهل المدينة وأراد أن يسلم من اللحن وقف على «مَحْيَايْ» فيكون غير لاحنٍ عند جميع النحويين. وقرأ ابن أبي اسحاق وعيسى وعاصم الجَحْدري «وَمَحْيَيَّ ومَماتي» بالادغام. وهذا وجه جيد في العربية، لما كانت الياء يُغَيَّرُ ما قبلها بالكسر ولم يجز في الألف كسر صُيِّرَ تغيرها قلبها إلى الياء كما أنشد أهل اللغة: سبقوا هَوِيَّ(١٦٠)...

وذكر النحاس أنَّ هدًى قُرِئَتْ على هذه اللغة من قبل عاصم وعيسى وابن أبي اسحاق «فمن تَبِعَ هُدَيَّ»(١٦١)

قال أبو زيد: هذه لغة هذيل: يقولون: هُدَيَّ، وعَصَيَّ(١٦٢)..

وذكر ابن هشام(١٦٣) أنَّ الياء تكسر بعد الألف في بعض اللهجات كقراءة الأعمش والحسن «هي عَصَايِ» وهو مطرد في لغة بني يربوع في الياء المضاف إليها جمع المذكر السالم. وعليه قراءة حمزة «بمصرخيِّ إني(١٦٤)» بكسر الياء، قال الأخفش: ماسمعت هذا من أحد من العرب ولا من النحويين. وقال الفراء: لعل الذي قرأ بهذا ظنَّ أنَّ الياء تخفض الكلمة كلها(١٦٥)... لكن الفراء نقض قوله هذا وأنشد قول الشاعر(١٦٦):

قال لها هَل لَك ياتا فيِّ　　　قالت لَهُ ماأنتَ بالمرضيِّ

قال النحاس: ولا ينبغي أن يحمل كتاب اللّه عزَّ وجَلَّ على الشذوذ(١٦٧)...

الاثبات والحذف في ضمير الغائب المتصل:

الاثبات والحذف في مثل هذا الضمير كثير، فالاثبات مثل: ضربهو زيدٌ ولديهي مالٌ، ومررتُ بدارهي. وهوما يقال في العروض الترنم. قال سيبويه: وأحسن القراءتين «نَزَّلْنَاهُ تنزيلاً(١٦٨)» وإنْ تحمل عليْهِ يلْهثْ(١٦٩) «وشَروهُ بثمنٍ بخْسٍ(١٧٠)..» وخذُوهُ فغلُّوهُ(١٧١) والاتمام عربي(١٧٢)..

فسيبويه يفضل حذف الواو والياء على اثباتها، قال: وإذا كانت الواو والياء بعد الميم التي هي علامة الاضمار كنت بالخيار إنْ شئت حذفتَ وإنْ شئتَ أثبتَّ. فإن حذفتَ أسكنتَ الميمَ مثل

عليكُمُو. وأنتمو ذاهبـون. ولَديهي مَـالٌ. فأثبتـوا كما تثبت في التثنية إذا قلت: عليكما، وانتُما، ولديُهما، وأما الحذف والاسكان فقـولهم: عليكم مالٌ وأنتم ذاهبـونَ، ولديهم مـالٌ، كـما كـثر استعمـالهم هذا في الكـلام، واجتمعت الضمتان مـع الـواو، والكسرتانِ مع الياء، والكسـرات مع اليـاء نحو: بِهمي داءٌ، والواو مع الضمتين والواو نحو: أبوهُمُو ذاهبٌ والضمات مـع الواو نحو: «رُسُلُهُمـو بالبينـات»[173] حذفـوا، كما حـذفوا من الهاء[174]. . . وأهلُ الحجاز يقولون: مررتُ بهو قبل، ولديهُمو مالٌ، ويقولون: «فخَسَفْنَا بهو وبدارِهو الأرضَ»[175] فإنْ لحقت الهـاء الميم في عـلامـة الجمع كسـرتهـا كـراهيـة الضمـة بعـد الكسرة[176]. . . وقال: وأعلم أنَّ قـوماً من ربيعـة يقولـون. . «مِنهِم» أتبعوها الكسرة ولم يكن المسكن حاجزاً حصيناً عندهم وهذه لغة رديئة إذا فصلت بين الهاء والكسرة فالزم الأصل لأنك قد تجري على الأصل، ولا حاجز بينهما. . . . وأما أهـل اللغة الرديئة فجعلوها بمنزلة «مِنتِن» لما رأوها تتبعها وليس بينهما حاجز، جعلوا الحاجز الحاجز بمنزلة نون «مِنتِن». . وقال ناس من بكر بن وائل: أحلامِكم وبِكِم. شبهوها بالهاء. لأنها عَلَمُ اضمار. وقد وقعت بعد الكسرة فأتبع الكسرةَ الكسرةَ حيث كانت حرف اضمار، وكان أخف من أنْ يضم بعد أن يكسر وهي رديئة جداً. سمعنا أهل هذه اللغة يقولون، قال الحطيئة:[177]

وإنْ قالَ مولاهم على جُلِّ حادثٍ
مِن الدَّهرِ رُدُّوا فضلَ أحلامِكِم رَدُّوا

فكسر الكاف من «أحلامِكم» تشبيهاً لهـا بالهـاء إذا قَال «أحلامهم» لأنها أختها في الاضمار، ومناسبة لها بالهمس. وقد علق المبرد على هذا الشاهد بقوله: وهذا خطأ عند أهل النظر مردود[178].

وقال أبو زيد: سمعت أعرابياً من أهل العالية يقول: هو لَكَهْ وعليكَهْ. في هولكَ، وعليكَ. وجعل اللّهُ البركةَ في داركَهْ، هـذا في الوقف، ويلقيهـا في الادراج، وسمعت نُميراً يقـول: مـاأحْسَن وجهكَهْ، في الـوقف. وما أكـرم حسبَكَه في الـوقف ويـطرحها في الادراج[179]. . ويختلف القـراء في ضم اليـاء من عَلَيهم «فقرأ حمزة وحدَهُ «عليهُم» بضم الهاء. وكذلك لديهُم. وإليهم. هذه الأحرف الثلاثة بالضم وإسكان الميم، وقرأ الباقون «عليهِم» وأخواتها بكسـر الهاء[180]. . وضم الهـاء مع الميم هي اللغة، أو القراءة، وهي لغة قريش وأهل الحجاز ومن حولهم من فصحاء اليمن[181]. . . . ويقرأ الحجازيونَ «هذهِ سَبيلي»[182] فإذا وقفوا قالوا هذهْ فإذا وصلوا. قالوا: هذي. .

ضمير الفصل عند البصريين: -

جعل ناس كثيرون من العرب «هو» وأخواتها فصلاً بين كل معرفتين لا تستغني إحداهما عن الأخرى. وبين معرفة ونكرة إذا قاربت هذه الأخيـرة. وذلك في بـاب «كان واخـواتها وإنَّ وأخواتها. وفي باب الظن والابتداء والخبر[183]. . . قال سيبويه: وأعلم أنَّ «هو» لايحسن أن تكون فصلاً حتى يكون مـابعدهـا معرفة أو ماأشبه المعرفة، مما طال ولم تـدخله الألف واللام. . نحو: خيرٌ مِنْكَ، ومثلك. وأفضل منك، وشرٌّ منك[184]. . . . وسيبويه هنا يميل إلى جعل «هو» زائداً لا محل له من الاعراب. قال: وأعلم أنها تكون في «إنَّ واخـواتها فصـلاً وفي الابتداء، ولكن مابعدها مرفوع. لأنَّه مرفوع قبل أنْ تذكر الفصل[185]. . أما المبرد فيبدو أنَّهُ لايفضل زيادتها للفصل أو أنَّها عمدة في الكلام قال: وتقول: كانَ زيدٌ هو العاقلُ، تجعل «هو» إبتداءً، والعاقل خبره وإنْ شئت قلت: كان زيدٌ هو العاقل يافَتى، فتجعل «هو» زائدةً فكأنَّك قُلْتَ: كانَ زيدٌ العاقلَ[186]. . . بخلاف سيبـويه الذي لايرتضي من القائلين بأنها عمدة، قال: وأعلم أنَّ ما كان فصلاً لايغير مابعده عن حاله التي كان قبل أنْ يـذكر. وذلـك قولك: حسبتُ زيداً هو خيراً مِنْكَ وكان عبد الله هو الظريفَ، وقال عزَّ وجلَّ «ويرى الذينَ أوتوا العِلْمَ الذي أنزلَ إليـكَ من ربِّك هو الحَقَّ[187]» وقد زعم ناس أنَّ «هو» ها هنا صفة، فكيف يكون صفة وليس في الدنيا عربي يجعلها صفة للمظهر، ولو كان ذلك كذلك لجاز: مررتُ بعبدَ اللّه هو نفسهِ فهي هاهنا مستكرهة لايتكلم بها العرب لأنَّهُ ليس من مواضعها عندهم[188]. . . لكن النحاس يجوز رفع «هو» عـلى أنْ يكون مبتـدأً لاصفة كـما ذكر سيبويه عن أولئك الناس، «والحق» خبره[189]، أما الفراء فيختار الرفع في الاسم الواقع خبراً لكان المجـرد من الألف واللام. وجعل «هو» عماداً، مثل: كان أبو محمد هو عمـرٌو «وعلته في اختيار الرفع أنه لما لم يكن فيه ألف ولام أشبه النكرة في قولك: كانَ زيدٌ هو جَالِسٌ لأنَّ هذا لايجوز فيه إلّا الرفع. . .»[190].

وقد قرأ بالنصب والرفع قوله تعالى «فلَّما توفيتني كنت أنتَ الرَّقيبُ عليهم[191]» وروى سيبويه عن عيسى بن عمر أنَّ ناساً يقرأونَ قولَهُ تعالى:

«ومَا ظَلَمْناهُم ولكنْ كانوا هُمْ الظالمون»[192] برفع «الظالمين»

ذكر الجرمي أن لغة تميم تجعل ماهو فصل عند غيـرهم مبتدأ، ويرفعون ما بعده على الخبر، وقالَ أبـو زيد: سمعتهم يقـرأونَ «تجدوه عنـد اللّهِ هُوَ خَبْـرٌ وأعظمُ أجراً»[193]. وقـال

سيبويه: بلغنا أنَّ رؤبة كان يقول: أظنُّ زيداً هو خيْرٌ مِنْك، وقال الشاعر[١٩٤]:

تبكي على لَيْلَى وأنتَ تركتها وكنتَ عليها بالملا[١٩٥] أنْتَ أقدرُ

ولم يعلق عليه، فالشاعر رفع هنا «أقدر» لأن القوافي مرفوعة ولو كانت منصوبة لنصب، لأنه من النكرات المفارقة للمعرفة. أما قراءة أهل المدينة «هؤلاءِ بَنَاتي هُنَّ أطْهَر لكم» [١٩٦] فهو لحن فاحش، وإنما هي قراءة ابن مروان ولم يكن له علم بالعربية[١٩٧]..

وقال: يونس أن أبا عمرٍو رآه لحناً. وقال: احتبى ابن مروان في هذه في اللحن[١٩٨]... وقد ذكر ابو جعفر النحاس: أنَّ عيسى بن عمر قرأ أيضاً بنصب «أطْهَر» وهو شيخ النحاة- وذكر الكسائي أيضاً.. «هُنَّ أطهر لكم» صواب بجعل «هُنَّ» عِماداً[١٩٩]...

الأصابع مؤنثة إلّا الابهام:

قال الفراء أن الأصابع أناث كلهُنَّ إلّا الابهام، فإنَّ العرب مجمعة على تأنيثها غير بني اسد أو بعض منهم يذكرونها فيقولون: هذا إبهام. وقد علق على ذلك: والتأنيث أجود وأحب إلينا[٢٠٠]..

وكذلك الذراع مؤنثة عند عموم العرب إلّا بعض بني عكل. فقد ذكروها وصغروها على «ذُرَيْعَةٌ. وربما قالوا: «ذُرَيْعٌ» والهاء في التصغير أحسن لأنها ليست كالفرس التي تدل على حيوانين مختلفينِ جنساً قال الشاعر[٢٠١]..

أرمى عليها وهي فَرْعٌ أجمعُ وهي ثلاثُ أذْرعٍ والاصبعُ

وقال تعالى «ثُمَّ في سِلسِلةٍ ذَرْعها سَبْعونَ ذراعاً فاسلكوه»[٢٠٢]

قال أبو جعفر النحاس: الذراع مؤنثة، ثم ذكر البيت[٢٠٣]..

وكذلك الحال مؤنثة، ولكن أهل الحجاز يذكرونها. وقد يدخلونَ فيها الهاء كما قال الشاعر: [٢٠٤]

على حالةٍ لو أنَّ في القوم حَاتماً على جودِ لضنَّ بالماءِ حاتمُ

أما زوجُ فيقع على المرأة والرجل، وهذا قول أهل الحجاز، وأهل نجد يقولون: زوجة وهو أكثر من زوج، والأول أفصح عند العلماء[٢٠٥]..

ويقال للاثنين المتزاوجين زوجان وزوج أيضاً. لكن الأزهري[٢٠٦] وابن الأنباري[٢٠٧] وغيرهما أنكروا أن يقال للاثنين زوج، بل الزوج للواحد نحو قوله تعالى «مِنْ كُلِّ زوجينِ اثنين»[٢٠٨] وتسمية الواحد زوجاً مشروط بأنْ يكون معه آخر من جنسه. وقولها «من كُلِّ رائحةٍ زوجاً»[٢٠٩] قيل اثنين. وقيل من كل شيء شبه صاحبه.

والرجل زوج والمرأة زوج أيضاً في اللغة العالية وبها جاء القرآن نحو «اسكُنْ أنتَ وزَوْجُكَ الجَنَّة[٢١٠]:» ومنه إنَّ لزوجِكَ عليك حقاً[٢١١] وأهل نجد يقولون زوجة- كما رأينا- قال الفرزدق: [٢١٢]

وإنَّ الذي يَسعَى يُخَبِّبُ زَوْجَتي كَساعٍ إلى أُسْدِ الشَّرى يستبيلها

وأنشد الأخفش[٢١٣]:

زوجةُ أشمطَ مَرْهُوبٍ بوادرُهُ قَدْ كانَ في رأسهِ التخويصُ والنَّزَعُ

ومنه في زواج زينب بنت جَحْش «وزوجتُهُ مُوليةٌ وجهُهُا»[٢١٤] وقولهم: يافلانُ هذهِ زوجتي، وقوله «لَهُ زَوجَتَانِ في الجَنَّةِ»[٢١٥] وماذكره أبو زيد على لغة سائر العرب غير أهل الحجاز:

قد أمرتني زَوجتي بالسَّمسَرة وصَبَّحتني لِطُلُوعِ الزُّهَرَةُ

وأنشد الفراء: [٢١٦]

ياصَاحِ بَلِّغْ ذوي الزوجاتِ كُلّهم
أن لَيْسَ وَصْلٌ إذا انحَلتْ عُرى الذَنَبِ

والشواهد كثيرة على مجيء كلمة «زوجة» بالتاء. فإذا كانت لغة الحجاز التي ورد بها القرآن الكريم قد ابتعدت عن إثبات التاء. وقول الأصمعي إنَّ العرب لاتكاد تقول: زوجته[٢١٧]... هذا لايعني أنَّ هذه اللغة ضعيفة أو رديئة. قال علي بن حمزة البصري: إنَّ فصحاء العرب يقولون: زوج وزوجة[٢١٨]....

وإذا كان الأصمعي لايحتج بالشعر الاسلامي كشعر الفرزدق وذي الرمة فإنَّ ذلك لايكون رداً على الفراء وعلي بن حمزة في هذه المسألة مادام هناك شعر في هذا الموضوع جاء على لغة غير أهل الحجاز.

وإذن فالخلاف بين الأصمعي والفراء لايرجع إلى كون

الأول بصرياً والثاني كوفياً بقدر مايرجع إلى المصادر اللغوية التي جمع سُمعَ عن كل منها- فعلى نسبة تفاوت سماعها واختلاف المنطقة اللغوية بينها كانَ حكمها. .

الادغام في «مع» الظرفية:

قال سيبويه في باب الادغام... وإذا أردت الادغام حولت العين حاءً، ثم أدغمت الهاء فيها، فصارتا حاءين، والبيان أحسنُ، ومما قالت العرب تصديقاً لهذا في الادغام قول بني تميم مَحُّم، يريدون مَعَهم، ومَحَّاؤلاءِ، يريدون مع هؤلاء[٢١٩]... وذكر ابن مالك أنَّ تسكين عين «مع» قبل حركة، وكسرها قبل سكون لغة ربيعة[٢٢٠]... وقال الكسائي أنها لغة ربيعة وغنم في حالة تسكين عينها قبل حركة[٢٢١]... وجاءت مسكنة العين في كلام العرب الفصيح ولكنها إذا سكنت فالأفصح أنها اسم[٢٢٢]... قال سيبويه: وسألت الخليل عن «مَعَكم ومع» لأي شيء نصبتها؟ أي لم يبن على السكون، فقال: لأنها استعملت غير مضافة اسماً كجميع، ووقعت نكرة، وذلك قولك جاءوا مَعًا، وذَهَبا معاً... وقد ذهب مَعَهُ، ومن صارت ظرفاً فجعلوها بمنزلة أمام وقُدامَ... وقال الشاعر[٢٢٣] فجعلها كـ «هل» حين اضطر

وريشي منكم وهوايَ مَعْكم ... وإنْ كانت زيارُتكم لِماما

أي أسكن العين في الشعر مشبهاً إيّاها «ببلدنْ وهلْ» وما أشبه ذلك من المُسكّنَاتِ.. وإذا نصبت «مع» نحو قولك: ذَهَبَا مَعًا، فعلى الحال، ويجوز أنْ تكون ظرفاً، كأنّه قال: ذَهَبا في وَقْتِ إجتماعها[٢٢٤]..

والفتح في «مع» لغة عامة العرب والكسر لغة ربيعة[٢٢٥]....

وقرأ الجمهور «إنّا مَعَكُم إنّما نحْنُ مستهزئونَ» بتحريك العين[٢٢٦]...

وقرىء في الشاذ بتسكين العين[٢٢٧]... وقراءة التسكين لايمكن عدها شاذة لهجياً مادامت هناك لهجة فصيحة تجوز مثل هذه القراءة، فالشاذ الحقيقي ماخرج عن فصيح لغة العرب ولا يقوم دليل على أنّ ربيعة غير فصيحة ولا يعتد بلهجتها.

قراءة ألم نشرحْ لك صدرَكَ[٢٢٨] بفتح الحاء:

وهذه القراءة ليست قراءة مستقلة، وإنما يكون أبو جعفر قد بالغ في اظهار الحاء مشبعاً مخرجها، واعتقد السامع أنّهُ فتحها[٢٢٩].. وذكر ابن هشام أنَّ اللحياني نسب هذه القراءة إلى بعض العرب[٢٣٠].. والدراسات الصوتية الحديثة ترى أن الاسراف في تبيين الحروف الحلقية يسلم الى أنْ يضارع حركة الفتح[٢٣١]... والحاء صوت كالعين لافرق بينهما إلاّ أنَّ الحاء صوت مهموس نظيره المجهور وهو العين[٢٣٢].... «ومثل فتح الأصوات الحلقية ماسمعه ابن جني من عبد الله الشجرى أنّه كانَ يفتح حرف الحلق من نحو: يعدو. وهو محموم. وقال: إنّه لم يسمعها من غيره من بني عقيل[٢٣٣]... ويعلل ابن جني هذا بأنّ من ينطقون بالحروف الحلقية يستهويهم كثرة ماجاء عن العرب من تحريك الحرف الحلقي بالفتح إذا فتح ماقبله في الاسم على مذهب البغداديين مثل قول كثير[٢٣٤]:-

لَهُ نَعل لاتطبي الكلبَ ريحُها ... وإنْ جُعِلَتْ وَسْطَ المجالسِ شُمَّتِ

والفرق بين التأويل السابق لقراءة أبي جعفر وماحكاه ابن جني أنَّ الأول حكم صوتي والثاني مظهر لهجي منسوب لقوم بأعيانهم وهم بنو عُقَيل.

الادغام في بعض الحروف:

قالوا في الوتد الودُّ بادغام التاء في الدال لغة تميم[٢٣٥].. وجاء في القرآن الادغام على لغة تميم «ومَنْ يشاقِّ اللّهَ فإنَّ اللّهَ شَدِيدُ العِقَابِ[٢٣٦]» والاظهار والفك على لغة الحجاز «ومَنْ يشاقِقِ اللّه ورسوله[٢٣٧]» وقوله تعالى «ومَنْ يرتَددْ مِنْكُم عَنْ دِينِهِ[٢٣٨]» ولم يقتصر الادغام على تميم حسب. بل كان سائر العرب يدغمون إلاّ أهل الحجاز. قال أبو عمرو. . الادغام كلام العرب الذي يجري على ألسنتها ولا غيره[٢٣٩]..

وذكر المبرد أن با رجاء العطاردي قرأ قولَهُ تعالى «فاتبعوني يَحِبكم اللّه[٢٤٠]» أما كسر الياء من «يحِبّ» فهي لغة بعض قيس، والفتح لغة تميم وأسد وقيس، وهي على لغة من قال: حَبَّ، وهي لغة قد ماتت، قال الأخفش ولم نسمع: «حَبَبْتُ» قال الفراء: لم نسمع حَبَبْتُ إلاّ في بيت أنشده الكسائي[٢٤١]

وأقسم لولا تمرُهُ ماحببتُهُ ... ولو كان أدنى من عَبيدٍ ومشرقِ

وجماعة من العرب يقولون: رُدَّ بضم الدال، يدغمون ويحركون الدال الثانية لالتقاء الساكنين فيتبعون الضمة، ومنهم من يفتح لالتقاء الساكنين، فيقول رَدّيافتي. لأن الفتح أخف الحركات عندهم، ومنهم من يقول: رِدَّ لأنه إذا لقيها فالكسر

أجود، كما قال جرير:[٢٤٣]

فغضّ الطرفَ أنك من نميرٍ فلا كَعباً بلَغْتَ ولا كلابا

وأما الضم فقوله[٢٤٤]:

ذُمّ المنازلِ بعد مَنزلةِ اللّوى والعَيشُ بَعْدَ أُولئك الأيام

قال المبرد: وأما أهل الحجاز فيجرونه على القياس الأصلي فيقولون: فاردد وأغضض، وكل ذلك من قولهم، وقول التميميين قياس مطرد[٢٤٥]...

يبدو هنا أنَّ أهل الحجاز وحدهم لايدغمون، وأما سائر العرب فتذهب مذهب تميم في الادغام. وقرأ نافع وابن عامر «ومَنْ يرتَددْ منكم عن دينِهِ. بالفك على لغة الحجاز، وقرأ الباقون بالادغام على لغة تميم[٢٤٦]...

وأما الشاعر أبو النجم العجلي فقد استعمل الودّ من الوتد، على لغة تميم في قوله:-

ثُمَّ اقرعي بالودِمرفقيها ورُكبتيها واقرعي كَعبيَها

وأبو النجم من عجل كان ينزل سواد الكوفة، وبنو عجل بطن من بكر بن وائل وهذا ينفي ما ادعاه الزجاجي من أنّه من شواذ الادغام[٢٤٧].. ومن هذا يتضح أنَّ القبائل التي اشتهرت بالادغام كانت تسكن وسط الجزيرة وغربها. ولكن أكثر هذه القبائل جميعاً هي بادية تميم وأسد وقيس والقبائل القيسية كانت ممتدة حتى مناطق الحجاز[٢٤٨]...

«غُلظة» في قوله تعالى «وليجدوا فيكم غُلْظَةً»[٢٤٩]

قرأ أبان بن تغلب بضم الغين[٢٥٠].. وروى المفضّل عن الأعمش وعاصم «غَلْظَة» بفتح الغين واسكان اللام[٢٥١]... قال الفراء أهل الحجاز وبني أسد «غِلْظة» بكسر الغين، ولغة تميم «غُلْظة» بضم الغين[٢٥٢].. أما في البحر المحيط.. كسر الغين لغة أسد.. وفتحها لغة الحجاز[٢٥٣].. معنى هذا أن القرّاء غير متفقين على لغة الحجاز في هذا المكان فعالم مثل أبي جعفر النحاس لا يمكن أن يخطيء بالنقل وهو من أهل القراءات واللغة.

فَرَغ يَفْرُغُ في لغة الحجاز:

قال تعالى «سَنَفْرُغُ لَكُم أيُّها الثَّقلانِ»[٢٥٤].

في هذا الفعل خمس قراءات. ذكر أبو عبيد منها اثنتين. قد قرأ بكلٍ واحد منها خمسة قراء وهما «سَنفْرُغُ» و «سَيفْرُغ» فقرأ بالأولى أبو جعفر وشيبة ونافع وأبو عمرو وعاصم، وقرأ طلحة بن مصرف ويحيى بن وثاب والأعمش وحمزة والكسائي «سَيفْرُغ»[٢٥٥]..

ولم يذكر أبو عبيد طلحة. وقرأعبد الرحمن الأعرج وقتادة «سَنَفْرَغُ لكم» بفتح النون والراء، وقرأ عيسى بن عمر «سِنِفرَغ» بكسر النون وفتح الراء، وذكر القراء أنه يقرأ «سَيُفْرَغُ» بضم الياء وفتح الراء[٢٥٦]

قال أبو جعفر النحاس: القراءتان بمعنى واحد، وحكى أبو عبيد أنَّ أهل الحجاز وتهامة. فَرَغ يَفْرُغ، وأنَّ لغة أهل نجد فَرَغ يَفْرَغُ، وأنه لايعرف أحداً من القراء قرأ بها[٢٥٧]...

وعلق النحاس على ذلك فقال: قد ذكرنا من قرأ بها، فمن قال: فَرَغ، يَفْرُغُ، جاء به على الاصل، لأنَّ فيها حرفاً من حروف الحلق وحروف الحلق يأتي منها فَعَلَ يَفْعَلُ كثيراً نحو: ذَهَبَ يَذْهَبُ وصَنَع، يَصْنَعُ، ويأتي مافيه لغتان نحو، صَبغَ يَصْبَغُ، ويَصْبُغُ ورعَفَ، يَرْعَفُ، وَيرعُفُ. ويأتي منها مالا يكاد يفتح نحو نحتَ، يَنْحِتُ، وإنما يرجع في هذا إلى اللغة[٢٥٨]..

فلغة نجدها هنا أقرب إلى القياس من لغة أهل الحجاز مادام الفعل «فدَغَ» فيه حرف من حروف الحلق. ومثل هذا الفعل غالباً ما يكون مفتوح العين في الماضي والمضارع، وإلاّ فالرجوع إلى السماع عن العرب في مثل هذه الخلافات. وإلى ذلك أشار النحاس بقوله: وإنما يرجع في هذا إلى اللغة..

واذا قيلَ لهم [٢٥٩] بالادغام.

إذا في موضع نصب على الظرف «وقيل لهم» فعل ماض، ويجوز «قِيلَ لَهم» بادغام. وجاز الجمع بين ساكنين، لأن الياء حرف مَدٍ ولين، والأصلُ «قُولَ» اُلقيت حركة الواو على القاف فانكسر ما قبلَ الواو، فقلبت ياءاً، قال الأخفش: ويجوز «قُيْلَ» بضم القاف وسكون الياء، ومذهب الكسائي اشمام القاف الضَمَ ليدل على ما لم يسم فاعله. وهي لغة كثير من قيس، فأما هذُيل وبنو دُبَيرَ من بني أَسَد وبنو فَقْعَس فيقولون: قُـوْلَ بواو ساكنة[٢٦٠].. وجاء في جمهرة الأنساب توكيداً لهذا أن دُبير بطن من أسد بن خزيمة من العدنانية[٢٦١].. وقال أبو حيان «وقُوْلَ» هذه لغتهم[٢٦٢].. وما ذكره الكسائي من إخلاص الضم في قُولَ وبُوعَ وقول الشاعر:

ليتَ شَباباً بوُع فاشتريتُ لَيتَ وهل ينفعُ شيئاً ليتُ

هي اللغة الفضلى، لأنَّ بني دُبير وبني فقعس هما من فصحاء بني أسد وقد قرئت الآية الكريمة بالاشمام «وقيلَ ياأرضُ ابلعي ماءَكِ ويابسَماءُ أقْلعي وغيضَ الماء[٢٦٣]»، وكذلك يقال غُيضَ بضم الغين[٢٦٤]..

فتنتُه وأفتنتُه لغتان:

قال تعالى إنْ خفتم أنْ يَفْتِنَكُم الذينَ كَفَرُوا[٢٦٥]..

قال الفراء: أهل الحجاز يقولون: فَتَنْتُ الرجلَ، وتميم وربيعة وقيس وأسد وجميع أهل نجد يقولون: أفتنتُ الرجلَ[٢٦٦]..

قال سيبويه في باب افتراق فعلتُ وأفْعَلْتُ في الفعل للمعنى....

تقول: فَتَنَ الرجلُ، وفتنتُهُ، ومثله حَزِنَ وحَزنتُه، ورَجَع ورجعْتُه وزعم الخليل: أنَّكَ حيث قلت: فتنتُه وحزنتُه لم ترد أنْ تقولَ. جعلتُهُ حزيناً وجعلتُه فاتناً، كما أنك حين قلت: أدخلتُه أردت جعلته داخلاً ولكنك أردت أن تقول: جعلت فيه حزناً وفتنةً فقلت فتنتهُ، كما قلت كحلته أي جعلت فيه كحلاً[٢٦٧]..

وزعم الاصمعي أنه لايعرف أفتنتُه بالألف. وقال: فتنتُه يفتنُه فهو فاتن وفتان، قال اللّهُ جَلَّ وعَزَّ «ماأَنتُم عَلَيْهِ بفاتنين[٢٦٨]»..

قال: ولا يقال أفتنه، ثم ذكر بيت الشاعر على فتنَه وأفتنَهُ:

لِئن فتنتني لهيَ بالأمسِ أفتنت

سعيدا فأمسى . قدْ قَلا كل مسلم

قال النحاس. وهذا شعر قديم- لأعشى همدان- غير أن الأصمعي قال: لابأسَ هذا، قد سمعناه من مخنث فلا يلتفت إليهِ وإنْ كان قد قيلَ قديماً[٢٦٩]... وقول الأصمعي هذا مردود بما ذكره الخليل وسيبويه آنفا، وما حكاه أبو زيد وأبو عبيدة: فتنتُه وأفتنتُه قال أبو زيد لغة بني تميم أفتنتُهُ[٢٧٠].... ثم ذكر النحاس، أنَّ هذه اللغة حكاها الجِلَّةُ من أهل اللغة فمن يرجع إلى قوله في الصدق فتنَهُ وأفتنَهُ[٢٧١]...

إبدال ميم أمّا الأولى ياءً

جعل النحاة إما الثانية هي العاطفة عندما تكرر. لاعتراضها بين العامل والمعمول مثل: قام إمّا زيدٌ إما عمرٌو، ورأيتُ إمّا زيداً وإمّا عمراً، وقد تبدل الميم الأولى في المفتوحة الهمزة ياء. وقيل: إنها لغة تميم وبني عامر. قال أبو جعفر النحاس يقولون: أيْما يبدلون من إحدى الميمين ياء كراهية التضعيف، وعلى هذا ينشد بيت عمر بن أبي ربيعة[٢٧٢]:

رأتْ رجلاً أيْما إذا الشمس عارضت

فيضحى وأيْما بالعشي ينحصرُ

لكن النحاة يختلفون في «أمّا» هذه ففريق منهم يرى أنّ إبدال «إمّا» المكسورة الهمزة شاذ أما المفتوحة الهمزة فابدال الياء في ميمها الأولى لغة تميم كما مَرّ، وقال الشاعر[٢٧٣] فأبدل من «إما» المكسورة الهمزة:

يا ليتَ أُمنا شالَتْ نعامتها

إيما إلى جَنَّةٍ إيما الى نَارِ

وقال الأزهري: فتح همزتها وإبدال ميمها الأولى ياء شاذان أيضاً على سبيل الاجتماع وإلاّ ففتح الهمزة لغة تميمية وقيسية وأسدية[٢٧٤].. وقال السيوطي: وقد تبدل ميمها أي ميم المفتوحة الهمزة لا ميم «أما» مطلقاً. مثل: لاتفسدوا آبالكم أيْما لنا إيْما لكم.. وقال: يبدل ميمها الأولى ياء مع كسر الهمزة وفتحها[٢٧٥].. وهذا تناقض ظاهر.

مِتَّ ومُتَّ لغتان:

قال تعالى «ولئن قُتِلْتُم في سَبيلِ اللّهِ أو مُتّم[٢٧٦]» قالَ عيسى بن عمر أهل الحجاز يقولون: «مِتّم» وسُفلى حضر يقولون: مُتُّم، بضم الميم[٢٧٧]...

قال سيبويه وأما مِتَّ تَموتُ، فإنما اعتلت من فَعِلَ، ولم تحول، كما يحول قُلْتُ وزُدْتُ، ونظيرها من الصحيح فَضِلَ يفْضُلُ. وكذلك كُدتُ تكادُ اعتلت من «فَعُلَ يَفْعُلُ. وهي نظيرة مِتُّ في أنها شاذة[٢٧٨]... أمّا الكوفيون فيفرقون بين مِتُّ، ومُتُّ من حيث مضارع كل منها، قالوا: من قال: مِتُّ قال في المضارع يَماتُ مثل خِفتَ تخَافُ ومن قالَ، مُتُّ قال: تموتُ. وهذا قول حسن- كما قال أبو جعفر النحاس[٢٧٩]... لكن مثل هذه الأبواب ليس لها قياس ثابت، بل يعتمد فيها على السماع عن العرب. وإلاّ لما عدها سيبويه من الشاذ الذي لا يقاس عليه. وما ذكره سيبويه في كُدتُ من أنه شاذ هو لغة لبني قيس الذين يقولون: كُدتُ، فهي عندهم «فَعُلْتُ» وقيل: إنّهم فعلوا هذا ليفرقوا بينه وبين كِدْتُ من الكيد[٢٨٠].. ووزن كاد فَعِلَ «على لغة أهل الحجاز وبني أسد[٢٨١]..

الحرف الذي تبدل مكانه في الوقف حرفاً أبين منه..

قال بعض العرب في أفعى: هذه أفعي، وفي حُبْلَىْ، هذه حُبْلَي... فإذا وصلت صيرتها ألفاً، وكذلك كل الف في آخر الاسم، قال سيبويه حدثنا الخليل وأبو الخطاب أنّها لغة لفزارة وناس من قيس، وهي قليلة، فأما الأكثر الأعرف فأنْ تدع الألف

في الوقف على حالها ولا تبدلها ياء، وإذا استوت لغتان، لأنه إذا كان بعدها كلام كان أبين لها منها إذا سكتَّ عندها، فإذا استعملت الصوت كان أبين، وأما طيءٌ فزعموا أنهم يدغمونها في الوصل على حالها في الوقف لأنها خفية لاتحرك، قريبة من الهمزة، حدثنا بذلك أبو الخطاب وغيره من العرب، وزعموا أن بعض طييء يقول: أفْعَوْ، لأنها أبين من الياء ولم يجيئوا بغيرها، لأنها تشبه الألف في سعة المخرج والمد ولأنَّ الألف تبدل مكانها كما تبدل مكان الياء، وتبدلان مكان الألف أيضاً وهن أخوات[٢٨٢]. وقال: ونحو ما ذكرنا قول بني تميم في الوقف هذه. فإذا وصلوا قالوا: هذي فلانةُ، لأنَّ الياء خفية فإذا سكتَّ عندها كان أخفى. والكسرة مع الياء أخفى. فإذا خفيت الكسرة ازدادت الياء خفاءً، كما ازدادت الكسرة، فأبدلوا مكانها حرفاً من موضع أكثر الحروف بها مشابهة، وتكون الكسرة معه أبين.

وأما أهل الحجاز وغيرهم من قيس فألزموها الهاء في الوقف وغيره كما ألزمت طييءُ الياء، وهذه الهاء لاتطرد في كل ياء هكذا، وإنما هذا شاذ، ولكنه نظير للمطرد الأول. وأما ناس من بني سعد فإنّهم يبدلون الجيم مكان الياء في الوقف لأنّها خفية، فأبدلوا من موضعها أبين الحروف وذلك قولهم: هذا تميمجّ، يريدون: تميميّ، وهذا عَلجّ يريدون عليّ[٢٨٣]... فسيبويه يصرح بشذوذ هذا ولكن لايمكنه إنكاره لأنّ له نظيراً مطرداً مستساغاً.

الوَتْر بفتح الواو إذا كان للمفرد وبكسرها من الذحل: - «الحِقْدُ»

أهل الحجاز يفتحون الوَتر، من الفرد ويكسرون الواو إذا كان من الحِقْد ومن تحتهم من قيس وتميم يسوون بينهما، قال أبو جعفر النحاس: وقد بين الأصمعي أنهما لغتانِ، وفي حديث عمر وابن عمر عن النبي صلى اللّهُ عليه.. الذي تفوته صلاةَ العَصْرِ كأنما وُتِرَ أهلَهُ ومالَهُ[٢٨٤]..

يجوز ان يكون مشتقاً من الوِترِ وهو الـذَّحْلُ - الحقـد - فيكون المعنى فكأنما سلب أهله ومالهُ... ويجوز أن يكون مشتقاً من الوَتْر أي الفرد، فيكون المعنى كأنما نُقص أهله وماله، أي بقي فرداً[٢٨٥]..

وما دام المعنى واحداً في كلتا الحالتين أي فتح الواو وكسرها فلغة تميم هي الأسهل لأنها تساوي بينها.

إنْ تُبدوا الصدقاتِ فَنِعِمّا هي «بكسر النون:

هذه قراءة أبي عمرو وعاصم ونافع. وقرأ الأعمش وحمزة والكسائي «فَنَعِمّا» بفتح النون[٢٨٦].. وقال سيبويه: وأما قول بعضهم «نِعِمّا يَعظُكم بِهِ» فحرك العين فليس على لغة من قال «نِعْمَ» فأسكن العين ولكنه على لغة من قال: نِعِمَ، فحرك العين، وحدثنا أبو الخطاب أنها لغة هذيل، وكسروا كما قالوا: لِعِبٌ، وقال طرفة[٢٨٧]:

ما أقلّت قَدَمٌ ناعلها ... نِعِمَ الساعونَ في الحيّ الشُّطُر.

وروي عن أبي عمرو ونافع بإسكان العين. رواه قالون عن نافع ويجوز في غير القرآن «فَنِعْمَ ماهي»، ولكنه في السواد متصل فلزم الادغام وحكى النحويون[٢٨٨] في نِعْمَ لغات: يقال: نِعْمَ الرجلُ زيدٌ، هذا الأصل ويقال نِعِمَ الرجلُ، فتكسر النون لكسرة العين، ويقال: نَعْمَ الرجلُ، والأصل نَعِمَ، حذفت الكسرة لأنها ثقيلة. ويقال: نِعْمَ الرجل، وهذه أفصح اللغات. والأصل فيها نَعِمَ وهي تقع في كل مدح فخففت وقلبت كسرة العين على النون وأسكنت العين، قال النحاس: فمن قرأ «فَنِعِمّا هي» فله تقديران: أحدهما أنْ يكون جاء به على لغة من قال: نِعِمَ، والتقدير الآخر: أن يكون على اللغة الجيدة فيكون الأصل نِعْمَ، ثم كسرت العين لالتقاء الساكنين. فأمّا الذي حُكي عن أبي عمرو ونافع من اسكان العين فمحال[٢٨٩]...

وكان المبرد يقول: اسكان العين والميم مشددة فلا يقدر أحد أن ينطق به، وإنما يروم الجمع بين ساكنين ويحرك ولا يأبه[٢٩٠]..

قال ابو جعفر النحاس: ومن قرأ «فله تقديران: أحدهما أن يكون على لغة من قال: نِعْمَ الرجلُ، والآخر: أن يكون على لغة من قال نَعْمَ الرجلُ، فكسر العين لالتقاء الساكنين - ويجب على من قرأ فَنَعِمَ أنْ يقول: بَئِس[٢٩١]...

وقال ابن الانباري إنّه جاء عن العرب نَعِمَ الرجلُ فهذا مما ينفرد بروايته أبو علي فطرب. وهي رواية شاذة، ولئن صحت فليس فيها حجة، لأنَّ نِعْمَ أصله نَعِمَ على وزن فَعِلَ. بكسر العين - فأشبع الكسرة فنشأت الياء كما قال الشاعر:

تنفي يداها الحصى في كل هاجرةٍ ... نَفْيَ الدراهيمِ تنقادُ الصياريف

أراد الدراهم والصيارف[٢٩٢]... وهذه الخلافات في اللغة وإن أضفت على اللغة نوعاً من التعقيد، لكنها ساعدت على تطورها ونموها. وجعلتها أكثر اتساعاً

«بزعمهم» بكسر الزاي في قوله تعالى ﴿فَقالُوا هـذا اللّهُ

بزعِمِهم»[٢٩٣]

كسر الزاي هنا لغة أهل الحجاز. ولغة بني أسد «بزعُمهم» بالضم وهكذا قرأ يحيى بن وثاب والأعمش والكسائي، ولغة تميم وقيس فيما حكى الفراء والكسائي «بزعِمِهم» بكسر الزاي[٢٩٤]. . وهذا الذي حكاه الكسائي والفراء قد أنكره أبو حاتم[٢٩٥]. . . وانكار أبي حاتم هنا لكسر الزاي في الآية لايقوم عليه دليل مادام قد جاء في القرآن الكريم بلغة أهل الحجاز المتطورة يعضده عالمان كبيران من علماء الكوفة. كذلك جاء على لغة تميم وقيس المشهورتين بالفصاحة.

«الضّعُف» بضم الضاد لغة أهل الحجاز:

قرىء قوله تعالى «وعَلِمَ أنَّ فيكم ضُعَفَاءَ»[٢٩٦] كما يقال كريم وكُرماء. وقراءة أهل المدينة وأبي عمرو «ضُعْفاً» بضم الضاد وهو اختيار أبي حاتم وأبي عبيد. قال، أبو عبيد: لكثرة من قرأ بها وانها قراءة النبي «ص» اتبعه عليها قال النحاس: وهذا الكلام مستعظم، وإنْ كان أبو عبيد معلوماً منه أنه لم يقصد إلاّ إلى خير، وإنما يقال: ومن اتبعه فيمن يجوز أن يخالف. وإسناد الحديث ليس بذاك[٢٩٧]. . . وقال أبو عمرو بن العلاء: الضُّعْفُ لغة أهل الحجاز. والضَّعْفُ بفتح الضاد لغة تميم[٢٩٨]. . أما التفريق بينهما في المعنى فلا يصح، لأنّ معناهما واحد وهما خلاف القوة، قال صاحب اللسان: قيل: الضُّعف بالضم في الجسد والضَّعف بالفتح في الرأي والعقل، وقيل: هما معاً جائزان في كُلّ وجه. . وخص الأزهري هذا بأهل البصرة، وقرأ عاصم وحمزة «وعَلِمَ أنَّ فيكم ضَعفاً» بالفتح. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع وابن عامر والكسائي بالضم[٢٩٩]. . .

صنوانِ بكسر الصاد لغة أهل الحجاز:

جاء في القرآن الكريم «وزرعٍ ونَخيلٍ صِنْوانٍ وغيرِ صِنْوانٍ»[٣٠٠]

وصِنوانٌ: جمع صِنو مثل نسوةٍ ونِسْوان، وقِنو وقِنوان. قال الفراء «صُنْوان» بالضم لغة تميم وقيس، والكسر لغة، أهل الحجاز[٣٠١]. . وإذا كانت الحجازية مطابقة لما في القرآن الكريم هنا فلا يمكن رد لغة تميم وقيس، ولا سيما أنَّ سيبويه[٣٠٢] حكى قُنوان بضم القاف. وهي وصنوان من باب واحد.

«زكرياءُ ممدودة ومقصورة»

قرىء قوله تعالى «وكفّلْها زكرياءَ»[٣٠٣] باسكان اللام وبالمد والنصب من زكريا، وقرأ الكوفيون «وكفّلَها زكريا» أي وكفّلها اللّهُ زكرياء، وروى هارون[٣٠٤] بن موسى عن عبد الله بن كثير وأبي عبد الله المدني. . وكَفِلَها زكرياءُ بكسر الفاء. قال الاخفش الأوسط: يقال كَفَلَ، وكَفِلَ، يكْلَفَلُ ولم أسمع كَفُلَ[٣٠٥]. . . وقال الفراء: أهل الحجاز يمدون زكرياءَ ويقصرونه وأهل نجد يحذفون منه الألف ويصرفونه فيقولون: زكريٌّ[٣٠٦]. . .

وقال الاخفش فيه أربع لغات: زكرياءُ، وزكريّا بالقصر، وزكرِيٌّ بتشديد الياء والصرف. وزكَرٌ، قال أبو حاتم: زكرِيُّ بلا صرف. لأنه أعجمي. قال أبو جعفر النحاس: وهذا غلط، لأنَّ ماكانت فيه ياء مثل هذا انصرف. ولم ينصرف زكرياءُ في المد والقصر، لأنَّ فيه ألف تأنيث، والدليل على هذا أنّه لايصرف في النكرة[٣٠٧]. . . ولغة الحجاز أقيس لأنَّ القرآن جاء بها، وهي بعيدة عن حذف وتغيير الاعراب.

مَطْلَعُ - بفتح اللام قراءة العامة في قوله تعالى «حتى مَطْلَع الفَجْرِ»[٣٠٨]

وقال الفراء: وقرأ يحيى بن وثاب وحده «حتى مَطْلِعِ الفجر»[٣٠٩] بكسر اللام وجاء في التيسير: وهي أيضاً قراءة الكسائي[٣١٠]. . . وقال النحاس: وهي قراءة أبي رجاء العطاردي[٣١١]. . . وقال سيبويه: وقد كسروا المصدر في هذا كما كسروا في «يَفْعَلُ» قالوا: أتيكَ عند مَطْلِعِ الفجرِ. أي عند طلوع الشمس، وهذه لغة بني تميم، وأما أهل الحجاز فيفتحون. وقد كسروا الأماكن في هذا أيضاً كأنهم أدخلوا الكسر أيضاً كما ادخلوا الفتح. وذلك المَنْبِت، والمَطلِع لمكان الطلوع[٣١٢]. . . ولغة الحجاز هنا أقرب إلى القياس فما كان على فَعَلَ يَفعَلُ، يجب أنْ يكونَ اسم المكان منه بالضم إلاّ أنه ليس العربي مَفْعُلٌ، فلم يكن بد من تحويله إلى الفتحة أو الكسرة، فكانت الفتحة أولى. لأنها أخف والدليل على ذلك أنه ما كان على فَعَلَ يَفْعَلُ، فالمصدر منه مَفعَلٌ بالفتح، واسم المكان والزمان بالكسر. قالوا: جَلَس مَجْلِساً، وهو في مَجْلِسِكَ. وفي الزمان: أتتِ الناقةُ على مَضْرِبِها بالكسر. فهذا يبين أنَّ الأصل مَطْلِع في المكان ثم حول إلى الفتح[٣١٣]. . . قال أبو جعفر النحاس: سمع من العرب أشياء تؤخذ سماعاً بغير قياس. قالوا: مَطْلَعٌ بالفتح للمكان الذي تطلع فيه الشمس، وقال بعضهم: مَطْلِعٌ بالكسر للمصدر. والفتح أولى. لأنَّ الفتح في المصدر قد كان لفَعَلَ يَفْعَلُ فكيف يكون في فَعَلَ، يَفْعُلُ، وأيضاً فإنَّ قراءة الجماعة الذين تقوم بهم حجة «حتى مَطْلَع» هذا في قوته في العربية وشذوذ الكسر وخروجه من القياس[٣١٤]. . .

إعراب عضين وسنين إعراب حين :

قال تعالى «الذين جَعَلُوا القرآنَ عِضينَ»[315]

قال الفراء: العضون في كلام العرب السحر، وإنما جمع بالواو والنون عند البصريين عوضاً مما حذف منه، وعند الكوفيين أنّه كان يجب أنْ يجمع على فُعُول. فطلبوا الواو التي في فُعُول فجاءوا بها فقالوا عِضُونَ[316]. . .

وقال: ومن العرب من يقول: عِضِنُكَ بجعله بالياء على كل حال ويعرب النون، كما يقول: مضت سِنِينُكَ وهي كثيرة في أسد وتميم وعامر والعلة عنده فيه أنَّ الواو لما وقعت موقع حرف ناقص توهموا أنّها واو «فُعُول» فأعربوا ما بعدها وقلبوها ياء[317]. .

وبين النحاة هذا أنَّ الأسماء الثلاثية المحذوفة اللام والمعوض عنها هاءَ للتأنيث ولم تكسر فإنها تلحق بجمع المذكر السالم أو تعرب بالحركات والحاقها بـ. حين «مثل سنة، وعضة ومئة وأشباه ذلك فقد روي الحديث الشريف في إحدى روايته على هذا» «اللّهم اجعلها عليهم سنيناً كسنينِ يوسفَ»[318] وقد جاء في قول جرير باللغتين:

أرى مَرَّ السنينِ أخذنَ مني كما أخذ السِّرارُ من الهلالِ

بفتح[319] نون سنين وكسرها. وهذه لغة بعض بني تميم وبني عامر كما مَرَّ، وقول الآخر:

ألم نسقِ الحجيج - سلى معداً سنيناً ماتعدُّ لنا حِسَابا

وقول دريد بن الصمة[320]:

دعاني مِنْ نجدٍ فَإنَّ سنينَهُ لعبنَ بنا شَيْباً وشيبننا مُرْدَا

«نَكِرَهُم» في قوله تعالى «فلَمّا رأى أيديهُم لاتَصِل إليه نَكِرَهُم»[321] هذه لغة أهل الحجاز، أما لغة أسد وتميم «أنكرهم» قال امرؤ القيس[322]

لقد أنكرتني بعلَبكُ وأهلُها ولا ابنُ جُريجٍ كانَ في حمصَ أنكرا

ويروى للأعشى على اللغتين[323].

وأنكرَتني ومَا كانَ الذي نَكِرتْ مِنَ الحوادثِ إلّا الشيبَ والصَلَعا

وإذا كان القرآن قد جاء بلغة أهل الحجاز فلا يمكن إنكار اللهجات الأخرى التي جاءت في شعر شعراء مشهود لهم بالفصاحة.

وقد ذكر الطبري أنّه يقال: أنكرتُ الشيء وأنكره إنكاراً ونكرتُه مثله، وقيل أيضاً، نَكِرتُ الرجل بالكسر نُكْراً ونكوراً، وأنكرته واستنكرته كله بمعنى واحد[324]. .

ضم الكاف في «تركُنوا» وكسر التاء في «فَتِمسّكم» في قوله تعالى:

«ولا تركَنُوا إلى الذينَ ظَلَموا فَتَمسَّكُم النّارُ»[325]

قال أبو عمرو بن العلاء «ولاتركُنُوا» بضم العين أي عين الفعل لغة أهل الحجاز، وقال الفراء: لغة تميم وقيس: رَكَنَ يَرْكُنُ ورويَ عن قتادة أنّهُ قرأ «ولا تَركُنُوا» بضم الكاف. وقرأ يحيى بن وثاب والأعمش «فَتمِسكُم النارُ»[326]. . وهذه اللغة ذكرها سيبويه عن غير أهل الحجاز، إذا كان الفعل على «فَعِلَ» كسروا أول مستقبله، ليدلوا على الكسرة التي في ماضيه، قال سيبويه: هذا باب ماتكسر فيه أوائل الأفعال المضارعة للأسماء. كما كَسَرْتَ ثاني الحرف حين قلت «فَعِلَ» وذلك في لغة جميع العرب إلّا أهل الحجاز، وذلك قولهم: أنْتَ تِعْلَمُ ذاكَ وانا إعْلَمُ، وهي تِعْلَمُ. ونحن نِعْلَمُ ذاكَ. . . . . . وقال: وجميع ماذكرت مفتوح في لغة أهل الحجاز، وهو الأصل[327]. . فسيبويه مع إقراره بهذه اللهجة لكنه يعد لغة أهل الحجاز هي الأصل، واللغة الجيدة لايقاس فيها على الفروع.

«الخَبءَ» يوقف عليها بتسكين الهمزة:

قال تعالى «الذي يُخرِجُ الخَبْءَ في السَّمواتِ والأرضِ»[328]

جاء في تفسير الداني، الوقف عليه بتسكين الهمزة، وإذا كان في موضع رفع جاز الضم والاشمام. ولا يجوز التضعيف[329]. .

وحكى أبو حاتم أنَّ عكرمة قرأ «الذي يُخرِجُ الخَبَا.» بألف غير مهموزة وهي قراءة ابن مسعود ومالك بن دينار أيضاً[330]. .

قال سيبويه: واعلم أنَّ ناساً من العرب كثير يلقونَ على الساكن الذي قبل الهمزة حركة الهمزة. سمعنا ذلك من تميم وأسد، يريدون بذلك بيان الهمزة وهو أبين لها إذا وليت صوتاً، والساكن لاترفع لسانك عنه بصوت، لورفعت بصوت حركته، فلما كانت الهمزة أبعد الحروف وأخفاها في الوقف حركوا ماقبلها ليكون أبين لها[331] وذلك قولهم: هو الوثوءُ، وهذا الخَبُوءُ فيضمون الساكن إذا كانت الهمزة مضمومه وحكى عن العرب أنما تبدل من الهمزة ألفاً. إذا كان قبلها ساكن وكانت مفتوحة. وتبدل منها واواً إذا كان قبلها ساكن وكانت مضمومه وتبدل منها

ياءً إذا كان قبلها ساكن وكانت مكسورة، وأنه يقال: هذا الوثو، وعجبتُ من الوثي، ورأيتُ الوَثَا، وهذا من وثُئتْ يده وكذلك الخَبُو، وعجبت من الخَبي ورأيتُ الخَبَا. وذلك لأنَّ الهمزة خفيفة فأُبدلت منها هذه الحروف[٣٢]... ثم تأييداً لقراءةِ ابن مسعود وأما الذين لا يحققون الهمزة من أهل الحجاز فقولهم: هذا الخَبَا في كُلّ حال، لأنها همزة ساكنة قبلها فتحة، فإنما هي كألف راسٍ إذا خففت، ولا تُشمُّ لأنها ألف كألف مُثنًى[٣٣]...

لغة الفتح في «حيثُ».

حيثُ في اللغة الفصيحة مبنية على الضم، لأنها خالفت أخواتها من الظروف، في أنها لا تضاف، فأشبهت قبلُ وبعدُ. فإذا أُفردتا فضُمّتْ، قال سيبويه: فأمّا ما كان غاية نحو: قبلُ وبعدُ وحيثُ فإنهم يحركونه بالضمة وقد قال بعضهم «حيثَ» بالفتح شبهوه بـ«أين[٣٤]: وذكر النحاس أنَّ الكسائي قال: الضم لغة قيس وكنانة والفتح لغة بني تميم. وبنو أسد يخفضونها في موضع الخفض وينصبونها في موضع النصب، قال تعالى «سَنَسْتَدرِجُهم مِنْ حيثِ لا يعلمون[٣٥]» ويضم ويفتح. ويقال حَوْثُ[٣٦]...

ولا ندري لماذا تفتح «حيثُ» وهي مبنية على الضم ولا سيما أنَّ الظروف أو بعضها على الأقل كانت مبنية على السكون، لأن الأصل في البناء هو السكون، فأرادوا أنْ ينوعوا البناء، فبنوا على الكسر في مثل أمسِ القريب وعلى الفتح في مثل أيْنَ وعلى الضم كما في «حَيْثُ» وهي لغة لأقوامٍ فصحاء مشهورين.

فتح الدال في قوله تعالى «الحمدُ للّهِ»[٣٧]

قرأ ابن عَيينة ورؤبة بن العجاج «الحمدَ للّهِ» على المصدر وهي لغة قيس والحارث بن سامة[٣٨].. والحارث بن سامة: هم بنو الحارث ابن سامة بن لؤي، وينتهي نسبه إلى نزار بن معد بن عدنان[٣٩].. والرفع أجود من جهة اللفظ والمعنى. وحكى الفراء «الحمدِ للّهِ» والحمدُ لُلّهِ»[٤٠].. وقراءة الكسر لغة تميم والرفع لغة بعض بني ربيعة[٤١]... أما العلة في كسرة «الحمدِ» فإنَّ هذه اللفظة تكثر في كلام الناس. والضم ثقيل ولا سيما إذا كانت بعده كسرة، فأبدلوا من الضمة كسرة، وجعلوها بمنزلة شيءٍ واحدٍ والكسرة مع الكسرة أخف عندهم، وكذلك الضمة مع الضمة[٤٢]. «وللّهِ» مخفوض باللام الزائدة. وبعد فهذه بعض الفوارق اللهجية في النحو العربي والقراءات القرانية في لغتنا الجميلة التي نزل بها كتابُ اللّهِ العزيز فزادها شرفاً وجمالاً ورحم اللّهُ الشاعر حين قالَ:

أنا البحرُ في أحشائِهِ الدّرُ كامنٌ ... فَهَلْ ساءَلُوا الغَواصَ عَنْ صَدفاتي

الهوامش

١- علم اللغة: ١٥٩ علي عبد الواحد

٢- اللغة: ٣٤٨.

٣- العمدة لابن رشيق ١/ ٨٨

٤- فقه اللغة: ٥٧

٥- العمدة لابن رشيق ١/ ٨٨

٦- انظر: نزهة الالباء: ٥٩

٧- الخصائص ٢/ ١١

٨- المزهر: ١/ ٢١١

٩- المزهر: ١/ ٢١١

١٠- المزهر: ٢/ ٤٠١

١١- انظر الكتاب ١/ ٣٤

١٢- انظر الكتاب ١/ ٣٦٤

١٣- هود ٨١٠ وانظر البحر المحيط ٥/ ٢٤٨

١٤- اعراب القرآن ٢/ ١٠٥

١٥- اعراب القران ٢/ ١٠٥ والتيسير: ١٢٥

١٦- النساء: ١٥٨

١٧- اعراب القران: ١/ ٤٦٨

١٨- انظر الكتاب ١/ ٣٦٥ واعراب القران ١/ ٤٦٩

١٩- النساء: ٦٦ انظر اعراب القرآن ١/ ٤٣١

٢٠- اعراب القران للنحاس ١/ ٤٣١

٢١- تيسير الداني، ٩٦

٢٢- انظر الكتاب ١/ ٣٦٥ واعراب القرآن ١/ ٤٣١

٢٣- انظر الكتاب ١/ ٣٦٣

٢٤- الجن: ٢٢

٢٥- اعراب القرآن ٣/ ٥٢٨

٢٦- مجالس ثعلب: ٥٥٦

٢٧- الكتاب ١/ ٣٦٥.

٢٨- انظر الكتاب ١/ ٢٨

٢٩- يوسف: ٣١

٣٠- انظر الكتاب ١/ ٢٨، واعراب القرآن للنحاس ٢/ ١٣٩

٣١- يس: ١٥

٣٢- الكتاب ١/٢٩ وانظر المقتضب ٤/١٩٠

٣٣- الذاريات: ٢٣

٣٤- الحاقة: ٤٧

٣٥- يوسف: ٣١

٣٦- المجادلة: ٢

٣٧- انظر البحر المحيط ٥/٣٠٤

٣٨- شذور الذهب: ١٩٦

٣٩- الانصاف: ١/١٦٠

٤٠- الانصاف ١/ ١٦١ وانظر المقتضب ٤/٨٧

٤١- النوادر: ٣٩ وانظر الانصاف ١/١٦١

٤٢- انظر الكتاب ١/٧٣.

٤٣- انظر الكتاب ١/١٩٢

٤٤- الكتاب ١/١٩٣

٤٥- انظر التسهيل: ١٠٦

٤٦- البقرة: ٤٨ وانظر الكتاب ١/١٩٣

٤٧- اللسان: ٨/١٩٥

٤٨- الكتاب ٢/٤٠

٤٩- الكتاب ٢/٤١ والمقتضب ٣/٣٧٥

٥٠- الكتاب ٢/٤١ والمقتضب ٣/٣٧٤

٥١- انظر المقتضب ٣/٤٩، والنوادر: ١٦

٥٢- شذور الذهب: ٩٦

٥٣- الكتاب ٢/ ٤١ والمقتضب ٣/٥٠

٥٣- المقتضب ٣/ ٣٧٦

٥٤- الكتاب ٢/٤٠

٥٥- الجمهرة ١/١٦٦

٥٦- الجمهرة ١/١٤٥

٥٧- الكتاب ٢/٤٠

٥٨- الجمل للزجاجي: ٢٩١

٥٩- انظر المقتضب ٣/١٧٣

٦٠- أسرار العربية: ٣٢ وانظر أمالي الشجري ٢/٢٦٠

٦١- الجمل ٢٩١

٦٢- والجمل: ٢٩١

٦٣- الكتاب ٢/٤٣.

٦٤- الكتاب ٢/ ٤٣

٦٥- هم بعض بني تميم وإنما فعلوا ذلك لأنهم تركوا صرفه انظر النكت للأعلم ٦٥٣. رسالة ماجستير والنوادر: ٥٧

٦٦- الكتاب ٢/٤٤ وانظر النوادر ٥٧

٦٧- حاشية الكتاب ٢/٤٤ والنكت ٦٥٣

٦٨- النوادر: ١٢

٦٩- انظر شرح المعلقات للتبريزي: ٢٤٠

٧٠- قطر الندى: ٦

٧١- انظر المقتضب ٣/٢٥ والكتاب ٢/١٥٨

٧٢- انظر المقتضب ٣/٢٥

٧٣- الكتاب ٢/١٢٦

٧٤- الكتاب ٢/١٥٨

٧٥- الكتاب ٢/١٥٨

٧٦- الكتاب ١/١٢٣

٧٧- الكتاب ١/١٢٧

٧٨- الكتاب ٢/ ٦٧

٧٩- النكت: ٧٤٤ رسالة ماجستير

٨٠- حماسة أبي تمام: ١٦٤٦

٨١- الانعام: ١٥٠

٨٢- الأحزاب: ١٨

٨٣- سر صناعة الاعراب ١/٢٣٨

٨٤- مختار الصحاح: ٦٩٨

٨٥- الانصاف ١/٢٢٤- ٢٢٥

٨٦- الانصاف ١/٢٢٥

٨٧- معاني الحروف: ١٢٤

٨٨- الكهف: ٦٠

٨٩- الكتاب ١/٣٨٨ ومعاني الحروف: ١٢٥

٩٠- الكتاب ١/٣٨٨

٩١- الانصاف ١/٢٢٣ و١/٢١٨ والمقتضب ٣/٧٣

٩٢- الانعام: ١٠٩

٩٣- الكتاب ١/٤٦٣

٩٤- النوادر ٠٣٧ وأوضح المسالك ١١٨

٩٥- المقتضب ١/١٩٠ و٤/٣٤٠

٩٦- الكهف: ٧٦

٩٧- اعراب القرآن: ٢/٢٨٧ والتيسير: ١٤٥

٩٨- اعراب القرآن ٢/٢٨٧- ٢٨٨

٩٩- الكتاب ٢/٤٥

١٠٠- الكتاب ٢/٣١١ والنكت للأعلم: ٨٨٥

١٠١- اعراب القرآن: ٢/٢٨٧. والتيسير: ١٤٥

١٠٢- انظر التسهيل ٨٧. وأوضح المسالك ٢/٢٧

١٠٣- أوضح المسالك ٢/٢٠٧ والمغني ١/١٥٧

١٠٤- النوادر: ١٧١

١٠٥- جمهرة أنساب العرب ٢٨٩

١٠٦- الانصاف ١/١٨

١٠٧- النوادر : ٥٨

١٠٨- الأنصاف ١/١٨

١٠٩- الانصاف ١/١٨، وابن يعيش ١/٦٢. وابن عقيل ١/٤٩، واوضح المسالك ١/٣٢

١١٠- شرح القصائد السبع الطوال. ٢٨٨

١١١- شرح القصائد العشر ٢٣٩

١١٢ ـ اعراب القرآن للنحاس ٢/٣٤٥ وشذور الذهب: ٤٧

١١٣- معاني القرآن ٢/١٨٤ اعراب القرآن ٢/٣٤٥.

١١٤- اعراب القرآن ٢/٣٤٥

١١٥- طه: ٦٣

١١٦- اعراب القرآن ٢/٣٤٥ معاني القرآن للفراء ٢/١٨٣ والسبعة لابن مجاهد ٤١٩

١١٧- اعراب القرآن ٢/٣٤٥

١١٨- انظر معاني القرآن للفراء ٢/٢٨٣، والسبعة لابن مجاهد ٤١٩ واعراب القرآن ٢/٣٤٣

١١٩- الانصاف ١/٣٦.

١٢٠- التيسير في القراءات: ١٥١

١٢١- الحجة في القراءات. ٢١٧

١٢٢- شذور الذهب: ٤٧

١٢٣- اعراب القران ٢/٣٤٥- والحجة ١/٢١٧

١٢٤- البحر المحيط ٦/٦٥٥

١٢٥- أنظر أوضح المسالك: ١/٢٤٩- ٢٥١

١٢٦- انظر المغني ٢/٣٦٥.

١٢٧- انظر الكتاب ١/٣٩

١٢٨- الأنبياء: ٣

١٢٩- المائدة: ٧١

١٣٢- نهاية الأرب: ٩١

١٣٠- اعراب القران: ٢/٣٦٦

١٣١- انظر الكتاب ١/٣٩، واعراب القران ٢/٣٦٦ وأوضح المسالك ١/٢٤٩

١٣٣- الكتاب ٢/٢٩٨ والديوان: ٦٤ والمقتضب ١/٣٧٥ والرواية... عاذلّ والعتابن

١٣٤- الكتاب ٢/ ٢٩٨ والديوان: ٥١٢ والانصاف ٢/٦٥٥

١٣٥- الكتاب ٢/٢٩٩، والديوان: ٧ والخصائص ١/١٧١

١٣٦- الكتاب ٢/٢٩٩، والديوان ١٤٣

١٣٧- انظر الكتاب ١/٣٤

١٣٨- انظر الكتاب ١/١٨٧ والمقتضب ٣/٢٣٨. والنكت للأعلم ٢٥٤.

١٣٩- انظر الكتاب ١/١٨٧

١٤٠- انظر المقتضب ٣/٢٣٩

١٤١- انظر الكتاب ١/١٨٧

١٤٢- انظر الكتاب ١/١٨٧- ١٨٨

١٤٣- أنظر الكتاب ٢/٢٩٥.

١٤٤- أنظر الكتاب ٢/٢٩٦

١٤٥- انظر النكت ٨٧١ رسالة ماجستير

١٤٦- النوادر: ٨٠

١٤٧- طبقات ابن سلام: ١٢

١٤٧- المصباح المنير: ١٧٢.

١٤٩- ابن سلام: ١٢.

١٥٠- النوادر: ١٧٩.

١٥١- النوادر: ١٧٩.

١٥٢- العركركة: الكثيرة اللحم.

١٥٣- الكتاب ٢/١٠٥

١٥٤- شرح ابن عقيل ٢/٩٠

١٥٥- شرح الالفية: ١٦٠ وأوضح المسالك ٢/٢٣٩. واعراب القران للنحاس ١/٥٩٧

١٥٧- انظر جامع البيان ١٢/١٦٧

١٥٧- الأنعام: ١٦٢.

١٥٨- إعراب القران للنحاس ١/٥٩٦

١٥٩- انظر التيسير: ١٠٨

١٦٠- اعراب القرآن ١/٥٩٦- ٥٩٧ ومختصر ابن خالويه: ٥ والمحتسب ١/٧٦

١٦١- البقرة ٣٨

١٦٢- انظر إعراب القران ١/١٦٥-١٦٦

١٦٣- قطر الندى ٢/٢٣٨

١٦٤- من سورة ابراهيم : ٢٢.

١٦٥- انظر اعراب القرآن ١/١٨٣

١٦٦- انظر معاني القرآن ٢/٧٦، والمحتسب ٢/٤٩

١٦٧- انظر اعراب القرآن ١/١٨٣

١٦٨- الاسراء: ١٠٦

١٦٩- الأعراف ١٧٦

١٧٠- يوسف ٢٠

١٧١- الحاقة ٣٠

١٧٢- الكتاب ٢/٢٩١

١٧٣- الأعراف : ١٠١

١٧٤- الكتاب ٢/٢٩٤

١٧٥- القصص: ٨١

١٧٦- انظر الكتاب ٢/٢٩٤

١٧٧- الكتاب ٢/٢٩٤ والمقتضب ١/٤٠٥

١٧٨- المقتضب ١/٤٠٥.

١٧٩- النوادر: ١٧١

١٨٠- الحجة في القراءات ١/٤٥

١٨١- الحجة في القراءات ١/٤٥

١٨٢- يوسف ١٠٨

١٨٣- الجمل للزجاجي: ١٥٣

١٨٤- الكتاب ١/ ٣٩٥

١٨٥- الكتاب ١/٣٩٥

١٨٦- المقتضب ٤/١٠٣

١٨٧- سبأ: ٦.

١٨٨- الكتاب ١/٣٩٤- ٣٩٥

١٨٩- اعراب القرآن ٢/٦٥٦

١٩٠- معاني القران ٢/٣٥٢

١٩١- المائدة ١١٧

١٩٢- الزخرف: ٧٦، والكتاب ١/٣٩٥

١٩٣- الكتاب ١/٣٩٥، والمقتضب ٤/١٠٥

١٩٥- الملا، ماتسع من الأرض

١٩٦- هو: ٧٨

١٩٧- المقتضب ٤/١٠٥، وانظر الكتاب ١/٣٩٧

١٩٨- الكتاب ١/٣٩٧

١٩٩- اعراب القرآن ٢/١٠٤

٢٠٠- المذكر والمؤنث: ٧٨ واعراب القرآن للنحاس ٣/٥٠٠

٢٠١- المذكر والمؤنث: ٧٧. واعراب القران ٣/٥٠٠

٢٠٢- الحاقة: ٣٢

٣٠٢- اعراب القرآن ٣/٥٠٠

٤٠٢- المذكر والمؤنث ٧٧

٢٠٥- المذكر والمؤنث ٩٥

٢٠٦- التهذيب ١١/١٥١

٢٠٧- الزاهر ٢/٢٠٩

٢٠٨- هود ٤٠. والرعد ٣.

٢٠٩- صحيح مسلم ٤/ ١٩٠٢

٢١٠- البقرة ٣٥ والاعراف ١٩

٢١١- صحيح مسلم ٣/٨١٣- ٨١٤

٢١٢- الديوان ١٠٧

٢١٣- معاني القران

٢١٤- صحيح مسلم ٤/٢١٧٩، ٢/ ١٠٥١.

٢١٥- النوادر ١٣٨

٢١٦- معاني القرآن ٢/٧٥

٢١٧- انظر التنبيهات ٢٠٤

٢١٨- التنبيهات: ٢٠٤

٢١٩- الكتاب ٢/ ٤١٣

٢٢٠- انظر التسهيل: ٩٨

٢٢١- البحر المحيط ١/٦٢

٢٢٢- البحر المحيط ١/٦٢

٢٢٣- الكتاب ٢/٤٥

٢٢٤- النكت للاعلم ٢٤٣ رساله ماجستير

٢٢٥- البحر المحيط: ١/٦٢

٢٢٦- البقرة: ١٥

٢٢٧- البحر المحيط ١/٦٩

٢٢٨- ألم نشرح ١

٢٢٩- انظر جامع البيان ٢٩/ ١٢٩

٢٣٠- المغني و/٢٧٧

٢٣١- أصول التفكير النحوي ٢٢

٢٣٢- الكتاب ٢/٤٠٥ والمقتضب ١/٣٣١

٢٣٣- الخصائص ٢/١

٢٣٤- الخصائص ٢/٩

٢٣٥- الجمل للزجاجي ٣٨٠

٢٣٦- الحشر ٤

٢٣٧- النساء ١١٥

٢٣٨- المائدة ٥٤

٢٣٩- النشر في القراءات ١/٢٧٥

٢٤٠- آل عمران ٣١ والكامل ٢/٣٣٩

٢٤١- اعراب القرآن للنحاس ١/٣٢١

٢٤٢- انظر اعراب القرآن ١/٣٢١- ٣٢٢

٢٤٣- الكامل ٢/٣٣٩ واعراب القرآن ٣/٣٩١

٢٤٤- الكامل ٢/٣٣٩

٢٤٥- الكامل ٢/٣٣٩

٢٤٦- البحر المحيط ٣/٥١١

٢٤٧- انظر الشعر والشعراء ٣٨٥

٢٤٨- نهاية الأرب ٣٩٠
٢٤٩- التوبة ١٢٣
٢٥٠- اعراب القران للنحاس ٢/٤٦
٢٥١- البحر المحيط ٥/١١٥
٢٥٢- انظر اعراب القرآن ٢/٤٦
٢٥٣- البحر المحيط ٥/١١٥
٢٥٤- الرحمن: ٣١
٢٥٥- كتاب السبعة لابن مجاهد ٦٢٠
٢٥٦- معاني القرآن ٣/١١٦ والمحتسب ٢/٣٠٤
٢٥٧- إعراب القرآن ٣/٣٠٧
٢٥٨- إعراب القرآن ٣/٣٠٨
٢٥٩- البقرة ١١
٢٦٠- إعراب القران ١/١٣٧- ١٣٨
٢٦١- جمهرة أنساب العرب ١٩٥ وانظر معجم قبائل العرب لكحالة ١/٣٧٤
٢٦٢- البحر المحيط ١/٦١
٢٦٣- هود ٤٤.
٢٦٤- اعراب القران ٢/٩٤
٢٦٥- النساء ١٠١
٢٦٦- اعراب القران ١/٤٤٩
٢٦٧- الكتاب ٢/٢٣٣- ٢٣٤
٢٦٨- الجن: ١٧
٢٦٩- اعراب القرآن ٣/٥٢٦
٢٧٠- إعراب القرآن ٣/٥٢٥
٢٧١- إعراب القرآن ٣/٥٢٦
٢٧٢- اعراب القرآن ١/١٥٤ وانظر معاني القرآن للفراء ٢/١٩٤ والكامل للمبرد ٦٦
٢٧٣- حاشية الصبان ٣/٣٠٩
٢٧٤- التصريح ٢/١٤٦
٢٧٥- همع الهوامع ٢/١٣٥
٢٧٦- إعراب القران ١/٣٧٣
٢٧٧- الكتاب ٢/٣٦١
٢٧٨- إعراب القرآن ١/٣٧٤
٢٧٩- اعراب القرآن ١/٣٧٤
٢٨٠- إعراب القران ٢/٢٥٤
٢٨١- اعراب القران ٢/٢٥٤
٢٨٢- الكتاب ٢/٢٨٧
٢٨٣- الكتاب ٢/٢٨٨
٢٨٤- انظر الترمذي- الصلاة ١/٢٨٦، والموطأ باب «٥» حديث ٢١
٢٨٥- معاني القرآن ١/٢٨٠، واعراب القرآن ٣/٦٩٤
٢٨٦- انظر التيسير للداني ٨٤
٢٨٧- الكتاب ٢/٤٠٨.
٢٨٨- انظر الكتاب ١/٣٠١، والمقتضب ٢/١٤٠ والانصاف مسألة ١٤
٢٨٩- اعراب القرآن ١/٢٩١
٢٩٠- المقتضب ١/١١٧و ٢٦٠
٢٩١- إعراب القرآن ١/٢٩١
٢٩٢- الانصاف ١/١٢١
٢٩٣- الانعام ١٣٦
٢٩٤- معاني القران ١/٣٥٦
٢٩٥- إعراب القرآن للنحاس ١/٥٨١
٢٩٦- الأنفال ٦٦
٢٩٧- اعراب القرآن ١/٦٨٧
٢٩٨- إعراب القران ١/٦٨٧
٢٩٩- اللسان ١١/١٠٦
٣٠٠- الرعد ٤
٣٠١- معاني القران ٢/٣٨
٣٠٢- الكتاب ٢/٢٠٤
٣٠٣- آل عمران ٣٧
٣٠٤- هارون بن موسى ممن روى القراءة عن ابن كثير غاية النهاية ١/٤٤٤
٣٠٥- إعراب القران ١/٣٢٦
٣٠٦- معاني القرآن ١/٢٠٨
٣٠٧- إعراب القرآن ١/٣٢٧
٣٠٨- معاني القدر: ٥
٣٠٩- معاني القرآن ٣/٣٨٠
٣١٠- التيسير : ٢٢٤
٣١١- إعراب القرآن ٣/٧٤٥
٣١٢- الكتاب ٢/٢٤٨
٣١٣- الكتاب ٢/٢٤٤
٣١٤- إعراب القران ٣/٧٤٦
٣١٥- الحجر ٩٠
٣١٦- معاني القرآن ٢/٩٢
٣١٧- معاني القرآن ٢/٩٢
٣١٨- صحيح مسلم: ٥٤٦
٣١٩- انظر المقتضب ٤/٢٠٠ والكامل ٥/٨٣
٣٢٠- انظر : شرح ابن عقيل ١/٦٤

٣٢١- هود ٧٠
٣٢٢- انظر الديوان- ٦٨ والمقتضب ٤/٢٣، والمذكر والمؤنث لابن الأنباري ٢٤٢
٣٢٣- انظر ديوان الاعشى ١٠١ وجامع البيان للطبري ٧١/١٢، واللسان ٩١/٧.
٣٢٤- جامع البيان ١٠٩/٢
٣٢٥- هود : ١١٣
٣٢٦- إعراب القران ١١٦/٢
٣٢٧- الكتاب ٢٥٦/٢
٣٢٨- النمل ٢٥
٣٢٩- تيسير الداني: ٥٩
٣٣٠- انظر مختصر ابن خالويه ١٠٩ والبحر والمحيط ٧/ ٦٩
٣٣١- الكتاب ٢٨٥/٢
٣٣٢- الكتاب ٢٨٦/٢
٣٣٣- الكتاب ٢٨٦/٢
٣٣٤- الكتاب ٤٤/٢
٣٣٥- الاعراف ١٨٢
٣٣٦- إعراب القرآن ٦٦٢/١
٣٣٧- الحمد ١
٣٣٨- مختصر الشواذ لابن خالويه : ٥١
٣٣٩- جهرة انساب العرب لابن حزم ١٧٣
٣٤٠- معاني القرآن ٣/١
٣٤١- انظر اعراب القران ١٢٠/١
٣٤٢- مختصر ابن خالويه ١ و والمحتسب ٣٧/١

فهرسة المصادر

١- الأصوات اللغوية. د. ابراهيم أنيس - مطبعة نهضة مصر ١٩٧١م
٢- الأمالي الشجرية. لابن الشجري. دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت
٣- الانصاف في مسائل الخلاف لابن الانباري. تحقيق محيي الدين عبد الحميد
٤- أوضح المسالك لابن هشام. تحقيق محيي الدين عبد الحميد مصر ١٩٦٧
٥- البحر المحيط لأبي حيان. مطبعة السعادة. مصر ١٣٢٨هـ
٦- الترمذي - صحيح الترمذي. شرح الامام ابن عربي ١٩٣١م
٧- تسهيل الفوائد لابن مالك - مكة المكرمة ١٣١٩هـ
٨- تهذيب اللغة. لأبي منصور الأزهري. تحقيق عبد السلام هارون وآخرين القاهرة ١٩٦٤ - ١٩٦٧م
٩- التنبيهات على أغاليط الرواة علي بن حمزة. تحقيق الميمني مصر ١٩٦٧م
١٠- التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني. استانبول ١٩٣٠م
١١- جامع البيان لأبي جعفر الطبري مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٩٥٤م
١٢- الجمل للزجاجي تحقيق أبي شنب طبعة ١٩٥٧م الجزائر
١٣- جهرة أنساب العرب لابن حزم. تحقيق عبد السلام هارون ١٩٧١م
١٤- جهرة اللغة لابن دريد. نشركرنكو. حيدر آباد ١٣٤٤هـ
١٥- الحجة في القراءات السبع لابن خالويه. تحقيق عبد العال سالم
١٦- الخصائص لابن جني تحقيق محمد علي النجار. دار الكتب ١٩٥٢م
١٧- ديوان الأعشى. شرح الدكتور محمد محمد حسين القاهرة ١٩٥٠م
١٨- ديوان جرير. تحقيق نعمان أمين طه دار المعارف بمصر.
١٩- ديوان العجاج. شرح الأصمعي. تحقيق عزت حسن بيروت ١٩٧١م
٢٠- ديوان الفرزدق - دار صادر بيروت ١٩٦٦م.
٢١- ديوان الهذليين. دار الكتب. القاهرة ١٩٦٥م
٢٢- سر صناعة الاعراب لابن جني تحقيق مصطفى السقا وآخرين مصر ١٩٥٤م
٢٣- شرح شذور الذهب لابن هشام. القاهرة ١٩٥٠م
٢٤- شرح القصائد العشر للتبريزي. تحقيق محيي الدين عبد الحميد ١٩٦٤م
٢٥- شرح المفصل لابن يعيش المطبعة المنيرية القاهرة
٢٦- شرح مقامات الحريري. الشريشي. تحقيق أبي الفضل ١٩٧٣م
٢٧- الشعر والشعراء لابن قتيبة تحقيق أحمد شاكر دار المعارف ١٩٦٦م
٢٨- صحيح مسلم المطبعة المصرية بالأزهر ١٩٣٠م
٢٩- طبقات الشعراء لابن سلام تحقيق محمود محمد شاكر مصر ١٩٧٤م
٣٠- علم اللغة د. محمود السعران. دار المعارف. القاهرة ١٩٦٢م

٣١- العمدة لابن رشيق القيرواني تحقيق محيي الدين عبد الحميد بيروت ١٩٧٢م
٣٢- غاية النهاية في طبقات القراء. لابن الجزري- دار الكتب العلمية ١٤٠٠هـ
٣٣- الكامل لأبي العباس المبرد تحقيق د. زكي مبارك البابي الحلبي ١٩٣٦م
٣٤- الكتاب لسيبويه بولاق القاهرة ١٣١٦هـ
٣٥- كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد. تحقيق د. شوقي ضيف دار المعارف
٣٦- لسان العرب لابن منظور. طبقة بولاق. القاهرة.
٣٧- مختصر في شواذ القراءات لابن خالويه. نشر برجستراسر ١٩٣٤م
٣٨- مجالس ثعلب. لأحمد بن يحيى. تحقيق عبد السلام هارون مصر ١٩٦٠م
٣٩- المذكر والمؤنث لأبي زكريا الفراء تحقيق د. رمضان عبد التواب ١٩٧٥م
٤٠- المزهر لجلال الدين السيوطي تحقيق جاد المولى واخرين البابي الحلبي بمصر
٤١- معاني القران لأبي زكرياء الفراء- دار الكتب المصرية ١٩٥٥-١٩٦٦م
٤٢- معاني الحروف للرماني على بن عيسى تحقيق عبد الفتاح اسماعيل ١٩٧٣م
٤٣- مغني اللبيب لابن هشام تحقيق محيي الدين عبد الحميد القاهرة.
٤٤- من أسرار العربية د. ابراهيم أنيس نشر مكتبة الانكلو المصرية ط١
٤٥- المفضليات للفضل الضبي. تحقيق محمد شاكر وعبد السلام هارون ١٩٦٤م
٤٦- المقتضب لأبي العباس المبرد تحقيق عبد الخالق عضيمة- القاهرة
٤٧- الموطأ. للامام مالك بن أنس. تقديم فاروق سعد. منشورات دار الآفاق
٤٨- النشر في القراءات العشر لابن الجزري- دار الكتب العلمية بيروت
٤٩- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب القلقشندي تحقيق الابياري ١٩٥٩م
٥٠- النوادر لأبي زيد الأنصاري. المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٨٩٤م

المخطوطات

١- النكت للأعلم الشنتمري. تحقيق زهير عبد المحسن سلطان رسالة ماجستير على الآلة الكاتبة وقد طبع في الكويت عام ١٩٨٧/١٩٨٨.
٢- اختلاف اللهجات العربية في النحو العربي. عبد الجليل مرتاض رسالة ماجستير على الآلة الكاتبة.

* * *

حُرَيث بن محفِّض المازني

شاعر أموي

د. نوري حمودي القيسي

كلية الاداب - جامعة بغداد

في اخبار الشعراء وقفات توجب التأمل ومسائل تدعو الى التفكير ليس من باب الافاضة في ذكر اخبارهم او الاشادة لغرض من الاغراض التي بزوابها غيرهم ولكن اسبابا كانت تحول دون ذكرهم او الاطالة في ذكر اخبارهم او الحديث عن خصائصهم التي عرفوا بها، ولو حاولنا استقصاء تلك الموجبات من خلال النتف التي نقف عليها في اخبار المقلين لحددنا العوامل التي حاولت دون ذكر كثير من الشعراء الذين بقيت اخبارهم بعيدة والوان شعرهم لاتصل اليها اخبار الرواة ونفحات قصائدهم غائبة في ضمير الوجدان الشعري لمن استمعوا اليها او اعجبوا بأدائها الفني أو استهوتهم مشاعرها ولكنها لم تتجاوز هذا الحد الفاصل بسبب ماعرض له بعض الذين ترجموا للشعراء وهي أسباب لاتحمل من مبررات الاغضاء مايبيح لها الابتعاد ولا تملك من عوامل التعقل مايعطيها مبررات التجاوز. وحريث بن محفِّض واحد من اولئك الذين لم يذكروا في طوائف الشعراء ولم تمتد يد مؤرخ لتترجم له او تقف عنده أو تشير اليه كما اشارت الى مكان الشعراء الاخرين الذين حُشروا ولم نجد لهم الاقطعة او قطعتين واحياناً ذكراً عابرا لايوحي الا بموقف سريع.

ان عبارة (ليس بمذكور في الشعراء) التي نراها تلحق بما ابتسر من اخبار هذا الشاعر لاتأتي مجردة وانما تردف احيانا بأنه كان بدويا وهذه حالة غريبة، فليس كل بدوي لايذكر في الشعراء.. ويوصف بعدها بالمقل وتظل هذه العبارات غير وافية بالغرض الذي حمل المؤرخين على ترك اخباره والعزوف عن ذكره.. ان هذه الاسباب قد تصبح احيانا معيارا للاختيار او النقد وقد تترك الخيار لمن يريد الحديث عن الشعراء ان يتجاوز طوائف من هؤلاء الشعراء ولكن مسألة الشاعر حريث تدخل في اطار آخر وتبرر اسباب عدم التعرض له بأنه (غير متصدّ بشعر للناس في مدح ولا هجاء) وهو معيار آخر يذكره ابو الفرج ويد نع من ورائه عن اسباب هذا الاهمال فالتصدي للناس - وهو ما اظنه بعيداً - لم يكن مدعاة للحديث عن الشعراء ولم يُصبح مرتكزاً نقديا يعتمد عند الاشارة او الحديث أو التأليف.. فقد أشير الى كثير من الشعراء ممن لم يدخلوا في هذه الدائرة، وقد قرأنا تراجم طويلة لمجاميع ممن لم يرد على لسانهم من هذين الغرضين ومع هذا كانوا في رأس قوائم الشعراء

وتأتي الفقرة الاخيرة التي يقف عندها ابو الفرج في هذا التبرير وهي مسألة أخرى تدعو الى التأمل. لأنها من الممكن ان تضيف حالة جديدة الى الحالات التي وضعت مقياسا للدراسة او للجودة او للطبقة التي يمكن ان يكون فيها الشاعر. ومع ان هذه المقاييس قد برر بها ابو الفرج او الذين اعتمد عليهم ابو الفرج عدم ذكره الا ان دراسة حياة الشاعر والوقوف عند قصائده وتحليل بعض ماوصل الينا من حياته تغاير ذلك فللشاعر ابيات يمدح قومه حين غرموا عنه ماطلب منه السلطان بعد ان استاق ابلا لبني اسد وطلب فهرب من نواحي المدينة وخيبر الى جبلين[1] وله ابيات في الهجاء[2] وله مقطعات في الاشادة بقومه والفخر بأمجادة والحديث عن رجال قومه وبلائهم في المعارك وله ابيات يمدح ابني معرّض ويهجو قومه الادنين[3].

وتأتي قصيدته (في القطعة رقم ١٣) مؤكدة حقيقة نسبه فهو خزاعي أبا وأما وان قومه كانوا حماة لمن يحتمي بهم يدركون ثأرهم ويظلون موضع فخر لمن يفتخر بهم. وتستقر في نهاية القطعة اصوات الألم الممض وهو يتحدث عن نكاية اولئك الذين بذلوا

من اجلهم الدماء رخيصة وهم يقلبون لهم ظهر المجن ويضمرون الحقد.. وهي صرخة أخرى من صرخاته التي يُعبّر فيها عن النوازع البشرية التي بقيت مظهرا تأباه النفوس وخلقا تعافاه القلوب المؤمنة وهو تعبير عن كوامن وصورة عاشت في الذات وتحملت منها مجاميع البشر ما اثقل عليها هموم الحياة وأظلّها في مواقع اليأس من هذا النفر.

وله ابيات يهجو فيها بني بحتروبني ثعل[4].. ان هذه المقطعات القصيرة والقليلة تخالف ماذهب اليه ابو الفرج وهي قطع يذكرها في ترجمة الشاعر القصيرة.. فأبو الفرج ينقل التبرير ولكنه لايقف عند الاغراض التي عرض لها الشاعر وهي تكشف للقارئ ولأول وهلة ان حريث بن سلمة بن محفّض لم يخضع للمقاييس التي علّلت اسباب عدم ذكره في الشعراء ومع هذا فان اخباره تضاءلت في ثنايا هذا النسيان وهي حالة لم تقتصر عليه ولم يكن وحده الشاعر المغمور الذي حصر في هذه الدوائر الضيقة ولكن نفحات شعره وقدرته وتمكنه من استيعاب قيم عصره ومباراته لما الفه الشعراء ظلت واضحة في البقية من شعر هذا الشاعر الذي تتضارب في اخباره الاقوال.. فهو حريث ابن سلمة بن مرارة بن عمرو بن تميم[5] وهو حريث بن محفّض المازني وقيل ابن عناب النبهاني[6] وهو نبهان بن الغوث بن طي. وهو البجلي[7] وهو ابن سلمة[8] وهو احد بني خزاعي[9].

ونزعته الى طي واضحة تؤكدها كثير من النصوص منها لهجته التي يستخدم فيها مفرداتها فهو يستخدم (ناصاة) بمعنى (ناصية) وهي لغة طيئية وليس لها نظير الاحرفين هما (بأداة) بمعنى (بادية) و(قاراة) بمعنى (قارية) و(كاساة) بمعنى (كاسية) يضيفها صاحب اللسان.. وحين تأخذه عزة المفاخرة يجد في نسبه الى حاتم الطائي مدعاة لمفاخرة الآخرين فيقول:

تعالوا افاخركم أأعيا وفقعس
الى المجد أدنى أم عشيرة حاتم

وكما وقع الخلاف في عصره فهو جاهلي اسلامي له في الجاهلية اشعار[10] وهو شاعر اسلامي من شعراء الدولة الاموية[11] يقبل وهو جريح مثقل حتى يقف على الامام علي (عليه السلام) ويرحب به ثم يقول له: كيف انت ياأخا بني سنبس ؟ فيجيبه: جريح دنف كما تراني.. والذي بقي من عمري أقل مما مضى منه[12] وهي رواية يكتنفها بعض الاحساس بالشك لأن الاخبار الاخرى تمتد بالشاعر الى عصر الحجاج. ويذهب ابن سلام والمرزباني الى ابعد من ذلك فيجعلاه من المخضرمين وله في الجاهلية اشعار وعاش الى ان ادرك الحجاج ويرويا له قصة وذلك أنه لما سمعه على المنبر وهو يقول:

بنو المجد لم تقعد بهم أمهاتهم
وآباؤهم آباء صدق فأنجبوا

فقام اليه حريث وهو شيخ كبير فقال ايها الامير: من يقول هذا ؟ قال حريث بن محفّض المازني ، فلما نزل دعاه فقال: ماحملك على قطع الخطبة عليّ قال: انا حريث بن محفض وانك أنشدت شعري فأخذتني اريحيته قال: فخلاه. وقد انشد معاوية هذا البيت لما رأى فتيان بني عبد مناف.[13]

وتشير بعض الاخبار الى انه أسن ومر بنسوة من بني قليع وهو يتوكأ على عصى فضحكن منه وهي رواية تشير الى بلوغه مرحلة متقدمة لعلها تقترب من بعض الروايات التي تذهب الى امتداد عمره ووصوله الى عصر متأخر.

وتتأكد هذه الحقيقة حين تجد فيه (ابنة الضبي) صورة متغيرة وشكلا مهولا يرعبها ومفزعا يشير فيها عوامل الاستغراب.. ولكن الشاعر - وكما هي العادة عند الجميع - يبرر الصورة ، ويجد له تعليلا حين يعطي الليالي فعلها والايام اثرها وامتداد الزمن حكمته ولم ينسَ الحكمة التي تشير الى ان السراة يشيبون لما يبذلونه من نائل ويؤدونه من فعال. وان العدا واعمالهم ومايلقاه منهم يكفي ان يغيّر لمته ويشيب مفرقه.. ومن الطبيعي ان يشيب الرجال وتحافظ النساء على جمالهن لما يسترن به انفسهن ويحمين اجسادهن من كل بارد وكلّة مصانة.. وتعلو قسمات القصيدة روح الغزل العفيف وجمالية التعبير الموحي ورقة الالفاظ الحية[14] وتكشف المقطعات القصيرة عن روح الاعتزاز الكبير الذي كان الشاعر يمتلكها وهو يتحدث عن قومه وان خصائص النجدة والشجاعة والمروءة تتجلى فيهم وهم يستجيبون اذا دعوا ويركبون الحرب اذا اضطروا الى ركوبها ويحفظون الغيبة اكراما لمن يحفظ غيبتهم. فهم ابناء مجد عريق توارثه ورجال مكارم جليلة حرصوا عليها وهي معان استهوت شعراء الحماسة فوجدوا فيها اصواتهم وعبروا من خلالها عن اقتدارهم ايمانا بأن الصورة الشعرية هي الحالة المعبرة وان النبضة الشاعرة تنبثق عن الحس الوجداني الصادق في ساحة النزال والادنى في طريق المعادلة والاخلد في رحاب المفاخرة... واذا كانت بعض معاني الحماسة قد استغرقها الشعر العربي فأن تلك المعاني وغرر تلك القصائد تبقى موضع اعجاب الاجيال التي ترى فيها شواهد الاندفاع وتقرأ في ثناياها صفحات المجد البطولي الرائع وهو يهيئ المناخ المناسب لمواكب جديدة تعطي الحياة دفقها الحي وتفتح المجال رحبا لكل الراغبين في تسجيل المآثر لأنهم يجدون في التاريخ اصوات المقاتلين فيستمدون منها العزم والحزم والنضال.

وتؤكد احداث التاريخ عمق المعنى الاستشهادي لشعر الحماسة حين يجد فيه الرجال مدعاة للاستشهاد وصورة للمقارنة وحالة للتعبير الذاتي عن الاقتدار الذي صاحب حالة الاختيار فأذا كان معاوية وهو يستقبل فتيانا من فتيان بني عبد مناف يستشهد بأبيات حريث. واذا كان الحجاج على منبره يجد في ابياته حجة للتعبير عن الاعجاب فأن مواضع اخرى لمثل هذا الاستشهاد كانت مثار اعتزاز وصورة استيحاء تركت اثرها العميق في نفوس الاجيال وهم يستمعون الى المجد كيف يصنع والى البطولة كيف تخلد والى الرجال كيف يثابون(١٥).

ويتجلى حسّ الشاعر القومي وهو يتحدث عن ايام قومه ومعاركه التي خاضها وماسجله من محامد تؤكدها ذكرياته في كل يوم وما حققه من انتصار واخذه من أسلاب وسلاح وخيل ولم ينس وهو في خضمّ هذا الاعتزاز اشارته الى تمرده على حكم الاعاجم الذي لم يهاون فيه الاعداء الذين حاولوا استباحة الحرمات واذلال الانسان فكانت صرخته . . وحكم عدوّ لاهوادة عنده.

فهو مبدأ في عرفه وعقيدة في حربه ومواجهة في تاريخه لن يقبل بغيرها ولايرضى الا بالعز ان هذا الصوت الرافض الذي وضع الاعاجم موضع العدو كان مبدأ أدرك ابعاده العقلاء، وسبروا غوره حتى تحددت في ظله قيم التعامل واستقامت في اطاره نظرية الموقف العربي في مواجهة التحدي ليصبح نهجا له مبرراته وموقفا له دواعيه . .

وتستوقفني عبارة وردت في نهاية ابيات ذكرها ابو حيان التوحيدي في البصائر والذخائر. وهي تشير الى المصدر الذي اعتمده في النقل (وهو نقل هذه الابيات من ديوان بني مازن) وهي اشارة ينفرد بها بالنسبة لذكر هذا الديوان بعد ان ظلت اخباره غير معروفة. وهي اشارة يتيمة لم نجد ها ذكرا في كتب الفهارس التي اعتمدت دواوين الشعراء او وقفت عليها ولعلّ ديوان مازن المشار اليه قد ضمّ مجموعة دواوين القبيلة التي كان ديوان الحريث واحداً منها ويمكن اعتماد اشارة البغدادي في شرح ابيات مغني اللبيب (١٨٢/٤) التي تنقل ابياتا عن مختار اشعار القبائل لأبي تمام اشارة الى هذا الديوان الذي أشير اليه في البصائر والذخائر. وبعد ان وجدنا الحشد الكبير من دواوين القبائل واسماء كتبها التي زخر بها كتاب الفهرست والمؤتلف والمختلف، وكتاب الاغاني تخلو من ذكر هذا الديوان على الرغم من محاولة حصرها وهذا يؤكد لنا ان الدواوين التي ذكرت في هذه المصادر أو غيرها تمثل جزء مما صنعه الرواة لدواوين القبائل(١٦) . . .

ان محاولة جمع هذه المقطعات وتقديم هذه الدراسة التي اعتمدت الشعر وحده تقدم بداية أخرى على طريق جمع الشعر وتنسيق الاغراض التي وقف عندها الشعراء وهم يعبرون عن احساسهم المرهف وفكرهم الاصيل وعواطفهم الانسانية.

ان حياة تمتد هذه المساحة وشعرا بهذه الرصانة وتجربة بمثل هذه الصياغة تؤكد ان شاعرنا قطع شوطا بعيدا واسهم في حركة شعرية واسعة الاان الاسباب التي وردت في مقدمة الدراسة والاسباب غير المعقولة التي ذكرها ابو الفرج حاولت دون الوقوف عند ابداع شعري أو صوت فني او ظاهرة حياتية لها قيمتها في ديوان الحياة ولها قدرتها في مساحة التعبير الذي عبّر عنه شاعرنا واصبح في عداد شعراء مازن الذين شهروا.

لقد احتجنت بعض كتب الادب نتفا من شعره ويعد كتاب الاغاني من اكثرها ايرادا لشعره ثم كتاب ذيل امالي القالي وطبقات فحول الشعراء والبصائر والذخائر ثم امالي القالي والحيوان والبيان والتبيين وكتاب الفتوح ومعجم البلدان.

ان اعتماد هذه المصادر على شعره تؤكد اهميته في الاستشهاد ومنزلته بين الشعراء ومدى توثيق شعره الذي يوحي بكل الخصائص الشعرية المتميزة . . ان تقديم هذا المجموع الشعري يضيف لبنة جديدة الى ديوان الشعر العربي ويقدم نموذجا آخر الى قوائم الشعراء الامويين الذين ماتزال روائعهم مبددة وقصائدهم متناثرة ونأمل ان نوفق لتقديم شعراء آخرين على طريق الاحياء الجاد والجمع الشامل والدراسة المتكاملة.

١) أبو الفرج. الاغاني ٣٦٧/١٤
٢) البصري. الحماسة البصرية ٢٦٣/٢ والاغاني ٣٦٥/١٤
٣) ابو الفرج. الاغاني ٣٦٦/١٤
٤) تنظر القطعة رقم (١١)
٥) ابن سلام: طبقات فحول الشعراء ١٩٢/١
٦) ابو الفرج. الاغاني ٣٦٤/١٤
٧) البصري. الحماسة البصرية ٢٦٣/٢
٨) ابن منظور: اللسان (عيا)
٩) القالي. الامالي ٨١/٣
١٠) ابن سلام. طبقات فحول الشعراء ١٩٢/١
١١) ابو الفرج. الاغاني ٣٦٤/١٤
١٢) ابن اعثم الكوفي. كتاب الفتوح ٧/٤
١٣) ابن سلام. طبقات فحول الشعراء ١٩٤/١ والمرزباني. معجم الشعراء وابن حجر. الاصابة ٣٧٦/١ ترجمة (١٩٧٢).
١٤) تنظر القطعة رقم (١٢)
١٥) تنظر القطعة الاولى
١٦) ينظر الفهرست والمؤتلف والمختلف

[١]
قال القالي: وانشدنا ابو محلم لحريث بن سلمة بن محفض احدبني خزاعى بن مازن هذه الابيات:

١- ألمْ تَـرَ قـومـي إِذ دعـاهُـم أخـوهـم   أجـابـوا وانْ يـرْكبْ الى الحـرب يَـركَبـوا
٢- هُـمُ حَـلَفُـوا عـنـد الحليس وُمـدرك   وعـنـد بـلالٍ لااسـيرٌ ويَـشْـربُـوا[١]
٣- وهـم حفـظوا غيبي كـما كنت حـافـظاً   لهـم غَيْـبَ أخـرى مثـلها لـو تَـغـيبـوا
٤- بنـو الحـرب لم تُقْعُـدْ بهم أمهـاتُهمْ   وآبـاؤهـم ابـاءُ صـدقٍ فـانْـجَبُـوا
٥- واني لأَجْـلُوعـن فـوارسـيَ الـعـمـى   إِذا ضَـنَّ بـالـنفس الجبـان الُمـوَجَّبُ[٢]
٦- اجـودُ إِذا نـفسُ الـبخـيـل تـطلّعت   وأصـبـر نـفسـي والجـمـاجمُ تُـضْـرَبُ
٧- فـان يـكُ طعنٌ بـالـرديـنيّ يَـطعنـوا   وان يـكُ ضـربٌ بـالمنـاصـل يَضـربـوا

الابيات [١- ٦] في امالي القالي ٣/ ٨١ والابيات [١، ٣، ٤] في طبقات فحول الشعراء ١٩٤ وخزانه الادب ٢/ ٥١١ وينظر تخريجها في الطبقات ورواية الاول.. ألم تر قـومي ان..   اجابـوا وان يغضب علي القـوم يغضبوا والثـالث هم حفظوا..   لقومي أخرى..   إن تغيبوا..   والرابع.. بنو المجد..
وفي الشعر والشعراء [١، ٤، ٧] ورواية الاول.. ألم تر قومي إن دعوا .لملمةٍ.. اجابوا وان اغضب على القوم يغضبوا والرابع بني الحرب...
(١) هؤلاء سلاطين كلهم يقول: إني ان سُيِّرت أي حُلئتُ عن الماء لم يشربوا هم
(٢) الُموَجَّب: الذي يجبُ قلبُه من الجبن.

[٢]
قال حُريث بن محَفّض البجلى

يـدل عـلى أن الـزمـانُ مُـنـكَسٌ   صـعـودك اعـواد المـنـابـر خـاطـبـا
فسبحـان من اغنـاك من بـعـد فـاقـة   واعـطاك بـرذونـاً وعـبـداً وحـاجـبـا

البيتان في الحماسة البصرية ٢/ ٢٦٣

[٣]
واقبل حُريث الطائي وهوجريح مثقل حتى وقف على الامام علي (رضي الله عنه) وهو لما به فبادره عليّ ورحّب به، ثم قال له: كيف انت ياأخا بني سنبس ؟ فقال: جريح دَنِف كما تراني. والذي بقى من عمري اقل مما مضى منه...

يُـسـألـني عـليٌ كـيـف حـالي   وحـالي أنـني دَنـفٌ جَـريـحُ
ومـالي والـذيـن حـذّى مـقـرّي   سـوى أني لـسـوءتهـا أصـيـح
واني لا اقـرُّ بهـا واني   لأهـلِ الـديـن والـدنـيـا نـصـيـح
اباحـسـن هـداك الـله دَعْـهـا   ومـتـنُ اديمـهـا مـنـهـا صَـحـيـح
اتـطمـع في مـعـاويـة بـن حـرب   وعـمـرو إن ذا مـنـا قـبـيـح
وقـولهـا ومـن حَـجّـتْ إلـيـه   خـفـاف الـبـزل في الـبـيـدا ربـيـح

الابيات [١-٦] في كتاب الفتوح لابن أعثم الكوفي ٤/ ٧

[٤]

قال حُريث بن مُحَفِّض :

أَلم تَرَ أني بعد عمرو وَمَالِكٍ ... وعُروَةَ وابن الهَوْل لستُ بخالدِ
وكانوا بني سادَتنا فكأنَّما ... تَسَاقَوْا على لَوْحٍ دماءَ الأساود
ومن نحنُ إلا مِثلُهُمْ غير أنَّنا ... كَمُنتظرٍ ظِمأً وآخرَ واردِ
هُمُ سَاعِدُ الدهر الذي يتقى به ... وما خيرُ كَفٍ لا تَنُوءُ بساعد
فإن الألى حَانت بَفلج دماؤهم ... هُمُ القومُ كُلُّ القوم ياأُمَّ خالدِ

الابيات [١- ٥] في شرح ابيات مغني اللبيب ٤/ ١٨٢ منسوبة الى الحرُيث بن مُحفِّض نقلاً عن مختار اشعار القبائل لابي تمام.
وتجمع المصادر على نسبتها الى الاشهب بن رميلة (ينظر الشرح/ ١٨١).
والابيات [٥،٤،٢] مع اختلاف فقد نسبها صاحب الحماسة البصرية الى الاشهب بن رميلة وينظر تخريجها في الحماسة/ ٢٦٩

[٥]

وقال حُريث يمدح ابني مُعرض ويهجو قومه الادنين من بني نَبهان بعد ان ابوا ان يعاونوه:

لما رأيتُ العبد نبهان تاركي ... بلمَّاعةٍ فيها الحوادثُ تخطرُ
نُصرتُ بمنصور وبأبَتي مُعّرض ... وسعد وجبار بل الله يُنصر
وذو العرش أعطاني المودة منهم ... وثبتَ ساقي بعدما كدت أعثر
إذا ركب الناس الطريق رأيتهم ... لهم خابط أعمى وآخر مبصرُ
لكُلّ بني عمرو بن غوث رباعة ... وخيرهُم في الشر والخير بحترُ

الابيات في الاغاني ١٤/ ٣٦٦

[٦]

قال حُريث بن عَناب النبهاني

تَرى الجَوْنَ ذا الشمراخ والوَرْد يُبتغى ... ليالى عشراً وسطَنا وهو عائرُ(٣)

البيت في اللسان [شمرخ].

(٣) الشمراخ من الغرُر ما استدق وطال وسَال مُقبلاً حتى جَلّلَ الخيشوم ولم يبلغ الجحفلة والفرس شمراخ.

[٧]

وقال حُريث بن سلمة:

١ - إن تكُ درعي يوم صحراء كليةٍ ... اصيبتْ فما ذاكم عليَّ بعار(٤)
٢ - الم تكُ من أسلابكم قبل هذه ... على الوقبَى يوما ويومَ سفَار(٥)
٣ - فتلك سرابيل أبن داودَ بيَننا ... عَوَاري والأيام غيرُ قصارِ

٤ - وكـائـنْ أخـذنـا منكمُ مـن أخيـذةٍ / مـن البـيض شـنـبـاء اللّثـات نَـوّار
٥ - ومـن سَـيِّـد ضـخـم كـأن مـجـرّه / بـحـيـثُ تَـلاقـيْـنَـا مَـجَـرُّ حُـوارِ
٦ - وسـابـغـةٍ زَغْـفٍ ونـهْـد مُـقـلِّص / وادمـاء مـن سرِّ الهـجَـان جِـضَـارِ
٧ - ونحن طَردْنـا الحي بكـرَ بـن وائـلٍ / الى سَـنَـةٍ مـثـل السِّـنـان ونـارِ(٦)
٨ - وحُمَّـى وطاعُـون دمُـوم وحـصْـبَـة / وذي لبـدٍ تـغشى المُـهـجْـهـج ضـاري
٩ - وحُـكـمِ عَـدوٌ لاهـوادةَ عـنـدَهُ / ومـنـزل ذُلّ في الحـيـاة وعـار(٧)
١٠- فـان تمـيـماً لم تَـرَعْ بـطن تَـلعْـةٍ / لـكـم بـين ذي قـار وبـين وَبَـار
١١- ازاحتكُـمُ عـنهـا الـرِّمـاحُ وفتيـةٌ / مَـسَـاعـيرُ حَـرْب كُـلّ يـومٍ غـوار
١٢- فـأقـعـوا عـلى أذنـابكـم وتنكـبـوا / مـهـاداتـنـا في كُـل يـوم فَـخَـارِ
١٣- وطـاعَنْتُ جمـع القـوم حتى رأيتُهـم / عـلى قُـلُص تَـغْـدوُ بهـم وبـكـارِ
١٤- فـاضْحَـوْا بـدرْنَى والـوجـوه كـأنّهـا / وجـوه كـلاب يَهـتَـرِشْـنَ جِـرَارِ(٨)
١٥- وكـانـت يمينـاً قبـل ذاك جَـعَلْتُهـا / عـلي فـقـد أوقَـعْـتُـهـا بـقـرارِ
١٦- لَألْتَمسنْ منكـم كَـميًّـا بَـضْـربـة / إذا مـا أنـا شـاهـدْتُ يـوم ذِمـارِ
١٧- فـإن هـي نـالت نَفْسَـه لم أبـالهـا / وان يـنـجُ منهـا فـهـي ذاتُ حِـبَـارِ(٩)

الابيات [١- ٧] في ذيل امالي القالي/ ٨٢ والابيات [١، ٢، ٣، ٧، ٨، ٩] في الحيوان ٣/ ٧٨

الابيات [٧، ٨، ٩] في طبقات فحول الشعراء/ ١٩٣ ورواية الثامن.. دموم وطاعون وحصبةٍ قاتل

الابيات [١، ٢، ٣] في بلدان ياقوت ٤/ ٣٠٣ ورواية الأول وان.. والثاني.. على الوفا يوماً.. والثالث.. عوادي والايام. وفيها تحريف وتصحيف.

(٤) يوم صحراء كُلْية: موضع وقعة كانت بينهم وبين بكر بن وائل. والكلية. من اودية العلاة باليمامة لبني تميم

(٥) الوقبى وسَفَار: ماء لبني مازن.

(٦) يعني محل بكر بن وائلٍ وهو السواد. والسواد اوبأ البلاد على الرجال والأبل من البر.

(٧)حكم عدو: يعنى حكماً للعجم..

(٨) درني: موضع باليمامة. الا هتراش: تحرش الكلاب بعضها ببعض

(٩) ذات حِبار: ذات اثر فيه وان لم تقتله

[٨]

قال حُريث بن عناب الطائي

لـقـد آذَنَـت أهـلَ الـيـمـامـة طـيـئ / بـحـربٍ كنـاصـاة الحـصـان المشـهّـر(١٠)

البيت في المعاني الكبير ٢/ ١٠٤٨

والبيت في اللسان [نصا]

(١٠) الناصاة: لغة طيئية: قصاص الشعر في مقدم الرأس وليس لها نظير إلا حرفين بادية وباداةُ وقارية وقاراة وامرآة كاساة يريد كاسية.

[٩]
مرّ ابن عناب بعد ما أسنّ بنسوةٍ من بني قليع وهو يتوكأ على عصا فضحكن منه فوقف عليهن وانشأ يقول:

هزئت نساءُ بني قُليع أن رأتْ ... خَلِقَ القميص على العصا يتركع
وجعلني هُزؤاً ولو يعرفنني ... لعلمن أني عند ضيمي أروع

البيتان في الأغاني ١٤ / ٣٦٧

[١٠]

هلْ قلبكَ اليوم عن شنباء منصرفُ ... وانت ماعشتَ مجنون بها كلفُ
ماتذكر الدهرَ إلا صدّعت كبداً ... حرّى عليك وأذرت دمعةً تكف
يدوم ودي لمن دامت مودته ... وأصرف النفسَ احياناً فتنصرف
ياويحَ كُلّ مُحبّ كيف أرحمُهُ ... لانني عارف صدق الذي يصف
لا تأمنن بعد حبّي خُلةَ ابداً ... على الخيانة إن الخائنَ الطَرِفُ
كأنّها ريشةٌ في أرض بلقعةٍ ... من حيثما واجهتها الريحُ تنصرفُ
يُنسي الخليلين طول النأي بينهم ... وتلتقي طُرفٌ شتى فتأتلف

الابيات [١-٧] في الاغاني ١٤/ ٣٦٣- ٣٦٤

[١١]
قال حريث يهجو بني بُحتر وبني ثعل

بني ثعَل أهل الخنا ما حديثكم ... لكم منطق غادٍ وللناس منطق
كأنكم معزى قواصعُ جِرَّةٍ ... من العيِّ أو طيرٌ بخُفّانٍ ينعقُ
دَيافيةٌ قلفٌ كأن خَطيبَهم ... سَرَاة الضحُى في سلْحه يتمطقُ

الابيات في الاغاني ١٤/ ٣٦٥ والثالث في اللسان [مطق]

[١٢]
وقال حريث بن مُحفض المازني.

١- تقول ابنةُ الضبيِّ يوم لقيتُها ... تغيّرت حتى كِدتُ منك أهالُ
٢- فان تَعْجبي منّي عُمَيْر فقد أتت ... ليالٍ وأيامٌ عليّ طوالُ

٣- وإنّي لَمِن قوم تشيبُ سراتهُمْ   كذاك ومنهم نائل وفَعَالُ
٤- ولو لَقيَتْ ماكنتُ ألقي من العدَى   إذاً شَاب منها مَفْرقٌ وقَذَالُ
٥- ولكنهَا في كلَّةٍ كُلَّ شتوةٍ   وفي الصيفِ كنٌّ باردٌ وحجالُ
٦- تُصانُ وتُعَل المسْكَ حتى كأنّها   إذا وضَعَتْ عَنها النصيفَ غَزَالُ

الابيات [١-٦] في البيان والتبيين ٣/٢٦٢

والابيات [١-٢] في طبقات فحول الشعراء /١٩٣

[١٣]

قال ابنُ مُحفِّض المازني[١١]

إمّا تسألي عني فإنيّ   خزاعيٌّ أبي منهمْ وخالي

(١١) هو حريث بن سلمة بن مرارة بن محفض الخزاعي المازني شاعر مخضرم في الجاهلية والاسلام عاش الى ان أدرك الحجاج وجرت معه حادثة فأنه سمعه على المنبر وهو يقول مخاطباً أهل الشام .

بنو المجد لم تقعد بهم امهاتهم   وآباؤهم آباء صدق فانجبوا

فقام اليه حريث، وهو شيخ كبير فقال: ايها الامير! من يقول هذا؟ قال: حريث بن محفض فلما نزل دعاه فقال: ما حملك على قطع الخطبة علي؟ قال: أناحريث بن محفض ماملكت حين تمثل الامير بشعري أن اخبرته بمكاني، وفي رواية: فانك انشدت شعري فأخذتني أريحيته!

(طبقات الشعراء ١٦١، الشعر والشعراء ٥٣٦، خزانة الادب للبغدادي ٢/٥١٠).

فمالك يايزيدُ كأنَّ شخصي   طَلاهْ إليكَ بالقطرانِ طالي
أأنْ كنا لَكُمْ لجأ وكهفا   إذا خرجت مُخبّأةُ الحجالِ
وكُنّا المدركينَ بكل وتْرٍ   شآكُمْ في دهورِكُمُ الخوالي
وكُنا فَخرُ فاخركم إذا ما   نبا بالفخرِ طُلّابُ المعالي
أبحتم حُرمَةَ الأعراضِ منّا   وأظهرتم لنا خنعَ المَقَالِ
وأضمرتم لنا الشنآنَ لمّا   فرعناكم الى السور العَوالي
فأعْفُونا من الأموالِ فينا   وسامُونا الى شرفَ الفعالِ
فما ذَنْبُ الجوادِ إلى أخيهِ   إذا جريا وكل غير آل

نقلت هذه الأبيات من ديوان بني مازن

[١٤]

وكان حُريث بن عَنّاب اغار على قوم من بني أسد فاستاق ابلاً لهم، فطلبه السلطان فهرب من نواحي المدينة وخيبر الى جبلين في بلاد طيّ يقال لهما: مُرّى والشموس حتى غرم عنه قومه ما طلب ثم عاود وقال في ذلك.

١- إذا الـدِّين أودى بـالفَسَـادِ فقـل لـه ... يـدعنـا وركنـاً من مَعَـدّ نُـصـادمُـه

٢- ببيض خـفـافٍ مـرهفـاتٍ قـواطـع ... لـداودَ فـيـهـا أثـرهُ وخـواتمـه

٣- وزُرقٍ كستهـا ريشهـا مضـر حيـةٌ ... أثـيـث خـوافي ريـشُـهـا وقـوادمُـه

٤- بجيشٍ تَضلُّ البُلق في حَجَراتـه ... بـيـثْـربَ أُخـراه وبـالـشـامِ قـادمـه

٥- إذا مـاخـرجنـا خَـرَّتْ الأكم سُجَّـداً ... لُـغـرِّ عـلا حَـيـزومُـه وعـلاجُـه

٦- إذا نحن سِـرنا بـين شـرق ومغـرب ... تحـرَّكَ يـقـظانُ الـتـراب ونـائـمـه

٧- وتـفـزع منـا الإنسُ والجـنُّ كـلُّهـا ... ويُـشـربُ مـهـجـورُ المـيـاه وعـائـمـه

٨- ستمنـعُ مُـرَّى والشمـوس أخـاهمـا ... إذا حـكـم الـسـلطان حـكـمـاً يُـضـاجمـهُ(١٢)

الابيات في الاغاني ١٤/٣٦٧ واورد صاحب الحماسة ٢/٦٣٦ [١، ٢، ٣] وبيت الزيادة والخامس ونسبها الى أبان بن عَبْدة وهي في الحماسة البصرية ١/٨ منسوبة الى حُريث بن عناب وقال صاحب الحماسة.. وقال حُريث بن عناب الطائي اسلامي نسبها ابو تمام الى ابان بن عبده وليست له.

(١٢) ويروى: يصاحمه. وقال ابو عمرو: يُصاحمه: يزاحمه والاصحم منه مأخوذ

[١٥]

قال حريث بن عَناب النبهاني

تَـعَـالَـواْ افـاخـركـم أأعـيـاد فَـقْـعسٌ ... الى المـجـد أدنى أم عـشـيـرةُ حـاتـم(١٣)

البيت في اللسان [عيا]

(١٣) أعيا: أبو بطن من أسد وهو أعيا اخو فَقْعس ابنا طريف بن عمرو بن الحرث بن ثعلبة بن دودان بن إسد. والنسبة اليهم أعيوي

مواد البيان

لعلي بن خلف الكاتب

المتوفى بعد سنة ٤٣٧ هـ

د. حاتم صالح الضامن
كلية الاداب / جامعة بغداد

القسم الثاني -

الباب الثاني
في البلاغة وأقسامها

البلاغةُ هي العبارةُ عن الصُّوَرِ القائمةِ في النفسِ بمعانٍ جامعةٍ لتلك الصُّوَر محيطةٍ بها ، وألفاظٍ لتلكَ المعاني مساويةٍ لها . ولصعوبةِ المرام في تركيب الكلام من ألفاظٍ ومعانٍ مشتملةٍ على الصفة التي وصفناها قلَّ البلغاءُ وصارت البلاغةُ صناعةً تخصُّ قوماً دونَ قوم .

ولو كانت البلاغة إنّما هي العبارةُ عن هذه الصُّوَر بما يحضُرُ كلَّ مُعَبِّرٍ لتساوى الناس في حيازةِ فضيلتها ، ولم يكنْ لأحدهم مزيّةٌ على الآخر فيها ، لكنّ أكثرَهم يعدلُ عن طريقها من وجهين :

أحدهما : أنْ يأتي بألفاظٍ عاميّةٍ متبذِّلة سخيفة النسج لاتدلُّ على المعاني في أوّل وَهْلَةٍ .

والآخر[1] : أنْ تكونَ الألفاظُ مُكَرَّرَةً بأعيانها أو مترادفةً ينوبُ بعضُها عن بعضٍ في الدلالة على المعنى المدلول عليه (٦٠) ويؤخذُ الطريق الى الإبانة عنه بجزء منها ، على أنّ استعمال الألفاظ المترادفة أيسرُ قُبحاً من استعمال الألفاظ المكرّرة لما تفيده المترادفة من توكيد المعنى . وفي التنزيل العزيز : «ومن الجبالِ جُدَدٌ بيضٌ وحُمْرٌ مختلفٌ ألوانُها وغرابيبُ سودٌ»[2] . والغربيب هو الأسود . قال ذو الرُّمَّة[3] :

لمياءُ في شَفَتَيْها حُوَّةٌ لَعَسٌ   وفي اللِّثاةِ وفي أنيابها شَنَبُ

واللَعَسُ حُوَّةٌ ، فرادَفَهُ لمّا اختلفَ اللفظان ، ويجوز أنْ يكونَ لمّا ذكر الحُوَّةَ خشيَ أنْ يتوهمَ السامعُ سواداً قبيحاً فبيَّنَ أنّه لَعَسٌ ، واللعسُ حَسَنٌ في الشفاه ، وأمثال هذا كثيرٌ .

وإنّما يجب تجنّب الألفاظِ المترادفةِ في المواضع التي تقتضي الايجاز والاختصار ، ولايحسنُ فيها الاطالة والاكثار ، كمخاطبة الأعيان من الرؤساء الذين لايجوزُ أنْ تُشغَلَ أسماعُهم بما يقطعُهم عن أمورهم المهمة ولا أنْ ينفدَ زمانُهم فيما هِمَمُهم مصروفةٌ الى مطالعةِ غيرهِ . وهذه الطبقةُ من الناس لايجوز

الإقدام عليهم بمخاطبةٍ ولامكاتبةٍ إلاّ بعدَ المعرفةِ برُتَبِ الألفاظ والمعاني ليخُصَّها منها بما تقتضيه منزلتُها ومخاطبة أهلِ الذكاء والفِطنةِ الذين يستدلّون بصدورِ الأمور على أعجازها ، ويتطرقُ فِكرُهم من أوائلها الى أواخِرها ، ويكونُ الايجازُ عندهم أوقعَ من الإطنابه، والإختصارُ أنجع من الإسهاب .

فأمّا مواقفُ الخُطباءِ بين (٦١) العامة وفي الأنديةِ الحافِلةِ والعهود السلطانية والمكاتبات في الفتوحات والمخاطبات المبنيّة على إيصال المعاني الى مَنْ لايتصوَّرُها بأدنى إشارة ، وماجرى هذا المجرى ، فإنّ الإطالةَ فيها و ترديد الألفاظِ المترادفةِ داخلٌ في عَقْدِ البلاغةِ وغير خارج عنها .

فأمّا البلاغةُ عند العرب فهي الاشارةُ الى المعنى بلَمْحَةٍ تدلُّ عليه لأنّهم يستحبُّون أنْ تكونَ الألفاظُ أقلَّ من المعاني في المقدار والكثرة . قال بعضهُم يصفُ كلاماً : كأنّ ألفاظَهُ قوالب لمعانِيهِ . يريد : أنّها مطابقةٌ لها غير زائدةٍ عليها ولا ناقصةٍ عنها . وهذا هو الطريقُ القاصدُ الى البلاغة ، وعليه يجبُ أنْ يُعتمدَ إلاّ في الأماكن التي يحسنُ بها الإطنابُ . . . .

وعلى هذا الترتيب تنقسم البلاغة الى ثلاثة أقسام : إشارةٌ دالّةٌ ومساواةُ لفظٍ لمعنى وإسهابٌ يقتضيه الحالُ .

وبين البلاغة والإبانة فرقٌ ذكره افلاطون ، وهو أنّ الإبانة وصفُ الشيء بأخْصَرِ الأشياء وأوجزها ، وترتيبها في القول على مراتبها فيه ، واعتماد المتكلم أنْ يكونَ كلامُهُ كالقالب لمعناه . والبلاغةُ وصفُ الشيء بالغاية بما يليقُ به وتَوَخّي أحسنَ ما في اللغةِ من اللفظِ وأقربه الى أفهام المستمعين . (٦٢) وفضيلةُ البلاغة إنّما يحوزُها ويفوزُ بها مَنْ بَعُدَ خاطِرُه في تأليف الكلام مخاطباً ومكاتباً ، لأنّ لكلٍّ من المخاطبة والمكاتبة موضعاً تكونُ الحاجةُ فيه الى البلاغة بوزن الحاجة اليها في الآخر ، فأمّا من استقلَّ بأحدى الحالين وعجزَ عن الأخرى فهابطٌ عن الدرجة العالية التي توجبُ حيازةَ الفضيلةِ .

﴿حدود البلاغة﴾ :

وقد حُدَّت البلاغةُ بحدودٍ(*) ، ورُسِمَتْ برسوم رأينا أنْ نوردَ بعضَها على سبيل التحلية والترصيع ، فمنها قولهم :

البلاغةُ ايصالُ المعنى الى النفس في أحسن صورةٍ من اللفظ .

والبلاغة حسنُ اللفظ مع صحة المعنى .

والبلاغة حسنُ العبارة مع صحة الدلالة .

والبلاغةُ أنْ يبلغَ السامعُ أقصى نهاية المعنى بالإبانةِ له والإفصاح عنه .

والبلاغة الايجازُ مع الافهام والتصرّفُ من غير إضْجارٍ .

والبلاغةُ القوّةُ على البيان مع التصّرفِ والقِران . والقِرانُ : المشاكلةُ .

والبلاغةُ القُوّةُ على البيان مع حُسْنِ النظام .

والبلاغةُ إدراكُ المطالب وإقناعُ السامع .

وقال اليوناني : البلاغةُ تصحيحُ الأقسامِ واختيار الكلام .

وقال الروميّ : البلاغةُ حُسْنُ الاقتضابِ عند البداهةِ والغزارة يوم الإطالة .
وقال الهنديّ : البلاغةُ وضوحُ الدلالةِ وانتهازُ الفرصةِ وحُسْنُ الإشارة .
وقال العربيّ : البلاغةُ أنْ يكونَ اللفظُ محيطاً بمعناك مُجَلّياً عن مغزاك .
(٦٣) وقال معاوية لصُحار العَبديّ(٦) : ماهذه البلاغةُ التي فيكم ؟ قال : شيءٌ تجيشُ به صدورُنا ثُمّ تقذفُهُ ألسنتُنا .
وقال الأصمعيّ(٧) : البليغُ من طَبَّقَ المَفْصِلَ وأغناك عن المُفَسِّر .
وقال الرُّمّانيّ(٨) : القول بالإيجاز أنجعُ من البيان بالإطناب .
وقال أرسطاطاليس : الزيادةُ في المنطقِ بعضٌ منه .
وقال خالد بن صفوان(٩) : أحسنُ الكلام ماقلّتْ ألفاظُهُ وكثُرتْ معانيه .
وقيل : خيْرُ الكلام ماشوَّقَ أوّلُهُ الى استماعِ آخره .
وكلّمَ رجلٌ سقراط بكلام طويلٍ ، فقال : أنساني أوّلُ كلامِكَ بُعْدُ العهد به وفارق وهمي .
وقيل : قليلٌ يُشتهى خيرٌ من كثيرٍ يُجْتَوَى .
ورُوي عن النبيّ ، صلى الله عليه وسلم : (رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أوجزَ في كلامه واقتصرَ على حاجته)(١٠) .
وقيل : لايستحقّ كلامٌ اسمَ البلاغةِ حتى يسبق لفظَهُ معناه ومعناه لفظَهُ ، فلا يكونَ لفظُهُ أسبقَ الى سمعك من معناه إلى قلبك .
ولمّا كانتِ البلاغةُ ، كما قُلنا فيما سلفَ ، إنّما هي العبارةُ المركبة من الألفاظ والمعاني وجبَ أنْ نتكلّم على الألفاظ البسيطة الجارية مجرى الموضوع لها بمفردها ، وما يلزمُ من تصحيحها على شرائط اللغة وينبغي مِن تخيّر مايقع منها في الصناعة ، وعلى المعاني الحالّة منها محلَّ الصورة بمجرَّدها ومنزلتها من الألفاظ ، وما يتعينُ من تهذيبها وتحريرها وعلى الجملة المركبة منهما التي هي ذات البلاغة وتعرّف الطريق الأقصد الى تركيب اللفظِ(٦٤) والمعنى التركيب الذي ينتظم في سلك البلاغة . ونحن قائلون في ذلك بحسب الاختصار إنْ شاء اللّهُ .

قول في الألفاظ البسيطة :

الكلام في الألفاظ البسيطة ينقسم الى قسمين :
أحدهما(١١) : أحكامُها واستعمالُها على أحكام اللغة .
والثاني : تخيّر مايقعُ منها في صناعة الكتابة .
فأمّا أحكامُها واستعمالُها على أحكام اللغة فإنّه ينقسم الى قسمين :
أحدهما يحلُّ من الصناعة محلّ المادة ، والآخر يحلّ منها محلّ الأداة .
فأمّا الذي يحلّ منها محلّ المادة فهو بسائط اللغة من الاسماء والأفعال والحروف . والكاتبُ يحتاج الى التوسع فيها والمعرفة بسهلها ووَعْرها وتناولها من العلماء بها والكتب الموضوعة فيها الصحيحة النقل ، ليسلم من الزللِ والتصحيف وتقليد العامّة فيما وضعته غير موضعه ، والمهارةِ في معرفة مشترك الألفاظ ومتواطئها ومشتقّها ومتباينها ⟨ومترادفها⟩.

فأمّا المشتركةُ فهي التي تدلّ على أسماء متباينةِ الذوات ، كلفظة العين الدالّة على العين المبصرة وعين الماء وعين الذهب وغير ذلك(١٢) .

وأمّا المتواطئةُ فهي التي تدلُّ على أشياء متفقةِ الذوات ، كلفظة الحيوان الدالّة على الانسان والفرس وكلّ حيّ .

وأمّا المشتقّةُ فهي التي اشتُقّتْ مِن معانيها ، كفصيح من الفصاحة وعالم من العِلم وحكيم من الحِكمة ونحوها .

وأمّا المتباينةُ فهي التي يدلُّ كلٌّ منها على خِلافِ مايدلُّ عليه الآخرُ .

(٦٥) وأمّا المترادفة فهي التي يدلُّ كلُّ واحد منها على مِثْلِ مايدلّ عليه الآخرُ ، نحو قطرٍ وغيثٍ ومطر ، والعلمُ بتصرّفها في وجوه الدلالات ليقتدرَ على استعمالها ويأمنَ مِن تداخلها وتكريرها المهجنين للمعاني ويجدَ السبيلَ الى التصرّف في العبارة عن الصُّوَر القائمة ، في نفسه ، فإنّ التعبيرَ عن المعاني من طريق البلاغة غيرممكن ، وإنْ كانت المعاني عتيدةً في نفس المعبّر ، إذا كانت الألفاظُ نزرةً عنده ، وإنّما يقوى على إبانة المعاني متى توفّر حظُّهُ من الألفاظِ واقتدر على التصرّف فيها ، لأنّها حامِلةُ المعاني ومركبُها .

وأمّا القسمُ الثاني الذي هو كالأداة فهو مايتضمّنُهُ علمُ النحو من معرفة تصريف الأفعال واختلاف أبنية المصادر ووجوه الاعراب والجمع والتوحيد والتأنيث والتذكير والمقصور والممدود والاشتقاق ومراتب الأفعال والنعوت . والكاتبُ محتاجٌ الى النظر في هذه الأشياء كلها لأسباب نحن ذاكروها .

فأمّا حاجتُهُ الى علم التصريف فلأنّه يقعُ من أقسام الكلام الذي هو كالمادة للصناعة في الأفعال ، والأفعالُ عليها مدار الكلام ، فلا غناء به عن العلم بالجليل من تصرُّفها الواقع في الفعل الثلاثي وماتشعّبَ منه دون الدقيق الذي يتكلّفه النحويون ، والذي يكفيه من ذلك أنْ يعلمَ أنّ الأفعالَ ثلاثةُ أصولٍ ، وهي الثلاثية والرباعية والخماسية ، لاتنقصُ عن الثلاثي إلّابنقصانٍ يدخلُ على البناء ، ولا تزيُد (٦٦) على الخماسي إلّا بزيادةٍ تدخلُ على البناء ، فإنّ مايزيُد على الثلاثي حتى يصيرَ رباعيّاً أو خماسيّاً يسمى الأفعال المتسعة ، والذي يدخلُ منها في الكلام ثمانيةُ أمثلة ، وهي التي مصادرُها : الافعالُ والانفعال والافتعال والمفاعلة والتفعيل والتفعّل والتفاعل والاستفعال .

ولكلِّ واحدٍ من هذه الأفعال دلالة تخصُّهُ ، وقد توجدُ للواحدِ منها دلالاتٌ عِدّةٌ وبها تتغيّرُ معاني الكلام .

وكلُّ واحدٍ من هذه الأصول ينقسم من جهة مخارج الكلام الى أربعة أقسام ، وهي : الافعال المضاعفة والصحيحة ‹و› المعتلة والمهموزة .

ولابُدّ لمَنْ يرومُ تصحيح ألفاظ اللغة أنْ يعرفَ تصرُّفها وطريق استعمالها في الماضي والحاضر والمستقبل والأمر والنهي ومخاطبة الشاهد والاخبار عن النفس والغائب واستعمال أحكام التوحيد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث وكيفيّة استعمال هذه الأمثلة في الفعل الذي لايسمى فاعله .

وأمّا الحاجةُ الى علم المصادر فلأمرين : أحدهما ألّا يجهل الصّوابَ فيها فيضع في موضعه مالاتجوّزه اللغة ، وذلك أنّ مصادر الفعلِ الثلاثي تكثرُ وتتغيّرُ ألفاظُها ودلالاتُها وليسَ كحالِ مصادر الأفعال المشتقّة

من الفعل الثلاثي التي لها أمثلةٌ محصورةٌ ، لكنّها تقبلُ الاختلافَ وتكثُر جدّاً ولاتحصل إلاّ بالسماع والأخذ من الكتب الموضوعة فيها ، ومتى استعمل شيءٌ منها على سبيل القياس والحدس(٦٧) وقعَ الخطأ فيه .

وأكثرُ مايغمضُ الأمرُ في الأفعال التي تتفقُ أبنيتها في الماضي والمستقبل ولايفرقُ بين معانيها إلاّ بالمصادر المختلفة ، وذلك مثل قولهم : وَجَدَ يجدُ ، فإنّ هذه اللفظة يشترك فيها عِدّة معان ولاتتميّز إلاّ بالمصادر ، فإنّه يُقالُ في ضدِّ العَدَم : وَجد يجدُ وجوداً . وفي الظّفر بالضّالةِ : وجَدَ يجِدُ وِجْداناً . وفي الثروةِ : وجَدَ يجِدُ وُجداناً وجِدَةً . وفي الحُزْن : وَجد يجدُ وَجْداً ، وفي العنت : وجَدَ يجُدُ مَوْجِدَةً . وأمثال هذا .

ومن المصادر مايزيدُ في رونقِ الكلام ويفخّمه ، ولايُستغنى عن معرفة مايحلو في الذّوق منها ، فليستْ وإنْ تساوَتْ في الدلالة متساوية في العذوبة والفخامة ، ألا ترى الى قوله تعالى : «ومَنْ يَعْمَلْ من الصالحاتِ وهو مؤمِنٌ فلاكُفران لسَعْيه»[١٣] . ولذلك كانت العربُ تختارُ مصادرَ الكلام وتوقعها في المواقعِ اللائقة بها .

وأمّا حاجتُهُ الي علم النحو فلأنّه ثِقافُ اللسانِ وحلية الكلام وميزانُ الألفاظ التي لاتصحُّ على أحكام العربية إلاّ به .

وأمّا هذه اللغةُ فإنها بما يلحقُها من لواحق الاعراب تُعطي دلالات زائدة في المعاني يتغيّرُ بها الكلامُ تغيُّرا ظاهراً ويستحيل لأجلها الى وجوه مختلفة . وصاحبُ هذه الصناعة جدير أنْ يأخذ منه بالنصيب المتوفّر الذي يصونه عن هجنة اللحن من غير إغراق يقطعهُ عن حيازة الأعود عليه من الأمور الخاصة(٦٨) لصناعته .

وأمّا حاجتهُ الى معرفة علم التوحيد والجمع فإنَّ أمثلةَ الأسماءِ تختلفُ اختلافاً كثيراً حتى تشابه مصادرَ الأفعال الثلاثية في التشعّب ، وكُلّها مأخوذٌ من السماعِ دونَ القياسِ ، وقد يقعُ فيها نوادرُ لانظائرَ لها ، نحو جمعهم (دُخان) على (دواخن) و (وَرَشان) و (كَرَوان) علي (وِرْشان) و (كِرْاون) ، بكسر الفاء[١٤] ومتى لم يتمهّر الكاتبُ في معرفة الجمعِ وعوَّلَ على القياس أخطأ ولم يعلم ودلَّ ذلكَ على قصوره .

وأمّا حاجته الي علم المذكّر والمؤنّث فلِما يقعُ فيه من الافتنان أيضاً ، وذلك أنّ المؤنّث على ضَرْبَيْن : ضرب فيه علامةٌ من علامات التأنيث الثلاث ، وهي الهاء والألفان الممدودة والمقصورة ، نحو طلحة وحمزة ولمياء وظمياء ، وهذا لاخلاف فيه . وضرب لاعلامة فيه وإنّما يوجدُ من السماع ، ويقعُ فيه أشياء كثيرة تحتمل التذكير والتأنيث كاسم السلطان واللسان[١٥] ، فإنّ من العرب مَنْ يذكّرهما ومنهم مَنْ يؤنثهما . ومتى لم يعرف الكاتب الحكمَ في ذلكَ نقصَ من وضعِهَ .

وأمّا حاجته الى الممدود والمقصو فلاختلافهما في الدلالات على المعاني ، وذلك أنّ اللفظة الواحدة نفسَها تدلُّ على معْنَيَيْن مُتغايرَيْن إذا مُدَّتْ وقُصِرَتْ، كقولنا:(هوىً) بالقصر، و (هواء) بالمدّ[١٦] و(صفا) بالقصر و(صَفَاء) بالمدّ .[١٧] و (سناً) بالقصر ، وسناء بالمدّ[١٨] ولأنّه يحتاجُ إذا أضافَ الممدودَ أنْ يضيفَهُ في موضع الرفع بزيادة واو ، وفي موضع النصب بزيادة ألفٍ ، وفي موضع الخفض بزيادة ياءٍ ، ومتى أضافَ (٦٩) المقصور لم يحتجْ الى ايقاع زيادة فيه ، وإنّما تُبدلُ الياء فيها يُكتب بالياء ألفاً مقصورة . فمتى لم يكنْ عارفاً بالمقصور والممدود جمعَ بين إحالة المعنى وخطأ الهجاء .

وأمّا حاجتهُ الى الاشتقاق فلأنّ الأسماء في كلّ لغة تنقسم الى قسمين : موضوع ، ومشتقّ من الموضوعِ الذي ليس وراءه اشتقاق ، وإنّما هو سِمَةٌ واقعة على ذاتٍ من الذوات . ضروري ، لأنّه لوادّعى مدّعٍ أنّ الأسماءَ كُلّها مشتقّةٌ لأوجبَ ذلكَ أنْ تكونَ غيرَ متناهيةٍ الى مبادٍ اشتُقّتْ منها ، وهذا محالٌ .

ولو ادّعى أنّ الأسماءَ كُلّها موضوعةٌ لنا قضن ما يوجبُهُ الامتحانُ لأنّ حكمَ الاشتقاق مطّردٌ في أكثرها نحو : مركب ومجلس ومحمل ومنزل مما ينطقُ بأنّه مشتقٌ . ولولا الاشتقاقُ لضاقَ المذهبُ في التسمية ولم يكنْ سبيلٌ الى التوسع في المنطق .

وقد كانَ الأمرُ في معرفة الاشتقاق في الأزمان السالفة مرجوعاً فيه الى أهل صناعة الكتابة دون غيرهم .

والاشتقاقُ وإنْ كانَ موجوداً في كلِّ لغةٍ فإنَّه في اللغةِ العربية أكثرُ تطرقاً وتصرُّفاً .

فمتى لم يكن الكاتبُ عالماً بالاشتقاق ظنَّ أنَّ كلَّ لفظة من الألفاظ المشتقّة موضوعةٌ ، وإذا ظنَّ ذلك لم يتمكن من التصرُّف في الكلامِ واستعماله في وجوه أغراضه ، وإذا علم بالوجْهِ في الاشتقاق أمكنَهُ أنْ يستعمل الكلامَ في جميع المعاني التي لها شِرْكَةٌ فيه ، ألاترى أنّه إذا علمَ لِمَ سُمِّي الجنينُ الذي في الحشا جنيناً ، وأنّه(٧٠) لمعنى السَّتْرِ والتغطية أمكنهُ أنْ يتصرَّفَ في هذه اللفظةِ بردِّها الى أصلها فيقول : كان أمرُ كذا وكذا أمراً جنيناً حتى ظهرَ كذا وكذا ، وأمثالُ ذلك كثيرٌ .

وأمّا حاجتُه الى العلم بمراتب الأفعال والنعوت فإنّ الألفاظَ إنّما هي عبارة عن المعاني ، وإذا كانت كذلك فيجب أنْ يكونَ بازاء كلِّ معنى خاصّ لفظٌ خاصٌ يدلُّ عليه دلالةً خاصيَّةً تعطيه حقَّهُ من العبارة على التّمام . وهذا عزيزٌ في اللغات ولا تكادُ لغةٌ تستوفيه إلاّ أنّها وإنْ كانت كذلك فإنّها تختلفُ فيه ، فمنها مايوجد أحسن لتمييز مراتب النعوت والأفعال من غيرها وأتمّ عبارة . وللغة العربية من هذا الباب حظٌ متوفّر تتميَّزُ به عن كثيرٍ من اللغات ، لأنّ مراتبَ النعوت فيها متقسّمةٌ ، وذلك مثل ماقسّموا نعوت الحُسْن فقالوا : حَسَنٌ وجميلٌ وبَهِيٌّ ووسيمٌ وقسيمٌ وغير هذا . وكذلك فعلوا في ترتيب القُبح والسخاء والبُخل والشجاعة والجُبْن . وعلى مِثْلِ هذا الترتيب رتّبوا الأمثالَ فقالوا : سرَّني الشيءُ وأفرحني وأبهجني وأجذلني . وضِدُّه : غمَّني الشيءُ وأوحشني وأترحني وأحزنني وأقلقني وأمرضني ومضّني ونحو هذا .

وقد عني أربابُ الكلام وأهلُ النظر بترتيب الأوصاف، لحاجتهم الى المعرفة بما يجوز ان يطلق مما في الله تعالى وما لايجوزُ ، وذلك أنَّ الله تعالى لايحسن أنْ يوصفَ إلّا بالأفضلِ الأشرفِ ممّا يقعُ في كلِّ باب من أبواب الثناء والتمجيد ، لقوله تعالى : «ولله الأسماءُ الحُسْنَى (٧١) فادعوه بها»(١٩) . ولهذا المعنى يُطلق فيه تعالى اسمُ الجوادِ ولا يُطلقُ فيه اسمُ السخيِّ ، لأنّ رتبة الجواد أعلى من رُتْبة السخاء . ويُطلقُ فيه صفة الحليم ولا يطلق فيه صفة الصبور ، لأنّ رتبة الحلم أعلى من رُتبة الصبر ، إذْ في الصبرِ من المشقّةِ الواصلة الى النفس ماليسَ في الحِلْم . ويُوصفُ بأنّهُ مُصَوِّرٌ ولا يُوصفُ بأنه مُشَكِّلٌ ، لأنّ مرتبةَ التصوير أعلى من مرتبةِ التشكيل . ونحو هذا مما يطولُ تعدادُهُ .

وعوامُّ أهل اللغةِ لايراعون مراتب النعوت والأفعال ، فلذلك لاتقعُ ألفاظُهم مطابِقةً لمعانيهم

مطابقةً تامَّةً . والكُتّابُ لايحتملُ ذلك لهم ، لأنّهم الذين يكتبون عن الملوك ، والملوك هم الذين يتكلّفونَ ترتيبَ الأمورِ العامةِ ووضع الصغيرِ والكبيرِ منها في رُتبته ولا يَرْضَوْنَ أنْ يخرجَ ما يكتبُ عنهم عن الاعتدال والترتيب الفاضل ، وليسوا أَضَنَّ بشيءٍ منهم بالكلام الذي يُخاطبون به الخواصَّ والعوامَّ ، ألا ترى أنّهم يصلون بالصِّلات العظيمة والأموال الجسيمة ولا يسمحون بزيادة الرجل اللفظة الواحدة من الدعاء ، وإذا سمحوا بذلك كانَ موقعُهُ في النغمِ الموقعَ الذي لايُكافأُ .

ومتى لم يعرف الكاتب مراتبَ النعوت والأفعال أزالَ مخاطبة السلطان عن جهاتها بالتقديم والتأخير والرفع والحطّ ‹و› هجَّنَ كتابَهُ ووضع منه ودلَّ على تقصيره في كتابته .

وليسَ سواء أنْ تقولَ : وَقَعَ هذا الأمرُ لمحنتي ، وأنْ تقولَ : وقعَ لمسرَّتي ، فإنّ بينهما بوناً بعيداً . ولا أنْ تقولَ : أوحشني هذا (٧٢) الأمرُ ، وأنْ تقولَ : ساءَني وهَمَّني . وليس يُحكَمُ هذا الأمر إلاّ بمعرفة خواصّ النعوت والأفعال وإيقاعها في مواقِعِها .

فأمّا القسمُ الثاني الذي هو تخيّرُ مايقعُ في الصناعة من الألفاظ فإنّ الألفاظَ على ثلاثة أضرب :

ضَرْبٌ متوعّرٌ حوشيّ معتاصٌ لايُدركُ مايدلّ عليه حتى يعربَ ويفسّرَ مثل الذي يوجد في الأشعار الجاهلية والخُطَب العربية ، ولوقوعِهِ في هذين النوعين من الكلام احتاجا الى ماضِيف فيهما من التفاسير .

وضَرْبٌ فصيحٌ جَزْلٌ سافِرُ المطالع عذبُ المشارع مطابقٌ للمعاني أصحَّ مطابقة دالّ عليها أقربَ دلالة ، وهو الذي تَخَيَّرَهُ بلغاءُ الكُتّاب لرسائلهم واستعملوه في كتبهم ، إذِ الغرض فيها تقريبُ المعاني التي تشتملُ عليها من الأفهام وإيصالها إليها بسرعةٍ وسهولةٍ من غير ابطاءٍ ولا عُسْرٍ .

وضَرْبٌ مُبتذَلٌ سُوقيّ ، ساقِطٌ عاميّ ، وهو مايقعُ في المخاطبات والمكاتبات الدائرة بين العوام الذين لاتنقادُ طباعُهم إلى تأليفِ الكلام .

وينبغي لِمَنْ يؤثِرُ التحقيقَ بهذه الصناعة أنْ يسلكَ في الألفاظ مذهبَ التوسُّطِ الذي سلكه مَنْ تقدَّمه من أهل صناعته ، فإنَّهُ هو الاعتدالُ ولا شيءَ أفضلُ من الاعتدال في [٢٠] الأمور التي يقع فيها تفاوت من جهتي الافراط والتقصير . وقد عُلِمَ أنّ المعتدلَ من كلِّ شيءٍ هو الأفضلُ الأحسنُ ولاسيما في الكلامِ . وقلَّ مَنْ يوفّقه الله تعالى في (٧٣) أفعاله ومذاهبه ، لِمَا رُكِّبَتْ عليه الطبائعُ من الميل إلى الأطراف والخروج على الاعتدال ، فمَنْ نالَ مرتبةَ التوسُّطِ فيما يقصده فقد أحْرَزَ الفضيلةَ في ذلك الأمر المقصود .

ولحيازة الكُتّابِ هذه الفضيلةَ أجمعَ نَقَدَةُ الألفاظ والمميّزون لصُورِ التأليف على أنّه لايُوجَدُ لصِنْفٍ من أصناف المتعاطين لنظم الكلام من البُلغاء والخطباء والشعراء مايناسِبُ ألفاظَ الكُتّابِ في العذوبة والرقّة والحلاوة والرشاقة ، وأنّ كلامَ المؤلفين ينحو نحوَهم ويرومُ التشبّه بهم بإيقاعِ المناسبةِ بينَ ألفاظِهِ ، علماً منه بأنّهم قد قصدوا في الألفاظ الطريقةَ المثلى ، فاستعملوا السَّلسَ السَّهْلَ الفصيحَ الجزْلَ ، واجتنبوا الطرَفَيْنِ فتركوا ماكانَ حوشِيّاً وحشِيّاً مُبتذلاً عامياً ، وانحطّوا عن مرتبة الكلام الذي يستعمله فُصَحاءُ أهلِ البَدْوِ ومُتَشَدِّقو اللغويين ، وارتفعُوا عن مرتبةِ العامَّة الذين لايتأتّون لنظم الكلام وتأليف البيان ، وإنّما يعربون عن أغراضهم بما سَنَح لهم مما يُعربُ عنها .

ولاسبيلَ الى نَيْل هذه الرتبة في الكلام إلاّ باختيار الأخفِّ منه على الطباع ، الأسوغ في الأسماع .

والطريقُ الى اختيار ما هذه صفتُهُ إنّما هو بتنخّلِ الأسماءِ وتصاريف الأفعال ومصادرها ، لأنّها متى اعتدلت مخارجُها وتبذّلَ اللسانُ بها ولطفت في ذواتها وكثُرت في استعمال الخاصّة حَسُنَ جَرْسُها في السمع وخفَّتْ على النفس ، ومتى كانت متنافرةَ المخارج (٧٤) ثقيلةً على اللسان مستكرهةً في ذاتها أو غريبةً في الاستعمال أَبَتْها الطباعُ ومَجّتْها الأسماعُ ونَبَتْ عن التأليف .

فأمّا تنخّلُ الأسماءِ فإنّ الأسماءَ المترادفةَ على الذاتِ الواحدةِ منها ماهو أَخَفُّ وأَعْذَبُ ، ومنها ماهو أثقلُ وأَبْشَعُ ، ومنها ماهو أعرفُ وأَشْهَرُ ، ومنها ماهو أغربُ وأغمضُ .

وعدولُ الكاتب عن الخفيف العذب والمعروف المشهور إلى الثقيل البشع والغريب الغامض غيرُ مناسب لصناعته ، ألاترى أنّ الماء العَذْبَ يُسَمَّى في غريبِ اللغةِ نُقاخاً ، والجاري منه يُسمّى فَلَجاً ، والسماءُ تُسَمَّى الصكاكة[٢١] ، والشمس تُسمَّى براح[٢٢] ، والقمر أوغلافه يُسمّى الساهور[٢٣] ، والظلّ يُسمّى تُبَعاً لأنّ الشمسَ تبيعةٌ منتسخة ، والسراب يُسمّى دَيْسَقاً[٢٤] ، والدهر يُسمّى سنة وسُنَيَّة ، والريحُ تُسمّى حَرْجَفاً[٢٥] .

ولو استعملَ كاتبٌ هذه الألفاظ في الترسيلِ لعيبَ بها ، لأنَّ منها غريباً غير متعارف وثقيلاً في السمعِ غيرمقبول . وينبغي أنْ يقعَ الاختيارُ من الأسماء على الأَخفِّ الأوضحِ دونَ الأثقل الأغمض .

فأمّا تنخّلُ أمثلةِ التصاريف فإنّ منها الخماسية الثقيلة على الألسن البشعة في الأسماع ، ومنها المُضاعفة التي تتجاور فيها حروف الحلق فلا تعذب ولا تحلو في النفس ، نحو الأفعال التي مصادرُها :

الاقعنساس والاشمئزاز والاهبنقاع والاسحنكاك والاحرنجام والتّسلسل والتطحطح[٢٦] ، وما شابَهَا من الأمثلة الخشنة(٧٥) المستوخمة . ومنها الأمثلة المهجورة وإنْ كانت خفيفة نحو (العَطْو) الذي هو التناول ، فإنّ هذه اللغة ثلاثية خفيفة لم يستعملوها إلاّ في التفاعل ، فإنّهم يقولون : فلانٌ يتعاطى كذا وكذا ، فلا يستثقلون ذلك لاستفاضته ، فإذا رجعوا الى الثلاثي من هذه اللفظة فقالوا :

فلانٌ لايزالُ يعطو ، ثَقُل عندهم لقِلّتِهِ في الاستعمال وإنْ كانَ أقدم في الترتيب ، لأنّ (أفعل) أقدمُ من (تفاعل) الذي هو مشتقٌّ منه . ونحو لفظة (امتُحِن) فإنّها من المِحنة ، وقولهم :

مُحِنَ يمحنُ أقدمُ منها ، لأنّه مثالٌ ثلاثي ، ألاترى أنّه لو قيل :

مُحِنَ فلانٌ بكذا فهو ممحونٌ به ، بدلاً من : امتُحِنَ فهو ممتحن به ، لاستُثقِلَ . وكذلك مايجري هذا المجرى إلاّ أنْ يقعَ في الشعر فإنّه غيرُ مستثقل ، فإنّ الشعر يحتملُ من الألفاظ المهجورة ما لا تحتمله الرسائلُ .

وأمّا تنخّل المصادر فإنّ منها الواضح الأقرب ، ومنها المشكل الأغرب ، مثل قولهم : ذهبَ ذَهاباً وذُهوباً ، وهما مصدران أصليان إلاّ أنّ الذهابَ أقربُ وأوضحُ من الذهوب .

وينبغي أنْ يكونَ المستعملُ من المصادر ماشهر وظهر وكثر في الاستعمال دونَ ما غمضَ وبطنَ وقلَّ استعمالُهُ .

وقد يُستعملُ مصدرُ التّفعال في مكان مصدر الفعل لاشتراكهما في المعنى ، مثل استعمال التّضراب في موضع الضرب ، والتّسيار في موضع السَّيْر ، وهو مستثقلٌ لقِلَّتِهِ . ويستعملُ بالجارية كالتّحوال والتّقوال(٧٦) والترحال فلا يثقل لكثرته . فيجب أنْ يُرجَعَ في المصادر الى المستعمل المشهور دونَ المُغفَل

المهجور .

ونحنُ وإنْ كُنّا قد حضَضْنا الكاتبَ على لزوم طريقة التوسُّط في الألفاظ فلسنا نقولُ : إنّه‹يجب› أنْ يلزمَ هذه الطريقة في جميع الأحوال التي يحتاج فيها الى المكاتبات والمخاطبات ولا يتعداها الى غيرها ، لكنّا نقولُ: إنّه يجبُ أنْ يتنقّلَ في استعمال الألفاظ على حسَب ما تقتضيه رُتَبُ الخطاب والمخاطبين وتوجبُه الأحوالُ المتغايرةُ والاوقاتُ المختلفةُ ليكون كلامُهُ مُشاكلاً لكلٍّ منها ، فإنّ أحكام الكلامِ تتغيّر بحكم الأزمنة والأمكنة ومنازل المُخاطَبين والمكاتَبين[٢٧] من الرؤساء والعظماء والأكفاء والنظراء والمرؤوسين والأتباع ومراتب الأشياء التي تنفذ فيها الكتبُ ومواقعها من مُهمّات السلطان ومواضعها من أعمالِهِ ، ومتى لم يحصل التشابُهُ والتشاكُلُ بينَ ألفاظِ الكُتّابِ وبينَ ما تقتضيه الحال المكتوب فيها والزمان والمكان والكاتب والمكتوب إليه عاد ذلك بالخلل على الصناعة ، والنقص على الكاتب والمكتوب عنه .

ولتحرِّي الصدر الأول من الكُتّاب ايقاعَ المناسبةِ بين كتبهم وبين الأشياء التي عددناها استعملَ كُتّابُ الدولة الأموية من الألفاظ العربية الفَحْلة [والمتينة الجَزْلة] ، مالم يستعمل مثله كُتّابُ الدولة العباسية ، وذلكَ لأنّ أولئكَ قصدوا ماشاكَلَ زمانَهم الذي استفاضت فيه علومُ العرب ولغاتها حتى عُدَّتْ في جُملة الفضائل التي تُثابر على اقتنائها ، (٧٧) والأمكنة التي نَزَلَها ملوكُهم من بلاد العرب ، وَالرجال الذين كانتِ الكتبُ تصدُرُ إليهم وهم أهلُ الفصاحة واللَّسَن والخطابة والشعر[٢٨] .

وهؤلاء استعملوا من التسهُّل والألفاظ البيِّنة ماشاكلَ زمانهم ، والمواضع التي نزلها ملوكهم ، والقوم الذين كانوا يكاتبونهم .

فأمّا زمانُهم فإنّ الهِمَمَ تقاصرتْ عمّا كانت مقبلةً على تطلّبه مما تقدّمه من العلوم التي ذكرناها ، وشغلت بغيرها من علوم الدين .

وأمّا المواضعُ التي نزل بها ملوكُهم فهي ديارُ العراق ومايُجاورها من بلاد فارس ، وليس استفاضة لغة العرب فيها كاستفاضتها في أرض الحجاز والشام .

وأمّا القومُ الذين كانوا يُكاتبونهم فمن المعلوم أنّهم لايُجارون تلك الطبقة في الفصاحة والمعرفة بدلالات الكلام .

وكما انتقلَ الكُتّابُ المتأخرون عن ألفاظ المتقدّمين الى ماهو أعذبُ منها وأخفُّ للعلل التي ذكرناها ، فكذلكَ انتقلَ الخطباءُ والشعراءُ التالون عن ألفاظ الخطباء والشعراء الأولين وتنكّبوا ما فيها من اللفظ المتين الجَزْل الى مااستعملوه من الرقيق السهل .

فينبغي للكاتب أنْ يُراعي هذه الأحوال ويوقع المشاكلة بين ما يكتبه وبينها ، وإذا احتاج اصدار كتاب الى ناحية من النواحي فلينظر في أحوالِ قاطنيها ، وإنْ كانوا من الأدباء والبلغاء العارفين بنظمِ الكلام وتأليفه فليودع كتابَهُ الألفاظ الجزلة التي (٧٨) إذا حُلِّيَتْ بها المعاني زادتها فخامةً في القلوب وجلالةً في الصدور ، وإنْ كانوا ممنْ لايفرقُ بين خاصِّ الكلام وعامِّه فليُضمِّن كتابَهُ الألفاظَ التي يتساوى سامعوها في إدراكِ معانيها ، فإنّه متى عدلَ عن ذلك أضاعَ كلامه ولم يصلْ معنى ماكتب فيه الى مَنْ كاتَبَهُ ، لأنّ الكلامَ البليغ إنّما هو موضوعٌ بإزاء افهامِ البلغاء والفصحاء . فأمّا العوامّ والحُشوةُ فإنّما يصلُ الى افهامهم

الكلامُ العاطل من حُلَى النظم العاري من كُسَى[٢٩] التأليف .

ويجبُ للكاتب إذا كاتَبَ مَنْ هذه صورتُهُ أنْ يستعملَ في مُخاطبته أدنى منازل البلاغة وأقربَها من أفهامِ العامّة ، وكذلك إذا كانت أمّة من الأمم الأعجمية[٣٠] فليعتمد تصوير المعاني التي يودعُها كتابَه في صورٍ يتهيّأ نقلها الى لغة المكاتبين على حقائقها ولايعتاصُ على المترجم لها . وبهذا جَرَتْ عادةُ بلغاء الكُتّاب .

وأوّلُ مَنْ سلكَ هذه السبيلَ في كتبه سيِّدُنا محمد ، صلى الله عليه وسلم ، فإنّ مُكاتباتِه التي نفذتْ الى ملوكِ العجم كانت في نهاية البيان والوضوح وسهولة الألفاظ وقربها على الناقِل لها . فأمّا مكاتباتُهُ التي صدرت الى رؤساء العرب فإنّها بخلاف هذه الصفة ، وذلك أنّها مشتملةٌ من غريب الألفاظ وجزْلها على مايليقُ بمخاطبة مَنْ نفذت إليه . وفيها توخّاه ، صلى الله عليه وسلم ، من ذلك مايوضحُ أنّ استعمالَ الكلامِ إنّما هو بحسبِ مراتبِ المُخاطبين وأحكام الأزمنة والأمكنة .

(٧٩) فأمّا مراتبُ الأشياء التي تنفذ فيها الكتبُ عن السلطانِ فإنّ منها كُتُبَ الفتوحات والسّلامات ونحوها . فهذه تحتملُ الألفاظ الفصيحة الجَزْلة والإطالة القاضية بإشباع المعنى ووصوله الى أفهام كافّة سامعيه من الخاصّ والعامّ . ومنها كتبُ الخراج وأمورِ المعامـلات والحساب . وهـذه لاتحتملُ اللفظَ الفصيحَ ولا الكلامَ الوجيز ، لأنّها مبنيّة على تمثيل مايعْمَلُ عليه وإفهام مَنْ لا يصلُ المعنى الى فهمه إلاّ بالبينِ الشافي من العبارة[٣١] .

وأمّا الكتبُ الاخوانية النافذة في التهاني والتعازي وما يُجاريها فإنّها تحتملُ الألفاظَ الغريبةَ القويّةَ الآخذة بمجامع القلوب الواقعة أحسنَ المواقع من النفوس ، مع الايجاز والاختصار ، لأنّها مبنيّة على تحسين اللفظ وتزيين النظم . واظهارُ البلاغة فيها مستحسنٌ واقعٌ في موقعه .[٣٢]

وهذا كافٍ في تعرُّفِ أحكام الألفاظ البسيطة والطريق الى استعمالها على شرائط اللغة والصناعة ، ونحن نُشفعُهُ بالقول على المعاني إنْ شاءَ اللّهُ تعالى .

قول في المعاني المجردة :

المعنى مايمكن أنْ يدلّ النفس ويدلّ عليه . وأصلُهُ القَصْدُ إذا كانَ مصدراً ، ولكنّه كثُرَ حتى صارَ مستعملاً في كلِّ مايصِحُّ أنْ يُقصَدَ .

والمعاني هي مثالاتُ الصُّورِ القائمة في الأوهام المقصودة بالعبارة لتخرج من القُوَّةِ الى الفِعْل فيتعرَّف بعضُ المميزين بخروجها في الموادِّ اللفظية بحقائقِ تلكَ الصورِ القائمةِ البعضِ . ومحلّها من الكلام محلّ الأرواحِ (٨٠) مِن الأجسام والمستخدمين مِن الخدامِ . والحاجةُ الى أحكامها ألزمُ من الحاجة الى أحكام الألفاظِ ، لأنّ مدارَ الصناعة إنّما هو على إصابتها .

وإذا كان حظُّ الألفاظ من العناية الحظّ الذي تقدّمَ شرحُهُ ، وهي في الرتبة التي ذكرناها ، فينبغي أنْ يكونَ حظُّ المعاني من التهذيب أوفرَ ونصيبها من الترجيح أكثر ، لأنّها أساسُ المنطق وقاعدته وجناه وثمرته . ولو حصَلَتْ صناعةُ الكتابةِ بالألفاظ دونَ المعاني لاستقلّ بها كلُّ مَنْ مَهَرَ في معرفة الألفاظ مِنْ أعراب البدو وعلماء اللغويين .

ونحنُ نجدُ الأمرَ في الشاهد بخلاف ذلك ، فنستدلّ على أنّ الصناعةَ إنّما تحصلُ لمن جمعَ بين المهارةِ والألفاظ ، لأنّ مثالَ صاحب الألفاظ البسيطة مثال الصيدلانيّ الذي يجمعُ أصنافَ الأدوية المفردة ولا يتأتّى لتركيبها . ومثالُ الكاتب الذي يأخذُ تلك الألفاظ فيظهر فيها صورة تأليف مثالُ الطبيب الذي يُركِّبُ الأدوية المفردة التركيب الشافي من الأدْواء المُعْضِلة . ولهذا صارَ مَنْ يُحسنُ الكتابةَ بلغةٍ من اللغات يمكنُهُ إذا استفادَ لغةً أُخرى أنْ يستعملَ معانيَ الصناعةِ في ألفاظ تلك اللغة ولاتُفارِقُهُ صناعتُهُ . ولهذا امكنَ المُبرِّزون في اللغتين العربية واليونانية نقل كتب الحكمة الى اللسان العربي بالألفاظ الفصيحة المطابقة لمعانيها أشدّ مطابقةً .

وقد سلكَ هذا المذهبَ مُتقدِّمو (٨١) الكُتّاب فنقلوا رسومَ المُكاتبات المستعملة ⟨التي⟩ كانت في اللغة الفارسية الى اللغة العربية ، نَعَمْ ونقلوا أوضاعَ الحساب وقوانينَه أيضاً ، لأنّ الدواوين لم يزلْ ما يجري فيها من أعمال الخَراج بلُغة الفُرس وقلمِهم الى أنْ نُقِلَتْ في أيامِ الحجّاج بن يوسف[٣٣] الى العربية .

والطريقُ الى تصحيح المعاني وتَفَحُّصها وتهذيبها وتنقيحها أنْ تُصَفّى مما يشوبُها وتحصّل وتميّز في الأوهام ، وتخلّص التخليص التامّ ، فلا تختلطُ ولاتتشاركُ ولايدخلُ فيها مايكونُ فَضْلَةً ولايخرج عنها ما لاتتمّ إلابهِ ، ثُم تُكسى من الألفاظ مايكونَ عليها طَبْعاً ولها لِفْقاً . على أنّهم قد استحبّوا أنْ تكونَ الألفاظُ أقلَّ من المعاني في المقدار والعدد ، ولهذا موضعٌ يحسنُ فيه قد ذكرناه[٣٤] فيما سلف .

فأمّا حصرُ أنواع المعاني بقوانين كليّات تجمعُها فمتعذِّرٌ ، لأنّ المعاني مبسوطةٌ الى غير غايةٍ وممتدّةٌ الى غير نهاية ، وليس حُكْمُها حُكْمَ أسمائها ، لأنّ أسماءَها محصورة معدودة ومحصّلة محدودة . فإنْ قِيلَ : كيفَ يصِحُّ أنْ تدلَّ أسماءٌ متناهِية على معانٍ غير مُتناهية ؟

قيلَ : يصِحُّ ذلك من وجهين : جملة وتفصيل .

فأمّا الجملةُ فتدلّ عليها الكلمةُ ، كقولك : غير متناهية .

وأمّا التفصيل فيدلّ عليه النقلُ والتأليف . وذلك أنّ المعاني على ثلاثة أضرُبٍ : محقق ومقدّر ومجهول :

فالمحقَّقُ هو الذي عرفه أهلُ اللغة فوضعوا له اسماً يدلّ عليه . والمُقَدَّرُ هو الذي توهّموه فقدّروا له اسماً يدلّ عليه على جهة التوهم لمعنى .

والمجهول لم (٨٢) يضعوا له اسماً إذْ لم يخطرْ لهم ببال .

ولهم في هذا ثلاثةُ أشياء :

أحدها : تمييز المقدّر حتى أخرجوا بعضَهُ على التقدير وأخرجوا بعضَهُ على التحقيق ، كالحركة والسكون والاجتماع والافتراق[٣٥] وسائر الأغراض ، فإنّهم أخرجوها الى تحقيق معانٍ غير الأجسام ، وكانت في الأصل على التقدير فإخرجوها الى التحقيق . فأمّا العدمُ والوجود والقِدَم والحدوث فأبقوها على التقدير ، إذْ كانَ الاستنباط يوجب أنّه لامُسَمّى تحتها في الحقيقةِ ، فإنّما يدلُّ على تقدير مُسَمّى يزيد في الموصوف معنى .

والثاني : نَقْلُ الأسماء لما عرفه العلماءُ مما يجهله أهلُ اللغة قبل الاستدلال ، وذلك كنقلهم الحدَّ الى مايحصُرُ المعاني ويحيطُ بها وإنّما أَصْلُهُ نهاية الجسم ، وقد ورد مثلُ هذا في ألفاظ الدين كالكافر[٣٦] والفاسق[٣٧] ، وأصلها الساتر والخارج .

والنَّقْلُ على ضربين : فنقلٌ يفيدُ معنى الوصف ، ولابدّ فيه من مراعاة معنى الأصل ليكون النقلُ الى ماقرُبَ منه . ونقل لايفيدُ معنى الوصف ، فلا يراعى فيه معنى الأصل ، وإنّما يجري مجرى التلقيب في أنّه يخصُّ الذات بعينها .

والثالث : الدلالة على ماعرّفه العلماء بالاستنباط مما لم يعرفْهُ أهلُ اللغة بالتأليف . وذلك أنّ تأليف الكلام لانهايةَ له ، ويدلُّ على هذا مانجده من اختلافه في الرسائل والخُطب والأشعار وغيرها من فنون الكلام ، وليس هذا بواقفٍ عندَ غايةٍ .

ومَنْ مرادُهُ إحكامُ الصناعةِ الكُتّابِيّةِ إذا تطلّعَتْ نفسُهُ الى تحصيل هذا العلم افتقرَ الى تقديم (٨٣) مقدّمات كثيرة يقطعُهُ الاشتغالُ بها عن مرامِهِ .

ولمّا كانتِ الطباعُ الفاضلة تُواقعُ الصَّوابَ وتُباينُ الخطأَ وتقوى على نظم المعنى الذي يحتاجُ الى إبرازه مؤلّفاً تأليفاً حسناً في أكثر الأحوال عني عن صرفها عمّا يسّرت له الى إلزامِها أعظم مشقّة ، وتبديلها من الأسهلِ بالأصعب ومن الأرْفَهِ بالمتعب .

قول في المركب من الألفاظ والمعاني :

لمّا كانت المعاني هي المقصودة بالعبارة حسبما قُلنا فيما تقدَّمَ من القول ، وكانت صورُها لاتخرجُ من القوّة الى الفعل فتصير حقائقُها معلومةً لمنْ قصدَ إعلامه إيّاها إلّا بالألفاظ الموضوعة للتعبير عنها والدلالة عليها ، أوجبَ ذلك اشتراكَ المعاني والألفاظ وارتباطَها كما ترتبطُ الصور بموادها والأرواح بأجسادها ، واقتضى هذا الاتصال بالتواشج والاختلاط والتمازج مراعاة الحال في تأليفهما وتنزيل ماتركّبَ منهما على حسب منازل الأغراض التي تقع المخاطبة والمكاتبة فيها والأزمنة والأمكنة ومراتب المخاطبين وتوفية كلِّ موضع ماتقتضيه رتبتُهُ كما قُلنا فيما سلف .

والسبيل الى تركيب المعاني والألفاظ هذا التركيب يكون بتدبير الكلام من جهة كيفيّته ، ومن جهة كميّته ، ومن جهة ترتيبه .

الكيفيّة :

أمّا تدبيرُهُ من جهة الكيفية فمن وجوه عدّة :

منها : أنْ يتخيّر له من الألفاظ ماينِاسبُ الأمور التي عددناها ، فيستعمل كلّاً من جَزْلها وفصيحها وسلسها وسمحها في موضعه .

ومنها : أنْ يسلكَ في تأليفه الطريق التي تخرجه (٨٤) عن حكم الكلام المنثور العاطل الذي[٣٨] تستعمله العامة في المخاطبات والمكاتبات الى حُكم المؤلف الحالي بحُلَى البلاغة والبديع كالاستعارات والتشبيهات والأسجاع والتقسيم والتتميم والمقابلات وغيرها من الأنواع التي سنستوفي القولَ عليها فيما بعد إنْ شاء اللّه تعالى . فإنّ الكلام إنّما يُخرجُهُ من حدِّ النثر الى حدِّ النظم مايقع فيه من هذه الفنون ، إلّا

أنها وإن كانت كذلك فإنّه لاينبغي للكاتب أنْ يستعملَ شيئاً منها على سبيل استكراه وتعسّف ، وإنّما يجبُ أنْ يستعملَ منها ماجادتْ به قريحته من غير كَدّ ودرّتْ به غريزتُه من غير غَصْب ، فإنّه إذا تكلّف إيقاع هذه الأنواع في كلامه ولم يأتِه عفواً لم يخلُ من إفساد المعنى وإحالته وإدخال الخَلَلِ فيه والاضطرار الى وضع اللفظة في غير موضعها ، اللّهمّ إلاّ أنْ يكونَ مطبوعاً على النظم متمكّناً من قِران الألفاظ بأخواتها وتنزيلها في منازلها ، لايُحيلُ معنى عن وجهه ولا يستعملُ لفظاً في غير مكانِهِ ، فإنّه إذا توخّى ترصُّعَ كلامه بهذه الأساليب زادت في رونقه وبهجته وتزيينه وحليته .

ومنها : أنْ يؤسِّس كلامَهُ بمقدّمات في صدره ليخرجه من حدِّ النِثار الى حدِّ النظام ، فإنَّ منزلةَ هذه المقدّمات من كلِّ كلامٍ مؤلّف منزلةُ الرأس من الجسد والأساس من البناء ، وكما أنّ الرأسَ يضمُّ أعضاء الجسد ويرأسها ، وكذلك المقدّمة التي يُقدِّمُها (٨٥) المُنْشِىءُ في صدر كلامه تضمّ ماتتبعُهُ وتقعُ في ضِمنه .

وكما أنّ الباني لابُدَّ له من وضع أساس لما يبنيه يعتمدُ عليه ويستند عليه [٣٩] ، كذلك مؤلف الكلام لايغني عن تقديم مقدّمة يتطرّقُ منها الى مايرومُ التأليف فيه ، لأنّ كلَّ كلامٍ لايخلو من فرش يُفرَشُ قبله غير داخل في حكم الكلام المنظوم ، وإنّما تخلو من المقدّمات كتبُ الأخبار التي تتضمّنُ نصوصَ مايخبر به ، وما يدور بين الناس في العوارض والحاجات من الكلام المبتذل .

وهذه المقدّمات يشترك في استعمالها أصنافُ المؤلفين من الخُطباء والشعراء والكُتّاب وغيرهم من المصنّفين .

أمّا الخُطباءُ فإنّ عادتَهم جاريةٌ بافتتاحِ خُطبهم بفنون محامد الله تعالى والثناء عليه والصلاة على رسوله محمد ، صلى الله عليه وسلم ، واتباع ذلك بمقدّمة جامعة لما يرومون القول فيه والارشاد إليه من مصالح الدين والدنيا .

وأمّا الشعراءُ فإنّ عادتَهم جاريةٌ أنْ يفتتحوا قصائدهم المنظومة في مدائح الملوك والعظماء التي يزيّنون بإنشادها المجالسَ الحفلة ويقومون بها بين السماطين بالتشبيب الرقيق الغزل ، وإنْ لم يكن مناسباً لهذه المواقف ، قصداً لتقديم ماتهشُّ الأسماعُ اليه وتقبل القلوب عليه قبل الأخذ بالغرض الذي يرومون القول فيه . فإذا ارتاحت له وتحرّكتْ نحوه وانبسطتْ بعد الانقباض وأخذتْ حَظّاً من الطلاقة والهشاشة ورد عليها مااشتملَ عليه النظمُ من المعاني وهي متهيّئة لقبوله متطلّعة الى سماعه .

فأمّا الكُتّاب فإنّ عادتَهم جاريةٌ بأنْ يفتنّوا في المقدّمات التي يُقدِّمونها أمامَ رسائلِهم بحسبِ أفنانِ أغراضها ، لايخلّوا رسالة منها من فرش يتطرق به الى مابعده . ولموضع عنايتهم بذلك قال بعضُهم : إنّه لا يحسُنُ بالكاتب أنْ يخلي كلامه وإنْ كان وجيزاً نافذاً في أحقر الأمور من مُقدّمة يفتتحه بها وأنْ وقعت في حَرْفَيْن أو ثلاثة ليوفي التأليف حقَّه .

(٨٦) وعلى هذه السبيل جَرَوا في جميع الكتب كالعهود والفتوح والتهاني والتعازي والتهادي والاستحثاث والاستبطاء والاحماد والاذمام ، من افتتاحها بمقدمات تكون من طريق اللفظ بساطاً لما

يريدون القولَ فيه ومن طريق المعنى علّةً لما يأمرُ به السلطانُ وحجّةً يستظهر بها[10] مثل مايصدرُ به الكتب في افتتاح الخراج . فإنّ الكُتّاب مع علمهم بمعرفة الرعايا بالحقوق الواجبة عليهم وأنّها مما لايجوزُ الاغضاءُ عنه لا يقنعون في استئذانها بأنْ يقتضوها بالقول المطلق حتى يقدّموا في ذلك مقدّمات مشتملة على حاجة السلطان الى الاستعانة بما يستخرجه من حقوقه في عمارة الثغور وتحصين الأعمال وتقوية الرجال وقمع أعداء المِلّة والدولة وغير هذا من المصالح الراجعة إليهم العائدة عليهم .

فأمّا كيفيّة استعمال هذه المقدّمات فلا يمكن الابانة عنها برسوم كُليّة تجمعُها ، وإنما يرجعُ في ذلك الى معرفة الكاتب بما يستحقه كلّ نوع من أنواع الكلام من المقدّمات التي تشاكله .

فأمّا مايمكنُ الاخبارُ عنه بالقول المُجمل فتدبيرُ هذه المقدّمات من جهة ألفاظها ومن جهة معانيها : فأمّا ألفاظُها فيجب أنْ تُتخيَّرَ من أوجز الألفاظ وأشرفها والطفها وأخفّها ، لأنّها مبادِىء الكلام التي تقرعُ الأسماعَ أوّلاً ، وإذا شرفت شرف مايلحقُها ويرادفُها لتعلّقِ القلبِ بالابتداء والمقطع وإقبال المستمع عليها دونَ ما (٨٧) ينطوي بينهما ، ودلالتهما إذا حَسُنا على تأتّي الصانعِ للدخول في الصناعة والخروج منها ، ولهذا وُصِفَ البارعُ من الكلام والحديث والغناء بحُسْنِ مُفتتحِهِ ومُختتمِهِ . وأمّا معانيها فيجب أنْ يودعَها كلّ مايحتاجُ الى الابانة عنه ، لتدلّ بصدورِها على أعجازِها وبمباديها على تواليها ولايخفى عن سامعها ماتنتهي إليه خاتمتَها ، لأنّ المقدمة متى لم تكن بهذه الصفة لم يستحق الكلام اسم البلاغة . وببراعة مقدّمات الكلام يظهر فضلُ بعض الكُتّاب على بعض ، ويُستَدَلُّ على مهارة الماهر وتقصير المُقَصِّر . والنافِذُ في الصناعة المطبوع عليها لايفتقرُ الى زيادة على ماذكرناه .

وأمّا عن هذه الثلاث الطبقات من المُصنّفين فإنّ عادتهم جاريةٌ بأنْ تكونَ مقدّمات مصنفاتهم مستنبطةً من أنفسِ العلوم التي صنّفوها ودالّةً على أغراضها .

ومَنْ نظَرَ في التصانيف الموضوعة في جميع أفانين العلم لم يكدْ يقع على كتاب خالٍ من مقدّمة يتطرقُ منها الى مابعدَها ويرتقي عليها الى مايتلوها .

ومنها : ألاّ يتمثّلَ في الكتب النافذة الى الملوك والصادرة عنهم بشيء من الشعرِ إجلالاً لهم عن شَوْب العبارة[11] عن عزائم أوامرهم ونواهيهم والأخبار المرفوعة اليهم يخالف نَمَطها ووَضْعَها ، وذلك أنّ الشعرَ صناعةٌ مغايرةٌ لصناعة الترسيل ، وادخال بعض صنائع الكلام في بعض غير مستحسن .

فأمّا الكتبُ الاخوانية والرقاعُ المبنيّة (٨٨) على المداعبة وفنون التهاني والتعازي والتزاور والتهادي فأنْ[12] يودعَ الأبيات على وجه التمثيل وعلى وجه الاختراع ، فقد كانَ الصدرُ الأولُ من الكُتّاب يستعملون ماذكرناه في المواضع التي بيّناها . وكذلكَ كانَ الخطباءُ في المحافل والمجامع يرتجلون في عرض الخطب الأبياتَ من الشعر إظهاراً لفضيلةِ البيان والتوسع في المنطق .

ومنها : أنْ يقتصرَ فيما يستعيره من آيات التنزيل العزيز في المُكاتبات النافذة في الأمور الجليلة للترصيع والتحلية والاستشهاد للمعاني على مايقعُ في موقفه ويليقُ بالمكان الذي يُوضعُ فيه ، ولايستكثر منه حتى يكونَ هو الغالبُ على كلامه تنزيهاً لكلام الله تعالى عن الابتذال ، فإنّه إنّما يُستعارُ على جهة التبرُّك والزينة لاليجعل حشواً للمسهب من العبارة ومادة الألكن المفحم ، إذا استعار منه شيئاً فليحكِهِ على هيئته

ولا ينقله عن صنعته ليسلم من تحريفه عن مواضعه ومخالفة اختيار الله فيه ، وكما لايجوزُ الاكثارُ منه فكذلك لايجوزُ أنْ يخلي كلامه من شيءٍ منه يُحلّيه ، فإنّ خلو الكلام من القرآن يتخونُ محاسنَهُ وينتقصُ بهجتَه ، ولذلك كانوا يسمُّون الخطبة الخالية من القرآن بتراء .

وحالُ الكتب الجليلة النافذة في معاظم أُمورِ الدين والسلطان مناسبةٌ لحالِ الخُطب في استحقاقها ما يستحقّه من العيب إذا خَلَتْ من وقوع شيء من القرآن فيها .

ومنها : ألاّ يُؤخِّرَ مايجبُ تقديمُهُ (٨٩) ولا يقدِّم مايجبُ تأخيرُهُ ، ولايستعملُ في الرسائل ماجاء به القرآنُ العظيمُ من الحذف ومخاطبة الخاصّ بالعامّ والعامّ بالخاصّ والجماعة بلفظ الواحد والواحد بلفظ الجماعة ومايجري هذا المجرى ، لأنّ القرآنَ نزلَ بلُغة العرب وخُوطِبَ به فصحاؤها ولايجوزُ حملُ الرسائل على طريقته ، وكذلك لايجوز أنْ يُستعملَ فيها مايُستعملُ في الشعر من صرف مالاينصرف وحذف ما لايُحذفُ وقصر الممدود ومدّ المقصور والاضمار في موضع الإظهار وتصغير الاسم في موضع التكبير إلاّ أنْ يريدَ تصغير التعظيم ، وهو كقول القائل[٤٣] : (أنا جُذَيْلُها المُحكَّكُ وعُذَيْقُها المُرَجَّبُ) . وقول الشاعر[٤٤] :

وكلُّ أُناسٍ سوفَ تدخلُ بينَهُم دُوَيْهِيَةٌ تَصْفَرُّ منها الأناملُ

ومنها : أنْ يرفعَ الرؤساءَ والعظماءَ عن المدح بما يتمدّح به العامّة من صدقِ الحديث ووفاء القول وتأدية الأمانة وإنجاز الوعد وردّ الوديعة والمحافظة على العهد والقيام بالغرض ، وإنْ كانتْ هذه الأشياءُ من الفضائل التي يتمدّحُ بها ، لأنّها ممّا يشتركُ الخاصّ والعامّ في ايجابه واقتراضه ، ولايُمدحُ الملوك بالخروج من الواجبات وإنّما يُمدحون بتحمّل النوافلِ وسنّ السُّنَنِ الجميلة والسَيْر بالسِّيَر الفاضلة وابتناء المحامد والمكارم واحتقار الجسائم والمعاظم ، ولهذا عِيبَ على الأحوص (٩٠) قوله في مخاطبةِ ملك[٤٥] :

وأراكَ تَفْعَلُ ماتقولُ وبعضُهُم مَذِقُ الحديثِ يقولُ مالايَفْعَلُ

ومنها : ألاّ يُخاطبَ أحداً بالصلاة على أنّ معناها الرحمة ، لأنّها لفظةٌ قد قصرتْ على مخاطبة الأنبياء والخلفاء ، ولا بأمير المؤمنين وإنْ أَمَرَ فيهم ، لأنّ هذه اللفظة قد خُصَّتْ بها الخلفاءُ فقط .

ومنها : ألاّ يصفَ مِلِكاً بالكَيْس وإنْ كانتْ هذه اللفظةُ من الألفاظ المستعملة في موضع العقل ، يدلُّ على ذلك قولُ عليّ[٤٦] ، عليه السلام :

أَمَا تراني كَيِّساً مُكَيَّسَا

يُريدُ عاقلاً معقلاً ، لأنّ العامة قد وضعتها في غير موضعها . وكذلك ماجرى مجراها من الألفاظ التي قد أُحيلت عن حقائقها وأُوقعت في غير موقعها .

ومنها : أنْ يتحفّظَ في الكتبِ النافذة عن الأتباع الى الرؤساء من تفخيم اسم المكتوب عنه ، كقولك : تقدّمتُ وخرج أمري بكذا وأنهى إلى كذا . فهذه الألفاظ وأمثالُها مما يُخاطب به الأتباعُ رؤساءَهم ، وأنْ يعدلَ عنها الى مايحفظُ معانيها فيقول : وجدتُ صواب الرأي يوجبُ كذا ففعلته ، ورأيتُ السياسة تقتضي كذا فأمضيته ، وما أشبه هذا[٤٧] .

ومنها : ألّا يكتبَ بنون العظمة إلّا عن الخلفاء والملوك والرؤساء من الوزراء وعظماء الأمراء وفُضلاء الكُتّاب والعلماء دونَ غيرهم ، لأنّها لفظةٌ لايستعملها إلّا آمر أو ناهٍ (٩١) أو جليل الخطر والمرتبة في الدين والدنيا .

ومنها : أنْ يتوقّى الشكلَ والاعجام إذا كاتَبَ رئيساً ، لأنّ في ذلك تعريضاً باستنقاصه . فأمّا إذا كتبَ الرئيسُ الى مَنْ هو دونَهُ فجائزٌ أنْ يشكلَ مايشكلُ ويُعجمه إيجاباً للحُجّةِ وزيادةً في الايضاح ، ولولا ذلك لما حَسُنَ .

وقد استعملَ بعضُهم الشَكْلَ والاعجام في المكاتبات النافذة الى الرؤساء واحتجّ بأنّ فيهما ترفيهاً لهم عن مراجعة الفِكْر فيما يشكلُ ، وهذا تأويلٌ لا ترتضيه الخاصّة لما في شكل الكتب من استغباء المكاتَبِ .

وحُكي أنّه عُرِضَ على المأمون كتابٌ قد أخَلَّ كاتبُهُ بضبطِ مايشكلُ من حروفه فتوقّف في قراءته وصحّفَ ألفاظاً منه واستثقلَ ترجيعه والنظر فيه وقال : (ما لهؤلاء الكُتاب لايشكلون ويعجمون المواضعَ المشكلةَ من كتبهم) . فاعتلّ له مَنْ حَضَرَ بما يتأوّلونه فقال : (ليس هذا بحجةٍ ولاينظُر في هذا مُنْصِفٌ من الملوك ، لأنّ الخطَّ تلوُ اللفظ في الدلالة على المعاني ، وكما أنّ التعقيدَ في اللفظ يهجّنُهُ ويحملُ سامعيه على استثقاله وملاله فكذلك الاشكالُ في الخطّ يهجّنُ محاسِنَهُ ويدعو قارئه الى التضجُّر منه والاضراب عنه وإنْ كانَ جليلَ الفائدةِ) .(٤٨)

وقد ذهب المأمونُ في هذا المذهب الصحيح الّا أنّه لاسبيلَ الى مفارقة الاجماع والاصطلاح .

والصوابُ عندي للكاتب أنْ يعتمدَ في إثبات الشكل والاعجام وحذفهما على مايعلمُ من فهم المكاتَب وتقصيره ، فإنّ الغرضَ إيصالُ المعنى إليه (٩٢) لاغير .

ومنها : أنْ يفرّقَ بينَ مَنْ يكتبُ عنه ومَنْ يكتبُ اليه . وقالَ الأخفشُ(٤٩) : إنّ أقلّ الناسِ تقول للسلطانِ : انظرْ في أمري ، لفظُهُ لفظُ الأمر ومعناه معنى السؤال .

وحجّةُ الكُتّابِ أنّ المشافهةَ تحتملُ مالاتحتملُهُ المخاطبةُ ، لأنّ المشافهةَ خاطرٌ يخطرُ للإنسان لايمكنُهُ تقييدُهُ وترتيبُهُ والمكاتبةُ بخلاف ذلك ، فلا عذرَ لصاحبها في الاخلال بالأدب . فأمّا مَنْ دونَ هذهِ المنزلةِ فيقول للمكاتَبِ منهم : ينبغي أنْ تفعلَ كذا ، ومَنْ دونَ ذلك فجميعُهمُ ينبغي أنْ يُخاطَبَ بأنْ يُقالَ : افعلوا كذا . وأمّا النظراءُ والمتساوون في المراتب فخطابُهم : فإنْ رأيتَ أنْ تفعلَ كذا ، وهذا شرط لابُدَّ في جوابه من الفعل والفاء للمستقبل ، وإنْ جئتَ به مستقبلاً تقول : فإنْ تردْ ذلكَ فافعلْهُ ونفعلْهُ . وإنْ شِئتَ أتَيْتَ بالأوّلِ مستقبلاً وبالثاني ماضياً . ويقولُ الرجلُ لمَنْ دونَهُ قليلاً : وأحبّ أنْ تفعلَ كذا .

وهذا كافٍ في معرفةِ تدبيرِ الكلامِ من جهةِ كيفيّتِهِ .

الكمية :

فأمّا تدبيرُ الكلام من جهة كميّتِهِ فقد قلنا فيما سَلَفَ إنّ البلاغة تنقسم الى ثلاثة أقسام :

أحدها : الايجاز والاختصار وجمع المعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة والاشارة الى الغرض بلمحةٍ تدلّ عليه .

والثاني : مساواة اللفظ للمعنى وحَذْو أحدهما على الآخر حتى يكونَ له لِفْقاً وعليه طبقاً .

والثالث : الاطناب والاشباع والشفاء والاقناع وترديد الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد .

وهذه قِسمةٌ طبيعية ، لأنّه لايخلو شيءٌ من طَرَفَيْنِ ووَسَط ، إلّا أنّه قد (٩٣) مالَ قوم الى اختيار الايجاز ففضّلوه واحتجوا بأنّه صورةُ البلاغة على الحقيقةِ ، وقالوا : إنّ مايجاوزُ مقدار الحاجة من الكلام فَضْلةٌ داخلةٌ في حيِّز الهذر واللغو .

ومالَ قومٌ الى اختيار التوسُّطِ والاعتدال ومساواة اللفظ للمعنى ففضّلوه واحتجوا بأنّ منزعَ الفضيلة من الأوساط دون الأطراف وأنّ الحُسْنَ أنّما يوجد في الشيء المعتدل .

ومالَ آخرون الى اختيار الاسهاب ففضّلوه واحتجوا بأنّ المنطقَ أنّما هو بيانٌ ، والبيانُ لايحصلُ إلّا بإيضاحِ العبارةِ ، وإيضاحُ العبارة لايتهيّأ إلّا بمرادفة الألفاظ على المعاني حتى تحيط بها إحاطة يؤمن معها من اللبس والابهام ، فإنّ الكلام الوجيز لا يؤمن وقوع الاشكال فيه ، ولذلك لايحصل معانيه إلّا خواصُّ أهلِ اللغة العارفين بدلالات الألفاظ وأنّ المشبع الشافي سالمٌ من الإلباس لتساوي الخاصّ والعامّ في فهمه .

والاختلافُ الواقع في اختيار أقسام الكلام بين مختاريها مطّرد بين الناس في سائر الآراء الاختيارية ، لأنّ من الناس مَنْ يميلُ باختياره الى الأطراف ويخرجُ إليها عن الأوساط وهم الأكثرُ ، ومنهم مَنْ يفضّلُ التوسط وهم الأقلّ .

والذي يُوجبُهُ النظر الصحيح أنّ الإيجازَ والمساواةَ والإسهابَ صفاتٌ موجودةٌ في الكلام ولكلٍّ منها موضعٌ لايخلفه فيه رديفه وعقيبُهُ ، إذا وُضِعَ بغيره (٩٤) وَهِيَ منه ودلّ على نقص الواضع وجهله برسوم الصناعة [٥٠] ، لأنّه لو استعملَ كاتبٌ ترديدَ الفاظ ومرادَفَتَها على المعنى الواحد في مكاتبةِ ملكٍ مصروف الهِمَم الى أمورٍ كثيرةٍ متى انصرفَ عنها الى غيرها دَخلَها الخَلَلُ لرتّبَ كلامَهُ في غير رُتبتِهِ ودلّ على جهله بها . وكذلك لو بنى كتاباً يكتبُهُ في فتحٍ جليلِ الخطرِ حسن الأثر ليُقرأ في الحفل والمساجد الجامعة على رؤوسِ الأشهادِ من العامة ومَنْ يُرادُ تفخيمُ شأنِ السلطانِ في نفسه على الإيجاز لأوقعَ كلامَهُ في غير مَوْقعِهِ ونزّله في غير منزلتِهِ ، لأنّه لا أقبحَ ولا أسمجَ مِن أنْ تُستنفرَ الدهماءُ لسماعِ كتابٍ قد وردَ من السلطان في بعضِ معاظم أمورِ الملك أو الدين ، فإذا حضرَ الناسُ كانَ يمرُّ على أسماعهم من الألفاظ[٥١] [وارداً موردَ الإيجازِ والاختصارِ لم يحسُنْ موقعُهُ وخرج من وَضْعِ البلاغةِ لوَضْعِهِ في غير موضعِهِ] ،<كالألفاظ> التي اشتملَ عليها كتابُ المُهَلّب بن أبي صُفْرَةَ[٥٢] الذي كتبه في فتح الأزارقة على ارتفاعِ خَطَرِ هذا الفتح وطولِ زمانِهِ وعظمِ صِيتِ السلطانِ به ، فإنّه قال في هذا الكتاب : (الحمدُ لله الذي كفى بالإسلامِ فَقْدَ ماسواه ، وجعلَ الحَمْدَ متصلا بنعماه ، وقضى ألّا ينقطعَ المزيدُ من فضلِهِ ، حتى ينقطعَ الشكرُ من خَلْقِهِ ، ثمّ إنّا كنّا وعدوّنا على حالتين مختلفتين نرى منهم مايسرُّنا أكثرَ ممّا [يسوءُنا ، ويَرَوْنَ منا مايسوءُهم أكثرَ ممّا] يسرُّهم ، فلم يَزَلْ ذلك دأبَنا ودأبَهمْ ، ينصرُنا الله ويخذلُهم ويُمَحِّصُنا ويمحقُهُم ، حتى بلغَ الكتابُ بنا وبهم أَجَلَهُ «فقُطِعَ دابرُ القومِ الذينَ ظلموا والحمدُ لله ربِّ العالمينَ»[٥٣]) [٥٤] .

وهذا اللفظُ وإنْ كانَ وجيزاً بليغاً جامعاً للمعاني (٩٥) محيطاً بها مُدَوّناً في المختارِ من الكلام البليغ ، فإنّما حَسُنَ في موضعه وهو مخاطبةُ السلطانِ ، والغرض الذي قصده كاتبُهُ هو البدارُ بإنهاءِ صورةِ

الحالِ . فإنْ كتبَ كاتبٌ مثل هذا الكتاب عن السلطان في مثل هذا الفتح أو مايقاربُهُ لَيُوردَ على العامّة ويُقرِّرَ في نفوسهم به قدرَ النعمة الحادثة وموضعَ السلطان من التمكّن وعلوِّ الشأن لم يحسنْ موقعُهُ وخرج عن شرط البلاغة بوضعِهِ إيّاه في غير موضعِهِ(٥٥) .

فأمّا المواضعُ التي يجبُ أنْ يستعمل فيها كلّ من المذاهب الثلاثة فأنّنا نذكرُها بقولٍ مجمَلٍ ثمّ نشفعُه بقولٍ مفصّلٍ .

.فأمّا المجملُ فإنّ الموجزَ يصلحُ لمُخاطبة الملوك وذوي الأخطار العالية والهمم المستقيمة(٥٦) [والشؤون السنيّة] ، ومَنْ لايجوزُ أنْ يشغلَ زمانُه بماهِمتّه مصروفة الى مطالعة غيره .

ومساواةُ اللفظِ للمعنى يصلح لمخاطبة الأكفاء والنُّظَراء والطبقة الوسطى من الرؤساء ، وكما أنّ هذه الرّتبةَ متوسطة بين طَرفَي الكلام فلذاك يجبُ أنْ تُخصَّ بها الطبقة الوسطى من الناس .

والاسهابُ يصلحُ للمكاتبات الصادرة في الفتوحات ونحوها ممّا يُقرأُ في الحفل ، والعهود السلطانية ، ومخاطبة مَنْ لايصلُ المعنى الى فهمه بأدنى إشارة . والكاتبُ إذا عرف هذه الجملة عملَ في تفصيلها بما يقتضيه .

وأمّا القولُ المفصّلُ فإنَّ ترتيبَ مايوضع في كلِّ موضعٍ من هذه المواضع لايستقلُّ به إلّا المبرّزُ الماهرُ في الصناعة العالمُ بمراتب الأشياء التي يكتبُ فيها وما يخصُّ كُلّاً من أنواع المخاطبات . (٩٦) وهذا ما لاتتناهى الابانةُ عن أحكامه وشروطه بقول مبسوط يشتمل على أطرافه وحواشيه ، وإنّما نتكلّمُ عليه بكلام جامع نعرفُ الوجه فيه فنقول :

إنّ المعاني التي يحتاجُ الكاتب أنْ يُنشِيءَ الكُتبَ فيها عن السلطان وإليه ترجع الى أصول محدودة وأجناس معدودة ، كالأمر والنهي وهما جنسٌ واحدٌ لأنّ كلَّ مأمور به منهيٌّ عن خلافه ، والخبر الذي يقعُ مرّةً فيما يخاطبُ به السلطانُ عُمّالَهُ ورعاياه كإطلاعه إيّاهم على مايتجدَّدُ له من عطيّة ورزيّة ليقرِّرَ في نفوسهم جلالةَ خطرِ المنح التي جدَّدها الله عنده وسهولةَ موقع المحن الحادثة به ، ويقعُ أخرى فيما يخاطبُ به العُمّالُ سلاطينَهم ورؤساءَهم ، كمطالعتهم إيّاهم باستقامةِ الأحوال المعذوقة بهم واطرادها أو اضطرابها وفسادها ، وما يحتاجُ السلطانُ أنْ يخاطبَ به نُوّابَهُ وتُبّاعَهُ وكُفاته في معنى الاحماد والاذمام والثناء والتفريط والعذل والتوبيخ والاستقصاء والوعد والوعيد ، فإنّ هذه كالأجناس لما يكتبُ السلطانُ فيه ويُكتبُ إليه .

فأمّا مايكتبُ فيه السلطانُ الى رعيّته فإنْ كان خَيْراً يُريد تقريرَ صورته في نفوسهم كإنبائهم بالفتوحات المتجدّدة في أعداء الدين والدولة والسلطان فيجب أنْ يشبعَ القول فيها ويبنى على الاسهاب وتكرير الألفاظ المترادفة ليعرفوا قدر النعمة الحادثة وتزيد بصائرهم في الطاعة ويعلموا موضعَ سُلطانهم من عناية الله ، عزّ وجلّ ، (٩٧) فتقوى منُنُ اوليائه وتنخزلُ قوى أعدائه .

وإنْ كان خَبَراً يُريدُ التوريةَ عنه وسترَ حقيقته كإعلامهم بالحوادث الحادثة على الملل والنوائب الملمة بالدولة ، من هزيمة جيش أو تغيير رسم أو إحداثِهِ أو تكليف الرعيّة مالايسهل عليها تكلّفه أو ماأشبه ذلك ، فيجب أنْ يقصدَ الى الاختصار والايجاز ويعدل عن استعمال الألفاظ الخاصة بالمعنى الى غيرها ،

مما يحتملُ التأوّلَ ولاتنفرُ الأسماعُ منه ولاتُراعُ القلوبُ له من غير أنْ يحكي كذِباً صراحاً ولا محالةَ تتواترُ الأخبارُ بخلافه ، فإنّه لاشيء أقبحُ بالسلطان ولا أَغْمَصُ[57] لشأنِهِ وقَدْرِهِ من أنْ يتضمّن كتابُهُ ماينكشفُ للعامة بُطلانُهُ .

وينبغي للكاتب أنْ يتخلّصَ من هذا الباب التخلّصَ الحسنَ الذي يُزيِّنُ به الأثرَ من غير تصريحٍ بكذب ، ويتأبّى الاعتلال والاعتذار ، ويتحيّلُ في إحالة العجزِ تماماً والحيف إنصافاً والتقصير تشميراً ، وما على المكاتَب له[58] ، ويُخرجُ الباطلَ في صورةِ الحقِّ ، ويُعرِّضُ السلطانَ للإحماد والتقريظ من حيث يستحقُّ التأنيبَ والاذمام ، فإنّ هذه سبيلُ البلاغة وطريقة فضلاء العصر .
وقد أوضحَ ذلك عبدُ الله بنُ المُقَفَّع[59] في صفة البلاغة وتحديدها أنّها كشفُ ماغَمُضَ وتصوير الباطلِ في صورة الحقِّ .
وهذا كلام يشهدُ لنفسه بالصحة ، لأنّ الأمرَ الجميل الشاهد ، الحسن الظاهر ، المجمع على الاعتراف بفضله ، لايحتاجُ في العبارة عن حُسْنِهِ والدلالة على جماله الى كَدِّ (٩٨) الخاطر وإتعابِ الفِكْرِ ، لأنّه يعضدُ الألكنَ فكيف بالألسَنِ ويوجده الطريق الى البيان بما يستميله منه وينتسخه عنه ، وإنّما الفضلُ في تحسين ماليس بحَسَنٍ وتصحيح ماليس بصحيح بضروبٍ من التمويه والحيل وخلق المعاذير والعلل المعفية على الاساءة والتقصير التي لايشوبها كذبٌ صراحٌ ولازورٌ مطلق .
وإنْ كانَ أمراً ونهياً فيجبُ أنْ يؤكدَ ويجزمَ القولَ فيه من جهة كميّة الكلام لامن جهة كيفيته ، لأنّ حُكْمَ كتبِ الأوامر والنواهي السلطانية حُكْمُ التوقيعات الجازمة الوجيزة الجامعة للمعاني . هذا إذا كانَ الأمر والنهي واقعين في معنى واحدٍ لايحتاجُ أنْ يرسمَ فيه ويمثلِ مايكون العملِ بحسبه ، فإنْ كانا مما يحتاجُ الى رسم رسوم أو تمثيل مثل يعملُ عليها فإنّ الحكمَ فيها مخالفٌ لما تقدّم ، لأنها محتاجة إلى الاطالة والتكرير دون الحذف والايجاز ، وذلك كالذي يُؤمَرُ به ويُنهى عنه في الكتب المختصة بالخراج وجباية الأموال وتدبّر الأعمال ، فإنّ سبيلَ هذه الكتب أنْ يقتص فيها ماراَه السلطان وأمرَ به ثم يختم بفصل مقصورٍ على التوكيد في امتثال أمره وإنفاذه ، ولا يقتصر على ماتقدّم من الاقتصاص إيجاباً للحجة وتضييعاً للعُـذْرِ وحَسْماً لأسباب الاعتلال .
وإنْ كان إحماداً وتقريظاً وثناءً ووعداً أو استقصاراً وتوبيخاً وعَذْلاً وتوعداً وجبَ أنْ يشيعَ الكلامِ ويمدّ القولَ بحَسَبِ ماتقتضيه آثارِ المكتوب اليه في الاساءة والاحسان والاجتهاد والتقصير لينشرحَ صَدْرُ المشمِّر (٩٩) المُحْسِن ويبسطَ أملَهُ ورجاءَهُ ويُراعَ قلبُ المقصِّرِ المُسِيء ويرتدعَ عمّا يُذَمّ منه ويتلافى مافرّط فيه[60] .
وأمّا مايكتبُ فيه الأتباعُ الى السلطان ومَنْ يُجاريه من الرؤساء فسبيلُ ماكانَ واقعاً في باب الاخبار بأحوال ما ينظرون فيه من الأعمال ويجري على أيديهم من المهمّات أنْ يُوفي حقه من الشرح والبيان ويسلك فيه طريقة تجمع بين إيضاح الأغراض من غير هذرٍ يُضجرُ ويملّ ولا اختصار يُقصِّرُ ويُخلّ ، وأنْ يقصدَ الى استعمال الألفاظ السهلة التي تصلُ معانيها الى الأفهام من غيرِ مما طلة ، ويتجنب مايقع فيه تعقيدٌ وتوعّرٌ وإبهام وتعسّر ، إلّا أنه قد تعرض في هذا النوع من المكاتبات حاجةٌ الى استعمال الكنـاية[61] مكـانَ الافصاح ، والتورية موضع الايضاح ، والاستبدال من اللفظ الخاصّ بـالمعنى المطابق لـه بلفظ يحفظْ صورته ويخالفُ طريقته ، ولايصرِّح بالمعنى كلِ التصريح ، فإنّه قد يتفقُ لمِنْ يطالع الرؤساء بالأخبـار والأنباء الحادثة أنْ يدفعَ الى المكاتبة بما لايجوزُ كشفُهُ وانهاؤه على فصِّهِ ، أو بما في ذكره على نصِّهِ هتكُ سترٍ ،

أو في حكايته اطّراحُ مَهابةِ السلطانِ وإسماعُهُ مايلزمُ في حقِّ الأدب إجلالُهُ عن سماعِهِ ، مثل لفظ قبيح يُطلقُهُ عدوُّهُ فيه ، أو ما في الصدق عنه مايسوءُهُ ويخالفُ محبّتَهُ ، فيحتاجُ المنشيءُ الى استعمال التورية في هذه المواضع ، والتلطّف في العبارة عن هذه المعاني ، وابرازها في صُورٍ تقضي حقَّ السلطانِ في التوقير والاجلالِ والاعظام والتنزيه عن المخاطبة بما لايجوزُ امرارُهُ على (١٠٠) سمعه وإيصالُ المعني اليه من غير جنايةٍ في طَيِّ مالاغنَاءَ به عن علمه ، وهذا ما لا يستقلُّ به إلاّ المُبرِّزُ في الصناعة المتصرِّفُ في تـأليف الكلام .

وسبيلُ مايقعُ في باب الشكر عن نِعمةٍ يسبغُها سلطانُه عليه ، وعارفةٍ يسديها إليه ألاّ يبنى عـلى اسهاب يتجاوزُ الحدَّ ، فإنّ إطنابَ الأصاغرِ في شكر المتبوعين داخِلٌ في باب الاضجار والابرام ، ولاسِيّما إذا رجعوا الى [خصوصيّةٍ و] تقدُّمِ حُرْمَةٍ[٦٢] .

وإنّما ينبغي أنْ يُؤتى في هذا الفنِّ باللفظ الوجيز الجامع لمعاني الشكر المشتمل على أساليب الاعتراف والاعتداد ، وكذلك لايحسنُ بالخواصِّ الاكثار من الثناء على رؤسائهم ، لأنّ ذلك تملّقٌ لايليقُ إلاّ بالأباعد الذين لم يتقدّم لهم من المواتّ والحُرَم مايدلُّ على صحة عقائدهم ولم يُضْفِ عليهم من النِعَم مايوجبُ خلوص نيّاتهم .

فأمّا إنْ كان المُثني أجنبيّاً متكسِّباً بالتقريظ والثناء لم يقبح به الايغالُ والإغراقُ فيهـا . وكذلـك لاينبغي للخاصة أنْ يكثروا من الدُّعاء ويكرروه في صدور الكتب[٦٣] وأثنائها ، لأنّ تكلّف ذلك أمـرٌ يستثقلُه حَزَمَةُ الملوك ويحملونه على التملّق الذي لاترتضيه الحُصفاءُ[٦٤] .

وسبيلُ مايُكتَبُ به في مسألةِ حُسْنِ النظر ألاّ يُبنى على شكاية الحالِ من جهد وضرٍّ وإقلال وفقر ، فإنّ التصاغر بذلك والتطويل فيه يجمع بين الاملالِ والاستثقالِ وذمِّ السلطان بتقصيره في أمره وإغفالِهِ النظرَ في حاله وبخسه حظَّهُ من نعمته ، بل يجبُ أنْ يُبنى القولُ على الايجاز في الشكوى ويمزجها (١٠١) بالشكر والاعتداد بالآلاء والرغبة في مضاعفة الاحسان والزيادة في البرِّ والالحاق بالطبقة الرائعة في اكلاء العوارف ، فإنّ ذلكَ أعطفُ لقلبِ الرئيس وأدْعَى الى بلوغ الغرض[٦٥] .

وسبيل مايُكتَبُ في باب التنصُّل والاعتذار مما رُقي الى السلطان عنِ التابع أنْ يُبنى على الاختصار ويُعدلُ فيه عن الاطناب والاكثار ، ويُقصد الى النكت التي تزيلُ ماعرض من الشُبْهة في أمـره وتمحو المَوْجدة السابقة الى ضميره ، ولايصرّحُ ببراءة الساحة فإنّ ذلك مما يكرهه الرؤساءُ من أتباعهم ، لأنّ عادتهم جاريةٌ بإيثار اعتراف الخدم لهم بالتقصير والتفريط والاخلال بالفروض ، ليكون لهم في العفو عند الاقرار عارفةٌ توجبُ شُكراً مُسْتَطرفاً ويدٌ تقتضي نشراً مستأنفاً . فأمّا أذا أقامَ التابعُ الحجّةَ على براءته مما قُرِفَ به فلا موضعَ للإحسان إليه في اقراره على منزلته والرِّضا عنه ، بل ذلك من الواجب له الذي إنْ مَنَعَهُ إيّاه ظلمه وتعدّى عليه[٦٦] .

فأمّا أنواعُ المكاتبات البسيطةِ فليست مما يمكنُ الابانةُ عمّا يجبُ استعمالُه فيها من إسهابٍ وتوسّطٍ وإيجازٍ بقولٍ جامعٍ ، إلاّ أنّنا قد أنشأنا في المشهور منها الكثير الدور في الاستعمال رسوماً ومُثُلاً أودعناها البابَ الثامن من هذا الكتاب ، وأوردنا في صَدْرِ كلِّ مثالٍ القوانين التي ينبغي أنْ تستعملَ فيه ، على أنّنا لاندّعي أنّنا وَفَّينا ذلك حقَّه ، لأنّ مَرامَ الاحاطة (١٠٢) بكلِّ ماينتـظمه يصعبُ ويتعـذَّرُ ، وصاحبُ الغريزة المطبوع إذا وقف على ما أوردناه اكتفى به إنْ شاءَ الله تعالى .

الترتيب :

وأمّا تدبيرُ الكلام من جهة ترتيبه فإنّ الوجهَ فيه أنْ يضعَ الكاتبُ كلامَهُ من جهة ألفاظه ومن جهة معانيه في المواضع التي تقضيها الصناعةُ ، ويستعمل في كلّ موضع مايليقُ به من إيجاز ومساواة وإطناب ، ويتصرفُ في تفخيم الألفاظ تارةً وتلطيفها اخرى التصرُّفَ الذي توجبه الأحوال التي تقعُ فيها المكاتبةُ .

وهذا بابٌ خطيرُ الشأنِ يجبُ على الكاتب أنْ يصرفَ إليه عنايتَهُ ، ويوفِّرَ عليهِ رعايته ، ويتحفَّظَ من أنْ يتخلَّلَهُ خَلَلٌ أو يُلمَّ به زَلَلٌ . ومَدارُ الأمر في أحكامه على تقسيم الألفاظ والمعاني على أقدار المخاطبين والمكاتبين والأمكنة والأزمنة والأحوال التي تقعُ فيها المكاتبةُ حسبما قلنا فيما سلف .

فأمّا تقسيمُ المعاني فإنَّها وإنْ كانَ كلُّ معنى منها جنساً بعينه كالتهنئة والتعزية والاعتذار والعتاب والاستبطاء ونحو ذلك فلا يجوز أنْ يخرجَ المعنى لكلِّ مخاطب على صيغة واحدة من اللفظ ، وإنّما ينبغي أنْ يخرجَ في الصيغة المشاكلة للمخاطب اللائقة بقدره ورتبته ، ألَاترى أنَّكَ لو خاطبتَ سلطاناً أو رئيساً بالتعزية عن مصيبة من مصائب الدنيا لما جازَ أنْ يُبنَى الكلام على وعظه وتبصيره وإرشاده وتذكيره وحضهِ على الأخذ بحظٍّ من الصبر ومجانبة الجزع وتلقِّي الحادث بالتسليم والرِّضا ، وإنّما الصوابُ (١٠٣) أنْ يُبنَى الخطاب على أنّه أعلى شأناً وأرفعُ مكاناً وأوضحُ حَزْماً وأرجحُ حِلْماً من أنْ يُعَزَّى تنبيهاً وتذكيراً وهدايةً وتبصيراً ، ويُعَرَّفُ بالواجب في تلقِّي السرّاء بالشكر والضرّاء بالصبر ، فإنّك إنّما تبعثُ السُّنّة في تأدية حقوق النائبة والعائدة والقيام بفروض المحبوب والمكروه . وكذلكَ إذا كاتبتَ رئيساً في معنى الاستزادة والشكوى لايجوزُ لكَ أنْ تأتي بمعناهما في ألفاظهما الخاصّة بهما ، بل يجبُ أنْ تعدلَ عن ألفاظ الشكوى الى ألفاظ الشكر ، وعن ألفاظ الاستزادة الى ألفاظ الاستعطاف والسؤال ، لتكونَ قد رتَّبْتَ كلامَكَ في رُتبته ، وأخرجتَ معناكَ مخرجَ مَنْ يستدعي الزيادة لامَنْ يشكو التقصير(٦٧) حَسْبَما بيَّنّاه فيما تقدَّمَ .

وكذلكَ لو رفعَ رافعٌ الى السلطان نصيحةً لم يجزْ أنْ يوردَها موردَ التنبيه له على ماأغفله ، الموقظ لما أهمله ، المُعَرِّف من الصواب بما جهله ، القاصد الى الشورى عليه برأيٍ أَضَلَّهُ ، لأنَّ ذلكَ قبيحٌ جدّاًلايحتملُهُ الرؤساء من الأتباع ، على أنَّ السلطانَ أعلى عيناً وأصحُّ رأياً وأكثرُ إحاطةً بصدور الأمور وأعجازها ، وأنّ آراء خَدَمِهِ أجزاء من رأيه ، وأنّهم إنّما يتغرَّسونَ في مخايلِ الاصابة بما وفّقوا له من سلوك مذهبه والتأدُّب بأدبه والارتياض بسياسته والتنقّل في خدمته ، وأنّ مما يفرضونه في حكم الاشفاق والاهتمام وما سُبِغَ عليهم من الانعام المطالعة بما يجري في أوهامهم ويهجسُ في أفكارهم من الأمور التي يتخيَّلونَ أنَّ (١٠٤) في العمل بها مصلحةً للدولةِ وعمارةً للمملكة ، ليتصفَّحه بأصالته التي هي أوفرُ ، ورأيه الذي هو أثقبُ ، فإن استوفَقَهُ أمضاه ، وإنْ رأى خلافَه ألغاه ، وكان الرأي الأعلى مايراه .

وعلى هذه السبيل يجبُ أنْ يكونَ ترتيبُ المعاني في مخاطبة الملوك والعظماء .

وأمّا تقسيمُ الألفاظ فإنّا وإنْ كُنّا قد حَضَضْنا على استعمال المتوسط منها ، ودَلَلْنا على فضله ومطابقته للمعاني ، فإنّه إنّما يحسُنُ استعماله إذا شابَهَ رُتبةَ المخاطب والحالَ التي يقعُ فيها الخطاب والزمان والمكان حسبما ذكرناه فيما سلف .

فأمّا إنْ خالفَ بعضَ هذه الأحوال وَجَبَ(٦٨) العدولُ عنه الى ما يُناسبُها ويضاهيها . وحاجةَ الكاتب لذلك الى استعمال الجزْلِ في موضعهِ بوزن حاجته الى استعمال كُلٍّ من المتوسط والسهل في موضعه ، ألا ترى أنّه مدفوعٌ الى المكاتبة عن السلطان في الأمور الجليلة الواقعة في معظم شؤون الدين والملك المحتملة لفصيح الألفاظ وجَزْلها ، والى المكاتبة عنه في تمثيل الأعمال ومخاطبة العامّة والمعاملين بالأوامر والنواهي التي لايليقُ بها إلاّ اللفظُ السهلُ القائم بإزاء أفهام هذه الطبقة ، إذْ ليس الغرض تحسينها وتزيينها وإنّما الغرضُ تقريرُ صورها في نفوس مَنْ تصدرُ إليه ، وإفهامهم ماأُمر به في معناهم من إنصاف المظلوم واعزاز المهضوم واستيفاء الحقِّ وتوفيته ، ولا مدخلَ لغريب الألفاظ فيما هذه سبيلُهُ ، وإنّما الذي يدخلُ في هذا النوع هو اللفظُ الذي (١٠٥) يسبقُ معناه الى قلب سامعه وتحتملُهُ طاقةُ هؤلاء القوم ، إذْ لايجوزُ خطابُ طبقة من الطبقات من الألفاظ إلاّ بالمتعارَف الدائر بينها ، وما أَحْسَنَ قولَ الاسكندر لنوقوس الخطيب وقد خطب بين يديه في الحَفْل فطوّلَ الخطبةَ وأغربَها : (ليس الحسنُ أنْ تكونَ الخطبة على إطاقةِ الخاطِبِ ولكنْ على إطاقةِ السامعِ) ، والى مكاتبة سلطانه عن نفسه بما تدعوه الحاجةُ الى المكاتبة به . وهذا النوعُ لايحتملُ قويَّ الألفاظِ ولا ضعيفَها ، لأنّه يُحَرِّكُ فيه غيرِ سلطانه منه على تعاطيه البلاغةَ في مكـاتبته ، ويكلِّفُـهُ الفصاحة في مخاطبته ، وذلكَ غير جائز في الأدب ولا محتمل من خادم ، وإنْ تنازلَ الى الطرف الآخر ، أعني الألفاظَ المتبذِّلة الدائرة في مخاطبات السوقة ، لوضع من السلطان بمقابلته إيّاه بما لايشبه رتبته من الخطاب ، والدلالة على أنَّه إنّما يسهل في مكاتبته لعلمه بتقصيره عن إدراك المعاني إذا وردت عليه في الألفاظ الكتابية ، وإنّما يجبُ أنْ يستعملَ في خطابه اللفظَ المتوسطَ الذي يشبهُ موضعَهُ من الخدمة وفي الخـطاب عنه اللفظَ العـالي المشـابـه لمـوضعـه من السلطان اذا اقتضت الحالُ ذلك .

هذا هو الأصلُ الذي يجب مراعاته أوّلاً ، فأمّا مايتبعُهُ من آداب ترتيب اللفظ فإنّ الألفاظَ المترادفة على المعنى الواحد مع تقاربها وتشاكلها ليست بمتكافئة في الدلالة عليه ، بل بينها مع التشابه والتقارب فروق لطيفة تميِّزُ بعضها من بعض (١٠٦) ، ومنها الأرفعُ الذي يدلُّ على غايات المعنى ونهاياته ويُحيط به أشدَّ إحاطة ، ومنها الأوضع الذي يدلُّ على مبادئه وأوائله ولا يُحيط به كُلِيَّةَ الإحاطةِ . وكلُّ لفظة من هذه الألفاظ يصلحُ للعبارةِ عن حال من الأحوال التي ينتظمُها المعنى دون الأخـرى ، ولطبقـة من طبقات المخاطبين دون طبقة . وينبغي للكاتب أنْ يعرفَ الفروقَ بينها وخواصّها في الدلالة ليعدلَ نظم كلامه ولايشوب رفيعَهُ بوضيعِهِ ولايدخل خطاب طبقةٍ في خطابِ طبقةٍ أخرى .

ومثالُ ماحكيناهُ في هذه الألفاظ المتشابهة الواقعة في جنس واحد من المعاني المميَّزة بالفروق الموجودة منها : أنْ يقولَ القائل : حَسُنَ موقع الشيء مني ، ولطُفَ موضعه عندي ، ووقع بوفاقِ محبتي ومشاكلة إرادتي . وأنْ يقولَ : آنسني الشيء وسرَّني وأبهجني وأجذلني وماشابهها ، فإنّها توجدُ متشابهةً لما بينها من التقارب والتشاكل والترادف على المعنى ، وهي مفترقةٌ بدلالتها الخاصيّة وكلٌّ منها بإزاء معنى هو المطابقُ .

وممّا يوضحُ التقارُبَ الواقع بينَ الألفاظ المتشابهة التي يتخيَّلُ سامعهُـا أنّها تدلُّ عـلى معنى واحد مايوجدُ من الفرق بين منزلتي (التقريظ) و (الاحماد) ، فإنّها وإنْ كانا يشتبهان في بعض الوجوه حتى يُظَنَّ

أنهما يقتضيان معنى واحداً فإنّ بينهما فَرْقاً واضحاً ، فما كلّ مَنْ يؤهلُ للإحماد يُؤهلُ للتقريظ . وكذلك مايوجد من الفرقِ بين (الاستقصار) و (التوبيخ) ، فما كلُّ مَنْ يستقصرُ في فعل يجوز توبيخُهُ (١٠٧) بل هذه مراتب مختلفة في بابي الرِّضا والسخط ، وذلك أنّ أوّلَ مراتب الرِّضا التأهيل للإحماد والاحتباء ، والثاني للمدح والتقريظ ، والثالث للثناء والدعاء ، والرابع للوعد والتنمية وكريم المكافأة والجزاء .

وأولُ مراتب السخط الاستبطاءُ والاستقصارُ ، والثاني التعجيزُ والتقريعُ ، والثالث العذلُ والتوبيخُ ، والرابع الاعذار والوعيد .

هذا هو المستعملُ في مكاتبة السلطان لمنْ دونَه من كفاة أشغاله ، وقد يقعُ في مكاتبة الاخوان شبيهُ بهذا كالابتداء بالمعاتبة ، ثمّ يجاوزُها الى الاستزادة ، ثمّ يتخطئها الى الشكاية ، ولهذه الألفاظ نظائر كثيرة ، وقد تقدّم من القول على مراتب الأفعال والنعوت مافيه اقناعٌ وكفايةٌ .

وينبغي للكاتب أنْ يتمهّرَ في العلم بهذا النوع من الكلام ، ويعرف الوجه في تصرُّف هذه الألفاظ في الدلالة على المعاني ، لئلا يظنّ أنّها متواطئةٌ فيُساهل نفسَهُ في وضع بعضها مكانَ بعض ، وإنّما يجبُ أنْ ينظرَ الى منزلة المخاطب في نفسه من رئيس ونظير وتابع ومرتبة الأمر الذي تقعُ فيه المخاطبة ، فيختار الأجلَّ من الألفاظ للأجَلِّ من المخاطبين ، والأفخم منها للأفخم من المعاني التي يرومُ العبارةَ عنها . وكما أنّ الألفاظ ليست بمتساوية في الحقيقة ولامتكافئة فليس سواءً أنْ يُؤتَى بها مفردةً وأنْ يُؤتَى بها مزدوجةً أو مثلثةً أو مربعةً ، لأنّ المراتبَ تتغيّرُ بحسب تغير هذه الألفاظ وزيادتها ونقصها . (١٠٨) فإنّ المخاطب إذا أفردَ اللفظة فقالَ : سرَّني الشيءُ ، كان ذلك دون أنْ يزاوج بين لفظتين فيقول : سرَّني وأبهجني ، وكذلك إن اقتصر على مزاوجة واحدة كان ذلك في الترتيب دون أنْ يقرنَ بها مزاوجةً اخرى فيقول : سرَّني وأبهجني وأجذلني وأفرحني . وكذلك إنْ أتى بمزاوجة كان ذلك أكثر إجلالاً وتعظيماً إلاّ أنّ ماجاوزَ مزاوجتين من أمثال ماذكرناه يثقل ويستقبح ، ولا يحسنُ الاختصار على اللفظة الفريدة بل يجب أنْ يُؤتَى بمزاوجة واحدة أو مزاوجتين ، ليكون القطعُ على الأزواج دون الأفراد ، فإنّ ذلك أحسنُ في السمع وأبلغُ في تزيين نظم الكلام .

ومن أدبِ ترتيب الكلام أنْ يبني الكاتبُ على ماأسَّسَهُ من كلامه ، وإذا سلكَ طريقة أن يمرَّ فيها ولايتنازل عنها إنْ كانت رفيعةً ولا يرتفع منها إنْ كانت وضيعةً ، ولايخرج عن غرض الى غيره يكمل كلَّ مايتنظمُهُ ويتسلكُ فيه ، ولا يأتي بما يُخالفُهُ كأنْ يُنشيءُ كتاباً في العذل فيشوب ألفاظَهُ بألفاظٍ تخرج عن الخشونة الى اللين ، فإنّ اختلافَ رُفعةِ الكلام من أشدّ عيوبه . وكذلك إذا افتتحَ كتابَهُ بخطاب فلا ينتقل عنه الى غيره ، مثل أنْ يقولَ في صَدْرِهِ : أطالَ الله بقاءَ سيدي ، ويقول في موضع آخر : وحرسَ مُدَّتَكَ ، ونحوه ، لأنه مخالفٌ على ما عُقد عليه الخطابُ ، على أنّ النحويين قد أنكروا أنْ يُخاطبَ أحدٌ بغير الكاف ، وقالوا : قولُ الكُتّابِ : (أطالَ الله بقاءَ سيِّدي) دعاءً لغائب إلاّ أنّ (١٠٩) هذا من الاصطلاح الذي[1] لايجوزُ مخالفتُهُ .

ومِمّا يدخلُ في هذا الباب ترتيبُ الأجوبة ، فإنّ كُتب الرئيس إذا صدرت الى عاملِه وتابعِه جواباً

عمّاوردَ إليه من جهته كانَ له أنْ يبنيها على الاختصار ويجمع معانيها في ألفاظ وجيزة محيطة بما وراءها ، كأنْ يقولُ : وصل كتابُك في معنى كذا وفهمناه .

فأمّا كتبُ التابع الى الرئيس فإنّها لاتحتملُ ذلكَ بل الواجب أنْ يُخَلِّي فصولها على نَصِّها ويفيض على وجهها من غير إخلال بشيءٍ منها اعظاماً لقدر الرئيس وإجلالاً لخطابه .

وليس للمجيب إنْ مرَّ في الخطاب الذي يقتضيه لفظةً غيرها أوقعُ في موقعها أنْ يبدلَها بها ، لما في ذلك من الإشارة إلى أن له نقداً أصحُّ من نقد رئيسه في ألفاظه ومعانيه . فإنْ كانَ الفَصْلُ مبنياً على شكره وتقريظه والثناء على مسعاه في الخدمة لم يجزْ أنْ يأتي به على وجهه لأنّ ذلكَ غير مستحسن ، ولا أنْ يُغفِلَ ذكره دفعةً فيكون قد أخلَّ بما يجبُ شكره من تشريف رئيسه له بوصفه وإحماده بلِ الواجبُ في اقتصاص ماهذه حالُهُ أنْ يرفع تلك الصفة على جملة يجعلُ نفسَهُ بعضَها ، كأنْ يقولُ : (فأمّا ما وَصَفَهُ من اعتدادِهِ بخادمه في جُملة مَنْ نهضَ بحقوق خدمته وقامَ بفروض طاعته ، وأَهَّلَهُ لما يرفعُ الأقدارَ من إحماده وثنائه ويُعلي الأخطار من شكره ودعائه) ، ومايُضاهي هذا من العبارة التي تشتمل على معاني ألفاظ الرئيس ، أنَّه إذا قصدَ هذه السبيلَ في الاقتصاص جَمَعَ بين البلاغة والإتيان على معاني ألفاظِ (١١٠) رئيسِهِ والأدب في ترك التفخيم لنفسه بإضافته إيّاها الى جملةِ الخاصّة دونَ إيقاع المدح عليها .

وسنستوفي القولَ على ترتيب الأجوبة في الباب الثامن من هذا الكتاب بعد انقضاء أمثلة البُداءات ورسومها إنْ شاءَ الله .

وممّا يجب العملَ عليه في ترتيب الكلام أنْ يقصدَ الكاتب الى استعمال ألفاظِ الصناعةِ التي نَصَصْنا على فضلها ، ولايخرجُ منها الى ألفاظٍ غريبةٍ عنَ الصناعةِ غير مجانسةٍ لها .

وإنّما يؤتى الكاتبُ في هذا الباب من جهة أنْ يكون له شِركةٌ في صناعة غير الكتابة ، مثل صناعة الفقه والكلام وغيرهما ، ومثل صناعة أصحاب الاعراب والمتعاطين لعلم الغريب ، ولكلِّ أهلِ طبقة من هذه الطبقات ألفاظٌ خاصّةٌ بها يستعملونها فيما بينهم عند المحاورة والخوض في الصناعة . ومن عادة الانسان إذا تعاطَى باباً من هذه الأبواب أنْ يسبقَ خاطرُهُ الى الألفاظ المتعلقة به فيوقعها في الكتب التي يُنشئُها لغَلَبَةِ عادة استعماله إيّاها فيُهجِّنُها بإدخاله فيها ماليسَ من ألفاظها .

وممّا يجبُ العملُ به أيضاً في ترتيب الكلام أنْ يضيفَ الكاتبُ الى كلِّ معنى مايليقُ به وينخرطُ في سلكِهِ ، فإذا ذكرَ النِّعَمَ وسبوغَها أتبعها بإخلاص الحمدِ والشكرِلموليها سبحانَهُ والاستزادةِ من فضلِهِ .

وإذا ذكرَ الشكوى شفعها بالاستغاثة بالله تعالى والرجوع اليه فيها وردَّ الأمرَ الى حَوْلِهِ وقوّتِهِ . وإذا ذكرالبلوى قرنها بسؤاله تعالى في دفع المحذور وصرف السوء . وإذا ذكرَ المصيبةَ أقرَّ بالرجوع لله تعالى فقالَ : (١١١) « إنّا لله وإنّا إليه راجعونَ »[٧٠] .

وممّا يتبعُ ماذكرناه في باب ترتيب الكلام التأنّي لتدبير المقدمات المبينة عن أغراض الكتاب لتكون محيطةً بما وراءها جامعةً لبارع الألفاظ وناصع المعاني .

والطريقُ الى إصابة المرمى في هذه المقدّمات أنْ تجعلَ مشتملةً على مابعدها من الأغراض والمقاصد ، وأنْ يوضعَ للأمر الخاصّ مقدّمة خاصّة وللأمر العامّ مقدمة عامّة ، ولايطوّل في موضع

الاقتصار ولايقتصر في موضع الإكثار ، ولايجعل أغراضَها بعيدة المآخذِ مُعْتاصةً على المُتصَفِّحِ . وذلكَ أنّ الكاتبَ رُبّما قصدَ إظهارَ القُدرةِ على الكلام وتصرُّفَ في وجوه المنطق فخرج الى الاملال والاضجار اللذين تُسرِعُ النفوسُ إليهما ، ولاسِيَّما نفوسُ الملوكِ ذوي الأخطار ، ولايجعل بإزاء النثر مثلَ رقاعِ التُّحَفِ والهدايا مقدّمة تكثُر ألفاظُها ، فإنّ ذلك غير جائز ولاواقع في موقعه ، ألا ترى أنّهم استحسنوا قولَ بعضهم في صدر رُقْعةٍ مُقترنةٍ بتُحفةٍ : (هذا يومٌ جَرَتْ فيه العادةُ بأنْ يهدي العبيدُ الى السادة) ، واستطرفوا الكاتبَ لإيجازه وتقريبه المأخذ(٧١) .

وعلى هذا السبيل يجبُ أنْ يكونَ مذهبُ الكلام في التخفيف عن الرؤساء والاتيان باللفظ الخفيف والمعنى اللطيف . وينبغي أنْ يكونَ الكلامُ في هذه المقدّمات ، مع لزوم شريطة الايجاز وحذف الفضول ، مُجانِساً لما يقعُ فيه الخطاب محرّكاً للقوّةِ التي يعتمدُ عليها في نجاح المطلبِ .

ومثال ذلك أنْ يكونَ الكلام في التنصُّل عند السلطان واستلال موجدته فيُبنى على تجزيل قُوَّةِ الصفح (١١٢) والتجاوز والاذكار بما يُؤمِّلُهُ أولياؤه وخدّامُهُ من تغمده وصَفْحِهِ ، أو يكون في الاستعطاف ومسألة حُسْنِ النظر فيُبنى على هزِّ قوّةِ الجود والسماح والتنبيه على مايلزم الخاصّة والرؤساء والسادة من المحافظة على شروط الكرم ، أو يكون في النُّصْح والمطالعة بما يقتضيه الحزمُ وسَدادُ السياسةِ فيُبنى على تجزيل قوّة الرأي والعقل نحو إعمال الرَّويّةِ في الأمور التي يُقدِمُ عليها ويحجمُ عنها ، والاصغاء الى مايوردُهُ النُّصحاء والخُلصاء الذين إنّما يستخلصُهم للمطالعة بما يحضُرهم من الآراء وتدبير الخطوب التي يشاركونه فيها فينتحلُ مايختارُهُ ويستصوبُهُ ويرذلُ مايذمُّه ويُخطِّئُهُ .

وفي جُمْلَةِ القول انّهُ يجبُ على الكاتبِ أنْ لاتُخالِفَ مقدّماتُ كتبِهِ أغراضَها ومعانيها الى مالايُطابِقُها . فقد قُلنا إنَّ محلَّ المقدّمةِ من الكتاب محلّ الرأسِ من الجثمان والأساس من البنيان .

والذي أتينابه كافٍ في معرفةِ أحكام البلاغةِ وأقسامِها الأصلية التي هي الألفاظُ البسيطةُ والمعاني المجردة والمركّب منها الذي هو ذاتُ البلاغة ، وتدبيره من جهةِ كيفيَّتِهِ ومن جهةِ كميَّتِهِ ومن جهةِ ترتيبِهِ .

ونحنُ نختمُ هذا البابَ على هذا الحدِّ ، ونأخذُ في القول على مايليه ، إنْ شاءَ الله تعالى .

الهوامش

(١) في الاصل والاخرى .

(٢) فاطر ٢٧ .

(٣) ديوانه ٣٢ .

(٥) ينظر في حدود البلاغة : البيان والتبيين ١/٨٨ ، عيون الاخبار ٢/١٧٠ ، الرسالة العذراء ٤٤ ، العقد الفريد ٤/١٨٩ ، زهر الآداب ١٠٢ ، العمدة ١/٢٤١ ، قانون البلاغة ٦٦ ، كفاية الطالب ٤١ ، نهاية الأرب ٧/٧ .

(٦) من خطباء العرب ، ت نحو ٤٠ هـ . (المحبر ٢٩٤ ، الاعلام ٣/٢٨٧) .

(٧) عبد الملك بن قريب ، ت ٢١٦ هـ . (مراتب النحويين ٤٦ ، إنباه الرواة ٢/١٩٧) .

(٨) علي بن عيسى النحوي ، ت ٣٨٦ هـ . (تاريخ بغداد ١٢/١٦ ، إنباه الرواة ٢/٢٩٤) . وفي الأصل الريحاني :

(٩) من فصحاء العرب المشهورين ، ت نحو ١٣٣ هـ . (وفيات الاعيان ٣/١٢ ، نكت الهميان ١٤٨)

(١٠) ينظر : العمدة ١/٢٤١ واللسان (بعف) .

(١١) في الأصل : احدهما
(١٢) ينظر في معاني العين : المأثور عن ابي العميثل ٨ ، المنجد في اللغة ٣٢ .
(١٣) الأنبياء ٩٤ .
(١٤) اللسان والتاج (ورش ، كرى) . والورشان والكروان : طائران .
(١٥) ينظر : المذكر والمؤنث للفراء ٨٣ ، ٧٤ ، وللمبرد ١١٣ و ١١٤ ، ولابن الانباري ١ /٣٨١ و ٣٦٢ .
(١٦) ينظر : الممدود والمقصور ٣٠ ، ٣٣ .
(١٧) ينظر : حروف الممدود والمقصور ٩٩ ، ٩٥ .
(١٨) ينظر : حلية العقود ٤ ، ٤٠ .
(١٩) الأعراف ١٨٠ .
(٢٠) في الأصل : والأمور
(٢١) يقال للهواء : السُّكاك والسُّكاكة ، بالسين . (ينظر : الزاهر ١ / ٤٦٠) .
(٢٢) الأزمنة ١٦ ، الزاهر ١ /٣٦٢ .
(٢٣) اللسان والتاج (سهر) .
(٢٤) اللسان والتاج (سق) .
(٢٥) رسالة في أسماء الريح ٣٠ .
(٢٦) العنسس : اجتمع . اشمأزّ : انقبض . اهبنقع : جلس جلسة المزهو . اسحنكك الليل : اشتد ظلامه . احرنجم : ازدحم . تسلسل الماء في الحلق : جرى . تطحطح : تفرّق .
(٢٧) ينظر : صبح الأعشى ٦/ ٢٩٧ .
(٢٨) ينظر : صبح الأعشى ٦/ ٢٩٧ .
(٢٩) في صبح الأعشى : كسوة .
(٣٠) ينظر : صبح الأعشى ٦/ ٢٩٧ ـ ٢٩٨ .
(٣١) ينظر : صبح الأعشى ٦/ ٢٩٨ .
(٣٢) ينظر : صبح الأعشى ٦/ ٢٩٩ .
(٣٣) عامل الخليفة عبد الملك بن مروان على العراق وخراسان ، ت ٩٥ هـ . (مروج الذهب ٣/ ١٢٥ ، وفيات الأعيان ٢/ ٢٩) .
(٣٤) (قد ذكرناه) مكررة في الأصل .
(٣٥) في الأصل : الافراق
(٣٦) ينظر : غريب الحديث لأبي عبيد ٣/ ١٣ ، الزاهر ١/ ٢١٦ .
(٣٧) ينظر : غريب الحديث للخطابي ١/ ٦٠٣ ، الزاهر ١/ ٢١٧ .
(٣٨) في الأصل : التي .
(٣٩) كذا في الأصل . والأفصح : إليه
(٤٠) ينظر : صبح الأعشى ٦/ ٢٧٨ .
(٤١) (شوب العبارة) مكررة في الأصل . وينظر : صبح الأعشى ٦/ ٣٠٧
(٤٢) في الأصل : أن يودع
(٤٣) الخباب بن المنذر الانصاري ، ينظر : الأمثال لأبي عبيد ١٠٣ ، مجمع الأمثال ١/ ٣١ .
(٤٤) لبيد ، ديوانه ٢٥٦ . وفي الأصل : يدخل
(٤٥) شعره : ١٧١ .
(٤٦) اخلّ به ديوانه . وهوله في الرسالة العذراء ١٦ وتهذيب اللغة ٧/ ٤٧١ واللسان (خيس) وتخريج الدلالات السمعية ٣٢٤ .
(٤٧) ينظر : صبح الأعشى ٦/ ٣٠٢ .
(٤٨) ينظر : أدب الكتّاب ٥٨ .
(٤٩) ابو الحسن سعيد بن مسعدة ، ت ٢١٥ هـ . (مراتب النحويين ٦٨ ، نزهة الألباء ١٣٣ .)
(٥٠) ينظر : صبح الأعشى ٢/ ٣٣٦ .
(٥١) أشار الناسخ الى زيادة بعد هذه الكلمة لكنه لم يذكرها ، وهي في صبح الأعشى ٢ / ٣٣٨ نقلا عن مواد البيان . وقد سقطت بسبب انتقال النظر ، وهو مايحدث في الجمل المتشابهة النهايات .

(٥٢) ت ٨٣ هـ . (المعارف ٣٩٩ ، وفيات الاعيان ٥/ ٣٥٠) .

(٥٣) الانعام ٤٥ .

(٥٤) ينظر : الكامل ١٣٤٩ ، ادب الكتاب ٢٣٥ ، سرح العيون ٢٠٢ ، صبح الاعشى ٦/ ٣١٨ .

(٥٥) ينظر : صبح الاعشى ٦/ ٣١٩ .

(٥٦) من صبح الاعشى ٢/ ٢٣٦ ، وهي غير مقروءة في الاصل .

(٥٧) في الاصل : اغمض ، بالضاد . والصواب ما اثبتنا . وينظر : صبح الاعشى ٦/ ٣١٦ .

(٥٨) كذا . واظن عبارة (وما على المكاتب له) مقحمة . ينظر : صبح الاعشى ٦/ ٣١٦ .

(٥٩) القول للعتّابي في البيان والتبيين ١/ ١١٣ .

(٦٠) ينظر : صبح الاعشى ٦/ ٣١٦ وفيه : وينبسط املُهُ ورجاؤه .

(٦١) ينظر : صبح الاعشى ٦/ ٣٢٢ .

(٦٢) ينظر : صبح الاعشى ٦/ ٣٢٠ .

(٦٣) ينظر : صبح الاعشى ٦/ ٣٢٠ .

(٦٤) في الاصل : الخصفاء .

(٦٥ ، ٦٦) ينظر : صبح الاعشى ٦/ ٣٢١ .

(٦٧) ينظر : صبح الاعشى ٦/ ٣٠٥ .

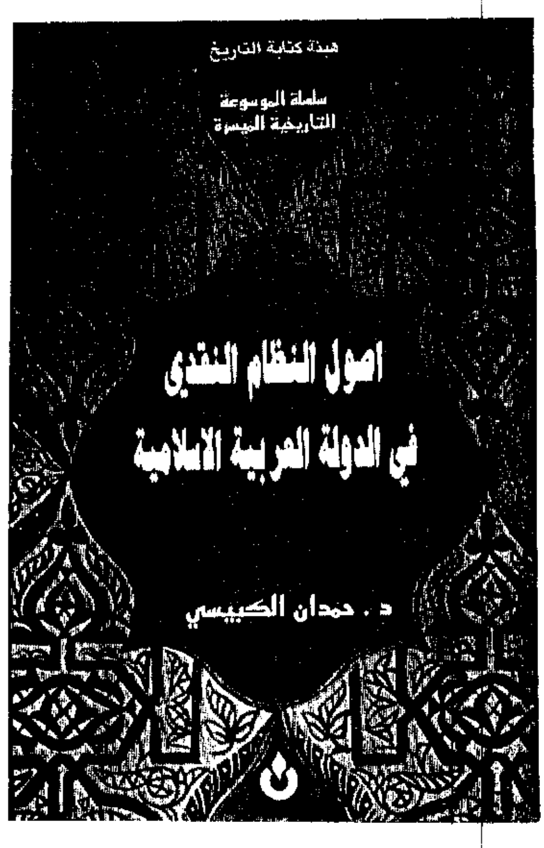
(٦٨) كذا في الاصل . والافصح مجيء الفاء بعد امّا .

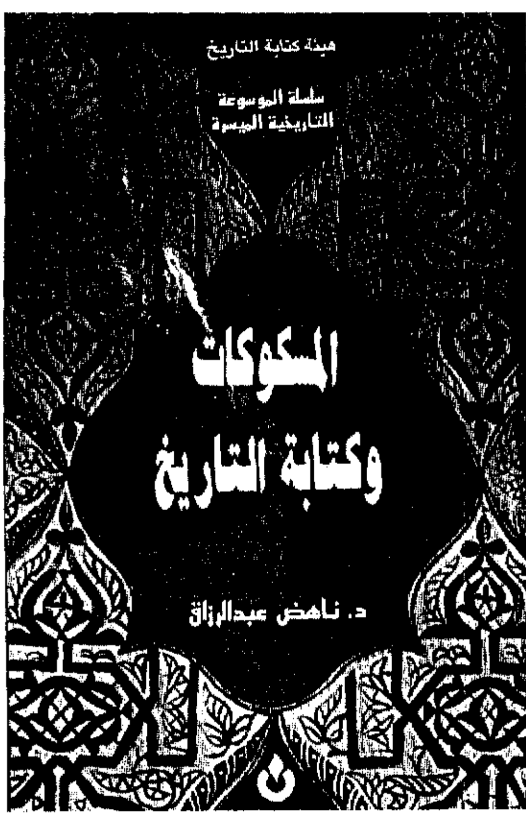
(٦٩) في الاصل : التي .

(٧٠) البقرة ١٥٦ .

(٧١) ينظر : صبح الاعشى ٦/ ٢٧٩ .

* * *





تحفة الملا في مواضع كلا

«أرجوزة»

لأبي بكر محمد بن المحلي

المتوفى سنة ٦٧٣ هـ

د. طه محسن

جامعة الأنبار

المقدمة

(١)

تكوّن دراسة «الحروف» حلقة في سلسلة الدراسات القرآنية واللغوية؛ فقد تناولها الدارسون بالبحث والاستقصاء من جوانب شتّى؛ من حيث لغاتها، وأنواعها، وبنيتها، وصفاتها، وعملها، ومخارجها، ومعانيها، والوقوف عليها أو الابتداء بها... وغير ذلك.

وحظي الحرف «كَلّا» بنصيب من هذا الاهتمام؛ لتعدد معانيه، وتكرر وروده في القرآن الكريم. فقد جاء في ثلاثة وثلاثين آية، وفي أغلب المواضع غرابة في المعنى تستدعي الايضاح، مما دفع النحاة واللغويين والمفسرين والقراء الى البحث في جوانب متعددة من هذا الحرف.

فالمفسرون تناولوه في كل آية ورد فيها. ولقسم منهم وقفات مهمة عنده، أمثال: أبي جعفر الطبري (ت ٣١٠ هـ) في «جامع البيان»، والزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) في «الكشاف» وأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ) في «البحر المحيط».

ومثلهم المصنفون في مباحث «الوقف والابتداء» الذين بينوا مواضع الوقف على «كلّا» في الكتب التي اختصوها لدراسة هذا الجانب من الذكر الحكيم، من أمثال: أبي بكر بن الأنباري (ت ٣٢٨ هـ) في الكتاب الذي يحمل عنوان «إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عزّ وجلّ» [ج ١ ص ٣٢١-٣٣٢]، وأبي جعفر النحاس (ت ٣٣٨هـ) في كتاب «القطع والائتناف»، إذ تكلم على الموضوع، وناقش آراء العلماء عند تفسير سورة مريم [ص ٤٥٧-٤٦٣] ثم تابع الكلام عليه بعد ذلك في كل موضع وردت فيه «كلّا» من الآيات.

ومن أصحاب الدراسات القرآنية نذكر بدر الدين الزركشي (ت ٧٩٤ هـ) في «البرهان في علوم القرآن» [٤ / ٣١٣]، والسيوطي (ت ٩١١ هـ) في «الاتقان في علوم القرآن» [١ / ١٦٩]. وفي الكتابين بيان لآراء العلماء في هذا الحرف.

وتناولها اللغويون في المعجمات، وتحدثوا عن معانيها، مثل: الأزهري (ت ٣٧٠ هـ) في «تهذيب اللغة». فسّرها في مادة «كلل» [١١ / ٥٩٧] ومادة «كلا» [١٥ / ٢٣١]. ثم أعاد ذكرها في تفسير الحروف [٤٦٤/١٥]. كما فسّرها المرتضى الزبيديّ (ت ١٢٠٥ هـ) في مادة «كلل» من «تاج العروس» [٨ /١٠٣] ثم بسط الحديث عنها في [ج. ١٠ ص ٤٣٨] عند شرح ما أورده الفيروز أبادي (ت ٨١٧ هـ) في باب الحروف من «القاموس المحيط» [٤ / ٤١٠].

وخصص لها أحمد بن فارس اللغوي (ت ٣٩٥ هـ) مبحثا في

كتابه « الصاحبي في فقه اللغة» [ص ١٦٢] أشار في آخره الى أنه أفرد لوجوهها كتاباً .

ونبه النحاة على معناها واستعمالها ، مثل: سيبويه (ت ١٦١ هـ) في مصنفه النحوي الشهير « الكتاب» [٤ /٢٣٥] ، والزمخشري في « المفصل» [ص ١١٥٢] ، وابن مالك الأندلسي (ت ٦٧٢ هـ) في « تسهيل الفوائد» [ص ٢٤٥] ، وتلاهم شراح هذه الكتب يفصلون ما أجملوا .

وكذلك أفرد لها نحاة آخرون مباحث في الكتب التي ألفوها لدراسة « حروف المعاني» ، من أمثال: أبي الحسن الرمّاني (ت ٣٨٤ هـ) في « معاني الحروف» [ص ١٢٢] ، وأحمد بن عبد النور المالقي (ت ٧٠٢هـ) في « رصف المباني» [ص ٢١٢] ، والمرادي (ت ٧٤٩ هـ) في « الجنَى الداني» [ص ٥٢٥] ، وابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١ هـ) في « مغني اللبيب» [١ / ٢٠٥] ، وعلاء الدين الاربلي (من علماء القرن الثامن الهجري) في « جواهر الأدب في معرفة كلام العرب» [ص ٢٤٢] ، والبيتوشي (ت ١٢١٠ هـ) في « صرف العناية في كشف الكفاية» [ص ٤٧٧] .

وفضلاً عن هذه المباحث نجد مصنفات اخرى مستقلة تتحدث عن « كلّا» ، وحدها تارة ، ومع الحرف « بلَى» أو « نعم» تارة اخرى . ومن الذين درسوها على هذا الشكل:

١ ـ أبو الحسين أحمد بن فارس (ت ٣٩٥ هـ) . له: « مقالة كلّا وما جاء منها في كتاب الله» . نشرها ضمن (ثلاث رسائل) عبد العزيز الميمني الراجكوتي ، وطبعت بالقاهرة سنة ١٣٨٧ هـ . ثم أعاد تحقيقها الدكتور أحمد حسن فرحات ، ونشرها في الرياض سنة ١٤٠٢ هـ .

٢ ـ أبو جعفر بن محمد بن رستم الطبري (من قراء القرن الثالث الهجري) . له: « رسالة كلّا في الكلام والقرآن» حققها الدكتور أحمد حسن فرحات ، ونشرها في الرياض ١٤٠٢ هـ .

٣ ـ أبو محمد مكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧ هـ) له: « الوقف على كلا وبلى في القرآن» . حققها الدكتور حسين نصار ، ونشرها في (مجلة كلية الشريعة) . بغداد: العدد الثالث ١٩٦٧ م . وأعاد نشرها الدكتور أحمد حسن فرحات في دمشق ١٩٧٨ م تحت عنوان: « شرح كلا وبلى ونعم والوقف على كل واحدة منهن في كتاب الله عزّ وجلّ» .

٤ ـ جمال الدين علي بن يوسف القفطي (ت ٦٤٦ هـ) . له: « المجلّى في استيعاب وجوه كلّا» . ذكره ياقوت في « معجم الادباء» [٥ /٤٨٤] .

٥ ـ أبو الحسن علي بن محمد بن الضائع (ت ٦٨٠ هـ) له: « رسالة في كلا وبلى ونعم» . منها مخطوطة في مكتبة صوفيا الوطنية في بلغاريا ضمن مجموع رقمه (٥٤٣٨)[١] .

٦ ـ يعقوب بن بدران الجرائدي (ت ٦٨٨ هـ) . له: (كتاب فيه ما أتى في القرآن «كلا» و «بلى» الذي يجوز أن يقف عليها والذي لايجوز) . وهو مخطوط في مكتبة روضة خيري كتبت سنة ٨٠٢ هـ[٢] .

٧ ـ بدر الدين حسن بن قاسم المرادي (ت ٧٤٩ هـ) . له: « رسالة في كلا» ، أشار اليها في كتابه « الجنَى الداني في حروف المعاني» [ص ٥٢٦] .

* * *

نجد فيما وصلنا من هذه المصادر حديثا عن «كلّا» ودراستها من وجوه .

فهي متفقة على أنها حرف ، وأنها لا موضع لها من الاعراب[٣] . إلا أنّ ابن هشام الأنصاري فهم من قولٍ لمكي بن أبي طالب أنها قد تكون اسماً على رأي الكسائي (ت ١٨٣ هـ) . قال: (وأما قول مكي إنّ «كلّا» على رأي الكسائي اسم اذا كانت بمعنى «حقًّا» فبعيد؛ لأنّ اشتراك اللفظ بين الاسمية والحرفية قليل ومخالف للأصل ، ومُحوج لتكلف دعوَى علةٍ لبنائها ، وإلام لانُونت)[٤] .

وابن هشام في هذا يشير الى قول مكي (وتكون « كلا» بمعنى «حقًا» . وهو مذهب الكسائي ، فيبتدأ بها لتأكيد ما بعدها . فتكون في موضع مصدر ، ويكون موضعها نصباً على المصدر ، والعامل محذوف ، والتقدير: أُحقّ ذلك حقًّا)[٥] .

و «كلّا» بسيطة عند النحاة واللغويين ، الا أنّ أبا العباس ثعلباً (ت٢٩١ هـ) يرى ، كما رُوي عنه ، أنّ أصلها (« لا» التي للنفي ودخلت عليها كاف التشبيه فجعلتها كلمة واحدة ، وشدّدت اللام لتخرج الكاف عن معناها الذي هو التشبيه)[٦] . وجعلها الحسين بن العريف (ت ٣٩٠ هـ) مركبة من «كل» و «لا»[٧] .

وردّ أحمد بن فارس دعوَى التركيب بقوله: (فان قال قائل: فما الأصل فيها ؟ قلنا : إنّ «كلّا» كلمة موضوعة للمعاني التي قد ذكرناها مبنية هذا البناء ، وهي مثل «إنّ» و «لعلّ» و «كيف» . وكل واحدة من هذه مبنيّ بناءً يدلّ على معنىً ، فكذا «كلّا» كلمة

مبنية بناء يدل على المعاني التي نذكرها . وهـذا قول قـريب لا استكراه فيه)[8] .

والمعاني التي يعنيها ابن فـارس هي التي لخصها من أقـوال العلماء في أول رسالته عن «كلّا» فقال :

(قال بعض أهل العلم: إنّ «كـلا» تجيء لمعنيين: للردّ والاستئناف .

وقال قوم: تجيء «كلا» بمعنى التكذيب.

وقال آخرون: «كلا» تكون بمعنى «حقا» .

وقال قوم: «كلا» ردٌّ وابطال لما قبله من الخبر ، كما أنّ «كذلك» تحقيق وإثبات لما قبله من الخبر . قال: والكاف في قوله «كلا» كاف التشبيه ، و «لا» نفي وتبرئة .

وقال بعضهم: «كلا» تنفي شيئاً وتوجب غيره)[9] .

ثم رأى أنّ أقرب المعاني أربعة: (أولها: الرد. والثاني: الردع . والثالث : صلة اليمين وافتتاح الكلام بها كـ «ألا» والوجه الرابع: التحقيق لما بعده من الأخبار)[10] .

جاءت «كلا» في ثلاثة وثلاثين موضعا من القرآن الكريم ، يضمها خمسَ عشرةَ سورة ، وتقع جميعها في النصف الثاني منه .

والحكمة ، كما يقول مكي ، في أنها (لم تقع في القرآن إلا في سورة مكيّة لأنّ التهدد والوعيد أكثر ما نزل بمكة ، لأن أكثر عتوّ المشركين وتجبرهم بمكة كان ، فاذا رأيت سورة فيها «كلا» فاعلم أنها مكية)[11] .

وهذه المواضع التي تكررت فيها «كلّا» تعددت أحكامها من حيث «الوقف والابتداء» ، واختلفت فيهـا مذاهب القـرّاء . وكانت هي الدافع الرئيس لكل من كتب عنها بصورة مستقلة .

وقد أوجز مكي هـذه المذاهب بقـوله: (اختلف النحـويون في الوقف على «كلا» والابتداء بها .

فذهبت طائفة الى أنها افتتاح كلام . ولايوقف عليهـا البتة عندهم . ويوقف على ما قبلها بكل حال .

وذهبت طائفة الى أنها لايوقف عليها ، ولا يبتدأ بها . وهو مذهب أبي العباس ثعلب وغيره . قال: لأنها جواب ، والفائدة فيما بعدها .

وذهب قوم الى أنها يوقف عليها في كل موضع ، فاذا كان قبلها ما يُرَدُّ وينكر كان معناها: ليس الأمر كذلك ، نحو: (أم اتخذ عند الرحمن عهداً *كلّا) [مريم ٧٨ ـ ٧٩] . واذا كان قبلها ما لا يُرَدُّ ولا يُنكر كان معناها «حقّا» ، نحو: (تظنُّ أن يُفعل بها فاقرةٌ *كلّا) [القيامة ٢٥ ـ ٢٦] . أي: حقّا ما ذكر.

ودهبت طائفة الى تفصيلها؛ فيوقف عليها اذا كان ما قبلها ما يُرَدُّ ويُنكر ، ويبتدأ بها اذا كان ما قبلها لا يُرَدُّ ولا ينكر . وتوصل بما قبلها ومابعدها إذا لم يكن قبلها كلام تام ، نحو : (ثُمَّ كلّا سوف تعلمون) [التكاثر ٤] .

وهذا المذهب أليق بمذهب القرّاء وحذّاق أهل النظر ، وهو الاختيار وبه آخذ)[12] .

* * *

وهذا الغرض ، أعني بيان مواطن الوقف على «كلا» والابتداء بها من خلال المعاني التي تؤديها في آيات الذكر الحكيم ، هو الذي رَمَى اليه صاحبُنا أبو بكر بن المحلّي من وراء المصنَّف الذي أُقدمه محققا .

ولكن هـذا المصنَّف المستقـل اختلف عـما كُتب قبله من المصنفات التي اهتمت بالموضوع في أنـه جاء نـظماً يسهل عـلى المتعلم حفظ المادة وفهمها .

أنهى ابن المحلّي الأُرجوزة ، على ما أشار في آخرهـا ، سنة ثلاث وستين وست مِئة للهجرة في ستة وخمسين بيتـا . وقد لخص ، بعد مقدمتها ، معاني «كلا» المتفق عليها ، وحُكمَ كلِّ معنىً من حيث الوقف والابتداء . وهي عنده ثلاثة معانٍ: أولها: الردّ والانكار والردع . وثانيها: معنى «حقا» . وثالثها : معنى . فيوقف عليها اذا جاءت للمعنى الأول . ويبتدأ بها اذا كانت بمعنى «حقّا» أو «ألّا» .

ثم شرع يذكر مواضعها في القرآن الكريم على حسب تسلسل سُوَره ، ابتداءاً بسورة «مريم» وانتهاءاً بسورة «الهُمَزة» متحاشيا الاطالة في التفاصيل ، ومتجنباً في الغالب ذكـر الاختلاف في الآراء .

وطريقته أن يذكر عدد المواضع في كلِّ سورة ، ومعنَى «كلّا» في كلِّ موضع ، وحكمها من حيث الوقف والابتداء من غـير أن يسجل الآيات القرآنية ، إذ يتعذر ذكرها في النظم . ولذلك صار لزاماً في التحقيق أن أُثبت هذه الآيات التي تضمنت «كلا» في تعليقاتي على أبيات الأُرجوزة؛ ليعرف القارىء تمام النصوص ، وليفهم المعنى والقاعدة من خلال السياق .

ـ ٢ ـ

أما ناظم الارجوزة فهو[13] أمين الدين محمد بن علي بن موسى ابن عبـد الرحمن الأنصـاري . كنيته أبـو بكر . وشهـرته: ابن المَحَلِّي ، نسبة الى «المحلّة» بمصر .

ولد سنة ستّ مِئة للهجرة . ولا نعرف شيئاً عن نشأته ، غير أنّ الذين ترجموا له ذكروا أنّه من أهل القاهرة ، وأنه أحد أئمة النحو فيها ، تصدّر لاقرائه ، وانتفع به الناس ، وأنه تُوفي في ذي القَعْدَة سنة ثلاث وسبعين وست مِئة للهجرة عن ثلاث وسبعين سنة بعد ما خلّف مصنفات في النحو والعروض والتجويد ، وغيرها . نعرف منها الآتي:

١ ـ التذكرة: جمع فيه أشعار المحدثين .

٢ ـ تحفة الملا في مواضع كلا: وهي الأرجوزة التي بين يدي القارىء .

٣ ـ الجوهرة الفريدة: أرجوزة في العروض مخطوطة بدار الكتب بالقاهرة .

٤ ـ ذخيرة التلا في أحكام كلا: منظومة كتبها المؤلف سنة ٦٦٤هـ . منها مخطوطة في مكتبة أحمد الثالث في استانبول رقمها ١٦٣٤ / ٧ . ولعلها هي المنظومة التي أحققها . ولم أتمكن من الحصول عليها .

٥ ـ شفاء الغليل في علم الخليل: ارجوزة في العروض. منها مخطوطتان في مكتبة أحمد الثالث باستانبول رقمها ١٦٦٢ و ١٧٣٤ وثالثة في مكتبة لاله لي باستانبول في مكتبة أحمد الثالث ضمن مجموع رقمه ١٧٣٤ / ٢ .

٧ ـ مختصر طبقات النحاة ، للزبيدي: مخطوط بدمشق .

٨ ـ مفتاح الاعراب .

وقد وصل الينا من شعر المحلّي مقطوعات قالها في مناسبات ، منها ما كتبه الى مريض:

إن جئتُ نلتُ ببابك التشريفا
وإن انقطعتُ فأُوثر التخفيفا
وحقّ حُبّي فيك قدْماً إنني
،عُوفيتَ ، أكره أن أراك ضعيفا

ومنها قوله مضمناً بعض مصطلحات النحو:

عليك بأرباب الصدور فانّ من
يجالس أرباب الصدور تصدّرا
وإياك أن ترضى صحابة ساقط
فتنحطّ قدراً من عُلاك وتُحقَرا
فرفع «أبومن» ثم خفض «مزمّلٍ»
يحقق قولي مغرياً ومحذّرا

- ٣ -

اعتمدت في إخراج المنظومة على مخطوطة ضمن مجموع تحتفظ به مكتبة أسعد أفندي باستانبول تحت رقم (٣٦٣٩) يشتمل على المصنفات الآتية:

١ ـ المفيد في علم التجويد ، لأحمد بن أحمد الطيبي (ت ٩٧٩هـ) .

٢ ـ بلوغ الأماني في قراءة ورش من طريق الاصبهاني ، للطيبي .

٣ ـ تحفة الملا في مواضع كلا: وهي المنظومة التي أُحققها .

٤ ـ المبينة في تحقيق الهمز لحمزة: تأليف ابراهيم بن علي بن عبد الحق (ت ٧٤٤ هـ) .

٥ ـ الردّ المستقيم على ما تفعله بعض الأعاجم من تحريك الميم ، لمحمد بن أحمد بن النجار (ت٨٧٠ هـ) .

٦ ـ وصل الاستعاذة بالبسملة ، لابن النجار .

٧ ـ جواب مسألة في قراءة قوله تعالى *(جعلناهم أيمة)* بالياء الخالصة ، لابن النجار .

٨ ـ مسألة السكت والغنة ، أجاب عنها ابن النجار .

٩ ـ مسألة «الآن» منقولة من كتاب «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ) .

١٠ ـ ألغاز شعرية في التجويد .

١١ ـ غاية المراد في معرفة إخراج الضاد ، لابن النجار .

١٢ ـ القواعد والاشارات في أُصول القراءات ، لأبي العباس بن أبي الرضا الحموي (ت ٧٩١ هـ)

وهذه المصنفات كتبت كلها بقلم ناسخ واحد ، بخط النسخ الواضح المعتاد . وتاريخ نسخ آخر رسالة هو (شهر شوال سنة أربعين ومئة وألف) .

وتقع «التحفة» في أربع صفحات (في الورقتين التاسعة والعاشرة) من المجموع . أولها بعد البسملة خمسة أسطر نَصّت على اسم الناظم «أبي بكر محمد بن علي بن المحلّي» ، وعلى تاريخ إملائه الارجوزة ، وهو (يوم الاثنين سابع عشر ذي القَعْدة سنة ثلاث وسبعين وست مئة) ، وعلى عنوانها (تحفة المَلّا في مواضع كلّا) ، يلي ذلك أبيات الأرجوزة .

هذا ولم أجد صعوبة في قراءة النسخة التي اعتمدتها . فهي واضحة الخط ، جيدة الحرف ، وما قوّمته من التحريف قليل جدّا ، إلا شطراً في البيت الثاني والثلاثين لم أتبيَّن صحة رسمه .

* * *

وتتلخص طريقتي في اخراج المنظومة في الامور الآتية :

١ ـ كتبت النصّ على ما نعرف اليوم من رسم الحروف ، فغيّرت كلمات قليلة وردت على غير الرسم الحديث ، وأغلبها يتعلق بطريقة كتابة الهمزة والألف ، مثل : « ستماائة = ست مئة » و « القرا = القرّاء » و « البدا = البدء » و « القيمة = القيامة » و « ارجوا = أرجو » .

٢ ـ وضعت أرقاماً متسلسلة لأبيات المنظومة .

٣ ـ أثبتُّ في الهوامش نصوص الآيات القرآنية التي وقعت «كلا» في سياقها ، والتي اكتفى الناظم بالتنبيه على سورها ليتبين للقارىء مواقع الحرف من الآيات .

٤ ـ يقترب الناظم في المنهج والآراء مما ورد في كتاب مكي بن أبي طالب « شرح كلّا وبلى ونعم » . وقد أفدت من هذا الكتاب في التحقيق ، واقتبست منه نصوصاً علقت بها على مواطن من الارجوزة؛ بياناً لآراء ابن المحلّي ، وتوضيحاً لما رأيته غامضاً من المواضع . وأشرت الى هذا المصدر بلفظ «مكي» .

أرجو في الختام أن يضيف هذا النصُّ الى مكتبة الدراسات القرآنية ما ينفع القراء ، ويهم الباحثين ، ويكشف عن قدرة ناظمه أمين الدين بن المحلي ، فهو أول أثر ينشر له ، ومن حقّ علمائنا أن نبرز آراءهم ، ونخلد أعمالهم . والله وليّ التوفيق .

بسم الله الرحمن الرحيم

انشدنا شيخ الاسلام العالم العلّامة أبو بكر محمد بن عليّ النحوي المعروف بابن المحلّي تغمده الله برحمته يومَ الاثنين سابعَ عشرَ ذي القَعْدَة سنة ثلاثٍ وسبعين وستّ مَئةٍ في «كلّا» ومواضع الوقف عليها في القرآن ومذاهب القرّاء فيها :

تحفة المَلَا في مواضع كلّا

١ ـ يقول راجي ربّه الغفّار ... محمد نجلُ علي الأنصاري
٢ ـ الحمد لله على النعماءِ ... في صحّة الوقف والابتداء
٣ ـ باللفظ في كتابه المجيد ... فانها من جملة التّجويد
٤ ـ ثمّ صلاته مع السّلام ... على النبيّ سيِّد الأنام

٥ ـ محمدٍ رسوله الأمين ... وأهل بيته هداةِ الدينِ
٦ ـ ثمّ على أصحابه الأبرار ... من المهاجرين والأنصار
٧ ـ وبعدُ فالمقصود أنّ «كلّا» ... لها معانٍ فاحفظنّ تُجلَى[1]
٨ ـ فمَرّة تأتي ، هُديتَ سُبْلَها ، ... لردٍّ مذكور يكون قبلها
٩ ـ فقف عليها مُنكراً هنالكَ ... ورادعاً لمن يقولُ ذلكَ
١٠ ـ وتارةً تأتي بمعنى «حقّا» ... فابدأ بلفظها تكن محقّا

١١ ـ وتارة تأتي للاستفتاح ... مثلَ «ألا» فابدأ بلا جُناح
١٢ ـ وقد أتت في محكم القرآنِ ... لكلّ ما قلنا من المعاني
١٣ ـ فانْ تُردْ إتقانها محصّلا ... فاسمع وخذ بيانها مفصّلا
١٤ ـ فموضعان أتيا في «مريما»[2] ... فقف عليها فيهما . ورُبّما

١٥ - تكون فيها كـ «حقًا» أو «ألا» ... فان بدأت لم تكن مجهَّلا[٣]
١٦ - وموضع قد جاء في « قد أفلحا»[٤] ... قف ، وابتدئ مثلَ «ألا» فتفلحا
١٧ - وموضعان أتيا في «الشُّعَرا»[٥] ... فقف عليها فيها لتُنكِرا
١٨ - في الموضعين . وابتدئ بالأول ... على كلا الوجهين[٦] ، ثمّ عوِّلِ
١٩ - في البدء بالثاني على الأخير[٧] ... وهو «ألا» واسمع من الخبير[٨]
٢٠ - وموضعٌ في «سبأ» قد وقعا[٩] ... قف ، وابتدئ على الطريقين معا
٢١ - وموضعين في «المعارج» اعرفِ[١٠] ... قف ، وابتدئ على الأخير واكتفِ
٢٢ - وقد أتت في سورة « المدثر» ... أربعةٌ تظهر للمستحضر[١١]
٢٣ - وليس للأول في المناهج ... إلا الذي في سورة «المعارج»[١٢]
٢٤ - والوقف في الثاني على قولين ... فابدأ به على كلا الوجهين[١٣]
٢٥ - وقف على الثالث بالاجماع ... وابدأ به أيضاً ولا تراعي[١٤]
٢٦ - على كلا الوجهين . أما الرابع ... ففي الوقوف عنده تنازع
٢٧ - أجازه قوم على التأكيد ... وليس هذا القولُ بالبعيد
٢٨ - وليس ردًّا للذي قد مرًّا ... واستبعدَ التأكيد بعضُ القرّا
٢٩ - لأجل ما بينهما قد فُصلا[١٥] ... وإن تشأ فابدأ به مثلَ «ألا»
٣٠ - وقد أتت في سورة « القيامة» ... ثلاثةٌ يعرفها العلامّة[١٦]
٣١ - في الوقف في الأول خُلْف قد ذُكر[١٧] ... ومنعه في الباقيين مشتهر
٣٢ - وانلاسقرانكنعينا[١٨] ... فابدأ بأيّ المعنيين شئتا
٣٣ - وموضعان في «النبأ»[١٩] ، فالأولُ ... لم يقفوا فيه ولم يعوِّلوا
٣٤ - على خلاف لُنصَير[٢٠] ذكرا ... وابدأ على الوجهين فيها سُطِرا
٣٥ - كذاك لا وقف على الثاني ، ولا ... تبدأ به إلا بـ « ثُمَّ» أوّلا
٣٦ - وبعد هذا موضعان في «عبس»[٢١] ... الوقف في الأول عنهم يقتبس[٢٢]
٣٧ - وابدأ على معنى «ألا»وأمّا ... ثانيهما فلا وقوفَ حتما
٣٨ - وابدأ بأيِّ المعنيين كانا ... وموضع في « الانفطار» بانا[٢٣]
٣٩ - ليس في الابتدا به توقُّف ... ويبعد الوقفُ ، وقوم وقفوا
٤٠ - وأوّلوا الردَّ على معنى «انتبه ... فانّه ليس كما غُررت به»[٢٤]
٤١ - وفي «المطففين» جاءت أربع[٢٥] ... قف ، وابتدئ مثلَ «ألا» لا تمنعْ
٤٢ - وقال قوم بامتناع الوقف ... في اللفظة الاولى ، فتابع وصفي[٢٦]
٤٣ - وموضعان أتيا في «الفجر»[٢٧] ... الوقف في الأول جا للزجر
٤٤ - وابدأ على الوجهين . أمّا الثاني ... ففي الوقوف عنده قولان[٢٨]
٤٥ - وابدأ عليها[٢٩]. وجاء في « العلق» ... ثلاثةٌ[٣٠] ، يُبدأ بالذي سبق

٤٦ - مثلُ «ألا» وبعضهم قد وقفا ... وليس بالمختار فيه فاعرفا[٣١]

٤٧ - وابدأ على الوجهين في ثانيها ... وقفْ على قولي تكن نبيها

٤٨ - والحكم في الثالث ما شئت اصنعِ ... في الابتدا والوقف فالكلُّ وُعِي

٤٩ - وجاء في «ألهاكم التكاثر» ... ثلاثةٌ منها[٣٢] . فأمّا الآخر[٣٣]

٥٠ - فالابتدا بالمعنيين جيِّد ... والوقف عند بعضهم مؤيَّد[٣٤]

٥١ - والأولان إن نظرت رُتّبا ... على نظام الموضعين في «النّبا»[٣٥]

٥٢ - وبعد هذا موضع في «الهُمَزَة»[٣٦] ... مستحسن الوقف لمن يميِّزُه

٥٣ - والابتدا بالمعنيين جائز ... فان تجد حفظاً فأنت الفائز

٥٤ - فقد كُفيت كُلفة التطويل ... هذا ختام القول في التفصيل

٥٥ - نظمتها بالله مستعينا ... في سنة الثلاث والستِّينا

٥٦ - من بعد ستَّ مِئةٍ للهجره ... أرجو بها ثوابه وأجره

* * *

هوامش المقدمة

(١) مخطوطات عربية في مكتبة صوفيا الوطنية البلغارية ، الدكتور يوسف عز الدين ص ٩٢ .

(٢) مخطوطات مكتبة روضة خيري ، عبد السلام محمد النجار (مجلة معهد المخطوطات العربية): المجلد السادس / ج ١و٢ / ص ٦١-٦٢ / سنة ١٩٦٠م .

(٣) شرح كلا وبلى ونعم ، لمكي بن أبي طالب ص ٢٣ .

(٤) مغني اللبيب ١ / ٢٠٧ .

(٥) شرح كلا وبلى ونعم ص ٢٤ .

(٦) المصدر نفسه ص ٢٢ - ٢٣ .

(٧) رصف المباني ، للمالقي ص٢١٢ .

(٨) مقالة كلا وما جاء منها في كتاب الله ص ٩ .

(٩) المصدر نفسه ص ٧ - ٨ .

(١٠) المصدر نفسه ص ٨ .

(١١) شرح كلا وبلى ونعم ، ص ٢٣ - ٢٤ .

(١٢) المصدر نفسه ص ١٩ - ٢١ .

(١٣) ترجمة حياة الناظم وبيان مصنفاته أخذتها من المصادر الآتية: الوافي بالوفيات ، للصفدي ٤ / ١٨٧ - ١٨٨ ، وبغية الوعاة ، للسيوطي ١ / ١٩٢ ، وكشف الظنون ، للحاج خليفة ١ /٣٨٥ و ٢ / ١٠٥١ ، ومعجم المؤلفين ، لكحالة ١١ / ٦٦ ، والأعلام ، للزركلي ٦ / ٢٨٢ ، وفهرس المخطوطات المصوّرة ، لفؤاد سيِّد ١ /٩ و ٤١٥ .

هوامش المتن المحقق

(١) في المخطوطات: ﴿ لما معاني فاحفظنّ مجملا﴾ . وما أثبته هو الرسم الصحيح .

(٢) الموضعان في سورة «مريم» أتيا في سياق الآيات ٧٧ - ٨١: ﴿ أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتينّ مالا وولداً* أطّلعَ الغيبَ أم اتّخذ عند الرحمن عهداً* كلا سنكتب ما يقول ونمدُّ له من العذاب مدّاً* ونرثُه ما يقول ويأتينا فرداً* واتّخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عِزّاً* كلّا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدّاً﴾ .

(٣) في المخطوط: مجملا . وما أثبته يناسب السياق .

(٤) ورد الموضع في سورة «المؤمنون» في سياق الآيتين ٩٩ - ١٠٠ :
﴿ حتى إذا جاء أحدَهم الموتُ قال ربِّ ارجعونِ* لعلي أعملُ صالحاً فيما تركتُ كلّا إنها كلمة هو قائلُها ومن ورائهم برزخٌ الى يوم يبعثون﴾

(٥) الموضع الأول في سورة «الشعراء» ورد في سياق الآيات ١٢ - ١٥ : ﴿ قال ربِّ إنّي أخاف أن يكذبونِ* ويضيقُ صدري ولا ينطلقُ لساني فأرسلْ الى هارون* ولهم عليّ ذنْبٌ فأخاف أن يقتلونِ* قال كلّا فاذهبا بآياتنا إنا معكم مستمعون﴾
والموضع الثاني ورد في سياق الآيتين ٦١ - ٦٢: ﴿فلمّا تراءَى الجمعان قال أصحابُ موسى إنّا لمدركونَ* قال كلّا إنّ معيَ ربِّي سيهدينِ﴾

(٦) الوجهان هما اللذان قررهما في البيتين (١٠ و ١١) المتقدمين: بمعنى «حقّا» وبمعنى «ألا» . وسيكرر الاحالة عليهما بهذا اللفظ في الأبيات (٢٤ و ٢٦ و ٣٤ و ٤٤ و ٤٧) ، وبلفظ « الطريقتين» في البيت (٢٠) ، وبلفظ «المعنيين» في الأبيات (٣٢ و ٣٨ و ٥٠ و ٥٣) .

وقال مكي ص ٣٣ (ويجوز الابتداء بـ « قال كلا فاذهبا» تجعله قولاً واحداً ، و « كلّا» بمعنى «ألا» على معنى: قال ألا فاذهبا ، تجعلها افتتاح كلام محكيّ . ويجوز أن تكون «كلا» بمعنى «حقّا» . أي: قال حقّا فاذهبا . ولا يحسن أن تبتدئ بـ «كلا» ؛ لأن القول لا يوقف عليه دون المقول البتة) .

(٧) الأخير: هو المعنى الثالث من معاني «كلا» الذي ذكره في البيت (١١) المتقدم بمعنى «ألا» وسيكرر الاشارة اليه بهذا اللفظ في البيت (٢١)

(٨) قال مكي ص ٣٤ (ويجوز الابتداء بـ « قال كلا» على معنى « قال ألا إنّ معي ربي» تجعلها افتتاح كلام محكيّ كله . ولا يحسن أن يبتدأ بـ «قال كلا» وتجعل «كلا» بمعنى «حقّا» لأنّه يلزم أن يفتح «إنّ» بعدها على ما تقدم ذكره . ولم يقرأ بفتح «أنّ» أحد ولا يجوز أن يبتدأ بـ «كلا» ؛ لأنّ القول لا يوقف عليه دون المقول البتة) .

(٩) الآية ٢٧ من سورة سبأ ﴿ قل أروني الذين ألحقتم به شركاء كلّا بل هو الله العزيز الحكيم﴾ .

(١٠) للموضع الأول من سورة «المعارج» جاء في سياق الآيات ١١ - ١٥ ﴿ يُبَصّرونهم يودُّ المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه* وصاحبته وأخيه* وفصيلته التي تؤويه* ومَن في الأرضِ جميعاً ثم ينجيه* كلّا إنها لَظَى﴾ .

والموضع الثاني جاء في سياق الآيات ٣٦ - ٣٩ : ﴿ فمالِ الذين كفروا قِبَلَك مُهطعين* عن اليمين وعن الشمال عِزين* أيطمع كلُّ امرئٍ منهم أن يُدخَل جنّةَ

نعيم﴾ كلّا إنّا خلقناهم ممّا يعلمون﴾ .

(١١) سياق المواضع الأربعة في سورة «المدّثر» جاءت على الشكل الآتي:

للموضع الأول: الآيات ١١ - ١٧ ﴿ ذَرني ومن خلقتُ وحيداً﴾ وجعلتُ له مالاً ممدوداً﴾ وبنين شهوداً﴾ ومهدتُ له تمهيداً﴾ ثمّ يطمع أن أزيدَ﴾ كلّا إنّه كان لآياتنا عنيداً﴾ .

والثاني: الآيتان ٣١ - ٣٢ ﴿ وما جعلنا أصحابَ النار إلّا ملائكة وما جعلنا عدّتهم إلا فتنةً للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيماناً ولا يرتابَ الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقولَ الذين في قلوبهم مرضٌ والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلاً كذلك يضلُّ الله من يشاء ويهدي من يشاء وما يعلم جنودَ ربك إلا هو وما هي إلا ذكرى للبشر﴾ كلّا والقمرِ﴾ .

والموضع الثالث والرابع في سياق الآيات ٤٩ - ٥٤ ﴿ فما لهم عن التذكرة معرضين﴾ كأنهم حُمُرٌ مستنفرةٌ﴾ فرّت من قَسورة﴾ بل يريد كلّ امرئٍ منهم أن يؤتى صُحُفاً منشّرة﴾ كلّا بل لا يخافون الآخرة﴾ كلّا إنّه تذكرة﴾ .

(١٢) الذي تقدم في الكلام على البيت ذي الرقم (٢١) الخاص بسورة «المعارج» الوقف والابتداء على معنى «ألا» ولا يجوز الابتداء على معنى «حقّا» .

(١٣) قال مكي ص ٣٩ (الوقف على «كلا» لا يحسن؛ لأنك لو وقفت عليها لصارت ردًا لما قبلها. وما قبلها لا يُردُّ ولا يُنكر . والابتداء بها حسن على معنى: ألا والقمر، وحقّا والقمرِ . أي: حقّا ما أقول والقمرِ . وقد أجاز قوم الوقف هنا على «كلا» جعلوها ردًا لما تضمنته الآية مما أتى في التفسيرمن قول ذي الأشدَّين لأصحابه عند نزول قوله تعالى في خزنة جهنم ﴿ عليها تسعة عشرَ﴾ قال لهم: أنا أكفيكم سبعة عشر واكفوني أنتم اثنين . وهو مذهب الطبري . وهذا بعيد؛ لأنه لفظ لم يتضمنه معنى لفظ الآية) .

(١٤) كذا في المخطوط بالياء «تراحي» اشباعاً للكسرة .

(١٥) قال مكي ص ٤١ - ٤٢ في كلامه على الموضع الرابع: (الوقف على «كلا» لايجوز؛ لأنك كنت تنفي بها ما حكى الله عنهم من أنهم لايخافون الآخرة. فان جعلتها للنفي على أنها تأكيد لكلا الاولى جاز الوقف عليها عند بعض العلماء، وهو مذهب أبي حاتم والكسائي ونُصير، يجعلونها ردًا وتأكيداً لـ «كلا» الاولى فتنفي ما نفته الاولى . وهذا بعيد، لأن التأكيد لا يفرق بينه وبين المؤكّد . وقد أجازوا الوقف على «كلا» الاولى . وكيف يجوز الوقف عليها والثانية عندهم توكيد لها؟ فيفرقون بين المؤكّد وتوكيده . وفيه بُعد آخر أيضاً، لإشكال المعنى، فلا يحسن الوقف عليها عندنا

ويجوز الابتداء بها على معنى «ألا إنّه تذكرة» ولا يجوز الابتداء بها على معنى «حقّا انه تذكرة» لأنه يلزم فتح إنّ . . .) .

(١٦) سياق المواضع الثلاثة من سورة «القيامة» جاءت على الشكل الآتي:

الموضع الأول: الآيات ٧ - ١١ ﴿ فاذا بَرِقَ البصرُ﴾ وخَسَفَ القمر﴾ وجُمِعَ الشمس والقمرُ﴾ يقول الانسان يومئذٍ أينَ المفرُّ﴾ كلّا لا وزرَ﴾ .

والثاني والثالث: الآيات ١٦ - ٢٦ ﴿ لا تُحرّكْ به لسانك لتعجل به﴾ إنّ علينا جمعَه وقرآنه﴾ فاذا قرأناه فاتبعْ قرآنه﴾ ثم إنّ علينا بيانه﴾ كلّا بل تحبُّون العاجلة﴾ وتذرون الآخرة﴾ وجوه يومئذ ناضرة﴾ الى ربها ناظرة﴾ ووجوه يومئذ باسرة﴾ تظنُّ أن يُفعَل بها فاقرة﴾ كلّا إذا بلغتِ التراقي﴾ .

(١٧) قال مكي ص ٤٣ - ٤٤ (الوقف على «كلا» لايحسن؛ لأنك لو وقفت عليها لنفيت ما حكى الله جلّ ذكره من قول الانسان يوم القيامة: أين المفرّ؟ وقد أجاز قوم الوقف عليها، جعلوها ردًا لما طمع به الانسان من إصابته مفرّاً ذلك اليوم، فيكون التقدير: لا موضع يلجأ اليه ذلك اليومَ . ثم ابتدأ: لاوزر، بتكرير المعنى للتأكيد . إذ قد اختلف اللفظان . وهذا قول . والأول أجود، لأن هذا معنىً قد تضمنه قوله تعالى ﴿لا وزرَ﴾ . فالوقف الحسن: لاوزر .

ويحسن الابتداء بـ «كلا» على معنى «ألا» وعلى معنى «حقّا» وكونها بمعنى «حقّا» أمكن وأبلغ في المعنى، لأنها تكون تأكيداً لعدم الملجأ من الله يوم القيامة) .

(١٨) كذا ورد هذا الشطر في المخطوط ولم أتبين صحة رسمه . ومقصود الناظم في هذا البيت أن الابتداء بـ «كلا» في المواضع الثلاثة يكون على المعنيين: معنى «حقّا» ومعنى «ألا» .

(١٩) الموضعان وردا في سورة «النبأ» في سياق الآيات: ١ - ٥ ﴿ عَمّ يتساءلون﴾ عن النّبأ العظيم﴾ الذي هم فيه مختلفون﴾ كلّا سيعلمون﴾ ثمّ كلّا سيعلمون﴾ .

(٢٠) في المخطوط: للبصير . والصواب ما أثبته . وهو نُصير بن يوسف تلميذ الكسائي . له تصنيف في رسم المصحف . توفي في حدود سنة ٢٤٠ هـ . ينظر: غاية النهاية، لابن الجزري ٢ / ٣٤٠، وبغية الوعاة، للسيوطي ٢ / ٣١٦ .

وقال مكي ص ٤٧ - ٤٨ : (الوقف على «كلا» لا يحسن؛ لأنك كنت تنفي ما حكى الله من اختلافهم في النبأ العظيم، وهو القرآن، وذلك لا يُنفى؛ لأنه قد كان . وقد أجاز نصير الوقف عليها، يجعلها نفيا لما تضمنه تأويل الآية من نفي المشركين للبعث . وذلك بعيد، لأنه لفظ لم يتضمنه معنى الآية، إنما تكون «كلا» نفيا لما هو موجود في لفظ النص، وفي الوقف عليها إشكال، لأنه لا يُعلم ما نفت، ألفظ الآية أم ما تضمّنه اللفظ من التأويل، فلا يحسن الوقف عليها في هذا الموضع . وحكي عن نُصير أنه وقف عليها على تأويل أنها ردٌ لتحقيق الاختلاف . قال: تقديره: كلا لا اختلاف فيه . وأنكر أبو حاتم الوقف على «كلا» في هذا) .

(٢١) ورد الموضعان في سورة «عبس» على الشكل الآتي:

الأول: في سياق الآيات ٨ - ١١ ﴿وأمّا مَن جاءك يسعى﴾ وهو يخشى﴾ فأنت عنه تلهّى﴾ كلّا إنها تذكرة﴾ .

والموضع الثاني: في سياق الآيات ١٧ - ٢٣ ﴿ قُتِل الانسانُ ما أكفرَهُ﴾ من أيّ شيء خلقه﴾ من نُطفة خلقهُ فقدره﴾ ثمّ السبيل يسّره﴾ ثمّ أماته فأقبره﴾ ثمّ إذا شاء أنشره﴾ كلّا لما يقضِ ما أمره﴾ .

(٢٢) قال مكي عن الموضع الاول ص ٥٠ - ٥١ (الوقف على «كلا» لايحسن، لأنك كنت تنفي بها ما حكى الله عزّ وجلّ من أمر النبي صلى الله عليه وسلم مع ابن ام مكتوم . وقد أجازه بعضهم، وهو مرويّ عن نافع ونُصير . وقال نُصير: معنى «كلا» هنا ليس هذا هو الحق . وقيل: معنى الوقف على معنى: لاتعرض عن هذا وتقبل على هذا . وهو وجه صالح . وترك الوقف عليها أمكن وأبين) .

(٢٣) ورد الموضع في سورة «الانفطار» في سياق الآيات ٦ - ٩: ﴿ يأيها الانسان ما غرّك بربك الكريم﴾ الذي خلقك فسوّاك فعَدَلك﴾ في أيّ صورة ما شاء ركّبك﴾ كلّا بل تكذبون بالدين﴾ .

(٢٤) قال مكي ص ٥٢ - ٥٣ (الوقف على «كلا» لايحسن؛ لأنك كنت تنفي ما أخبر الله به من أنه يصور الانسان في أيّ صورة شاء، في صورة أبٍ أو أمٍّ أو خالٍ أو عمٍّ أو حمارٍ أو خنزير . وذلك حقٌ لا ينبغي . وقد أجازه نُصير على معنى: لا يؤمن هذا الانسان بذلك . وقيل: معنى الوقف: ليس كما غُررت به . وفيه بُعد للاشكال) .

(٢٥) وردت المواضع الأربعة في «المطففين» على الشكل الآتي:

الأول - الآيات ٤ - ٧ ﴿ ألا يظنُّ أولئك أنهم مبعوثون﴾ ليوم عظيم﴾ يومَ يقوم الناس لربِّ العالمين﴾ كلّا إنّ كتاب الفجار لفي سجين﴾ .

والثاني والثالث والرابع: الآيات ١٠ - ١٨ ﴿ ويل يومئذ للمكذبين﴾ الذين يكذبون بيوم الدين﴾ وما يكذّب به إلا كلُّ معتدٍ أثيم﴾ اذا تُتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين﴾ كلّا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾ كلّا إنّهم عن ربّهم يومئذٍ لمحجوبون﴾ ثمّ إنّهم لصالوا الجحيم﴾ ثمّ يقال هذا الذي كنتم به تكذبون﴾ كلّا إنّ كتاب الأبرار لفي عِلِّيين﴾ .

(٢٦) قال مكي ص ٥٣ - ٥٤ (الوقف على «كلا» لا يحسن؛ لأنك كنت تنفي قيام الناس لربِّ العالمين، وذلك لا يُنفى، بل هو حقٌ لاشكّ فيه . وقد أجاز الطبري

الوقف عليها نفياً لما يظن المشركون من عدم الحشر والبعث . ودلّ على هذا المعنى قوله تعالى ﴿ ألا يظنُّ أولئك أنّهم مبعوثون* ليوم عظيم﴾ والوقف على هذا التقدير بعيد؛ لأنه لا يُدرَى ما نفت ، أإثبات البعث نفت أم نفيه؟ ولأن الذي يَقرب منها أولى بأن تكون نفياً له مما بَعُد منها ، والذي يقرب منها لايجوز نفيه؛ لأنه إثبات للبعث والحشر ، وذلك لا ينبغي ، ففي الوقف عليها إشكال ظاهر ، إذ لا يعلم ما نفت إلا بدليل آخر ، فترك ذلك أحسن وأولى . فاعلم .

وعلل نُصير جواز الوقف عليها بأن قال: معناها: كلا لا يسوغ لكم النقص ، جعلها ردًا لما في أول السورة) .

(٢٧) ورد الموضعان في سورة «الفجر» في سياق الآيات ١٥ - ٢١ : ﴿ فأمّا الانسان إذا ما ابتلاه ربُّه فأكرمه ونعّمه فيقول: ربي أكرمنِ* وأما إذا ما ابتلاه فقَدَر عليه رزقه فيقول ربي أهاننِ* كلّا بل لا تكرمون اليتيم* ولا تَحاضُّون على طعام المسكين* وتأكلون التراث أكلاً لمًّا* وتحبون المال حبًّا جمّا* كلّا إذا دُكّتِ الأرضُ دكًّا دكّا﴾ .

(٢٨) قال مكي ص ٥٩ (الوقف على «كلّا» لا يحسن ، لأنك كنت تنفي ما أخبر الله تعالى به من كثرة حبِّنا المال . وذلك لا يجوز نفيه . وأجاز نُصير الوقف على «كلا» والمعنى عنده: لا يغني عنكم جمع المال وتوفيره) .

(٢٩) عليهما: أي على الوجهين ، وهما اللذان بمعنى «ألا» وبمعنى «حقّا» .

(٣٠) سياق المواضع الثلاثة من خلال سورة «العلق»: (اِقرأ باسم ربك الذي خلقَ* خلق الانسان من علق* اقرأ وربُّك الأكرمُ* الذي علّم بالقلم* علّم الانسانَ ما لم يعلم* كلّا إنّ الانسان ليطغَى* أنْ رآه استغنَى* إنّ الى ربك الرُّجعَى* أرأيت الذي ينهَى* عبداً إذا صلّى* أرأيت إن كان على الهدَى* أو أمر بالتقوى* أرأيت إن كذّب وتولّى* ألم يعلم بأنّ الله يرَى* كلّا لئن لم ينته لنسفعاً بالناصية* ناصيةٍ كاذبةٍ خاطئة* فليدعُ ناديَه* سندعو الزّبانية* كلّا لاتطعه واسجد واقترب﴾ .

(٣١) قال مكي ص ٦٠ (الوقف على «كلا» لا يحسن ، لأنك كنت تنفي ما قد حكى الله من أنه علّمنا ما لم نكن نعلم . ونفي ذلك كفر . ويقوّي ذلك ما قدمناه من أنّ الوحي انقطع عند « ما لم يعلم» وهو تمام الخمس الآيات التي نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم أوّل ما نزلَ عليه . ثم بعد ذلك بمدة نزل عليه ﴿ كلا إنّ الانسان ليطغى﴾ . وقد أجاز بعضهم الوقف على «كلا» على معنى: لا يعلم الانسان أنّ الله علمه . ثم استأنف: إنّ الانسان ليطغَى وفيه بُعد للاشكال الداخل فيه والاحتمال ومخالفة ماروي من التفسير) .

(٣٢) المواضع الثلاثة وردت في سياق آيات سورة التكاثر ١ - ٨: ﴿ ألهاكم التكاثر* حتّى زرتُم المقابرَ* كلّا سوف تعلمون* ثمَّ كلّا سوف تعلمون* كلّا لو تعلمون علمَ اليقين* لتَرَوُنَّ الجحيم* ثمّ لتَرَوُنَّها عينَ اليقين* ثمّ لتسئَلُنَّ يومئذ عن النعيم﴾ .

(٣٣) الآخر: هو الموضع الثالث الذي ورد في قول الله تعالى: ﴿ كلّا لو تعلمون علم اليقين﴾ .

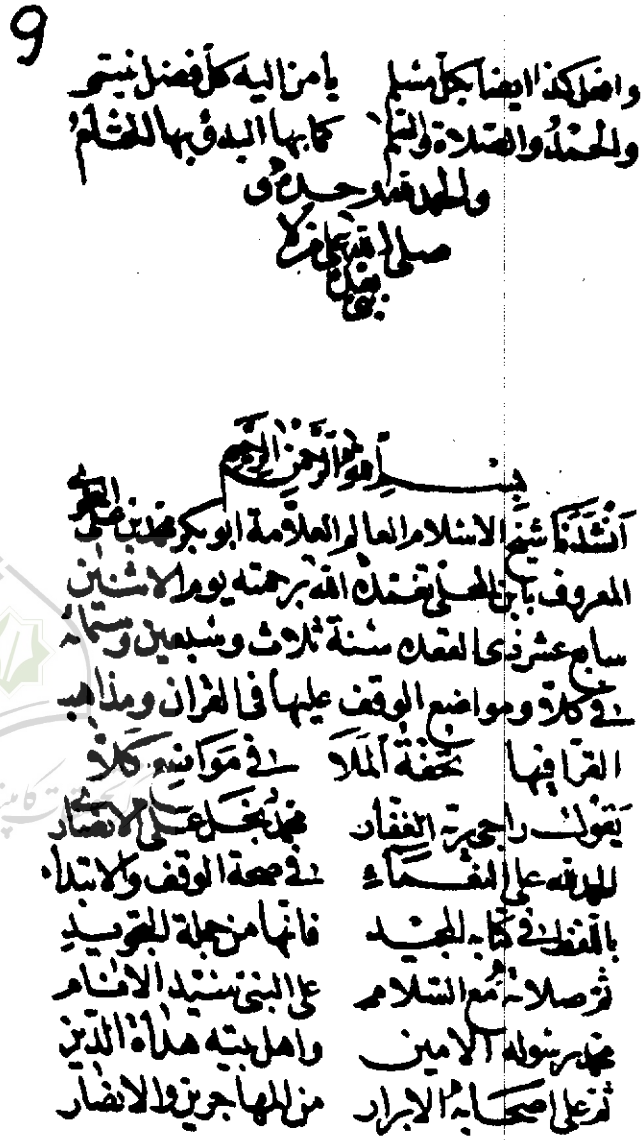
(٣٤) قال مكي ص ٦٤ (وأجاز بعضهم الوقف على «كلا» الثالثة على معنى: لا يؤمنون بهذا الوعيد) .

(٣٥) مرّ إيراد مواضع «كلا» في سورة «النبأ» في الأبيات ٣٣ - ٣٥ والتعليق عليها .

(٣٦) ورد الموضع في سياق الأيات ١ - ٤ من سورة «الهمزة» وهي: ﴿ ويل لكلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ* الذي جمع مالاً وعدّده* يحسَب أنّ ماله أخلَده* كلّا لَيُنبذَنّ في الحُطمة﴾ .

المصادر

- الاتقان في علوم القرآن ، السيوطي ، (ط ٢) مصر ١٩٥١ م .
- الأعلام ، الزركلي ، (ط ٤) بيروت ١٩٧٩ م .
- إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عزّ وجلّ ، أبو بكر بن الأنباري ، تحقيق محيي الدين رمضان ، دمشق ١٩٧١ م .
- البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة١٩٥٨ م .
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، السيوطي ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٩٦٥ م .
- تاج العروس من جواهر القاموس ، الزبيدي ، مصر ١٣٠٦ هـ .
- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ، ابن مالك الأندلسي ، تحقيق محمد كامل بركات ، القاهرة ١٩٦٨ م .
- تهذيب اللغة ، الأزهري (ج ١٠) تحقيق علي حسن هلالي ، القاهرة ١٩٦٧ م .
- الجنى الداني في حروف المعاني ، المرادي ، تحقيق طه محسن ، الموصل ١٩٧٦ م .
- جواهر الأدب في معرفة كلام العرب ، علاء الدين الاربلي ، ط الثانية ، النجف ١٩٧٠ م .
- رصف المباني في شرح حروف المعاني ، المالقي ، تحقيق أحمد محمد الخراط ، دمشق ١٩٧٥ م .
- شرح كلا وبلى ونعم والوقف على كل واحدة منهن في كتاب الله عزّ وجلّ ، مكي إبن أبي طالب ، تحقيق حسن فرحات ، دمشق ١٩٧٨ .
- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ، أحمد بن فارس ، تحقيق مصطفى الشويمي ، بيروت ١٩٦٣ م .
- صرف العناية في كشف الكفاية ، البيتوشي ، مصر ١٣٤١ هـ .
- القاموس المحيط ، الفيروز أبادي ، الطبعة الثانية ، مصر ١٣٤٤ .
- القطع والائتناف ، أبو جعفر النحاس ، تحقيق الدكتور أحمد خطاب العمر ، بغداد ١٩٧٨ م .
- الكتاب ، سيبويه ، تحقيق عبد السلام محمد هارون (ج ٤) القاهرة ١٩٧٥ م .
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، الحاج خليفة (ط ٢) ١٩٦٧ م .
- لسان العرب ، ابن منظور ، بيروت ١٩٥٥ م .
- مخطوطات عربية في مكتبة صوفيا البلغارية ، الدكتور يوسف عزّ الدين ، بغداد ١٩٦٨ م .
- معجم الأدباء ، ياقوت ، حققه: مرجليوث ، مصر ١٩٢٨ م .
- معجم المؤلفين ، عمر رضا كحالة ، دمشق ١٩٥٧ م .
- معاني الحروف ، الرماني ، تحقيق الدكتور عبد الفتاح اسماعيل شلبي ، القاهرة ، ١٩٧٣ م .
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ابن هشام الأنصاري ، تحقيق الدكتور مازن المبارك ومحمد علي حمد الله ، دمشق ١٩٦٤ م .
- المفصل في النحو ، الزمخشري ، كريستيانيا ١٨٤٠ م .
- مقالة كلا وما جاء منها في كتاب الله ، أحمد بن فارس ، تحقيق عبد العزيز الميمني (ضمن ثلاث رسائل) ، القاهرة ١٣٨٧ هـ .
- الوافي بالوفيات ، الصفدي ، حققه س . ديدرينغ ، (ج ٤)دمشق ١٩٥٩ م .



9

واهل كذا ايضا بكل مسلم — يا من اليه كل فضل ينتمي

والحمد والصلاة والسلام — كما بها البدء بها الختام

والحمد لله وحده و

صلى الله على من لا

نبي بعده

بسم الله الرحمن الرحيم

انشدنا شيخ الاسلام العالم العلامة ابو بكر محمد بن علي العجمي

المعروف بابن الجزري تغمده الله برحمته يوم الاثنين

سابع عشر ذي القعدة سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة

في كلا ومواضع الوقف عليها في القران ومذاهب

القراء فيها تحفة الملا في مواضع كلا

يقول راجي رحمة الغفار — محمد [illegible] الانصار

الحمد لله على النعماء — في صحة الوقف والابتداء

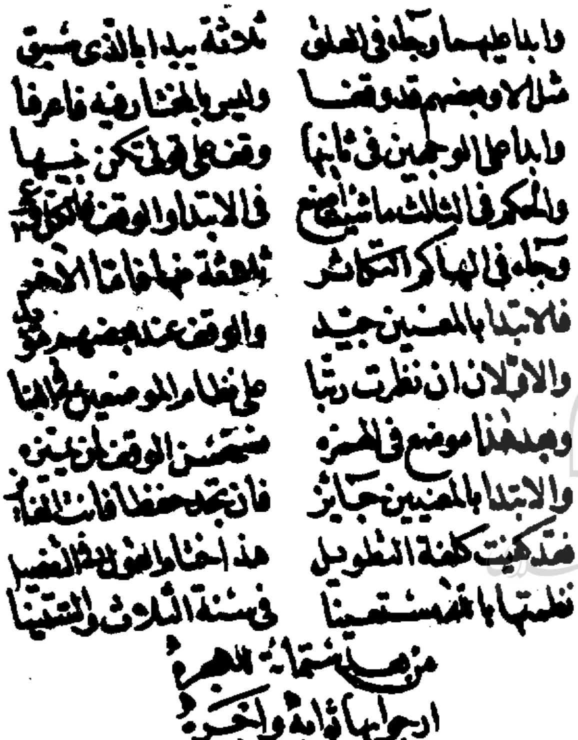
بالفضل في كتابه المجيد — فانها من جملة التجويد

ثم صلاته مع السلام — على النبي سيد الانام

محمد رسوله الامين — واهل بيته هداة الدين

ثم على اصحابه الابرار — من المهاجرين والانصار

الصفحة الأولى من المنظومة



وابدا بهما وجاء في العلق — ثلاثة يبدا بالذي سبق

مثل الاولى وبعضهم قد وقفا — وليس بالمختار فيه فاعرفا

وابدا على الوجهين في ثانيها — وقف على اولى تكن نبيها

والحكم في الثالث ما شرحت — في الابتدا والوقف [illegible]

وجاء في الهاكم التكاثر — ثلاثة فيها فاما الاخر

فالابتدا بالمعنيين جيد — والوقف عند بعضهم [illegible]

والاولان ان نظرت رتبا — على نظام [illegible]

وبعدها موضع في الهمزة — مستحسن الوقف [illegible]

والابتدا بالمعنيين جائز — فان تجد حفظا فانت الفائز

قد كملت كلمة التطويل — هذا اختيار [illegible]

نظمتها بالله مستعينا — في سنة الثلاث والستينا

من بعد سبعمائة للهجرة

ارجو بها ثوابه والاجرة

الصفحة الأخيرة من المنظومة

ورقة بن نوفل
حياته وشعره ...

أيهم عباس حمودي القيسي

كلية الآداب ـ جامعة بغداد

خلق الله تعالى الانسان، وأسبغ عليه أفضالاً كثيرة، ومنّ عليه بنعم وفيرة، ووهبه عقلاً راجحاً وذهناً متوقداً ليدرك الخير ويتجنب الشر . غير ان العقل البشري وحده لايكفي للتمييز بين السبيلين، ولايقوى بمفرده على ادراك الامور العظيمة التي يعجز الانسان عن ادراكها الا عن طريق الوحي، ولولاه لما استطاع العقل البشري الوصول اليها . فاقتضت حكمة الله تعالى أن يبعث الانبياء الكرام، ليرسموا للبشر طريق الحق والهداية .

وكانت السماء دائماً وعلى فترات قد تطول وقد تقصر تمدّ يدها الى البشرية من خلال نبوة نبي او رسالة رسول لتصحح خط سير البشرية بعد انحرافه عن مسلك التوحيد، الذي كان يشكل سمة واضحة في دعوات الانبياء وركناً اساسياً من الاركان التي قامت عليها الرسالات، فكانت معظم جهود الانبياء والمرسلين تنصب في تأكيد عقيدة التوحيد، وترسيخ وحدانية الله تعالى واثبات قدرته، وكانت نداءات التحذير من عواقب الشرك والضلالة تشكل جانباً مهماً من دعوات الانبياء .

وكانت الأرض العربية بأجزائها المترامية، واطرافها المتباعدة مهداً كريماً تشرف باستقبال الرسل واحتضانهم، وكانت ربوعها الطاهرة مرتعاً رحباً لنشر قيم السماء في الارض، فهي ارض النبوات ومهد الرسالات، وبين جنباتها الكريمة، ومرابعها الطاهرة صدحت اصوات التوحيد داعية بالخير والسلام للبشرية جمعاء. فشهدت أرض بابل ونينوى في العراق، والاحقاف في بلاد اليمن مثل ماشهدت الحجر، وبانياس وبيت المقدس ومصر انطلاقة رسل الله الى البشرية .

فكان التوحيد جذراً يمتد في اعماق انسان هذه الارض، ويضرب بعيداً في اغواره ويمثل سمة بارزة من سمات التكوين الفكري والعقلي للانسان العربي .

ان دراسة الحالة التي وصل اليها المجتمع العربي قبل الاسلام تؤكد جملة من الحقائق التي تشير في مجملها الى ان العرب كانوا على أبواب مرحلة ممهدة لتقبل الحدث العظيم، واستقبال بشائر الرسالة المحمدية .

وكان الموحدون يشكلون قاعدة الانطلاق التي اخذت على عاتقها مسؤولية الاستعداد الفكري لهذا الحدث . ويحدثنا ابن هشام (٢١٨) هـ عن طائفة من هؤلاء الموحدين، الذين كانوا ينتشرون في مكة وانحاء أخرى من الجزيرة[١] والذين انطبعت فكرة عبادة الاله الواحد في تفكيرهم، وهم يتدبرون ماخلق الله فكانوا يسخرون من الاصنام وعبادتها، ويترفعون عن تقديسها وينتهجون طريق التوحيد .

ويبقى الشعر من بين معظم الوثائق أكثر قدرة في تكوين فكرة واضحة لحقيقة الاتجاه التوحيدي الذي ساد الحياة العربية قبل الاسلام، لارتباط الشعر بالاحاسيس الانسانية المشحونة بفكر الشاعر وخلجاته .

فامية بن أبي الصلت يؤمن بالحنيفية ديناً، وان كل دين سواها باطل[2] وأن آيات الله واضحة لايجادل فيها الا الكفور . فهو الذي خلق الليل والنهار، وهو الذي يجلو الظلام[3] وعبيد بن الأبرص يدرك، ويؤمن بأن الله ليس له شريك، وأن من يسأل الناس يحرموه، وسائل الله لايخيب، وكل شيء ذي غيبة يؤوب، وغائب الموت لايؤوب[4] . ويذكر النابغة وقاية الله وحفظه[5]، ويسأله البقاء[6]، ويستجير به[7] .

ويمثل زهير نموذجاً آخر في تبنّيه الطابع التوحيدي في شعره بشكل بارز وواضح . ويبدو ان مبعث ذلك يمكن في طبيعة زهير نفسه وماروي عنه من خلق قويم، فهو يؤمن بالموت قدراً يتربص بالانسان وان كرهته النفس[8]، ويؤمن بان الله حق، ويدرك ان الخلود ليس من نصيب الانسان وانما هو للّه وحده[9] .

أما لبيد بن ربيعة العامري فانه يرسم خطاً عريضاً للاتجاه التوحيدي في شعره لسلامة معتقده، وايمانه باللّه ايماناً لاحدود له، فالامور جميعاً مردها الى اللّه وكل شيء عداه باطل[10] . وهو يحمد الله كثيراً، لأنه الماجد والمحمود، له الفواضل والنوافل[11] ويحث على ضرورة قناعة الانسان بما اختاره المليك له[12]، الى جانب اعتقاده بان مرجع الامور جميعاً الى الله سبحانه وتعالى . فالناس اليه راجعون ، وكل شيء قد احصي في كتاب[13] .

وتروي لنا كتب التاريخ الكثير من الروايات والاخبار التي تتحدث عن اولئك الموحدين، الذين هدتهم بصيرتهم، واستطاعوا بعقلهم الراجح أن يدركوا ماكان يتخبط فيه الناس من متاهات الشرك والضلالة فالتمسوا دين ابراهيم (ع) . ومن هؤلاء عثمان بن الحويرث بن أسد، الذي تنصر ومات على النصرانية، وورقة بن نوفل الذي تنصر ايضا واستحكم في النصرانية وقرأ كتبها، وزيد بن عمرو بن نفيل الذي اعتزل الاوثان والميتة والدم وحرم على نفسه أن يذبح للاصنام ونهى عن الموؤدة، وعبيد الله ابن جحش الذي أسلم وهاجر الى الحبشة[14] .

وورقة بن نوفل الذي خلف قريشاً وسائر العرب في معتقدهم، عرف بايمانه الصحيح خطأ قومه حينما انحرفوا عن دين ابراهيم الخليل (ع) واجتهد باحثاً في كتب أهل العلم كتب الله المنزلة عن الحقيقة التي أدركها بعقيدته النقية وسريرته الطاهرة فأداه سؤاله وبحثه الى أن يتبع الدين الذي أوجبه الله في ذلك الزمان دين النصرانية، وظل يتطلع بفارغ الصبر والشوق الى النبي الذي بشر به موسى وعيسى عليهما السلام .

وتضن علينا المصادر والمظان التي بين ايدينا بالاخبار والروايات التي يمكن ان تساعدنا في تلمس الابعاد الكاملة لشخصية ورقة، وتلقي اضواء على نشأته ونبوغه . اذ ان معظم هذه الروايات لاتقدم لنا سوى لمحات يسيرة وأخبار مقتضبة عنه . وهي تكاد تكون حالة عامة في ادبنا يشترك فيها ورقة مع كثيرين غيره من الشعراء المقلين والمغمورين، ممن طواهم النسيان، ولف ذكرهم غابر الازمان .

فهو ورقة بن نوفل بن أسد بن عبدالعزى بن قصي[15]، وهو ابن عم خديجة زوج النبي (ص) لحّاً[16] . وأمه هند بنت أبي كبير بن عبد بن قصي[17]، وتحدثنا الأخبار ايضاً عن أخ لورقة يدعى صفوان[18]، واخت اسمها رقية بنت نوفل وتكنى (أم قتال)[19] والتي أبدت رغبتها ـ كما تؤكد ذلك الروايات التاريخية في الزواج مَن عبدالله بن عبدالمطلب، والد الرسول (ص) لاعجابها به، وافتتانها بشخصيته[20] .

ويبدو أن أم قتال هذه كانت تلازم اخاها ورقة في مجالسه وحالات انقطاعه بدليل سماعها منه توقعه نبوة الرسول (ص)[21] . وتشير الأخبار أيضاً الى أن ورقة لم يترك بعده عقباً .

وورقة سليل عائلة معروفة بمجدها المؤثل، ومكانتها الرفيعة، فهو يجتمع مع النبي (ص) في جدّه الاعلى[22] . وهو الذي بارك لخديجة زواجها من الرسول (ص) عندما جاءته تسأله الرأي في ذلك قائلاً لها : (هو الفحَل لايقُدع أنفه تزوجيه)[23] .

وتكاد تكون هذه أبرز الملامح التي أمكننا تكوينها من بين الأخبار التي بين ايدينا، وهي قليلة جداً لاتعيننا على تكوين فكرة واضحة لنشأته وتكوينه، سوى بعض الروايات التي تتعرض للمراحل الاخيرة من حياته بعد أن اصبح شيخاً كبيراً، فاقداً نعمة الابصار، وهي تؤكد ابتعاده عن عبادة الاصنام واعتناقه للنصرانية، وقراءته للكتب، وتضلعه في العبرانية، (اذ كان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الانجيل بالعبرانية ماشاء أن يكتب)[24] .

وكانت تربطه مع الطائفة التي عرفت باعتناقها الحنيفية صلات وشيجة مثل مندامته لزيد بن عمرو بن نفيل[٢٥]، وابداؤه له مشاعر الترقب والشوق والحنين لظهور دين جديد[٢٦]، وقصته في تفسير رؤيا الرسول (ص) لخديجة هي من أبرز المرويات عنه . اذ انه أخبرها حينما سألته عن تلك الرؤيا قائلاً : (والذي نفسُ ورقة بيده، لئن كنتِ صَدّقتني ياخديجة، لقد جاءه الناموس الأكبرُ، الذي كان يأتي موسى، وأنه لنبيُّ هذه الأمة، فقولي له : فليثبُتْ)[٢٧] . وفي هذا دلالة واضحة على مدى الايمان الذي كان يغمر قلب ورقة، ويملأ احاسيسه بهذا الشعور الصادق والتطلع الواثق لنبوة الرسول (ص)، ولدرجة أنه تمنى أن يمتد به العمر ليساعد الرسول (ص) ويؤازره في جهاده وصبره، بقوله : (ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لانصرنَّ الله نصراً يعلمه)[٢٨] .

وقد قدر لورقة ان يدرك ذلك اليوم، بعد أن هرم وشاخ وكلَّ بصره، لكثرة تبحره وتضلعه في ديانته النصرانية التي وجد فيها تعبيراً عن الحقيقة التي كانت تشغل نفسه وتأسر لبّه . غير ان من المثير حقاً في حياة ورقة واخباره انه لم ترد أية اشارة عن اسلامه اوحتى مجرد لقائه بالرسول (ص) سوى ماورد في قوله :

فَقَالَ حين أتانا منطقاً عَجَباً
يَقِفُ منه أعالي الجلد والشعر

وهو أمر لانستطيع أن نجزم من خلاله بحقيقة لقاء ورقة بالرسول (ص) . غير ان ذلك لم يمنع ورقة من تصديق الرسول واقرار بعثه، وصراحته في دعوة المشركين الى اتباع طريق الحق والهداية، والايمان بتصديق النبيّ الذي بشّر به موسى وعيسى عليهما السلام .

وتبقى مسألة عدم اسلامه مثيرة للتساؤل والنقاش، اذ ان ما أظهره من مشاعر الترقب والشوق للأسلام، تتضاءل وتقل اهميتها حين نعلم أنه هو الذي بشّر خديجة بنبوة الرسول وأن حياته امتدت الى مابعد مبعث الرسول (ص) . الا اننا لانعدم ان نلتمس تعليلاً لذلك . فالرجل كما تذكر جميع المصادر كان نصرانياً وانه افنى عمره في تدبّر مبادئها واحكامها، وقراءة كل مايتعلق بها، كما انه ادرك الاسلام وهو شيخ كبير، فماذا ننتظر من شيخ قضى عمره متفقهاً في عقيدة لاتختلف من حيث الجوهر مع ماجاء به الاسلام . وهي فيما يبدو واسباب منطقية كانت تمنعه من ولوج الاسلام .

ان مايمكن قوله في عقيدة ورقة، انه ممن وحّدَ الله وابتعد عن عبادة الاوثان، وحرّم على نفسه مثل غيره من الموحدين الخمر والسكر، وعرف برجاحة العقل، وأجتهد في طلب التوحيد دين ابراهيم ليعرف أحب الوجوه الى الله تعالى في العبادة، ولم يكتف بما هداه اليه عقله، بل سأل اهل الذكر واتبع الدين الذي أوجبه الله تعالى في ذلك الزمان وهو النصرانية، واستمر على نصرانيته حتى سطع نور الاسلام على ربى الجزيرة وفلواتها، بعد أن هرم، وصار شيخاً كبيراً، فبقي على نصرانيته ولم يسلم[٢٩] . ولكن مشاعره وعواطفه كانت مع المسلمين يتوجع لمصائبهم، ويتألم لواجعهم، على نحو تأثره لما أصاب بلال وترحمه عليه حينما كان يعذب برمضاء مكة[٣٠] .

ولعل هذه الحقيقة تسقط الروايات التي رأت ان وفاته كانت قبيل مبعث الرسول (ص)[٣١]، والراجح أنه امتد به العمر الى السنوات الاولى من عمر الرسالة[٣٢] ويؤكد ذلك ماورواه البخاري في صحيحه قوله : (ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي)[٣٣]، ونصّ عليه لويس شيخو في ذهابه الى ان وفاته كانت في (٥٩٢)م دون ان يحدد الأدلة والبراهين التي دفعته الى هذا التحديد الدقيق[٣٤] .

وكانت لورقة مكانة طيبة، في نفس الرسول (ص) تؤيد ذلك الاحاديث المروية عنه (ص) في هذا الشأن، ويؤكده تخصيص أبي الحسن برهان الدين ابراهيم البقاعي الشافعي (٨٨٥) هـ تأليف وضعه في ايمان ورقة ـ كما يذكر ذلك البغدادي في خزانته ـ سماه (بذل النصح والشفقة، للتعريف بصحبة السيد ورقة)[٣٥] . غير ان هذا الكتاب لم يصل الينا، ولم نوفق في العثور على اية اشارة تؤكد وجوده، سوى ماذكره البغدادي عنه، ونقله الزركلي عنه، في اعلامه،[٣٦] وفؤاد سزكين في تاريخ التراث العربي[٣٧] .

ولم يكن ورقة بن نوفل بأوفر حظاً من سابقيه في ضياع مجموعة غير قليلة من اخباره وأشعاره . وقد اشار مؤرخو الادب من قبل الى مقدار الخسارة التي اصابت الأدب العربي من جراء هذا الامر، وقد روي عن أبي عمرو بن العلاء انه قال : (ماانتهى اليكم، مما قالته العرب الا أقله، ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير)[٣٨] . وربما لم يكن هذا هو السبب الوحيد الذي يمكن التماسه في تعليل قلة ماوصل الينا من شعر ورقة، انما من المرجح

أن يكون اتجاه ورقة في حياته، وماعرف عنه من اهتمام بأمور العلم وانشغاله بأسرار الكون، وعدم بروزه شاعراً الا في غرض واحد يخدم الاتجاه الذي انقطع لاجله وهو التوحيد، هو السبب المقبول علمياً في تحديد قلة نتاجه الشعري ، يدعم ذلك ان معظم المصادر التي بين أيدينا لم تذكر أية اشارة بشأن شاعريته ووجود ديوان مستقل له، سوى الاشارة التي أوردها البغدادي عن صحبته، لكنه لم يشر الى احتواء هذا الكتاب على شعر لورقة ويشكل شعر ورقة الديني مادة غنية اعتمدها المؤرخون وكتاب السيرة، واستعانوا بها في توضيح حقيقة الديانة التوحيدية وتحديد الاتجاهات التي اتخذتها في هذا العصر .

وقد كان لاصحاب هذه المظان فضل المحافظة على مابقي من شعر ورقة واخباره، اذ اعتمدوا شعره في تأكيد الكثير من الاحداث والوقائع التاريخية، واستعانوا بها في رسم صورة التيار التوحيدي في العصر السابق للاسلام .

وتجابه الباحث في شعر ورقة ظاهرة اختلاط شعره، بشعر غيره من الشعراء لاسيما شعراء التوحيد والحنيفية، مثل زيد بن عمرو بن نفيل، وأمية بن أبي الصلت الذين يجمعهم الايمان بوحدانية الله، ويربطهم احساس صادق بعظيم قدرته . ويشكل التوحيد الاتجاه المهم في شعر ورقة، والذي عبر من خلاله عن نفس مؤمنة، وعقيدة صادقة . فقد آلمه ماوصل اليه حال الناس من الضلالة، والكفر وماانساقوا اليه في شركهم، ولذلك فهو حريص على تحذيرهم من عبادة اله غير الله، ويقسم لهم ببديع آياته، وعظيم دلائله، بان الله باق وكل ماعداه فانٍ، فهرمز لم تغن عنه خزائنه وعاد التي عتت وتجبرت لم يكتب لها الخلد .

وقد تمنى ورقة أن يشهد مبعث النبي، وان يسهم في الذب عنه، والانتصار له ويؤكد هذا الاتجاه في شعر ورقة رثاؤه لزيد بن عمرو بن نفيل، الذي كانت تجمعه واياه أواصر العقيدة ومبادؤها . فقد رثاه بعد أن قتل في بلاد لخم، بابيات عبّر فيها عن سروره وارتياحه لوفاة زيد دفاعاً عن حنيفيته، ورفضه عبادة الاوثان، مذكراً بأن ماعند الله من الجزاء أعظم، وأنه سيظله برحمته ويسبغ عليه من نعمائه .

وورقة الذي هداه عقله وايمانه الصادق لادراك طريق الهداية والخير جسد تلك الاحاسيس النقية في شعره، وازدانت بها معانيه . فشكلت دلائل التوحيد، ومبادؤه . فيضاً زاخراً طفح بها شعره وتلونت بها حروف قوافيه، والتي أمدته بمعين لاينضب من المعاني والالفاظ . فحقيقة الاقرار بوحدانية الله تعالى، والاعتراف بقدرته ترددت في ثنايا شعره، لانه يدرك وحدانية الخالق ويعرف ان الله فرد واحد صمد، وهو الباقي وماعداه زائل وفانٍ[39] . وورقة لايدين لرب سواه، لانه رب الناس جميعاً[40]، ولذلك فانه يحذر من ضلَّ عن طريق الحق، ويدعوه الى الهداية[41] . وهو لايستعين الا بالله الذي يستمد منه القوة في السراء والضراء[42] . ويؤكد قدرة الله في تسخير كل شيء بامره، فالرياح تجري بأمره، واقضاؤه في خلقه لاتتبدل[43] .

وورقة في تعبيره عن هذه المعاني التوحيدية يستخدم كل المرويات والقصص المعروفة في عصره ويسخرها لخدمة الفكرة الاساسية في ذهنه، وهي الاقرار بوحدانية الله، والاقرار بعظيم فضله ومن التراكيب التي استخدمها في شعره (ذي العرش، مَنْ سمك البروج، رب البرية، وتوحيد ربك، وتركك اوثان الطواغي، وسوف يبعث) ويذكر في شعره العديد من الانبياء لتأكيد الحقيقة الازلية في توحيد الله، فيستشهد بـ (ابراهيم، وهود، وصالح، وموسى) .

ويكاد الاتجاه الديني يشكل النسبة الكبيرة من بين ماوصل الينا من شعر ورقة، ويغلب عليه طابع النظم التقريري، والذي لايلتقي مع الشعر الامن خلال اوزانه وقوافيه فهو تقرير لحقائق توحيدية ادركها بعقيدته، وعرفها من خلال ملازمته للكتب السماوية، واستطاع أن يبلورها بشكل واضح في شعره، وهي دون ريب نماذج أجمع الرواة الثقات، والعلماء النقدة على صحة نسبتها اليه، ودقة نقلها عنه، كما ان هذه النماذج ليس فيها مايثير الشك أو التساؤل لانها نماذج تمتاز بالبساطة والسهولة والتي تقترب في بعض الاحيان من النثر ومعانيها واضحة لاغرابة فيها، لأنها مستمدة من أصول عقيدته ومبادئها .

وقد استخدم ورقة في شعره اوزان (الطويل، والبسيط، والكامل والوافر) وهي اوزان تتميز بمقاطعها الكثيرة .

ان محاولة جمع شعر ورقة، ولَم شتات ماتناثر من أخباره، والوقوف عند معالم حياته في دراسة مستقلة ترسم لنا صورة الواقع المشرق الذي انبلجت عليه النفس العربية قبل البدء بتباشير الرسالة السمحاء، كما انها تجسد لنا الحالة المتألقة التي جسدتها طائفة الموحدين ازاء ماراح فيه الناس من ضلال وكفر، وثباتها تجاه ماانزلق فيه الناس. انها تعزز صورة الايمان الذي غمر القلوب وملأ النفوس ففاضت بهذا الاندفاع، والتمسك بالعقيدة. وهي محاولة دون ريب تفتح أمامنا مجالاً للاطلاع على مكامن الشعور النقي الذي اختلج في ضمير الانسان العربي قبل الاسلام.

فالمجتمع العربي قبل الاسلام كان على ابواب مرحلة ممهدة لاستقبال وهج النور الاسلامي، وتباشير الرسالة التي حملت الى البشرية روح التسامح والعدل والمساواة. فاختيار العرب لحمل الرسالة جاء منسجماً مع مايحملونه من مبادىء التوحيد، وماوصلوا اليه من استعداد لهذا الحدث العظيم، والله الموفق وبه نستعين.

هوامش المقدمة

(١) السيرة النبوية ١/٢٢٢ ـ ٢٢٣

(٢) أمية بن أبي الصلت (حياته وشعره) /٣٣٩

(٣) المصدر نفسه /٣٣٧ ـ ٣٣٨

(٤) ديوان عبيد بن الابرص (تحقيق د. حسين نصار) ـ ١٣، ١٥

(٥) ديوان النابغة الذبياني /٩٢

(٦) المصدر نفسه/ ١٣١

(٧) المصدر نفسه / ١٩٠

(٨) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى (طبعة دار الكتب) /٢٣٦

(٩) المصدر نفسه /٢٨٨

(١٠) شرح ديوان لبيد بن ربيعة (تحقيق احسان عباس) /٢٥٦

(١١) المصدر نفسه /٣٤

(١٢) المصدر نفسه /٢٥٩

(١٣) المصدر نفسه / ٤١

(١٤) المحبر/١٧١، المنمق /١٧٥ ـ ١٧٦، البدء والتاريخ ٥/١٢٢

(١٥) السيرة النبوية ١/٢٣٨، جهرة نسب قريش ١/٤١١، تاريخ الطبري ٢/٢٩٩، مروج الذهب ١/٨٧، الاغاني ٣/١١٣ خزانة الادب ٣/٣٩١ .

(١٦) السيرة النبوية ١/٢٣٨، صحيح البخاري ١/ ٣٧، جمهرة نسب قريش ١/٤١١ مروج الذهب ١/٨٧ ـ ٨٨، عيون الاثر ١/١٠٧، الخزانة ٣/٣٩١

(١٧) السيرة النبوية ١/١٩١، جمهرة نسب قريش ١/٤٠٨، الاغاني ٣/١١٣ الروض الأنف ١/١٢٤

(١٨) جمهرة نسب قريش ١/٤٠٨

(١٩) السيرة النبوية ١/١٥٦، تاريخ الطبري ٢/٢٤٣، الكامل في التاريخ ٢/٧ ـ ٨

(٢٠) تاريخ الطبري ٢/٧ ـ ٨ ، ٢٤٣

(٢١) السيرة النبوية ١/١٥٧، الكامل في التاريخ ٢/٨

(٢٢) الخزانة ٣/٣٩١، بلوغ الأرب ٢/٢٦٩

(٢٣) العقد الفريد ٦/٨٩

(٢٤) السيرة النبوية ١/٢٣٨، مروج الذهب ١/٨٧، الاغاني ٣/١١٣ البداية والنهاية ٣/٣

(٢٥) المحبر /١٧٥

(٢٦) الخزانة ٣/٣٩٤

(٢٧) السيرة النبوية ١/٢٣٨، صحيح البخاري ١/٣٧

(٢٨) السيرة النبوية ١/٢٣٨، تاريخ الطبري ٢/٢٩٩، مروج الذهب ١/٨٧

(٢٩) الاصابة ١٠/٣٠٤

(٣٠) السيرة النبوية ١/٣١٨، صحيح البخاري ١/٣٧، الاغاني ٣/١١٥، الاصابة ١/٣٠٥

(٣١) البدء والتاريخ ٤/١٤٣، الخزانة ٣/٣٩٢، بلوغ الأرب ٢/٢٧١

(٣٢) مروج الذهب ١/٨٨

(٣٣) صحيح البخاري ١/٣٧

(٣٤) شعراء النصرانية ١/٦١٦

(٣٥) الخزانة ٣/٣٩١

(٣٦) الاعلام ٨/١١٥

(٣٧) تاريخ التراث العربي الاسلامي الى حوالي سنة ٤٣٠هـ ٢/٢٨١ ـ ٢٨٢

(٣٨) طبقات فحول الشعراء /٢٣

(٣٩) تنظر الابيات في القطعة (٦)

(٤٠) تنظر الابيات في القطعة (١٣)

(٤١) تنظر الابيات في القطعة (٤)

(٤٢) تنظر الابيات في القطعة (٦)

(٤٣) تنظر الابيات في القطعة (٩)

شعره

(١) (من الكامل)

وقال ورقة بن نوفل :

١ - رَحَلَتْ قُتيلةُ عيرَها قبلَ الضُّحى ... وإخالُ أنْ شَحَطتْ بجارتِكَ النَّوى(١)
٢ - أو كلَّما رَحَلَتْ قُتَيلةُ غُدْوةً ... وغَدتْ مفارقةً لأرضهمُ بَكى
٣ - ولقدْ كَبْتُ على السَّفينِ مُلَجِّجاً ... أَذَرُ الصديقَ وأنتحي دار العِدَى(٢)
٤ - ولقد دخلتُ البيتَ يُخشَى أَهلُهُ ... بَعْدَ الهُدُوّ وبعدما سقطَ النَّدى(٣)
٥ - فوجدتُ فيه طَفْلةً قد زيِّنتْ ... بالحلْيِ تحسَبُهُ بها جَمْرَ الغَضَا(٤)
٦ - فنعمتُ بالاً إذْ أتيتُ فراشها ... وسَقطتْ منها حينَ جئتُ على هوَى
٧ - فبتلك لذّاتِ الشَّبابِ قضيْتُها ... عَنِّي فسائلْ بعضهمْ ماذا قَضى
٨ - قَدْحَ الذُّبابِ فليسَ يُوري قَدْحُهُ ... لاحاجةً قَضى ولامالاً نَمَا(٥)
٩ - فارفَعْ ضعيفَكَ لايَحُلْ بكَ ضَعفهُ ... يوماً فتُدركَه العواقبُ قدنَمَا
١٠ - يَجزيكَ أو يُثني عليكَ وإنَّ مَنْ ... أثنى عليكَ بما فعلتَ كَمَنْ جَزى
١١ - إنّ الكريمَ إذا أرادَ وِصالَنا ... لَمْ يُلفِ حبْليَ واهياً رثَّ القُوى(٦)
١٢ - أرْعى أمانتَهُ وأحفَظُ غيبَةُ ... جَهْدي فيأتي بَعدَ ذلكَ ماأتى

(١)
١ - العير : القافلة من الابل، شحطت : نأت وبعدت، النوى : الفراق

[٢] (من البسيط)

وقال ورقة بن نوفل في حق الرسول (ص) :

١ - يَعْفُو ويَصْفَحُ لايَجْزي بسيِّئةٍ ... ويَكْظمُ الغيظَ عند الشَّتمِ والغَضَبِ(١)

١ - يكظم الغيظ : يحبسه ويمسكه على مافي نفسه منه

٢ - ملججا : يريد معظم الماء
٣ - سقوط الندى : يكون في اقصى الليل
٤ - الطفلة : الرخصة الناعمة، الغضا : شجر من نبات الرمل، وهو أحسن الحطب ناراً وأزهره .
٥ - قدح الذباب : أصله من ضرب الزناد ليوري النار ، فيقول انه لم يقض من أوطاره الا مايقضي الذباب بقدحه ، لايوري ناراً ، ولايخرج شيئاً
٦ - لم يلفِ : لم يجد، رثّ : أخلق

[٣] (من الوافر)

وقال، وهو يستبطىء أمر تبشير الرسول :

١ ـ لَجِجْتُ وكنتُ في الذكرى لجوجا ... لهمّ طالما بَعَثَ النشيجا[١]

٢ ـ وَوَصْفٍ من خديجةَ بَعْدَ وَفْقٍ ... فقد طال انتظاري ياخديجا

٣ ـ ببَطْنِ المكّتين على رجائي ... حديثَكِ أن أرى منْهُ خُروجَا[٢]

٤ ـ بما خَبَّرْتِنا من قولِ قَسٍّ ... من الرّهبانِ أكْرَهُ أن يَعُوجَا

٥ ـ بأنّ محمداً سيسودُ فينا ... وَيَخْصِمُ مَنْ يكُونُ له حَجيجا

٦ ـ وَيظهُر في البلاد ضياءُ نورٍ ... يُقيمُ به البريّةَ أنْ تَمُوجَا[٣]

٧ ـ فَيَلْقَى مَنْ يُحاربُه خساراً ... وَيلقَى مَنْ يُسالمُهُ فُلوجَا[٤]

٨ ـ فياليْتي اذا ماكان ذاكمْ ... شَهدتُ فكنتُ أوّلَهم وُلُوجا

٩ ـ وُلُوجاً في الذي كَرِهَتْ قريشُ ... وَلَوْ عجّتْ بمكّتها عَجيجا[٥]

١٠ ـ ارجّي بالذي كَرِهوا جميعاً ... الى ذي العرشِ إن سَفلوا عُروُجا[٦]

١١ ـ وهل أمْرُ السَّفالةِ غيرُ كُفرٍ ... بمَنْ يَختار مَنْ سَمكَ البُروجَا

١٢ ـ فانْ يَبْقوْا وأبْقَ تَكُنْ امورٌ ... يَضجُّ الكافرونَ لها ضَجيجا

١٣ ـ وإنْ أهْلك فكلُّ فتىً سَيلقى ... مِنَ الأقدار مِتْلَفَةً حَرُوجَا[٧]

١ ـ النشيج : البكاء مع الصوت

٢ ـ ثنى مكة وهي واحدة لان لها بطاحاً وظواهر، وكانت قريش قبيل الاسلام فريقين . احدهما قريش الظواهر وهم الذين ينزلون ظواهر مكة، والاخرون المقيمون ببطحاء مكة مجاورين البيت كان يقال لهم قريش البطاح، ومقصد العرب في هذا الاشارة الى جانبي كل بلدة، أو الاشارة الى اعلى البلدة واسفلها

٣ ـ الضياء : هو المنتشر عن النور، والنور هو الأصل، تموج : تضطرب

٤ ـ الفلوج : الظهور على الخصم والعدو وغلبته والانتصار عليه

٥ ـ عجت : ارتفعت اصواتها

٦ ـ العروج : الصعود والعلو

٧ ـ المتلفة : المهلكة، الحروج : الكثيرة التصرف

[٤]

وقال في مدح عمرو بن أبي شَمّر :

١ ـ ألا مَنْ مُبْلغٌ عَمْراً رَسولاً ... فإني مِنْ مَخافَتِهِ مُشيحُ[١]

٢ ـ أفِرّ الى بني ثُعَلٍ بن عمروٍ ... وَحَولي مِنْ بني جَرْمٍ نبوحُ[٢]

٣ ـ أعوذُ بربِّ بيتِ الظلمِ منهُ ... وبالرّحمنِ إذْ شَرِقَ المسيحُ[٣]

٤ ـ تركْتُ لكَ البلادَ وماءَ بحري ... لأنزح عنكَ لو نفَعَ النزوحُ[٤]

١ ـ المشيح : الحَذر

٢ ـ بنوثعل : حي من طيء، بنو جَرْم : بفتح الجيم وسكون الراء بطن من طيء

نبوح : ضجة القوم، وأصوات كلبهم

٣ ـ كأنه يشير الى قوله اعوذ بالمسيح

٤ ـ لانزح عنك : لأبعد عنك

(٥) (من الطويل)

وقال ورقة :

١ - أَتبكر امْ انتَ العَشِّيةَ رائحُ | وفي الصَّدْرِ منْ إضمارك الحزنَ قادحُ
٢ - لفُرقةِ قومٍ لااحب فراقهمْ | كأنَّكَ عنهمْ بَعدْ يومينِ نازحُ
٣ - وأخبار صِدْقٍ خُبِّرتْ عن محمد | يُخبِّرها عنه اذا غابَ ناصحُ
٤ - فَتَاكِ التي وُجِّهْتِ ياخيرَ حُرَّةٍ | بغَوْرٍ وبالنَّجْدينِ حيثُ الصَّحاصحُ[1]
٥ - إلى سُوقِ بُصْرَى في الرِّكاب التي غدت | وهُنَّ من الاحمال قعصٌ دَوالح[2]
٦ - فخبرَنا عن كلِّ خيْرٍ بعلْمهِ | وللحقِّ أبوابٌ لهنَّ مَفاتحُ
٧ - بأنَّ ابنَ عَبْدِ اللّه أحمدَ مُرْسلٌ | الى كلِّ منِ ضُمَّتْ عليه الأباطحُ
٨ - وظنِّي به أنْ سَوف يُبْعث صادقاً | كما أرسلَ العَبْدانِ هُودٌ وصالحُ
٩ - ومُوسَى وإبراهيمُ حتَّى يُرى له | بَهَاءٌ ومنشورٌ من الذِّكر واضحُ
١٠ - ويتبعُه حَيَّا لؤيٍّ جماعةٌ | شَبابُهُم والأشْيَبون الجحَاجحُ[3]
١١ - فانْ أبْقَ حتَّى يدركَ الناسَ دهرُهُ | فإنِّي به مُستبشرُ الوُدِّ فارحُ
١٢ - والاّ فإنِّي ياخديجةُ فاعلمي | عَن أرضكِ في الارضِ العريضةِ سائحُ .

(٥)

١ - الصحاصح : الأرض المستوية

٢ - الدوالح : أي ثقيلات خطو منقبضات

٣ - الجحاجح : السادة

[٦] (من البسيط)

وقال ورقة :

١ - لَقَدْ نصحتُ لأقوامٍ وقلتُ لَهمُ | أنا النَّذير فلاَ يغرُرْكمُ أَحدُ
٢ - لاتَعبدُنَّ إلهاً غيرَ خالقكُمْ | فإنْ دَعَوْكمْ فقولُوا بَيْنَنَا حَدَدُ[1]
٣ - سُبْحانَ ذي العرشِ سُبحاناً يُعادلُهُ | ربُّ البريّةِ فَرْد واحدٌ صَمَدُ
٤ - سُبْحانَهُ ثم سُبْحاناً يَعودُ لَهُ | وقبلُ سَبَّحَه الجوديُّ والجمدُ[2]
٥ - مُسَخَّرٌ كلُّ من تحت السماء لَهُ | لاينبغي أن يُناوِي مُلْكهُ أَحدَ[3]
٦ - لاشيء مماترى إلابشاشتهُ | يَبقى الالهُ ويفْنى المالُ والولدُ[4]
٧ - لم تُغنِ هرمز يوماً خزائنُه | والخُلْدَ قد حاولتْ عادٌ فما خَلَدُوا

٨ ـ ولاسليمانَ إذ دانَ الشُّعوبُ لَهُ ‏ ‏ ‏ الإنسُ والجنُّ تَجري بينها البُرُدُ(٥)
٩ ـ أينَ الملوكُ التي دانتْ لعزّتها ‏ ‏ ‏ من كُلِّ أوْبٍ إليها وافدٌ يفدُ
١٠ ـ حوضٌ هنالكَ موردٌ بلا كذبٍ ‏ ‏ ‏ لابُدَّ من وِرْدِه يَوْماً كما وَرَدُوا

١ ـ أمر حدد : اي منيع حرام لايحل ارتكابه
٢ ـ الجودي : جبل مطل على جزيرة ابن عمر في الجانب الشرقي من دجلة من أعمال الموصل، وهو الذي زعموا استوت عليه سفينة نوح (ع)، الجمد : جبل بنجد
٣ ـ ناوأ الرجل : اذا ناهضه وفاخره وعاداه
٤ ـ بشاشته : اللقاء الجميل وطلاقة الوجه، الفرح بالصاحب والانبساط اليه والانس به، وعنى بها هنا : حسن الشيء وجدته
٥ ـ البرد : جمع بريد، وهو الرسول الذي يخرج من بلد الى بلد ليبلغ مايحمل من الخبر

[٧] ‏ ‏ ‏ (من الوافر)

وقال ورقة :

١ ـ ألا أبْلغْ لديك أبا عقيلٍ ‏ ‏ ‏ فَما بيني وبينكَ منْ ودادِ
٢ ـ تَعيبُ أماني وتذُم أهلي ‏ ‏ ‏ وتَاكُلني الى حضرٍ وبادِ(١)
٣ ـ فأيّاً ماوأيّ كانَ أبغي ‏ ‏ ‏ وأسعْى في العشيرةِ بالفسادِ
٤ ـ فلا لاقى سُروراً من مَليكٍ ‏ ‏ ‏ ولازالتْ يداه في صَفَادِ

١ ـ تأكلني : تغيبني

[٨] ‏ ‏ ‏ (من الكامل)

وقال في رثاء عثمان بن الحويرث :

١ ـ هَل أتى ابنتيَ عُثمانَ انَّ أباهُما ‏ ‏ ‏ حانَتْ منيَّتُه بَجنْبِ الفرصَدِ(١)
٢ ـ رَكِبَ البريدَ مخاطراً عن نفسهِ ‏ ‏ ‏ ميْت المضَنَّة للبريد المقصَدِ(٢)
٣ ـ فلاَ بكينْ عثمانَ حَقَّ بكائهِ ‏ ‏ ‏ ولانشدَنْ عَمْراً وإن لم ينْشدِ(٣)
٤ ـ بل ليت شعري عنك ياابن حويرث ‏ ‏ ‏ أسقيتَ سُماً في الأناءِ المصعدِ(٤)
٥ ـ أم كان حتفاً سيق ثم لحينه ‏ ‏ ‏ إنَّ المنيَّة للحمام لتهتدي(٥)
٦ ـ قد كان زيناً في الحياة لقومه ‏ ‏ ‏ عثمان أمسى في ضريحٍ ملحدِ
٧ ـ ولقد برى جسمي وقلت لقومنا ‏ ‏ ‏ لما أتاني موته لاتبعدِ
٨ ـ أمسى ابن جفنة في الحياة مهلكاً ‏ ‏ ‏ وصفّى نفسي في ضريحٍ مؤصدِ(٦)
٩ ـ واللّه ربي ان سلمتُ لآثرن ‏ ‏ ‏ فيه بضربة جازم لم يقصدِ(٧)

١ ـ البيت فيه خلل، ويستقيم لو أصبح (أأتى ابنتي عثمان أن أباهما)، الفرصد : موضع بالشام
٢ ـ المراد بالبريد المقصد : ورقة بن نوفل نفسه
٣ ـ المراد بعمرو : هو عمرو بن أبي شمر الغساني ملك غسان
٤ ـ المصعد من الأشربة : ماعولج بالنار حتى يحول عما هو عليه طعماً ولوناً
٥ ـ الحمام، بضم الحاء المهملة : السيد الشريف
٦ ـ المؤصد : المطبق والمغلق
٧ ـ لم يقصد : لم يفرط

[٩] (من البسيط)

وقال ورقة بن نوفل :

١ - ياللرجال وَصْرفِ الدهرِ والقَدَرِ   وما لشيءٍ قضاهُ اللّه من غِيَرِ[١]
٢ - جاءتْ خديجة تدْعوني لأخبرَها   ومالَنا بخفيٍّ الغيْب منْ خَبرِ
٣ - جاءت لتسألني عنه لأخبرَها   أمراً أراه سَيأتي الناسَ من أخرِ
٤ - فخَبّرتنِيْ بأمرٍ قد سمعتُ بهِ   فيما مضى من قديم الدهْرِ والعُصُرِ
٥ - بأنَّ أحمدَ يأتيهِ فيُخبرُه   جبريلُ أنّكَ مبعوثٌ الى البشرِ
٦ - فقلت علَّ الذي ترْجينَ يُنْجزُهُ   لكِ الألهُ فَرجِّي الخيرَ وانتظري
٧ - وأرسليه الينا كي نسائلهُ   عن امره، مايرى في النَّومِ والسَّهرِ[٢]
٨ - فقال حين أتانا منطقاً عجَباً   يَقِفُّ منه أعالي الجلدِ والشعَرِ[٣]
٩ - إني رأيت أمينَ اللّهِ واجهني   في صورة أُكمِلتْ منْ أعظمِ الصُّورِ
١٠ - ثم استمرَّ فكان الخوفُ يذعُرني   مما يسلّم ماحولي من الشجرِ
١١ - فقلت : ظني، ومادري أيصدقني   أن سوف يبْعثُ يتلو مُنْزَلَ السُّورِ
١٢ - وسوف أبليْك إن اعلنتَ دعوتهم   من الجهاد بلا منٍّ ولاكَدَرِ

١ - قضاه الله : قدّره
٢ - نسائله : نسأله، ونستفهم أمره
٣ - تقفّ : قلم لشدة الفزع

[١٠] (من الكامل)

وقال ورقة بن نوفل :

١ - لِمَنِ الديار غَشيْتُها كالمُهْرَقِ   قَدُمتْ وعَهْدُ جديدها لم يُخلقِ[١]
٢ - إنّي يَراني المُوعِديّ كأنني   في الحِصْنِ من نجران أَوْ في الأَبْلقِ[٢]
٣ - في يَافعٍ دُون السماءِ مُمَرَّدٍ   صَعْبٍ تَزلُّ به بَنَانُ المُرتقي[٣]
٤ - ويَصدُّهُمُ عنّي بأنّي ماجدٌ   حَسبي ، وأَصْدُقُهمْ اذا مانلتقي
٥ - وإذا عَفوتُ عَفَوْتُ عفْواً بيّناً   وإذا انْتصَرْتُ بَلغْتُ رَنْقَ المُسْتَقى[٤]

١ - المهرق : الصحيفة البيضاء يكتب فيها .
٢ - الابلق : هو حصن السموال بن عادياء اليهودي، مشرف على تيماء بين الحجاز والشام .
٣ - اليافع : المشرف المرتفع، الممّرد : البناء المملس المرتفع الطول ويقال المارد : اي الطويل المرتفع
٤ - الرنق : الكدر، يريد اذا عفوت عفوت عفواً لايشوبه كدر، واذا انتقمت بالغت حتى أبلغ غاية الأذى والاساءة

[١١] (من الطويل)

وقال ورقة :

١ - وإنْ يَكُ حَقّاً ياخديجةُ فاعلمي — حَديثُكِ إيّاها فأحمدُ مُرسَلُ
٢ - وجبريلُ يأتيه وَميكالُ فاعلَمي — من اللهِ وَحْيٌ يشرحُ الصَّدرَ مُنْزلُ
٣ - يفوزُ به مَنْ فازَ فيها بتوبةٍ — وَيشقى به العاتي الغَريرُ المُضَلَّلُ(١)
٤ - فريقانِ : منهم فرقةٌ في جِنانِه — وأخرى بأجوازِ الجحيمِ تُغلَّلُ(٢)
٥ - فسبحانَ من تهوى الرياحُ بأمرهِ — ومَنْ هو في الأيّامِ ماشاءَ يفعلُ
٦ - ومَنْ عرشُهُ فوقَ السماواتِ كلِّها — وأقضاؤهُ في خَلقهِ لاتَبدَّلُ

١ - العاتي : الجبار، والعاصي
٢ - احواز : يقال اجواز الشيء : وسطه ومعظمه

[١٢] (من الطويل)

وقال :

١ - كفى حزناً كَرّي عليه كأنّه — لُقى بين أيدي الطائفين حَريمُ

[١٣] (من الطويل)

وقال في رثاء زيد بن عمرو بن نفيل بعد أن قتل في بلاد لخم :

١ - رَشَدْتَ وأنعمتَ ابنَ عمرو وإنما — تَجنّبتَ تنّوراً منَ النّار حاميَا(١)
٢ - بدينكَ رَبّاً ليسَ ربٌّ كمثْلهِ — وتركِكَ أوثانَ الطّواغي كما هيا(٢)
٣ - وإدراكِكَ الدينَ الذي قد طلبتَهُ — ولم تَكُ عن تَوْحيْدِ ربِّكَ ساهيا
٤ - فأصبحتَ في دارٍ كريمٍ مُقامُها — تُعلَّلُ فيها بالكرامةِ لاهيا
٥ - تُلاقي خليلَ اللّه فيها ولم تكنْ — منَ النّاسِ جَبّاراً الى النارِ هاويا
٦ - وقد تُدركُ الانسانَ رحمةُ ربِّه — ولو كانَ تحتَ الأرضِ سبعينَ واديا
٧ - أقولُ إذا جاوزتُ أرضاً مخوفةً — حَنانَيكَ لاتُظهرْ عَليَّ الأعاديا(٣)
٨ - حَنانَيكَ إنّ الجنّ كانت رَجاءَهم — وأنتَ إلهي ربُّنا وَرَجائيا
٩ - أدينُ لربٍّ يستجيبُ ولاأرى — أدينُ لمن لايسْمَعُ الدَّهرَ دَاعَيا
١٠ - أقولُ إذا صَلَّيْتُ في كُلِّ بيعةٍ — تباركتَ قد أكثرْتُ باسمكَ داعيا

١ - رشدت : اي اصبت الرشد والهدى، انعمت : بالغت في الرشد يقول اصبت الرشد، وزدت حتى بلغت غايته، والتنور : كانون يخبز فيه وأراد به نار جهنم

[١]

الابيات (١ ـ١٠) في جمهرة نسب قريش ١/ ٤٠٩ ـ٤١٠، وفي الاغاني ٣/١١٢ مع اختلاف، وكانت رواية البيت الرابع .. يُخسى أهلُه

والخامس ..... فيه حُرّةً

والسابع ..... فلتلك ..

والثامن .... فرج الرِّباب فليس يؤدي فرجه .. ولاماءُ بغى

والعاشر .... فقد جزى

والابيات (١،٢،٣،٤،٧،٩،١٠) في شعراء النصرانية ١/ ٦١٦ـ ٦١٨

ورواية الرابع .. ولقد غزوت الحي ..

ورواية السابع .. فلتلك ..

الابيات (١٠ ـ١٢) في بهجة المجالس ١/ ٣١١، ونُسب البيتان (١١،١٢) للسموأل وقيل لزيد بن عمرو ابن نفيل في المصدر نفسه، وارجح انهما لورقة، والبيت العاشر روايته أجزيه أو أثني عليه فانّ من .. فقد جزى

والبيتان (٩ ، ١٠) في حماسة البحتري /٢٥٢، ورواية الاول منهما

ارفع ضعيفك لايَحر بك ...، وهما في الاغاني ٣/ ١٠٩،

وفي سمط اللآلي /٢٠٦، وفي الخزانة ٣/ ٣٩٣، وفي بلوغ الارب ٢/ ٢٧١، نسبا الى السموأل بن عادياء، وقيل لابنه سعية بن غريض، وقيل انهما لزيد بن عمرو بن نفيل . والبيتان لورقة لورودهما ضمن القصيدة التي أجمع على نسبتها اليه، وهما اشبه بأبياته السابقة من حيث المعنى والاسلوب

[٢]

البيت في مروج الذهب ١/ ٨٨

[٣]

الابيات (١ ـ ١٣) في السيرة النبوية ١/ ١٩١ ـ ١٩٢، وهي في الاكتفاء ١/ ٢٠١ ـ ٢٠٢ ورواية البيت الحادي عشر وهل أمر السفاهة .. وفي بلوغ الارب ٢/ ٢٧٠ ـ ٢٧١ ورواية الخامس .. سيسود يوماً والابيات عدا (التاسع) في خزانة الادب ٣/ ٣٩٢ ورواية الخامس

.سيسود يوماً، والحادي عشر وهل أمر السفاهة ..

والابيات عدا (٣،٦،٧،١٠،١١) في البدء والتاريخ ٤/ ١٤٣

ورواية الخامس .. سيسود يوماً

والسادس روايته .. يكن أمورٌ

[٤]

الابيات في المنمق /١٨٣

[٥]

الابيات [١ ـ ١٢] في الروض الانف ١/ ١٢٧،

وفي الاكتفاء ١/ ٢٠٢، ورواية الرابع فتاك الذي وجَّهتِ ياخَيرت حُرَّةٍ ـ بغذوٍ ..

والسادس .. وهن من الاعمال

والعاشر .. لؤيُّ بن غالب

والابيات في الخزانة ٣/ ٣٩٥، ورواية الرابع فتاك الذي ..

والسادس روايته يُخبرُنا عن كلِّ حبر ..

والعاشر روايته .. لؤي بن غالب

والحادي عشر روايته .. يدرك الناس أمره

والابيات في بلوغ الأرب ٢/ ٢٧٤، والرابع روايته

فتاك الذي .. بغورٍ وفي النَّجدين ..

والخامس .. يخبّرنا عن كل حبر ..

والسادس .. لؤي بن غالب، والحادي عشر .. يدرك الناس أمره

[٦]

الابيات (١ ـ ١٠) في الاكتفاء ١/ ٢٥٠ ـ ٢٥١، ورواية الثاني لاتعبدون ..

ورواية الثالث .. سبحاناً يدوم له، والخامس لاينبغي أن يُنادي ..

والسادس يبقى الالهُ ويوُدي .. ورواية الثامن

ولا سليمان اذ تجري الرياح به

والانس والجن فيما بينهم ..

والابيات في معجم البلدان ٢/ ١١٦، ورواية الثالث

سبحاناً يدوم له

وقبلنا سَبَّحَ الجودي والجمد

ورواية الرابع،

نسّبح الله تسبيحاً نجود به .. وقبلنا سَبّح

ورواية السادس، مما ترى تبقى ..

والثامن،

اذ تجري الرياح به

والانسي والجنُّ فيما بيننا تردُ

والتاسع . . التي كانت لعزتها

والابيات عدا (الرابع) في الروض الأنف ١/١٢٥

ورواية الثالث . . سبحانا يدوم له وقبلنا سَبّحَ

والسادس لاشيء مما ترى تبقى بشاشته . .

والثامن ولا سليمان اذ دان الشعوب له

والأنس والجن فيها . .

والتاسع . . التي كانت لعزتها،

وفي شعراء النصرانية ١/٦١٦ - ٦١٨.

والابيات (١ - ٨) في جمهرة نسب قريش ١/٤١٣ ـ ٤١٤ وفي بلوغ الأرب ٢/٢٧١ ـ ٢٧٢ مع اختلاف في الترتيب

والابيات عدا (٤، ٩، ١٠) في الاغاني ٣ / ١١٥

ورواية الثالث سبحاناً نعوذ به وقبل قد سَبَّحَ . .

والسادس لاشيء ماترى تبقى بشاشته يبقى الاله ويودي . . .

والابيات عدا (٤، ٥، ٧) في الحماسة البصرية ٢/ ٤٢٥

ورواية الثالث يعود له وقبلنا سَبّح . .

والثامن تبقى بشاشته . . ويفنى الأهل

والتاسع . . كانت لعزتها

والبيتان (٧ ، ٨) في مروج الذهب ١/ ٣٠٢

والبيت الرابع يروى لأمية بن أبي الصلت ديوانه/ ٣٣٣، وهو أشبه بابيات ورقة السابقة من حيث المعنى والأسلوب.

[٧]

الابيات (١ - ٤) في المنمق/ ١٨٤ - ١٨٥

[٨]

الابيات (١ - ٩) في المنمق/ ١٨١

والابيات (١ - ٣) في جمهرة نسب قريش ١/ ٤١٩، ورواية الاول ألاهل أتى . . والأول في معجم مااستعجم ٣/ ١٠١٩

[٩]

الابيات (١ - ١٢) في الخزانة ٣/ ٣٩٦، وفي بلوغ الأدب ٢/ ٢٧٥ والابيات عدا (٣) في الروض الأنف ١/ ١٢٥

ورواية الاول يالرجال لصرف . .

والثاني حتى خديجة . . أمرأ أراه سيأتي الناس من أخر

والتاسع . . اكملت في أهيب الصور

والحادي عشر . . يتلو منزل السور

والابيات (٢، ٥، ٦) في الأصابة ١٠/٣٠٦

[١٠]

الابيات (١ ـ ٥) في جمهرة نسب قريش ١/ ٤٢٠

[١١]

الابيات (١ ـ ٦) في الخزانة ٣/٣٩٦، وفي بلوغ الارب ٢/٢٧٤ ـ ٢٧٥.

ورواية الثالث ويشقى به العاني . .

والبيتان (١، ٢) في صحيح البخاري ١/ ٣٩، ورواية الاول

فانك حقاً . . حديثك ايّانا . .

ورواية الثاني . . وميكال معهما .

[١٢]

البيت في أخبار مكة ١/١١٢، ١١٨

[١٣]

الابيات (١ ـ ١٠) في شعراء النصرانية ١/٦١٨ ورواية السابع اذا مازرتُ

والابيات (١ ـ ٦) في السيرة النبوية ١/٢٣٢، وفي بلوغ الأرب ٢/٢٥٢ وتروى لأمية بن أبي الصلت، ديوانه /٣٧٢، وهي لورقة لتشابه اسلوبها ومعناها مع شعره

والابيات (١، ٢، ٧، ٨، ٩، ١٠) في جمهرة نسب قريش ١/ ٤١٨

ورواية الثاني وتركك جنان الخيال . .

والبيتان (٨، ٩) يرويان لأمية بن أبي الصلت، ديوانه/ ٣٦٩ وهما لورقة لورودهما ضمن القصيدة التي رويت له، وللشبه بينهما وبين بقية الابيات من حيث المعنى واللفظ .

فهرس المصادر

ـ أخبار مكة وماجاء فيها من الأثار + الازرقي : أبو الوليد محمد بن عبدالله بن احمد (٢٥٦ هـ)، تحقيق رشدي الصالح ملحس، مطابع دار الثقافة . مكة المكرمة ط٢ ـ ١٩٦٥م .

ـ الاصابة في تمييز الصحابة + ابن حجر العسقلاني : أبو الفضل أحمد ابن علي بن محمد (٨٥٢ هـ) تحقيق د . طه محمد الزيني، الناشر مكتبة الكليات الازهرية القاهرة ط١ ١٩٧٦ .

ـ الاعلام : خيرالدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت ط٤ ـ ١٩٧٩ .

ـ الاغاني + ألاصفهاني : أبو الفرج علي بن الحسين (٣٥٦ هـ) طبعة دار الثقافة، تحقيق عبدالستار احمد فراج بيروت ١٩٧١م .

ـ الاكتفاء في مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء + الكلاعي : ابو

الربيع سليمان بن موسى (٦٣٤ هـ) تحقيق مصطفى عبدالواحد، مطبعة السنة المحمدية . القاهرة ١٩٦٨ .
ـ أمية بن أبي الصلت، حياته وشعره، ـ دراسة وتحقيق بهجة عبدالغفور الحديثي، مطبعة العاني ـ بغداد ١٩٧٥م .
ـ البدء والتاريخ + المنسوب الى البلخي : أبو زيد احمد بن سهل (٣٥٥هـ) عني بنشره كلمان هوار (نسخة مصورة) بالاوفست عن مطابع برطرند باريس ١٩٠٣م
ـ البداية والنهاية + ابن كثير : عماد الدين ابو الفداء الدمشقي (٧٧٤هـ) مطبعة المعارف ـ بيروت . ط١ /١٩٦٦م .
ـ بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب + الألوسي : ابو المعالي محمود شكري بن عبدالله (١٣٤٢هـ) تحقيق محمد بهجة الاثري، مطابع دار الكتاب العربي ـ مصر ـ ط٣ /١٣٤٢هـ .
ـ بهجة المجالس وأنس المجالس + القرطبي : ابو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري (٤٦٣هـ)، تحقيق محمد مرسي الخولي : مطبعة الدار المصرية للتأليف والترجمة (د . ت) .
ـ تاريخ التراث العربي الى حوالي سنة ٤٣٠ هـ ـ فؤاد سزكين، نقله الى العربية د . محمود فهمي حجازي، مطابع جامعة الامام محمد بن مسعود الاسلامية ـ ١٩٨٣م
ـ تاريخ الرسل والملوك + الطبري : ابو جعفر محمد بن جرير (٣١٠هـ) تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، مطابع دار المعارف، مصر ط١ /١٩٦٨م .
ـ جمهرة نسب قريش واخبارها ـ الزبير بن بكار (٢٥٦هـ)، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني ١٣٨١هـ .
ـ الحماسة + البحتري : ابو عبادة الوليد بن عبيد، باعتناء الأب لويس شيخو اليسوعي، مطبعة، دار الكتاب العربي ـ بيروت . ط٢ ١٩٦٧م .
ـ الحماسة البصرية + البصري : صدر الدين بن أبي الفرج بن الحسين (٦٥٩هـ) تحقيق د . مختار الدين أحمد، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد ـ الهند . ط١/ ١٩٦٤ .
ـ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب + البغدادي : عبدالقادر بن عمر (١٠٩٣هـ) تحقيق عبد السلام محمد هارون مطابع دار الكتاب العربي للطباعة والنشر . القاهرة ـ ١٩٦٨ .
ـ ديوان عبيد بن الابرص ـ تحقيق وشرح د . حسين نصار ـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر ط١ ـ ١٩٥٧م .
ـ ديوان النابغة الذبياني ـ صنعة ابن السكيت (٢٤٤هـ) تحقيق د . شكري فيصل، مطابع دار الهاشم ـ بيروت ١٩٦٨م .
ـ الروض الانف + السهيلي : ابو القاسم عبد الرحمن بن أحمد (٥٨١هـ) مطبعة الجمالية بمصر ١٩١٤م .
ـ سمط اللآلي في شرح أمالي القالي + البكري : ابو عبيد (٥٨١هـ) تحقيق عبدالعزيز الميمني، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٦ .
ـ السيرة النبوية + ابن هشام : ابو محمد عبدالملك بن هشام (٢١٨هـ) تحقيق مصطفى السقا، وآخرون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي . مصر ط٢ /١٩٥٥ .
ـ شرح ديوان زهير بن أبي سلمى + صنعة ثعلب : أبو العباس احمد بن يحيى بن زيد (٢٩١هـ) مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة ١٩٤٤م .
ـ شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري ـ تحقيق د . احسان عباس، مطبعة حكومة الكويت ١٩٦٢م .
ـ شعراء النصرانية ـ لويس شيخو اليسوعي، مطبعة الأباء المرسلين اليسوعيين . بيروت ـ ١٨٩٠ .
ـ صحيح البخاري ـ أبو عبد الله محمد بن اسماعيل (٢٥٦هـ)، المطبعة البهية، مصر ـ ١٩٣٩م .
ـ طبقات فحول الشعراء + ابن سلام الجمحي : ابو عبدالله محمد بن سلام بن عبدالله (٢٣١هـ) تحقيق محمود محمد شاكر دار المعارف للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٥٢م .
ـ العقد الفريد + ابن عبدربه : احمد بن محمد الاندلسي (٣٢٨هـ) تحقيق أحمد أمين، وأحمد الزين، وابراهيم الابياري مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ ١٩٤٩ .
ـ عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير ـ ابن سيد الناس (٧٣٤هـ)، منشورات دار الافاق الجديدة، بيروت ـ ط٢/ ١٩٨٠ .
ـ الكامل في التاريخ + ابن الاثير : عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم (٦٣٠هـ) دار صادر للطباعة والنشر، بيروت ـ ١٩٦٥م .
ـ المحبر + ابن حبيب : ابو جعفر محمد بن حبيب (٢٤٥هـ) باعتناء د . ايلزه ليختن شتيتر، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر آباد الدكن ـ الهند ١٣٦١هـ
ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر + المسعودي : ابو الحسن علي بن الحسين بن علي (٣٤٦هـ) تحقيق يوسف اسعد داغر، دار الاندلس للطباعة والنشر : بيروت ـ ط١ /١٩٦٥ .
ـ معجم البلدان + ياقوت الحموي : شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت ابن عبدالله (٦٢٦هـ) طهران ـ ١٩٦٥ .
ـ معجم مااستعجم من اسماء البلاد والمواضع + البكري : ابو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز (٤٨٧هـ) تحقيق مصطفى السقا مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٩ .
ـ المنمق في اخبار قريش ـ محمد بن حبيب البغدادي (٢٤٥هـ) تحقيق خورشيد احمد فاروق . مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر آباد الدكن ـ الهند، ط١ /١٩٦٤

من الخزائن الخطية الخاصة
في قسم المخطوطات
بدائرة الآثار والتراث

مخطوطات عباس العزاوي

أسامة ناصر النقشبندي
وظمياء محمد عباس

دائرة الآثار والتراث - بغداد

ابطال التأويلات لاخبار الصفات

للقاضي ابي يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن الفراء المتوفى سنة ٤٥٨هـ/١٠٦٦م الاول (الحمد لله المحمود على السراء والضراء المتفرد بالعز والعظمة والكبرياء) .. اما بعد فانني وقفت على حاجتكم الى شرح كتاب تذكر فيه ما اشتهر من الاحاديث المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصفات ...) .
نسخة جيدة كتبها بقلم النسخ سنة ١٣٣٧هـ/١٩١٨م صالح ابن دخيل الله بن جار الله على نسخة كتبت سنة ٦٥٧هـ/١٢٥٨م وعليها قراءة منقولة لابي الثناء محمد بن سلمان العرباني ومحمد بن علي التميمي على المؤلف . في اولها فهرس لمواضيع الكتاب ومقابلة على الاصل المنقولة عنه وتملك مؤرخ سنة ١٣٣٧هـ/١٩١٨م باسم محمد بن امين الحسيني الشنقيطي .
الرقم ١٠٩٣١
القياس ٣٩٤ص ٢٢ × ١٦سم ١٧س
معجم المؤلفين ٩ / ٢٥٤ كشف الظنون ١ / ٣

***

اجازة

المجيز عبد القادر بن يحيى البصير الشامي البصري الذي كان حياً سنة ١٠٨٨هـ/١٦٧٧م .
الاول (الحمد لله الهادي بلطفه الى الرشاد . المتفضل على عباده بجعل سلسلة الاسناد برواية الثقات ...)
وهي اجازة الشيخ خليل الخطيب بن محمد بن يس السامري البغدادي في قراءة الاربعين للنووي والاربعين لاحمد بن حجر العسقلاني وبعضا من صحيح البخاري .
نسخة جيدة كتبها عبد الغفور عبد الله الموصلي سنة ١١٢٢هـ . ١٧١٠م
الرقم ٩٥٢٨
القياس ٣٩ص ٢٠ × ١٤سم ٢١س

اجازة

المجيز : سلطان بن ناصر بن احمد الجبوري ، الخابوري ، البغدادي المتوفى سنة ١١٣٨هـ/١٧٢٦م
الاول (الحمد لله ذي الآلاء والنعم ، المفضل هذه الامة على سائر الامم ...

... اما بعد فينبغي لكل طالب علم ان يعتني بمعرفة انساب مايقرؤه ...) وهي اجازة الشيخ عبد الغفور بن عبد الله بن احمد الموصلي في رواية بعض الاحاديث النبوية التي سمعها عن المجيز ومما يدور في كتب الحديث كصحيح مسلم والبخاري سنة ١١١٩هـ/١٧٠٧م .
نسخة جيدة كتبت بقلم المجيز سنة ١١١٩هـ/١٧٠٧م
الرقم ٩٥٢٨
القياس ٢٠ص ٢٠ × ١٤سم ١٩س
معجم المؤلفين ٤ / ٢٣٨ الاعلام ٣ / ١١٠

الاحاديث الحسان في فضل الطيلسان

لجلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ/١٥٠٥م الاول : (عن عائشة (رض) بينما نحن جلوس في بيتنا في حر الظهيرة ...) نسخة جيدة كتبها محمد قاسم الطرابلسي سنة ١٠٢٥هـ/١٦١٦م .
الرقم ١١١١١
القياس ٤ص ٢٩ × ٢٠سم ٣١س
معجم المؤلفين ٥ / ١٢٨ هدية العارفين ١ / ٥٣٩ كشف الظنون ١ / ١٤

* * *

الاحاديث القدسية والكلمات الانسية

لملا علي بن سلطان محمد الهروي ، القاري ، الحنفي المتوفى سنة ١٠١٤هـ/١٦٠٦م الاول (الحمد لله العلي العظيم والبر الكريم . . وبعد فقد سنح في خاطر ... علي بن سلطان محمد القاري أن يجمع من الاحاديث القدسية ...) وهي اربعون حديثاً قدسية .
نسخة جيدة كتبت بقلم النسخ الجيد سنة ١١٢٤هـ/١٧١٢م عليها تملك مؤرخ سنة ١١٧٨هـ/١٧٦٤م وتملك باسم سليمان بن احمد المحاسبي الخطيب المدرس بجامع بني امية .
الرقم ١٠٦٦٧
القياس ١٤ص ٢٠ × ٥ / ١٤سم ١٩س
معجم المؤلفين ٧ / ١٠٠ هدية العارفين ١ / ٧٥١ معجم المطبوعات ١٧٩٢

اختلاف الحديث

لابي عبد الله محمد بن ادريس الشافعي المتوفى سنة ٢٠٤هـ/٨١٩م .
الاول (الحمد لله بما هو اهله وكما ينبغي له . . اما بعد فان الله جل ثناؤه ...) برواية الربيع بن سليمان الجيزي المرادي .
كتب هذه النسخة عثمان بن عبد الصمد القصري سنة ٨٩١هـ ١٤٨٦م عليها عدة تملكات اقدمها باسم محمد مصطفى بن محمد فتح الله العمري البيلوني سنة ١٠٤٨هـ/١٦٣٨م ومحمد الحموي البكري سنة ١١٧٦هـ/١٧٦٢م كتبت بقلم النسخ ناقصة قليلا من الاخر عليها مقابلة وتعليقات .
طبع بهامش كتاب (الام) للشافعي (معجم المطبوعات ص١١٠٩)
الرقم ١٠٢٦٥
القياس ١٦ص ١٧ × ١٢سم ٢٨س
معجم المؤلفين ٩ / ٣٢ كشف الظنون ١ / ٣٢ ذخائر التراث ١ / ٦٠٨

* * *

الاربعون حديثاً

لاحمد بن سليمان بن كمال باشا ، الرومي المتوفى سنة ٩٤٠هـ/ ١٥٣٣م .
الاول (الحمد لله رب العالمين . . اما بعد فقد روى عن علي بن ابي طالب فامتثلت الاشارة العالية في جمع اربعين حديثا واخترت في لفظة فصاحة ظاهرة وفي معناه على صحة اسناده دلالة بامره باسناد الاجتهاد في بعض المسائل ...)
نسخة جيدة كتبت بقلم النسخ عليها ختم وقفية باسم جعفر الرومي مؤرخ سنة ٩٧٥هـ/١٥٦٧م .
الرقم ١٠٨٤١
القياس ٢٢ص ٢٠ × ١٥سم ١٩س
معجم المؤلفين ١ / ٢٣٨ كشف الظنون ١ / ٥٤

نسخة اخرى

* * *

كتبت بقلم النسخ بمداد اسود ضمن مجموعة مؤرخ سنة ٩٩٧هـ/ ١٥٨٨م .
الرقم ١٠٨٤٧ / ١١
القياس ١٦ص ٢٠ × ١٥سم ٢٢س

الاربعون حديثاً

لشهاب الدين احمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ/١٤٤٩م .
الاول (... اما بعد حمداً لله والصلاة والسلام على رسول الله ولاحول ولاقوة الا بالله ...)
وهي اربعون حديثاً انتقاها المؤلف من الجامع الصحيح لمسلم بن الحجاج وهي التي علا بها مسلم البخاري برجل في كل اسناد منها . اما ان يروي مسلم عن رجل حديثا ويكون البخاري قد روى ذلك الحديث بعينه عن ذلك الرجل بواسطة بينه وبينه واما ان يتفق معه في الشيخ الثالث للبخاري وهو الثاني له او يتفق معه في الرابع وهو الثالث ، كما ذكر ذلك المؤلف في المقدمة يقع الكتاب ضمن مجموع في اول اجازة بخط جلال الدين السيوطي وقد قرأه احمد بن عمر البزاز علي بن طولون سنة ٨٨٠هـ/١٤٧٥م .
الرقم ١١٤٤١[٢]
القياس ٤١ص ١٨ × ١٣سم ١٥س
معجم المؤلفين ٢ / ٢٠

* * *

الاربعون حديثاً

لاسماعيل بن محمد بن عبد الهادي بن عبد الغني العجلوني ، الدمشقي ، الجراحي المتوفى سنة ١١٦٢هـ/١٧٤٩م .
الاول (الحمد لله الذي رفع مقدار اهل الحديث وخصهم بحفظ اسانيده ...) جمع فيها المؤلف اربعين حديثاً من اربعين كتابا ذكرها في المقدمة .
نسخة جيدة كتبت بقلم النسخ مؤطرة الصفحات بمداد احمر كتبها نوح بن اسماعيل الداكوني سنة ١٢٩٢هـ/١٨٧٥م .
الرقم ٩٥٦٠[١]
القياس ٢٨ص ٢١ × ١٥سم ٢١س
معجم المؤلفين ٢ / ٢٩٢ هدية العارفين ١ / ٢٢٠ - ٢٢١

* * *

الاربعون حديثاً

لحسين بن عبد الصمد بن محمد بن علي العاملي ، الحارثي المتوفى سنة ٩٨٤هـ/١٥٧٦م .
الاول (الحمد لله على نعمه الغزار والصلاة والسلام على سيدنا محمد ...) تتضمن اربعون حديثاً في الاخلاق الممدوحة والمذمومة .
نسخة نفيسة كتبها محمد بن اسماعيل سنة ٩٨٩هـ/١٥٨١م .
نشرها حسين علي محفوظ في طهران سنة ١٩٥٧
الرقم ١١٦٩٢[١]
القياس ٤٧ص ١٦ × ١٣سم ١٥س
معجم المؤلفين ٤ / ١٧ الذريعة ١ / ٤١٤ ذخائر التراث ٢ / ٦٧٣

* * *

الاربعون حديثاً

لابي الوقت عبد الملك بن علي القرشي ، الشيرازي ، القزويني ، الصِّديقي المتوفى سنة ٨٩٦هـ/١٤٩١م .
الاول (الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى ... هذه اربعون حديثاً صحاحاً صدرت عن مصادر الرسالة ...) وتدور مواضيع الاحاديث في معنى العدل والامر بالمعروف والنهي عن المنكر نسخة جيدة مزخرفة الاول مؤطرة الصفحات بمداد ذهبي واحمر وازرق ترقى للقرن ١١هـ/١٧م في اولها تملك باسم حسن باشا عبد الرحمن باشا مؤرخ سنة ١٢٣٩هـ/١٨٢٣م وعليه طبعة ختمه .
الرقم ١٢٥١٦
القياس ١٣ص ١٧ × ١١سم ٧س
معجم المؤلفين ٦ / ١٨٦ هدية العارفين ١ / ٦٢٧

* * *

الاربعون حديثاً

لملا علي بن سلطان محمد الهروي ، القارى المتوفى سنة ١٠١٤هـ/١٦٠٦م
الاول (الحمد لله الذي اوجد الخلق من العدم وعلم الانسان مالم يعلم .. وبعد فهذه اربعون حديثاً مبانيها يسيرة ومعانيها كثيرة .. الايمان الايمان ...) نسخة جيدة كتبت سنة ١١٢٤هـ/١٧١٢م بخط النسخ الجيد
الرقم ١٠٦٦٧[١٨]
القياس ٣ص ٢٠ × ٥ / ١٤سم ١٩س
معجم المؤلفين ٧ / ١٠٠ كشف الظنون ١ / ٦١

الاربعون حديثا

لشمس الدين محمد بن محمد الجزري المتوفى سنة ٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م
الاول (الحمد لله على ماانعم وعلم من علمي الكتاب والسنة . .) وهي اربعون حديثا في اهل البيت
نسخة جيدة كتبها بقلم النسخ الجيد سنة ١١٥٨هـ/١٧٤٥م اسماعيل بن صالح البصري صفحاتها مؤطرة بمداد ذهبي واحمر واسود
الرقم ١١٣٣٤'
القياس ٦٠ص ١٦ × ١٠سم ١٣س
معجم المؤلفين ١١ / ٢٩١ كشف الظنون ١ / ٥٣

* * *

الاربعون حديثاً

لمحيي الدين يحيى بن شرف النووي الشافعي المتوفى سنة ٦٧٧هـ/١٢٧٨م
الاول (الحمد لله رب العالمين ، قيوم السموات والارض ، مدبر الخلائق اجمعين . . .)وهي اربعون حديثاً في فضائل الاعمال .
نسخة جيدة كتبت بقلم النسخ الجيد سنة ١١٤٦هـ/١٧٣٣م .
طبعت اكثر من مرة آخرها في القاهرة سنة ١٩٣١م .
الرقم ١٠٣٨٣'
القياس ٤٠ص ٢١ × ٥ / ١٤سم ١١س
معجم المؤلفين ١٣ / ٢٠٢ كشف الظنون ١ / ٥٩ دفاتر التراث ٢ / ٨٨٧

* * *

نسخة اخرى

مؤطرة الصفحات بمداد احمر كتبت بقلم النسخ الجيد عليها تملك مؤرخ سنة ١١٣٦هـ باسم صنع الله الطيبي، الرويسوي .
الرقم ١١٦٤٥'
القياس ٢٠ص ٢١ × ١٥سم ١٩س

* * *

نسخة اخرى

كتبت بقلم جيد سنة ١٢٥٤هـ/١٨٣٨م ناقصة الديباجة
الرقم ١٠٤٨٥'
القياس ٧ص ٢١ × ١٦سم ٣١س

* * *

نسخة اخرى

جيدة الخط مؤطرة الصفحات بمداد ذهبي
الرقم ١٠١٦٢'
القياس ٢٦ص ٨,٥ × ١٢سم ١٦س

* * *

الاساس في مناقب بني العباس

لجلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ/١٥٠٥م .
الاول (الحمد لله الذي وعد هذه الامة المحمدية بالعصمة من الضلالة . .)
يتضمن اربعين حديثاً في مناقب اهل البيت (رضي الله عنهم)
نسخة جيدة كتبت بقلم النسخ الجيد ترقى للقرن ٩هـ ١٥م في اولها طبعة ختم المالك مؤرخة سنة ١١٧٩هـ/١٧٦٥م باسم الحاج مصطفى صدقي .
الرقم ١٢٦٥٤'
القياس ١٢ص ١٨ × ١٣سم ٢١س
معجم المؤلفين ٥ / ١٢٨ كشف الظنون ١ / ٧٥

* * *

اشراف الوسائل الى فهم الشمائل

لشهاب الدين احمد بن محمد بن حجر المكي الهيتمي المتوفى سنة ٩٧٣هـ ١٥٦٦م .
الاول (الحمد لله رب العالمين . . وبعد فهذه عجالة علقتها على

مشكل شمائل الامام الحافظ . . .)
وهو شرح على الشمائل النبوية والخصائل المصطفوية للترمذي المتوفى سنة ٢٧٩هـ/٨٩٢م ، فرغ المؤلف من شرحه سنة ٩٤٩هـ ١٥٤٢م .
نسخة نفيسة ترقى للقرن ١٢هـ/١٨م ، مؤطرة الصفحات بمداد احمر تملكها عبد العزيز بن محمد الرحبي وعليها طبعة ختمه في اولها فهرس .
الرقم ١٠١٨٠
القياس ٢٤٨ص　٢١,٥سم × ١٥سم　٢٧س
معجم المؤلفين ٢ / ١٥٢　كشف الظنون ٢ / ١٠٥٩

* * *

الفية العراقي

لعبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن الكردي ، العراقي المتوفي سنة ٨٠٦هـ/١٤٠٤م .
الاول (يقول راجي ربه المقتدر عبد الرحيم بن الحسين الاثري) .
وهي منظومة في علم الحديث فرغ من نظمها سنة ٧٦٨هـ/١٣٦٦م لخص فيها كتاب علوم الحديث لابن الصلاح .
نسخة جيدة كتبت بقلم النسخ صفحاتها مؤطرة بمداد فضي عليها مقابلة وشروح كثيرة كتبها درويش بن عثمان الشريف سنة ١١١٥هـ/١٧٠٣م
الرقم ١٠٢٧١'
القياس ٩٣ص　٢١ × ١٦سم　١٢س
طبعت بتحقيق محمد الفقي في القاهرة سنة ١٩٥٣م (ذخائر التراث ٢ / ٦٨٥) معجم المؤلفين ٥ / ٢٠٤　كشف الظنون ١ / ١٥٦　هدية العارفين ١ / ٥٦٢

* * *

نسخة اخرى :

كتبت بقلم النسخ بمدادين اسود واحمر عليها عدة تملكات اقدمها باسم محمد حامد افندي الالوسي مؤرخة سنة ١٢٧٧هـ/١٨٦٠م وختمت بطبعة ختمه .
الرقم ١٠٣٤٠
القياس ٦٠ص　٢٠ × ١٣سم　١٩س

* * *

الامالي الحلبية

لشهاب الدين ، ابي الفضل احمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ/١٤٤٩م .
الاول (حدثنا الوالد حدثنا شيخ الاسلام القاضي زكريا . . .)وهس مجموعة من الاحاديث املاها المؤلف عند زيارته الشام في رمضان سنة ٨٣٦هـ/١٤٣٢م .
نسخة نفيسة تنتهي الى اخر المجلس الرابع من الامالي كتبت ضمن مجموعة يرقى لبداية القرن ٩هـ/١٥م بقلم النسخ الجيد .
تليها منضومة لجلال الدين السيوطي في (شرح البخاري ومسلم) ثم رسالة في الرواة عن الامام مالك بن انس مرتبة على حروف المعجم .
الرقم ٨٩٤٢'
القياس ٣٢ص　١٨ ×سم　١٥س
معجم المؤلفين ٢ / ٢٠　كشف الظنون ١ / ١٦٢

امعان النظر في شرح نخبة الفكر

لمحمد بن كرم بن عبد الرحمن ، السندي ، المكي
الاول (اولى مايزيد به اتصال الاسناد واجرى ماينتظم به في سلك كحل العباد . .)
وهو شرح على نخبة الفكر لابن حجر العسقلاني المتوفى ٨٥٢هـ/٤٤٩م .
نسخة جيدة عليها تملك لعبد الرحمن بن الحسين الروزبهاني مؤرخة سنة ١٢٤٢هـ/١٨٢٧م .
الرقم ١٠٥٤٢
القياس ١٩٤ص　٢١ × ١٥سم　٣٥س
كشف الظنون ٢ / ١٩٣٦

* * *

انوار الاثار في فضل النبي المختار

لحافظ . احمد بن معبد بن عيسى التجيبي المعروف ابن الاقليشي الاندلسي المتوفى سنة ٥٥٠هـ/١١٥٥م .
الاول (استخير الله الملك الواحد القهار . . .)
تتضمن اربعين حديثا في الاثار المختصة في فضل الصلاة على

النبي . نسخة جيدة كتبت ضمن مجموع كتبه محمد بن علي سنة ٩٦٢هـ/١٥٥٤م في اولها شرح حديث ام زرع .
الرقم ٩٥٨٨ء
القياس ٢١ص ١٩ × ١٤سم ٢٢س
الاعلام ١ / ٢٥٩ كشف الظنون ١ / ١٨٦

* * *

بشرى الكئيب بلقاء الحبيب

لجلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ/١٥٠٥م .
الاول (الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى . . .) وهي رسالة خرج فيها الاحاديث الواردة في كتابه (في احوال البرزخ) نسخة جيدة الخط كتبها بقلم النسخ عبد الرزاق بن زكريا بن احمد الموصلي سنة ١١٨٧هـ/١٧٧٣م . طبعت اكثر من مرة آخرها في القاهرة سنة ١٩٦٩م .
الرقم ١٠٨٤٤ء
القياس ٣٦ص ٢٢ × ٥ / ١٥سم ١٩س
معجم المؤلفين ٥ / ١٢٨ كشف الظنون ١ / ٢٤٦ ذخائر التراث ١ / ٥٩١

* * *

البيان والتعريف في اسباب ورود الحديث

للسيد ابراهيم بن محمد بن كمال الدين بن محمد الحسيني ، الحنفي ، الدمشقي الحراني المتوفى سنة ١١٢٠هـ/ ١٧٠٨م .
الاول (الحمد لله الذي سهل اسباب السنة المحمدية لمن اخلص له واناب . . .) وهو كتاب في الحديث رتبه على حروف الهجاء واختاره من السنن المعروفة واضاف اليه تتمات .
نسخة جيدة الخط كتبها سنة ١٣٠٩هـ/١٨٩١م عبد الحميد بن احمد الحديثي خطيب الكاظمية
طبع الجزء الثاني منه سنة ١٣٢٩هـ في حلب ملخصاً
الرقم ٩٣٩١
القياس ٥٥٢ص ٢١ × ١٧سم ١٩س
معجم المؤلفين ١ / ١٠٥ ذ . كشف الظنون ١ / ٢٠٧ معجم المطبوعات ٨٨

* * *

تحفة الابرار

لناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي المتوفى سنة ٦٨٥هـ/١٢٨٦م
وهو شرح على مصابيح السنة للبغوي المتوفى سنة ٥١٦هـ/ ١١٢٢م . نسخة نفيسة كتبها بخط النسخ الجيد بالمدادين الاسود والاحمر محمد بن شهاب بن محمد التكريتي سنة ١١٩٧هـ/ ١٧٨٢م ناقصة قليلا من الاول
الرقم ١٠١٢٠
القياس ٧٢٤ص ٢٠ × ١٢سم ٢٥س
معجم المؤلفين ٦ / ٩٧ كشف الظنون ٢ / ١٦٩٨

* * *

تحفة الطالب وفرحة الراغب

لجمال الدين ، ابو حامد محمد بن علي بن محمود المحمودي الصابوني المتوفى سنة ٦٨٠هـ/١٢٨٢ م .
الاول (اخبرنا الشيخ الامام ، العامل الفاضل جمال الدين ابو حامد محمد . . .)وهو كتاب في الاحاديث النبوية مخرجة من كتب الصحاح .
نسخة جيدة كتبها جميل بن مصطفى العظم ترقى للقرن ١٣هـ/ ١٩م في اولها صورة منقولة لسماع على المؤلف واجازة من المسمع لمن سمع سنة ٦٧٠هـ/١٢٧١م .
الرقم ٩٠٢٤ء
القياس ١٧ص ٣٠ × ٢٠سم ٢٤س
معجم المؤلفين ١١ / ٦٢

تخريج احاديث شرح العقائدالنسفية

لجلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ/١٥٠٥م .
الاول (الحمد لله وكفى . . . هذا جزو خرجت فيه الاحاديث الواقعة في شرح الاحاديث والاثار . . . .)
وهي رسالة خرج فيها المؤلف ماورد في شرح سعد الدين التفتازاني المتوفى سنة ٧٩١هـ/١٣٨٧م الواقع على العقائد النسفية للشيخ نجم الدين عمر بن محمد المتوفى سنة ٥٣٧هـ ١١٤٢م (كشف الظنون ٢ / ١١٤٥)

نسخة جيدة كتبت ضمن مجموع يرقى لبداية القرن ٩هـ ١٥م..
الرقم ٨٩٤٢[٨]
القياس ١٣ص   ١٨ × ١٣سم   ١٧س
معجم المؤلفين ٥ / ١٢٨   كشف الظنون ٢ / ١١٤٩

***

تخريج احاديث شرح المواقف

لجلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ ١٥٠٥م
الاول (الحمد لله وكفى .. وبعد فقد سئلني بعض الاعزة ادام الله لي ولهم التوفيق ان اخرج ...)
وهي رسالة في تخريج احاديث شرح السيد الشريف الجرجاني المتوفى سنة ٨١٦هـ/١٤١٣م على المواقف لعضد الدين الايجي المتوفى سنة ٧٥٦هـ/١٣٥٥م (كشف الظنون ٢ / ١٨٩١)
نسخة جيدة تقع ضمن مجموع يرقى لبداية ق ٩هـ ١٥م .
الرقم ٨٩٤٢[٧]
القياس ٢٤ص   ١٨ × ١٣سم   ١٧س
معجم المؤلفين ٥ / ١٢٨   كشف الظنون ٢ / ١٨٩٣

***

التذكرة

لسراج الدين عمر بن علي بن احمد الاندلسي ، المعروف بابن الملقن الشافعي المتوفى سنة ٨٠٤هـ ١٤٠١م .
الاول (الحمد لله على نعمائه .. وبعد فهذه تذكرة في علوم الحديث يتنبه بها المبتدي ويتبصر بها المهتدي ...)
وهو مختصر لكتابه المقنع في علوم الحديث (كشف الظنون ٢ / ١٨٠٩) نسخة جيدة كتبت بقلم النسخ صفحاتها مؤطرة بمداد ذهبي ترقى للقرن ١١هـ/١٧م عليها تملك لمحمد امين مؤرخ سنة ١١٨٧هـ/٧٧٣م
الرقم ١٠٣٣٧[٤]
القياس ٤ص   ١٧ × ١٠سم   ٢٣س
اعلام ٥ / ٥٧   كشف الظنون ١ / ٣٩٢

***

الترغيب والترهيب

لابي القاسم اسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي الاصفهاني ، الشافعي المتوفى سنة ٥٣٥هـ/١١٤١م .
الاول (الحمد لله عالم الغيوب وساتر العيوب وغافر الذنوب ..)
قال المؤلف في مقدمة الكتاب : (ان الكتب المصنفة في هذا الباب مطولة وبعضها مختصرة غاية الاختصار لايظفر منها طالب العلم بالمراد ...) فجمعها ورتبها على حروف الهجاء وقدم في كل ماورد في الترغيب ثم تبعه بما ورد في الترهيب
نسخة نفيسة كتبت الابواب بالمداد الاحمر وبقية الكتاب بمداد اسود بخط النسخ تتضمن المجلد الاول وتنتهي بباب الترهيب (الخاء في حسن الخلق والترغيب فيه والترهيب من شرب الخمر وعقوبة شاربه) ترقى للقرن ٩هـ/١٥م
الرقم ٩٥٨٧
القياس ٣٥٢ص   ٢٥ × ١٨سم   ١٩س
معجم المؤلفين ٢ / ٢٩٣   كشف الظنون ٢ / ٤٠٠

***

الترغيب والترهيب

للحافظ زكي الدين ابي محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري المتوفى سنة ٦٥٦هـ ١٢٥٨م .
الاول (الحمد لله المبدىء المعيد الغني الحميد ذي العفو الواسع والعقاب الشديد ...)
جعله المؤلف حاوياً لما نفرق في غيره من الكتب مقصراً على ماورد صريحاً في الترغيب والترهيب .
قطعة من الكتاب كتبت بخط حديث
الرقم ١١٦٥١[٣]
القياس ٩٢ص   ٣٠ × ٢٠سم   ٢٤س
معجم المؤلفين ٥ / ٢٦٤   كشف الظنون ١ / ٤٠٠
طبعت اكثر من مرة آخرها في القاهرة سنة ١٩٦٨ - ١٩٧٧ (ذخائر التراث ٢ / ٨٦٠)

***

تفريج القلوب بالخصال المكفرة لما تقدم وماتاخر من الذنوب

لابي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن حطاب الرعيني المتوفى سنة ٩٥٤هـ/١٥٤٧م .

الاول (الحمد لله الكثير الفضل الواسع العطاء .. وبعد فلما اوقفت على ماذكره الشيخ ... السيوطي تغمده الله برحمته في حاشية على الموطأ ...)

وهو مختصر على كتاب الخصال المكفرة للذنوب لابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ/١٤٤٩م (معجم المؤلفين ٢ / ٢٠) قال المؤلف انه وضع هذا المختصر بعد ان اطلع على كتاب لجلال الدين السيوطي وهو حاشيته على الموطأ من الخصال المكفرة لما تقدم وما تاخر من الذنوب ، وماكتبه الحافظ المنذري في هذا الموضوع فوجد ان ابن حجر قد ذكر غالبية الاحاديث واسانيدها لذلك اختصره ، فرغ منه المؤلف سنة ٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م .

نسخة جيدة كتبها محمد بن ابي الفتح الحوراني المؤذن الحنفي سنة ٩٤٩هـ ١٥٤٢م .

الرقم ٨٩٤٢

القياس ٢٧ص ١٨ × ١٣سم ٢٣س

معجم المؤلفين ١١ / ٢٣٠ ذ . كشف الظنون ١ / ٣٠١

***

تفسير حديث نبوي شريف

لم يعلم المؤلف

الاول (الحمد لله رب العالمين وصلواته وتحياته على انبيائه المرسلين ...)

وهو شرح لقوله صلى الله عليه وسلم لعلي (ياعلي ان لك في الجنة كنزاً وانك ذو قرنيها فلا تتبع النظرة النظرة فان لك الاولى وليس لك الاخرة) .

نسخة جيدة حديثة الخط

الرقم ١١٢٨٤

القياس ١٣ص ٢٧ × ٥ / ١٨سم ١٧س

***

التقريب الى كتاب الترغيب والترهيب

لابي عبد الله محمد بن ابي بكر بن مضر بن موسى ، الصفدي ، الناصري ، القادري ، المعروف بن الديري المتوفى سنة ٨٦٢هـ/١٤٥٨م .

الاول (الحمد لله الواحد فلا يجحد ، الاحد الذي في سرمديته توحد ...) وهو شرح على كتاب «الترغيب والترهيب» للحافظ المنذري المتوفى سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م (كشف الظنون ١ / ٤٠٠) رتبه المؤلف على خمسة وعشرين كتابا حسب العلوم التي وردت فيه

نسخة جيدة كتبت بقلم النسخ الجيد ترقى للقرن ١٢هـ/١٨م عليها تملكات اقدمها باسم خليل افندي البغدادي القاطن بطرابلس الشام سنة ١١٦٩هـ/١٧٥٥م

الرقم ١٠٠٤٣

القياس ٢٧٦ص ٢٨ × ١٦سم ٣٢س

الاعلام ٦ / ٥٨

***

التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير

لمحيي الدين يحيى بن شرف النووي ، الشافعي المتوفى سنة ٦٧٧هـ/١٢٧٨م .

الاول (الحمد لله الفتاح المنان ذي الطول والفضل والاحسان ...)

وهو مختصر لكتاب «الارشاد في اصول الحديث» الذي لخص فيه علوم الحديث لابن الصلاح .

نسخة جيدة كتبها احمد بن مردان بك ترقى للقرن ١٢هـ/١٨م .

الرقم ١١٦٠٨

القياس ٥٦ص ٢١ × ١٥سم ٢٧س

معجم المؤلفين ١٣ / ٢٠٢ كشف الظنون ١ / ٦٦ ، ٤٦٥ و ٢ / ١١٦١

طبع في باريس مع ترجمة بالفرنسية سنة ١٩٠٢م وبالقاهرة سنة ١٩٣٧م

(ذخائر التراث ٢ / ٨٨٨)

***

التقييد والايضاح لما اطلق واغلق من كتاب ابن الصلاح

لابي الفضل عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن العراقي المتوفى سنة ٨٠٦هـ/١٤٠٤م .

الاول (الحمد لله الذي الهم الايضاح ما ابهم ، وافهم ابي الصلاح ولو شاء لم يفهم . . .) . جعله الشارح توضيحا لما اغلق وابهم من كتاب «علوم الحديث» لابن الصلاح المتوفى سنة ٦٤٣هـ/١٢٤٥م (الاعلام ٤ / ٢٠٧) فرغ منه سنة ٨٧٢هـ/١٣٨٠م كما ورد في آخر الكتاب

نسخة نفيسة كتبت سنة ٧٩٣هـ/١٣٩٠م على نسخة كتبت سنة ٧٨٢هـ ١٣٨٠م عليها قراءة من اول الكتاب لاخره على المؤلف واجازة من المؤلف مكتوبة بخطه الشيخ برهان الدين ابراهيم بن سليمان بن عبد الرحمن السراي الحنفي سنة ٧٩٤هـ ١٣٩١م .

الرقم ٩٦٥٦

القياس ٢٣٤ص ٢٦ × ١٧سم ٢٥س

الاعلام ٣ / ٣٤٤ كشف الظنون ٢ / ١١٦٢ ـ ١١٦٣

* * *

التيسير بشرح الجامع الصغير

لعبد الرؤوف محمد بن تاج العارفين بن علي المناوي المتوفى سنة ١٠٣١هـ/١٦٢١م .

الاول (الحمد لله الذي علمنا تاويل الاحاديث . . . وبعد فاني لما شرحت في ما مضى الجامع الصغير . . .)

وهو شرح موجز على الجامع الصغير لجلال الدين السيوطي

نسخة جيدة كتبت بخط النسخ ترقى للقرن ١٣هـ/١٩م

الرقم ٩٤٧٥

القياس ١٩٤ ص ٢٠ × ١٥سم ٢٥س

كشف الظنون ١ / ٥٦١ معجم المؤلفين ٥ / ٢٢٠

صبع معجم ١٧٩٩

* * *

ثلج الفؤاد في احاديث لبس السواد

لجلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ ١٥٠٥م .

الاول (قال احمد في مسنده : حدثنا عفان ، وقال ابو شيبة . . . عن جابر ان النبي (صلى الله عليه وسلم) دخل مكة يوم الفتح وعليه عمامة سوداء . . .)

نسخة جيدة ترقى للقرن ١٣هـ ١٩م .

الرقم ١٠٥٩٥

القياس ٢١ص ٢٢ × ١٥سم ١٩س

معجم المؤلفين ٥ / ١٢٨ كشف الظنون ١ / ٥٢٣

* * *

الجامع الصحيح

للامام الحافظ ابي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري المتوفى سنة ٢٥٦هـ/٨٧٠م .

الاول (كيف كان الوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم . . .)

نسخة نفيسةمزوقة الاول مؤطرة الصفحات بمداد احمر كتبها بقلم النسخ الجيد محمد بن احمد القدسي سنة ٨٤٠هـ/١٤٣٦م تتضمن الجزء الاول وتبدأ بباب «كيف كان بدء الوحي» .

الرقم ٩٦٢٩

القياس ٦٤٨ص ٣٠ × ٢٠سم ٣٣س

الاعلام ٦ / ٣٤ كشف الظنون ١ / ٥٤١ ـ ٥٥٥

طبع عدة مرات آخرها بتحقيق محمد النواوي وابي الفضل ابراهيم ومحمد خفاجي بمكة سنة ١٩٥٧م في تسعة اجزاء (ذخائر التراث ١ / ٣٧١)

* * *

نسخة اخرى

جيدة الخط كتبها محمد بن احمد المقدس سنة ٨٤٠هـ/١٤٣٦م تتضمن الجزء الثاني تبدأ بـ«مناقب الانصار»

الرقم ٩٦٢٨

القياس ٥٨٦ص ٣٠ × ٢٠سم ٣٣س

* * *

نسخة اخرى

خزائنية ، نفيسة كتبت لخزانة خاقان عبد الله بهادرخان الغازي ترقى للقرن ١٠هـ/١٦م . كتب الاهداء في صفحة العنوان داخل دائرة وسطية بمداد ذهبي بخط الثلث تحيط بها حلية زخرفية

تتضمن عناصر نباتية ووريـدات واغصان رسمت عـلى ارضية زرقاء لازردية وفي الصفحتين الاولى والثانية من الكتاب حلية زخرفية تتالف من عناصر نباتية وهندسية ووريدات رسمت بمداد ذهبي على ارضية زرقاء كما رسمت مستطيلات مفصصـه عليا وسفلى من كل صفحة كررت كتابه داخلها نصها (الله ولاسواه) تتضمن النسخة الجزء الاول والثاني ، يبدأ الجزء الثاني «بكتاب البيوع» في اعلى الصفحة الاولى منه شريط زخرفي مذهب وملون كتب داخله (بسم الله الرحمن الرحيم) بالخط الكوفي المظفور .

الرقم ٩٠٥٣

القياس ١٢١٩ص ٢٤ × ١٦سم ١٩س

***

نسخة اخرى

تتضمن الجزء الخامس (باب حرق الدور والنخيل) كتبها محمد ابن محمد سنة ٨٤٤هـ/١٤٤٠م

الرقم ١٠٣٢٦

القياس ٣١٠ص ٢٦ × ١٧سم ١٧

***

نسخة اخرى

كتبت بقلم النسخ الجيد بمدادين اسود واحمر ترقى للقرن ٨هـ/ ١٤م عليها مقابلة وقراءة على الشيخ ابراهيم العمادي

الرقم ١١٤٢٢

القياس ٣٤٦ص ٢٧ × ١٨سم ١٧س

نسخة اخرى

نسخة نفيسة ترقى للقرن ١٠هـ/١٦م كتب بخط النسخ الجيد والعناوين بخط الثلث وبمداد اغلظ من بقية الكتابة ، تتضمن الجزء الاول عليها مقابلة .

الرقم ٩٥٩٤

القياس ٩٢٠ص ٣٦ × ٢٣سم ٣٣س

***

الجامع الصحيح

لابي عيسى محمد بن سورة الترمذي المتوفى سنة ٢٧٩هـ/٨٩٢م .

الاول (الحمد لله وسلام على عباده الـذين اصطفى . . بـاب ماجاء في خلق رسول الله . . .)

نسخة جيدة كتبها بقلم النسخ قاسم بن مصطفى الروزنا مجي سنة ١١٤٧هـ ١٧٣٤م ، عليهـا تملك مؤرخ سنـة ١٢٨٥هـ/ ١٨٢٩م ليوسف بن عبد الواحد باش اعيان وعليه ختم تملكه .

الرقم ١١٣٣٧

القياس ١٣٨ص ٢٠ × ١٤سم ١س

طبع اكثر من مرة آخرها بتحقيق عزت الدعاس بحمص سنة ١٩٦٧ (ذخائر التراث ١ / ٤١٠)

***

الجواهر السنية في الاحاديث القدسية

لمحمد بن الحسين بن علي بنّ محمد الحر العاملي المتوفى سنة ١١٠٤هـ/١٦٩٢م .

الاول (الحمد الذي اوضح في كلامه سبيل الهداية . . .) .

رتبه على ترتيب المخاطبين بهذه الاحاديث من الانبياء والمرسلين من آدم الى النبي محمد (صلى الله عليـه وسلم) فرغ منـه سنة ١٠٥٦هـ/١٦٤٦م .

نسخة جيدة كتبها بقلم النسخ عبـاس بن محمد شيـرازي سنة ١٢٤٣هـ/١٨٢٧م .

ناقصة قليلا من الاول

الرقم ٩٣٣٠

القياس ٢٦٦ ص ٢١ × ١٦سم ١٨س

الـذريعـه ٥/ ٢٧١ ذ. كـشـف الـظنـون ١ / ٣٧٧ الاعلام ٦ / ٩٠

طبع

***

الحبائك في اخبار الملائك

لجلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ/١٥٠٥م .

الاول (. . . اما بعد حمداً لله جاعل الملائكة . .)

وهي رسالة استوعب فيها ماوردت به الاحاديث والآثار نسخة جيدة كتبها محمد قاسم الطرابلسي سنة ١٠٢٥هـ/١٦١٦م

الرقم ١١١١١

القياس ٥٧ص ٢٩ × ٣٠سم ٣١س
معجم المؤلفين ٥ / ١٢٨ كشف الظنون ١ / ٦٣٠
نشره عبد الله الصديق في القاهرة سنة ١٩٦٤م
ذخائر التراث ١ / ٥٩٥

* * *

حديث المتبايعين بالخيار

للحافظ عبد العظيم بن عبد القوي المنذري المتوفى سنة ٦٥٦هـ ١٢٥٨م .
الاول (اخبرنا الشيخ الامام العالم الحافظ . . . ابو محمد عبد العظيم بن عبد القوي . . قال اخبرنا العالم الحافظ ابو الحسن علي بن المفضل . . . المقدسي . . .) وتتضمن مجموعة الروايات التي وردت عن هذا الحديث وسلسلة النقل واحوال رواة هذا الحديث اوردها المؤلف باختصار .
نسخة نفيسة كتبها محمدبن مظفر بن يحيى بن مظفر الزرزار المالكي الصنهاجي بالمدرسة الزاهرة الصاجية بالقاهرة سنة ٦٥٢هـ/١٢٥٤م .
وكتب في اولها سماع على الحافظ المنذري كتبه محمد بن احمد بن محمد بن ابراهيم بن سراقة الانصاري في المدرسة العادلية بالقاهرة سنة ٦٥٢هـ / ١٢٥٤م
وقد اجاز المنذري بخطه لمن ورد اسمه في هذا السماع .
الرقم ٩٨٤١[2]
القياس ٢٠ص ١٩ × ٢٤سم ١٥س
معجم المؤلفين ٥ / ٢٦٤

* * *

الحرز الثمين شرح الحصن الحصين

لنور الدين علي بن سلطان محمد القاري ، الهروي ، الحنفي المتوفى سنة ١٠١٤هـ ١٦٠٦م .
الاول (الحمد لله الذي جعل ذكره حصنا حصينا في كل باب . . .)
وهو شرح على الحصن الحصين لشمس الدين الجزري نسخة جيدة كتبت بخط التعليق مذهبة الاول مؤطرة الصفحات بمداد احمر كتبها مصطفى الحافظ لطف الله سنة ١١٢٥هـ/١٧١٣م .
الرقم ٩٨٣٥
القياس ٦٠٤ص ٢٢ × ١٣سم ٢٦س
معجم المؤلفين ٧ / ١٠٠ كشف الظنون ١ / ٦٦٩
طبع اكثر من مرة ذخائر التراث ٢ / ٨٥٥

* * *

الحصن الحصين

لشمس الدين محمد بن محمد الجزري المتوفى سنة ٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م .
الاول (الحمد لله رب العالمين . . . اما بعد حمداً لله الذي جعل الدعاء سبباً لرد القضاء . . .) .
وهو من الكتب الجامعة للادعية والاوراد والاذكار الواردة في الاحاديث النبوية الشريفة فرغ منها سنة ٧٩١هـ/١٣٨٨م في المدرسة التي انشئها في دمشق المحروسة .
نسخة نفيسة مزوقة الاول بزخارف نباتية ملونة ومذهبة كتبها بخط النسخ الجيد علي بن مصطفى سنة ١١٤١هـ/١٧٢٨م
الرقم ١٠٣٥٩[1]
القياس ٢١٢ص ٢١ × ١٤سم ١٥س
معجم المؤلفين ١١ / ٢٩١ كشف الظنون ١ / ٦٦٩ الاعلام ٧ / ٤٥
(طبع اكثر من مرة) معجم المطبوعات ٦٣

* * *

نسخة اخرى

كتبها اسماعيل بن سليمان ترقى للقرن ١٢هـ/١٨م بخط النسخ الجيد
الرقم ١٠٤٠٢
القياس ١١٨ص ٢٠ × ١٥سم ١٧س

* * *

نسخة جيدة

مزوقة الاول بزخارف نباتية ملونة ، دفتا الغلاف مزوقتان عليه تملك باسم الدهر عبدي
الرقم ١٠٨٧٦
القياس ٣٧٢ص ١٩ × ١٢سم ٩س

* * *

حصول الرفق باصول الرزق

لجلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ/١٥٠٥م .

وهي رسالة في الاحاديث الواردة في الافعال الجالبة للرزق ليلاً ونهاراً .
نسخة جيدة كتبها محمد قاسم الطرابلسي سنة ١٠٢٥هـ/ ١٦١٦م .
الرقم ١١١١١/٨
القياس ٤ص　　٢٩ × ٣٠سم　　٣٥س
معجم المؤلفين ٥ / ١٢٨　　كشف الظنون ١ / ٦٧٠

* * *

حلية الابرار وشعار الاخيار في تلخيص الدعوات والاذكار

لمحي الدين يحيىٰ بن شرف النووي المتوفى سنة ٦٧٧هـ/ ١٢٧٨م .
الاول (الحمد لله الواحد القهار ، العزيز الغفار ، مقدر الاقدار . . . وقد صنف العلماء (رض الله عنهم) في عمل اليوم والليلة والدعوات والاذكار كتب كثيرة . . . فشرعت في جمع هذا الكتاب مختصرا مقاصد ما ذكرته تقريبا للمعنين واحذف الاسانيد في معظمه لما ذكرته من ايثار الاختصار . . .)
جمع فيه المؤلف جملا من النفائس في علم الحديث من اول استيقاظ الانسان من نومه ثم مابعده الى نومه في الليل ثم ما بعده استيقاظاته في الليل وجعله في ٣٥٦ باباً فرغ منه سنة ٦٦٧هـ ١٢٦٨م .
نسخة نفيسة . كتبت بقلم النسخ الجيد ترقى للقرن ٨هـ ١٤م عليها مقابلة وتعليقات
الرقم ٩١١٧
القياس ٢٨٤ص　　٢٤ × ١٧سم　　٢٣س
معجم المؤلفين ١٣ / ٢٠٣　　كشف الظنون ١ / ٦٨٨　　ذخائر التراث ٢ / ٨٨٨
طبع في القاهرة سنة ١٣٠٦هـ

* * *

نسخة اخرى

جيدة الخط ترقى للقرن ٩هـ/١٥م عليها تعليقات ومقابلة وتملك باسم محمد بن اسماعيل
الرقم ٩٥٩٥
القياس ٣٤١ص　　٢٦ × ١٨سم　　٢٧س

* * *

نسخة اخرى

كتبت سنة ١٢٢٨هـ ١٨١٣م ناقصة الديباجة
الرقم ٩٤١٢
القياس ٥١٤ص　　١٩ × ١٤سم　　١٦س

* * *

حواشي على نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر

لكمال الدين محمد بن محمد بن ابي شريف علي
الاول (الحمد لله رب العالمين وصلاته وسلامه على خير خلقه . . . .)
نسخة جيدة كتبها عبد الفتاح بن ملا ابراهيم تاج العارفين بخط النسخ الجيد
الرقم ١٠٢٦٨/٢
القياس ٢١ص　　٢١ × ١٥سم　　٢١س

* * *

الدرة الثمينة في فضل المدينة

الحمد لله الذي جعل المدينة قبة الاسلام ودار العلم بالحلال والحرام . . . وهي رسالة تتضمن اربعين حديثاً في فضائل المدينة المنورة .
نسخة جيدة كتبت بخط النسخ بالمدادين الاسود والاحمر عليها مقابلة على الاصل المنقولة منها وتملك مؤرخ سنة ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م باسم محمد ابو السعود الحسيني
الرقم ١١١٢٧
القياس ١٥ص　　٢٠ × ٥ / ١٤سم　　١٥س

* * *

الدرر المنتثرة في الاحاديث المشتهرة

لجلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ/١٥٠٥م

الاول (الحمد لله تعظيما لشانه والصلاة والسلام على سيدنا محمد . . . وبعد فان من المهم بيان الاحاديث التي اشتهرت على السنة العامة . . .)

وهو مختصر لكتاب بدر الدين الزركشي المتوفى سنة ٧٩٤هـ ١٣٩٢م (معجم المؤلفين ٩ / ١٢١) رتبه على حروف المعجم .

نسخة جيدة كتبها عمر بن قاسم الطرابلسي الشافعي سنة ١٠٢٥هـ/١٦١٦م .

بالمدرسة القاسمية بدمشق تليه رسالة «فيمن يؤتى اجره مرتين» لنفس المؤلف . (طبع)

الرقم ١١١١١/٢

القياس ٢٨ص ٢٩ × ٢٠سم ٣٥س

معجم المؤلفين ٥ / ١٢٨ كشف الظنون ١ / ٧٤٩ ذخائر التراث ١ / ٥٩٦

* * *

رسالة في اقسام الحديث

لم يعلم المؤلف

الاول (الصحيح من رواة العدل الضابط الى منتهاه من غير شذوذ . . .) وهي رسالة في اقسام الحديث التقطها المؤلف من كتب علوم الحديث تناول فيها الحديث الصحيح والمرسل والحسن والضعيف الخ . .

ترقى للقرن ١٢هـ ١٨م .

الرقم ٩٣٨١/٣

القياس ٥ص ١٥ × ١١سم ١٩س

* * *

رسالة في رمي الجمار

لم يعلم المؤلف

وهي شرح لقطعة من احاديث البخاري المتعلقة برمي الجمار .

نسخة جيدة كتبت بقلم النسخ مرتبة على ابواب ترقى للقرن ١٢هـ/١٨م .

الرقم ١١٦٩١

القياس ٣٢ص ٢٠ × ١٥سم ٢٥س

* * *

رسالة في علم الحديث

لجلال لدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ/١٥٠٥م

الاول (علم الحديث علم بقوانين يعرف بها احوال السند والمتن . . .) وهي رسالة في علم الحديث .

نسخة جيدة كتبت بقلم النسخ بمداد اسود ترقى للقرن ١٣هـ/١٩م

الرقم ١٠٣٣٨

القياس ٤٠ص ٢٢ × ١٦سم ١٥س

معجم المؤلفين ٥ / ١٢٨

* * *

رسالة في وضع الحديث

لابي الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني المتوفى سنة ٦٥٠هـ/١٢٥٢م

الاول (الحمد لله رب العالمين . . . اما بعد فقد قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) . . .)

وهي رسالة في الاحاديث الموضوعة .

نسخة جيدة كتبها محمد البيوتي النقشبندي البغدادي سنة ١٢٤٢هـ ١٨٢٦م

الرقم ١٠٤٢٥/٢

القياس ١٥ص ١٧ × ١١سم ١٦س

معجم المؤلفين ٣ / ٢٧٩ هدية العارفين ١ / ١٨١

* * *

رفع الملام عن الائمة الاعلام

لتقي الدين احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد

الله شيخ الاسلام ابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨هـ/١٣٢٨م .
الاول (الحمد لله على آلائه واشهد ان لااله الا الله وحده لاشريك له في ارضه وسمائه . . .)
وهوكتاب في علم الحديث ورجاله
نسخة جيدة كتبت بقلم النسخ سنة ١٣٠٧هـ/١٨٨٩م عن نسخة مكتوبة بخط احمد بن عبد الله الجزري سنة ٧١٣هـ ١٣١٣م .
الرقم ٩٠٢٢'
القياس ٦٠ص ٢٤ × ١٥سم ٢١س
كشف الظنون ١ / ٩١١ معجم المؤلفين ١ / ٢٦١ - ٢٦٢ معجم المطبوعات ٥٧
(طبع اكثر من مرة آخرها في قطر سنة ١٩٧٤م) ذخائر التراث ١ / ٦٤

* * *

رياض الازهار في جلاء الابصار = الرسالة الشهابية

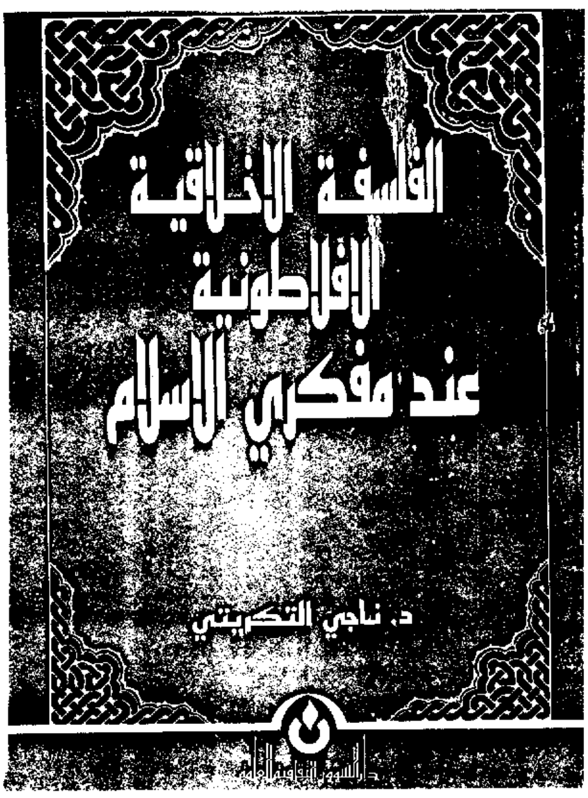
لشهاب الدين احمد بن حجر العسقلاني المتوفى ٨٥٢هـ/ ١٤٤٩م

الاول (الحمد لله الذي وفق العلماء لتحصيل الاحاديث النبوية . . . .) وهو كتاب في اصول الحديث ويسمى ايضاً بـ«الرسالة الشهابية» رتبها المؤلف على مقدمة وستة ابواب وخاتمة .
المقدمة في تحريض الطالب ببيان حل فائدته .
الباب الاول : في الالفاظ المصطلحة لاهل الحديث
الباب الثاني : في تحميل الاحاديث ورواياتها
الباب الثالث : في آداب المحدثين .
الباب الرابع : في آداب الطالبين واجتهادهم
الباب الخامس : في معرفة الصحابة والتابعين .
الباب السادس : في تصنيفه بالجواز والوجوب وبيان شرائطه وطرقه .
الخاتمة في مسائل شتى .
نسخة جيدة كتبت بقلم النسخ بمداد اسود ترقى للقرن ١٢هـ/ ١٨م ناقصة قليلا من الديباجة عليها تملك باسم عثمان المدرس بخسرويه وختم تملك باسم حبيب الادهمي
الرقم ١٠٣٤١'
القياس ٤٨ص ٢٠ × ١٢سم ١٩س
كشف الظنون ١ / ٨٧٥ و٩٣٥ فهرس دار الكتب ١ / ٢٣١

* * *

صدر عن دار الشؤون الثقافية العامة





معجم الشعراء في كتاب العين

عبد العزيز ابراهيم

الديوانية / حيّ الجزائر

أ ـ تعريف بمعجم الشعراء في كتاب العين .

يُعتبر كتاب العين أول معجم عربي بناه الخليل بن احمد الفراهيدي (١٠٠ هـ ـ ١٧٥ هـ) على المساحة الصوتية لنطق الحرف العربيّ في ترتيب مادته اللغوية ، خلافاً للمعاجم التي جاءت من بعده والتي اعتمدت الحروف الهجائية أو الابجدية .

ولما كان كتاب العين معجماً لغوياً ، فهو مادة ثرّة في شروحه وشواهده الشعرية والنثرية ، وكان لصدوره محققاً من قبل استاذين عالمين هما الدكتور مهدي المخزومي والدكتور ابراهيم السامرائي ، دافع لي على بناء معُجم للشعراء الذين ذُكروا فيه ، مترجماً لهم موثقاً هذه الترجمة بالمصادر التي ذكرتهم ، مُقدِّماً احالة على المادة اللغوية التي استشهد الخليل فيها بشعرهم .

هذا البحث لم يُسبق اليه في كتاب العين ولم تصدر فهارس لهذا الكتاب بعد تحقيقه ، إن العين باجزائه الثمانية وعدد صفحاته (٣٤٤٣) صفحة وحجمه الكبير (٢٤ سم × ١٧ سم) وعدد مواده التي قاربت ستة آلاف مادة لغوية ، ليس من السهل الاحاطة فيه وبالتالي تحديد الشعراء الذين استعرضهم الخليل شواهد على مادته .

لقد قارب عدد الشعراء في العين ثلاثمئة شاعر من العصر الجاهلي وصدر الاسلام والأموي والعباسي . ترجمت لاكثرهم حتى لو قال شطراً ، ما عدا الذين لم تسعفني المصادر المتوفرة في تحديد هويتهم ـ وهم قِلّة ـ وكذلك الذين عُرفوا بشهرتهم .

لقد اعتمدت على المظان الأدبية والتاريخية والتراجم القديمة والحديثة ايضاً . ولابد ان اسجل بأمانه علمّية فائدتي من كتاب الدكتور ياسين الأيوبي الموسوم « معجم الشعراء في لسان العرب» الذي استفدت من خطته في البحث والاحالات ولكن اختلفت كثيراً عنه في الترجمة والمصدر ، ذلك لأنه لم يترجم للشعراء الذين تقل إبياتهم عن خمسةٍ . وشعراء العين من هذا النوع .

أرجو أن اكون قد وفقت في ذلك . وكما قال عَزّ وجل[1] « رَبّنا لا تُؤاخذنا إن نَسينا أو أخطأنا» أقول مُعتذراً إنْ قصرت في خدمة هذا التراث العربي العظيم .

ب ـ خطة بناء المُعجم .

(١) الاساس في الترجمة اسم الشاعر كما ورد في متن العين . واهملت خلاف ذلك في الهامش اذا نسب الشاهد الشعري لغيره .

(٢) في حالة نسبة البيت الى شاعر مجهول أخذتُ بهامش التحقيق ودرجت القائل او اكثر في المادة اللغوية ، مترجماً له أولهما مع الاحالة .

(٣) ترجمة الشعراء ثمّ ترتيبها حسب الحروف الهجائية لاسم الشاعر المشهور به (الاسم ، الكنية ، اللقب) وقد اهملت في هذا الترتيب لفظ (ابن ، بنت ، أبو) .

(٤) في ترجمة الشعراء اعتمدت على المظان الأدبية

والتاريخية . . الخ ويمكن الاستفادة من الاحالات المذكورة في هوامش هذه المظان . ولم تقل هذه الاحالات عن مصدرين إلا ما ندر .

(٥) لم استثن احداً ممن ذكرهم الفراهيدي في العين من الشعراء إلا الرسول الكريم الذي ذكره في مادة (رجز) .

(٦) حاولت ضبط سنوات الوفاة حسب ما توافر لي من مصادر أو حوادث تساعدني في هذا وقد اعتمدت في مقابلة السنوات الهجرية بالميلادية على ترتيب المستشرق السوفيتي (يوسف ايكاروفيج اوريلي) «جداول لتحويل السنوات الهجرية الى السنوات الميلادية» المنشور في مجلة المورد مج ٣ / ع ٣ / ١٩٧٤ .

(٧) تمّ ترتيب المواد اللغوية حسب اجزاء الكتاب الثمانية .

(٨) احصاء عدد الابيات والاشطر اعتمدت فيه المتن ، أما تكملة الاشطر في الحواشي فذلك جزء من التحقيق يمكن الاستفادة منه .

(٩) وضعت ارقاماً في دائرة صغيرة فوق المادة اللغوية اشارة الى عدد الشواهد الشعرية التي وردت فيها ، سواء أكان الشاهد بيتاً أم شطراً ـ وخاصة مشطور الرجز .

(١٠) ارفقت قائمة بالمصادر التي رجعت اليها أو التي عرضتها في البحث ، يمكن الاستفادة منها في الاحالات .

٢ ـ المدخل

(١) صاحب العين

هو الخليل بن احمد الفراهيدي . قيل في نسبه انه ابن عمر بن تميم ابو عبد الرحمن[١] الذي ولد سنة (١٠٠ هـ) في قرية من قُرى عُمان . هاجر اهله الى البصرة التي كانت في ذلك الوقت اكبر الامصار الاسلاميّة وأبعدها صيتاً في العلم والعلماء[٢] . . وفي البصرة تعلم الخليل واظهر من الذكاء ما يلفت اليه . قال ابن قتيبة [٣]: كان ذكياً لطيفاً فِطناً شاعراً . وبذكائه استنبط من العروض وعِلَل النحو مالم يُسبق اليه . وقال ابن النديم[٤]: وكان شاعراً مقلاً . أخذ الخليل من أبي عمرو بن العلاء وروى عن ايوب وعاصم الاحول وغيرهما . وأخذ عنه الاصمعي وسيبويه والنضر بن شُميل وغيرهم .

كان في سيرته مثالاً يقتدي به حتى قال عنه الفقيه سُفيان الثوريّ: من أحبَّ أن ينظر الى رجل خلق من الذهب والمسك فلينظر الى الخليل بن احمد . ويقول عنه تلميذه النضر بن شُميل: اكلت الدنيا بعلم الخليل وكتبه وهو في خُص لايُشعر به[٥] . وهذا ما أكده الأنباري بقوله: كان الخليل بن احمد أعلم الناس بالنحو والغريب واكثرهم دقائق في ذلك[٦] . مات الخليل سنة (١٧٥ هـ) .

(٢) آثاره

ذكرت المصادر[٧] التي ترجمت له انه صنف عدداً من الكتب . . معظمها طريفة الفت في مواضيع مبتكرة ولكن قد يشك في نسبة بعضها اليه[٨] . وهي :

كتاب (العين) و (النغم) و (الايقاع) و (العروض) و (النقط والشكل) و (الشواهد) و (العوامل) و (الجُمل) و (فائِت العين) و (المُعَمىَّ) .

(٣) كتاب العين .

(صنف الخليل بن احمد الفراهيدي كتاب العين على نحو أبدع فيه أيما ابداع ، فلم يسبقه اليه احد من اللغويين الاقدمين[٩] .) حتى حسدوه عليه وحاولوا طمسه بل سرقته ، فكانت حَمَلة الشك التي بدأها أبو حاتم السجستاني وتبعه ابن دريد الذي قال[١٠]: وقع بالبصرة كتاب العين سنة ثمان واربعين ومائتين ، ولم يرو هذا الكتاب عن الخليل! ثم يأتي الأزهري الذي بنى تهذيبه على العين ليقول[١١]: ومن المتقدمين الليث بن المظفر الذي نحل الخليل بن احمد تأليف كتاب العين جُملة لينفق كتابه باسمه ويرغب فيه من حوله!! وسار القالي صاحب البارع على منواله أيضاً . وحاول السِّيرافي وابن جني وغيرهم أن يؤيدوا أن كتاب العين للخليل ولكن . . وانعكس هذا التحفظ على اهل المغرب فكان ابن سيدة في (المحكم) أو (المخُصّص) يقول[١٢] قال الخليل واخرى قال (صاحب العين) حيث ينقل عن هذا المعجم الرائد وكأنه يشك في نسبة الكتاب اليه[١٣] . هذا الشك في نسبة العين الى الخليل دفع بمُحققي الكتاب الى تثبيت رأي قاطع ـ بعد مناقشة علمية[١٤] ـ تمثل في: ـ[١٥] .

١ ـ إن كتاب العين بتأسيسه وبحتوه وبيانه وتفسيره واستشهاده ، إنما هو كتاب الخليل ، لأنه بعلمه وعقله اشبه .

٢ ـ أن كتاب العين بالرغم مما قيل فيه ، ومما مُني به من جحود وتحامل وتشهير ، وبالرغم مما فعل به تقادم الزمن وعبث الورّاقين . . . كان مصدر الهام اللغويّين الذين احتذوه ونهجوا نهجه ، بل كان المادة الاساس لمعجماتهم وارائهم في اللغة وفقهها .

(٤) ـ منهج الخليل في كتابه

لما كان هـدف الخليل من وضـع معجمه ضبط اللغـة وحصرها ، فلقـد خطا لتحقيق هـذا الهدف خـطوات علميّة مدروسة بدأها بترتيب الحروف ثم بتقسيم الأبنية وأخيراً بتقليب اللفظة على أوجهها[١٦]١١ . فكان ترتيبه للحروف على الـوجه التالي :

ع / ح / هـ / خ / غ (حلقية) ق / ك (لهوية) ج / ش / ض (شجرية) ص / س / ز (أسلية) ط / د / ت (نطعية) ظ / ث / ذ / (لثوية) ر / ل / ن / ف / ب / م (ذلقية) و / ا / ي (هوائية ثم وضع الهمزة في آخر الحروف[١٧]١١ . وهذا الترتيب صوتي يعتمد على الحلق .

ثمّ قسم الخليل كل كتاب الى ابواب تبعا لهيئة الكلمات التي يحتوي عليها كـل باب . فجعـل الابواب ستـة على التـرتيب الآتي[١٨]١ :

(١) بـاب الثلاثي المضـاعف وسمـاه الثـنائي الصحيح او المضاعف مثل عف .

(٢) ـ باب الثلاثي الصحيح مثل علم

(٣) ـ باب الثلاثي المعتـل (بحرف واحـد) مثل عـون وسماه

(٤) ـ باب الثلاثي المعتل بحرفين (اللفيف مثل وعى

(٥) ـ باب الرباعي مثل دحرج

(٦) ـ باب الخماسي مثل حجمرش .

وفي الاخير كانت فكرة التقليب ، فكل مـادة من المضاعف الثلاثي تأتي منها هيئان او تقليبان مثل عق/ وقع/ وكل مادة من الثلاثي تأتي منها ست تقاليب مثل علب / عبل / لعب / بلع / بعل / لبع وكل مادة من الرباعي يمكن أن يأتي منها ٢٤ تقليباً والخماسي ١٢٠ تقليباً . مع العلم بأن العرب لم يستخدموا كل هذه التقاليب وانما استعملوا بعضها وأهملوا الآخر .

(٥) ـ مادته اللغويّة

إن مادة الخليل اللغوية في العين تظهر في الحشو[١٩]١ ـ شرح الالفاظ ـ وطريقته في معالجتها تدل على اهتمامه بايراد المشتقات والصيغ المختلفة (لعق)[٢٠] وذكر الصفات في (رقع)[٢١] مفرقاً بين صفة المذكر والمؤنث في (هجع)[٢٢] . . وكثيراً ما يعالج مسـائل نحويه كما في (كتع)[٢٣] أو صرفية في (قطع)[٢٤] وكان يعتمد فيما يفسره على الشواهد نثرية وشعرية ، فاستشهد بالقرآن الكريم والحديث الشريف . وزخـر الكتاب بـالرواية عن الاعـراب الفصحـاء امثـال زائـدة وعـرام في مـادتي (عـلش)[٢٥] و (هجرع)[٢٦] . .

وطريقة البحث عن الكلمة في العين هي أن تجرد أولاً من الحروف المزيـدة . فإذا كـانت الكلمة (تجاوز) حذفت التـاء والالف وبقي الجرد (جوز) . ثم يعـاد ترتيب حـروفهـا على مخارجها فتصير (ج ز و) ثم نبحث عنها في كتـاب الجيم باب الثلاثي المعتل (مادة الجيم مع الزاء وأحد حروف العلة)[٢٧] .

(٦) **الشاهد الشعري وقيمته .**

الاستشهاد بالشعر في العين احتل اوسع مساحة فيه[×] ، فالى جانب استشهاده للجاهليين امثال النابغة وامرىء القيس والمخضرمين امثال الحطيئة والاسلاميين امثال جرير والكميت فقد استشهد للعبـاسيين امثـال بشار بن بـرد وابراهيم بن هرمه[٢٨] . وليس للخليل طريقه معينة في ايراد الشاهد الشعري فقد ينشده خلال الشرح كمـا في (حيعل)[٢٩] وقـد لا يتعرض للتعليق عليه وهو الغالب .

ان هذه الشواهد الشعرية التي قاربت ستة آلاف ما بين بيت شعري وشطر ثلثها لم ينسب لقائله والباقي ذكر الخليل قائله أو توصل المحققان اليه اعتماداً على المظان الأدبية ، تـدلل على قدرة الخليل وسعة علمه ورهافة حسه في اختيار الشعر الذي أخذه اصحاب المعجمات من بعده .

(٧) **اثر العين في مؤلفات القدماء .**

لقد أثر الخليـل ابن احمد في معجمـه في الذين جاءوا من بعده[٣٠] . فلقد ترسم[٣١] منهج العين ابن دريد (ت / ٣٢١ هـ) في الجمرة وابو علي القالي (ت / ٢٥٦ هـ) في البارع وابو منصور الازهري (ت / ٣٧٠ هـ) في تهذيب اللغة والصاحب بن عباد (ت / ٣٨٥ هـ) في المحيط في اللغة وابن سيدة (ت / ٤٥٨ هـ) في المحكم واستشهد فيه بالمخصص . وقد سارت جميع هذه المعجمات في اثر العين ترتيب حروف وتقسيم ابنية وتقليب مواد ولم تخالفه إلا في اشياء طفيفة . وكان في مادته وشواهد اساساً في بناء لسان العرب لابن منظور (ت / ٧١١ هـ) الذي اعتمد على المعاجم التي ترسمت نهج الخليل[٣٢] .

(٨) **ملاحظات لابد منها .**

إن تحقيق معجم كالعين عمـل صعب وتُعد محـاولة الاب انستاس ماري الكرملي سنة ١٩١٤ م والتي حقق فيها جزءاً يسيراً[٣٣] ، ثم محاولة الدكتور عبد الله درويش تحقيقه وأصدر الجزء الأول منه سنة ١٩٦٧ م ، قال عنه الدكتور مصـطفى جواد[٣٤]: وقد اسفت على ذلك اشد الأسف ، فقد ظهر لي بعد الطبع أن الدكتور الفاضل الدرويشيّ مع سعيه الكثير في جمع مخطوطات الكتاب غير قادر على اخراجه وحده وأنـه قد كلف نفسه شـطـطاً..) وهـذا مـا دفـع وزارة الاعـلام الى تكليف

الاستاذين الدكتور مهدي المخزومي والدكتور ابراهيم السامرائي - بعد ذلك - بتحقيق (العين) وفيه قدما جهداً عظيماً واخرجا رائعة من روائع لغتنا العربية .

ومن خلال هذا البحث الذي دخلت فيه مصنفاً الشعراء الذين استشهد بهم الخليل بن احمد في كتابه صادفتني بعض المتاعب تمثلت فيما يأتي:

(١) - عندما يذكر الخليل الشاهد الشعري فإن المحققين يقدمان لنا في الهامش القائل - إذا لم يُنسب من قبل المؤلف أو هناك نسبة اخرى - ولكن عند الرجوع الى الاحالة وخاصة لسان العرب - كمثال - اجد أن الاسم في العين قد حُرف أو صحف وقد يكون ذلك بفعل الطباعة وامثلته:

اسم الشاعر في العين	الجزء والصفحة
١ - الاشهب بن مُيَلة	٣ / ١٨٠
٢ - حدية بن أنس	٣ / ١٨٧
٣ - أبو رغبة الخزرجيّ	٤ / ١٥٤
٤ - ابو عمرو الفقعيّ	٤ / ١٩٩
٥ - ضُمام بن زيد بن مناة	٥ / ١٨٤
٦ - جيهان الاسلمي	٦ / ٠٢٧
٧ - المرارين منقد الفقعسيّ	٧ / ٤٠١
٨ - أبو زيد الطائي	٨ / ٣٣٥

الاحالة	المادة
لسان العرب (الاشهب بن رُميله)	(حرد)
لسان العرب (حذيفة بن أنس)	(رضب)
لسان العرب (أبو زغبة الخزرجيّ)	(خفق)
لسان العرب (ابو عمرو الفقعسيّ)	(غذم)
لسان العرب (ضُمام بن زيد بن مناة)	(جبب)
لسان العرب (جيهاء الاشجعي)	(قس)
لسان العرب (المرارين بن منقد الحنظلي)	(زير)
لسان العرب (ابو زبيد الطائي)	(لفأ)

(٢) أ - في هامش العين ج ٣ / ١٠ مادة (حج) ذُكر في (٤): لاندري أأميّة بن ابي الصلت أم أُميّة آخر؟ ولم نجد البيت في ديوان أميّه بن ابي الصلت . البيت:

(مـاذا بـبـدر فـالـعـقـنـ ـقـل من مَرازبةٍ جَحاجحْ)

والبيت مذكور في ديوانه / ١٦٨ ، القصيدة رقم (١٨) والبيت رقمه (٦) تحقيق بهجة عبد الغفور: اميّه بن ابي الصلت حياته وشعره .

ب - خطأ مطبعي في ارقام الاحالات أو عدم ذكر الرقم مثاله ٣ / ١٤١ ، ٢٣٤ / ٤ / ٣٦٢ ، ٥ / ٣٨ .

ج - احالة رقم (٣) في ص ٧٧ ج / ٤ ذُكر: ديوانه؟ من هو؟ وكذا في ٥ / ٦١ لم يذكر الشاعر وهو « الفرزدق» ، وفي الهامش رقم (٣) ج ٦ / ١٠٥ (ذكر: لم نهتد الى القائل) وفي المتن ذكر الخليلُ الشاعرَ (رؤبةَ)

(٣) كان المفروض تثبيت المصادر التي اعتُمدت في التحقيق مع اجزاء العين والتي تمكن القارىء او الباحث من الرجوع اليها في الاختلاف أو الخطأ .

(٤) - وقع خطأ في طباعة الصفحات (٣٦٣ - ٣٦٧) من الجزء الثامن وبالتالي أثر في ترتيبها .

(٥) - ان الشعراء الذين استشهد بهم الخليل بن احمد قد يُذكرون مرة بلقبهم المشهور واخرى باسمهم . وهذا الاختلاف قد حدث بفعل النُساخ الذين سمحوا لأنفسهم بهذا التلاعب الذي خلق نوعاً من الشك في ترجمة الشاعر ثمّ بتحديد الأبيات والاحالة مثاله: اسماعيل بن بشار ، ابو السوداء العجلي ، اميّه بن حرثان وهو اميّه بن الاشكر الجندعي ، البختري الجعدي ، عدي بن ربيعة التغلبي ، .. الخ

والاحالة الصحيحة في هذا: اسماعيل بن يسار ، أبو الأسود العجلي ، أميّه بن الأسكر ، قيس بن الملوح (مجنون ليلى) ، المُهَلهِل .. الخ .

(٦) - احيانا تختلط نسبة البيت لقائله او لمنشده الذي ذكره الخليل مستشهداً به مثالا لمادته لغوية ، فيذكر قال (عرّام) ، (ابو ليلى) (ابو عبيده) وحبذا لو اعتمد المحققان كلمة أنشد بدلاً من قال في المتن ويُشار الى هذا التعديل في الهامش حتى يتمكن القارىء او الباحث من التفريق بين قائل البيت حقيقة أو انه يذكره عن غيره ، ولاسيا ان بعض اللغويين هم شعراء وان كانوا مُقلين .

ملاحظة

: أضاف الدكتور مهدي المخزوميّ استدراكاً لفائت الجزء الرابع من كتاب العين وألحقه في الجزء الثامن بعد الصفحة (٤٧٠) . وقد اعتبرت هذا الاستدراك جزءاً مكملاً للجزء الرابع في ترتيب المادة اللغوية والإحالة عليها .

الهوامش

(١) معجم الادباء وينظر دائرة الاسلامية ٨ / ٤٣٦ ، الاعلام ٢ / ٣٦٣
(٢) اعلام النحو العربي / ١٠
(٣) المعارف / ٥٤١ وينظر الاشتقاق ٢ / ٤٩٩ .
(٤) الفهرست / ٤٨
(٥) معجم الادباء ١١ / ٧٣
(٦) معجم الشعراء لابن المعتز / ٩٥
(٧) الفهرست / ٤٩ ، معجم الادباء ١١ / ٧٤ ـ ٧٥ ، المعارف / ٥٤١ (قال ابن قتيبة: وضع كتباً في الالحان وتراكيب الاصوات)
(٨) مكانة الخليل بن احمد في النحو العربي / ٣١
(٩) مع المصادر في اللغة والادب ٢ / ٢٩
(١٠) الفهرست / ٤٨ وينظر ـ رواية اللغة / ١٢٦ ـ ١٣٢ (الاختلاف حول نسبة العين)
(١١) معجم الادباء ١٧ / ٤٣
(١٢) ـ المخصص ـ ينظر الى الصفحات / ٣٧ ، ٦٥، ٦٧ ، ٨٠ ، ١١٤ ج الاول .
(١٣) المخصص لابن سيدة دراسة دليل / ٤٥
(١٤) كتاب العين ج ١ / ١٨ ـ ٢٧
(١٥) المصدر نفسه ١ /٢٧
(١٦) الدراسات اللغوية عند العرب / ٢٤٥
(١٧) رواية اللغة / ١١٢ عن كتاب العين (تحقيق عبد الله درويش) ١ / ٦٥ .
(١٨) المعجم العربي / ٢٥ ـ ٢٦
(١٩) الدراسات اللغوية عند العرب / ٢٥١
(٢٠) العين ١ / ١٦٦
(٢١) المصدرنفسه ١ / ١٥٧
(٢٢) المصدر نفسه ١ /٩٨
(٢٣) المصدر نفسه ١ / ١٩٥
(٢٤) المصدر نفسه ١ / ١٣٥
(٢٥) المصدر نفسه ١ / ٢٥٦
(٢٦) المصدر نفسه ٢ / ٢٧٥
(٢٧) المعجم العربي / ٢٨
(٢٨) الدراسات اللغوية / ٢٥٣ ، وينظر كتاب الآلوسي / اتحاف الامجاد / ٧٥ الذي حُدّد فيه ابن هرمة كآخر من يستشهد بهم ـ في القرن الهجري الثاني ـ من المُحدثين .
(٢٩) العين ١ / ٦٠
(٣٠) يقول الدكتور مهدي المخزومي في هذا الصدد « والخليل مُبدع أول معجم لغوي شامل ، لم يستطع احد ممن تقدمه أو ممن عاصره الى أن يهتدي الى شيء مثله . وهو كتاب العين الذي يعد أول معجم في العربية . ـ ينظر اعلام النحو العربي / ١٦
(٣١) الدراسات اللغوية / ٢٥٩ ، وينظر تقديم المحققين « منزلة العين في المعجمات العربية / العين ١ / ١٥ ـ ٢٧
(٣٢) يَنظر المعجم العربي / ٦٧
(٣٣) حقق الاب انستاس ماري الكرملي (٢٢٥) صفحة من الجزء الاول . تُنظر مقالة الدكتور مصطفى جواد « عين اخرى على العين» / مجلة المورد / مج ١ / ع ١ ، ٢ ص ١٩٨ وكذلك في التراث العربي ١ / ٣٩٧
(٣٤) المصدر نفسه / لقد سجل الدكتور مصطفى جواد على محقق العين الدكتور عبد الله درويش أوهاماً تجاوزت المئتين .

(×) الجدول الملحق لاصحاب
الشاهد الشعري في كتاب العين / النسبة المئوية

العصر الجاهليّ	/ ٤٥ ٪
الاسلاميّ	/ ٢٤ ٪ (يدخل فيهم المخضرمون)
الامويّ	/ ٢٨ ٪ (يدخل فيهم المخضرمون)
العباسيّ	/ ٠٣٪ (يدخل فيهم المخضرمون)

معجم الشعراء في العين

١ ـ الأَجْدَع الهَمَداني[١]

بيت واحد[٢]

(١) الاجدع بن مالك بن اميّة بن جعفر الهمداني اليماني ، فارس همدان وشاعرها في عصره ـ قبيل الاسلام .

مصادر ترجمته

أمالي القالي ١ / ٢٣ ، المؤتلف والمختلف / ٤٩ ، سمط اللآلى ١ / ١٠٩ ، الاعلام ١ / ٨٠

(٢) دجو

٢ ـ أحمد بن جَنْدل السَّعْدي[١]

بيت واحد[٢]

(١) لم أجد في المصادر إلّا احمر بن جندل وهو شاعر جاهلي . في المؤتلف / ٣٦ الشعر والشعراء ١ / ٢٧٢ ، سمط ١ / ٤٩ ، دائرة المعارف الاسلامية ١٢ / ٥٣

(٢) معد

٣ ـ ابن أَحْمَر البجلي[١]

بيت واحد[٢]

(١) أحد بني العتيك بن الربعة بن مالك بن سعد من بني كهلان ، وهو شاعر إسلامي قديم ، مُجِيد وصّاف في شعره .

مصادر ترجمته
المؤتلف / ٣٧ ، عيون الاخبار ٢ / ١٠١
(٢) عزو

٤ ـ الأحوص الأنصاري[١] (ت / ١٠٥ هـ ـ ٧٢٣ م)
خمسة ابيات وشطران[٢]
(١) هو عبد الله بن محمد بن عاصم الانصاري ، شاعر أموي توفي في خلافة يزيد بن عبد الملك .
مصادر ترجمته
الشعر والشعراء ١ / ٥١٨ ، الأغاني ٤ / ٢٢٤ ، خزانة الأدب ٢ / ١٦ تأريخ الادب العربي (بروكلمان) ١ / ١٩٦ ، المؤتلف / ٤٨ ، سمط ١ / ٧٣
شعر الأحوص الانصاري جمعه وحققه عادل سليمان جمال .
(٢) كنع ، شفع ، ضرع ، ربع ، بلد ، إمالا

٥ ـ أبو أخزم الطائيّ[١]
شطر واحد[٢]
(١) هو الخشرم من أخرم الطائي (جَدّ أبي حاتم) شاعر جاهلي قديم .
مصادر ترجمته
الاشتقاق ١ / ٢٩ ، البيان والتبيين ١ / ٣٣١ ، جمهرة أنساب العرب / ٤٠٢
(٢) شن

٦ ـ الأخطل[١] (ت ٩٢ هـ / ٧١٠ م)
سبعة وثلاثون بيتاً وثمانية أشطر[٢]
(١) غياث بن عوف من بني تغلب . يكنى أبا مالك ، الشاعر الأموي المشهور
(٢) عش ، عر[٣] ، عل ، جعظ ، عجم ، رعث ، رعب ، دعم ، لعو ، علهج ، عنقر ، حصر ، زحل ، نبح ، حوث ، هس ، هدي ، لنح ، سبح ، ختو ، قط ، شنق ، قرص ، قنص ، قبل ، ضيق ، كم ، كسر ، درك ، ركل ، جلد ، لجم ، شطو ، سل ، سور ، زلم ، ميز ، مدن ، دين ، ذا ، نمل ، أيل .

٧ ـ الأخيَل[١] الطائي
بيت واحد[٢]
(١) الأخيل بن عبيده الاعشم يكنى أبا المقدام ، قال الأمدي: (إن ابن الكلبي في أنساب طيء لم يذكر له شعراً ولا وجدت له في أشعار الطائيين ذكراً)
المؤتلف والمختلف / ٥٠
(٢) هيض

٨ ـ أُسامة بن الحارث الهُذَليّ[١]
ثلاثة ابيات[٢]
(١) أسامة بن الحارث بن حبيب ، يكنى أباسهم من بني عمرو بن الحرث بن تميم من هُذيل ، شاعر جاهلي اسلامي .
مصادر ترجمته
الشعر والشعراء ٢ / ٦٦٦ ، الإصابة في تمييز الصحابة ١ / ١٠٤ ، سمط ١ / ٨١ ، ديوان الهُذليين ٢ / ١٩٥
(٢) همع ، ذعط ، شهق .

٩ ـ الأسْعَرُ الجُعْفِيّ
بيت واحد[٢]
(١) مَرْثَد بن أبي حمران الحارث بن معاوية الجُعفي . شاعر جاهلي لُقّب بالاسعر ، لقوله:

فلا يَدعُني قومي لسعد بن مالك
اذا أنا لم اسعر عليهم وأثقب

مصادر ترجمته
الشعر والشعراء ٢ / ٨٦٧ ، عيون الاخبار ١ / ٢٤٣ سمط ١ / ٩٤ ، الاعلام للزركلي ٨ / ٨٥ .
(٢) قعد .

١٠ ـ (اسماعيل بن بشار[١])
بيت واحد[٢]
(١) هو اسماعيل بن يسار مولى قريش ، اخو موسى شهوات . عاش في المدينة ايام يزيد بن معاوية .
ـ يؤكد محقق السمط (عبد العزيز الميمني) أن (بشار) تصحيف والصحيح هو (يسار) .
مصادر ترجمته
خزانة الادب ١ / ٢٩٨ ، ٤ / ٣٤٢ ، سمط ١ / ٦٢
الشعر والشعراء ٢ / ٥٧٧
(٢) حلب .

١١ ـ (أبو الاسود الدؤلي[١])
(ت ٦٧ هـ / ٦٨٧ م)
بيت واحد[٢]
(١) هو ظالم بن عمرو بن جَندل بن سُفيان من كنانه . ويَعَدُّ في الشعراء والتابعين والمحدثين والنحويين .
مصادر ترجمته
معجم الشعراء (للمرزباني) / ١٥١ ، خزانة الأدب ١ /

٢٨١ الاصابة ٢ / ٢٤١ ، الشعر والشعراء ٢ / ٧٢٩ ، معجم الادباء ١٢ / ٣٤ تأريخ (بروكلمان) ١ / ١٧١ ، سمط ١ / ٦٦

(٢) قول .

١٢ ـ (أبو الاسود العجلي) (السوداء)

ثلاثة أبيات وشطر[١] .

(١) عتب ، شيع ، بهلص ، قشو ، .

١٣ ـ (الأسوَدُ بن يَعْفر النَّهْشَليُّ)[١]

(ت / ٦٠٠ م)

ثلاثة أبيات [٢]

(١) الاسود بن يعفر بن عبد الاسود بن جندل التميمي وهو المعروف بأعشى نهشل . شاعر جاهلي ، مقدم فصيح ، كُف بصره آخر عمره . كنيته ابو الجرّاح .

مصادر ترجمته

معجم الشعراء للمرُزباني ك ١٦ ، الاغاني ١٣ / ١٥ ، خزانه الادب ١ / ٤٠٥ ، الشعر والشعراء ١ / ٢٥٥ ، سمط ١ / ١١٤ الاعلام ١ / ٢٣٠ ، المفضّليات رقم (٤٤ ، ١٢٥)

(٢) خلع ، كعب ، نهم

١٤ ـ (الأشْعر الرَّقَبان الاسَديّ)[١]

بيت واحد[٢]

(١) هو عمرو بن حارثه بن ناشب بن سلامه بن سعد بن مالك من بني أسد . شاعر جاهلي .

مصادر ترجمته :

المؤتلف / ٤٧ ، معجم الشعراء (للمرزباني) / ٢١٠ أمالي القالي ٢ / ٢١١ .

(٢) مسخ .

١٥ ـ (الأشْهَب بن رُمَيلة)[١]

(٨٦ هـ ـ ٧٠٥ م)

بيت واحد[٢]

(١) الاشهب بن ثور بن أبي حارثة بن عبد المدان التميمي ، شاعر نجديّ ولد في الجاهلية وعاش الى العصر الاموي ، نسبته الى امه (رُمَيْلة)

مصادر ترجمته

خزانة الأدب ٦ / ٣٠ ، طبقات الشعراء (لابن سلّام) / ١٧٧ سمط ١ / ٣٤ ، الاعلام ١ / ٣٣٥

(٢) حرد

١٦ ـ (الاضبط بن قُريع)[١]

بيت واحد[٢]

(١) هو الاضبط بن قُريع بن عوف بن كعب من بني تميم ، شاعر جاهلي قديم ، والده الملقب بأنف الناقة .

مصادر ترجمته

خزانة الادب ١١ / ٤٥٢ ـ ٤٥٦ ، أمالي القالي ١ / ١٠٧ الشعر والشعراء ١ / ٣٨٢ ، حماسة الظرفاء ١ / ١٥٤

(٢) خدع .

١٧ ـ (أعشى باهلة)[١] (٦٠٠ م)

بيتان[٢]

(١١) هو عامر بن الحارث بن رياح . شاعر جاهلي مُجيد ذكره ابن سلام في اصحاب المراثي وذُكرت قصيدته في رثاء اخيه في جمهرة القرشي .

مصادر ترجمته

خزانة الادب ١ / ١٨٧ ، سمط ١ / ٧٥ ، طبقات الشعراء لابن سلّام / ٨٢ ، مختارات ابن الشجري ١ / ٨ ، المؤتلف / ١٤ تأريخ (بروكلمان) ٢ / ٨٠ ، جمهرة اشعار العرب / ٢٥٤ .

(٢) صفر ، أري

١٨ ـ (أعشى بني مازن)[١] الحرمازي

شطران[٢]

(١) هو الاعور بن قراد بن سفيان من بني الحرماز . شاعر جاهلي ادرك الاسلام ويطلق عليه اعشى حرماز وأخرى اعشى مازن .

مصادر ترجمته

المؤتلف / ١٥ ، الاصابة ١ / ٥٤ ، سمط ١ / ٧٧

(٢) غير ، ذرب

١٩ ـ (الاعشى الاكبر)[١]

(ت / ٧ هـ ـ ٦٢٩ م)

(١٦٠ بيتاً و ٤٤ شطراً .)[٢]

(١) هو (ميمون بن قيس بن جندل)

(٢) عضى ، عن ، خنع ، عقص ، قطع ، عتق ، ،عزق ،

علق[٢]، عكن ، عكف ، شجع ، عجز ، رجع ، عجل ، شعر ، صدع ، عصف ، عصم ، عسر ، عزل ، نزع ، زمع ، ردع ، دفع ، تلع ، متع ، ذرع ، حصف ، عفر ، عجو ، عوض ، عور ، عبهر ، عشرق ، عضرط ، حق[٢] ، حد ، رح ، حل[٢] ، حب ، حم ، قزح ، قحط ، حرق ، لقح ، حلق ، كسح ، كحل ، حبك ، حكم ، هجر[٢] ، حرج ، رجح ، حجل ، حجن ، حجم ، جح ، دحض ، حضن ، نضع ، نفح ، حضب ، حصد ، صرح ، حصن ، نصح ، فصح ، صفح ، حصب ، صحب ، صبح[٢] ، سطح ، حسر[٢] ، سحل ، سلح ، سبح ، حسم ، سحم ، طلح ، حدر ، حفد ، حدم ، حمد ، حذف ، رحل ، حرب ، برح ، حرم[٢] ، رحم ، حمر ، حلف ، حلب ، حمل ، ملح ، لحم ، حلم ، حصى ، صحو ، زيح ، روح ، ريح ، حفي[٢] ، وحف ، حزرق ، هر ، هلك ، كهل ، هزب ، مهر ، وهل ، وهن ، هنى ، وهي ، هرمز ، هنزمن ، شرح ، سحم ، خزل ، طبخ ، خدم ، خمل ، خيص ، خلو ، خرنق ، عرق ، غفر ، غرب ، غمر ، شرق ، نقض ، صدق ، قصر ، سلق ، سنق ، طلق ، قتل ، قتن ، لثق ، فقم ، أرق ، يقن ، أفق ، قرمص ، سك ، كب ، شكر ، كتن ، نكظ ، ثكن ، صاك ، درمك ، كوكب ، جد ، جر ، جلس ، فجس ، جدر ، نجب ، مجن ، جون ، نشص ، شمط ، بشر ، نشم ، شيم ، شور ، فضل ، نضي ، صرف ، صبر ، صور[٢] ، وصل ، دلمص ، سر[٢] ، سل ، سفن ، أسر ، سيل ، أسو ، وسوس ، وزر ، زول ، زوي ، طفل ، درهم ، نتل ، ريث ، لوث ، رف ، فلو ، أمم .

وهي، هرمز، هنزمن، شرح، سحم، خزل، طبخ، خدم، خمل، خيص، خلو، خرنق، عرق، غفر، غرب، غمر، شرق، نقض، صدق، قصر، سلق، سنق، طلق، قتل، قتن، لثق، فقم، أرق، يقن، أفق، قرمص، سك، كب، شكر، كتن، نكظ، ثكن، صاك، درمك، كوكب، جد، جدّ، جلس، فجس، جدر، نجب، مجن، جون، نشص، شمط، بشر، نشم، شيم، شور، فضل، نضي، صرف، صبر، صور[٢] وصل، دلمص، سر[٣] سل، سفن، أسر، سيل، أسو، وسوس، وزر، زول، زوي، طفل، ,درهم، نتل، ريث، لوث، رف، فلو، أمم .

٢٠ ـ (أعشى هَمْدان)[١] (٨٣ هـ ـ ٧٠٢ م)

ثلاثة أبيات[٢]

(١) هو عبدالرحمن عبدالله بن الحارث بن نظام بن همدان من بني كهلان . وهو شاعر مُحسن مُقدّم، وقد خرج مع ابن الأشعث . فأخذ أسيراً وأتي به الحجاج فضرب عنقه .

مصادر ترجمته :ـ المؤتلف ١٤١، الاغاني ٦/٣٣، خزانة الادب ٩/٥٧٦ تأريخ (بروكلمان) ١/٢٣٧ .

(٢) تع ، بعل، بخ .

٢١ ـ (الأعْلَمَ الهُذَليّ)[١]

بيت واحد[٢]

(١) هو حبيب بن عبدالله الهذُليّ . أخو صخر الغي الهُذَليّ . لقبه الأعلم . شاعر جاهلي من عّدائي العرب وصعاليكها .

مصادر ترجمته :ـ تأريخ الادب العربي (بلاشير) ٢/١١٤، ديوان الهذليين ٢/٧٧

(٢) ـ حشب .

٢٢ ـ (الأغلب العجلي)[١] [ت ٢١ هـ/ ٦٤١ م]

بيتان وشطران[٢]

(١) ـ الاغلب بن عمر بن عبيدة بن حارثة شاعر مخضرم، مُعَمَّر وهو أرجز الرجاز ، جعله العجاج مثاله في الرجز .

مصادر ترجمته : المؤتلف /٢٢ ، سمط ٢/٨٠١، الشعر والشعراء ٢/٦١٣ خزانة الادب ٢/٢٣٩ ، الاغاني ٢١/٢٩، الاصابة ١/٥٦

(٢) ـ جع، تيح، ودي، بظو .

٢٣ ـ (أُفْنون التَغْلبيّ)[١] (ت /٥٦٧ م)

بيتان[٢]

(١) ـ هو صُرَيْم بن مَعْشَر بن ذهُل بن تيم من بني تغلب . شاعر جاهلي .

مصادر ترجمته : خزانة الادب ١١/١٥١ ، الشعر والشعراء ١/٤١٩ المؤتلف /١٥١ (اسمه ظالم)، المفضّليّات رقم ٦٥، ٦٦

(٢) علق، بوأ

٢٤ ـ (الأُقَيْبل القَّنيّ)[١] (نحو ٨٥ هـ /٧٠٤ م)

بيت واحد[٢]

(١) الاقيبل بن نبهان بن خنف . شاعر اسلامي ، كان في زمن الحجاج

مصادر ترجمته : المؤتلف /٢٣، سمط ٢/٩٠٤، ديوان المعاني ٨٨/١ ، الاعلام ٣٤٣/١

(٢) فكر

٢٥ ـ (الأُقَيْشِر الأسديّ)[١] (ت ٨٠ هـ / ٧٠٠ م)

بيت واحد[٢]

(١) هو المغيرة بن عبدالله بن الاسود بن وَهْب من بني أسد . وكان يغضب إذا قيل له الاقيشر (معناه : أحمر الوجه) وهو شاعر كوفيّ ماجد عاش في زمن عبدالملك بن مروان .

مصادر ترجمته : الشعر والشعراء ٥٥٩/٢، معاهد التنصيص ٢٤٣/٣ معجم الشعراء (للمرزُباني) /٣٦٩، الاغاني ٢٥١/١١، المؤتلف /٥٦، سمط ٢٦١/١

(٢) مرض

٢٦ ـ (امرؤ القيس)[١] (٤٩٧ م ـ ٥٤٠ م)

(٧٥) بيتاً و(٤٣) شطراً[٢]

(١) امرؤ القيس بن حجر بن عمرو الكندي

(٢) عق / بع / عم / مع / خضع / خلغ / عقص / عقر / عرق / عقل / جزع / شعب / ضلع / عصر / عطس / سرع / رسع / لسع[٢] / سعف / عمد / نعت[٢] / عتب / عذر / نعر / نعل / ضوع / عطو / عدو / عير / عيل / عثكل / ثعجر / سح / حط / حل / حذق / حقب[٢] / حجر / حضر / سحر / حسب / رحل / حرب / حمر / لحب / حمل / لحم / الحاء / هز / غهب / هكل / هصر / طهر / بوه / خف / خلج / خصن / دخن / حظو / خفي / خربص / خذرف / غدر / قر / سفق / قذف / قوس / قيد / قنو / قسطس / دمقس / سفسق / كص / كذّ / كسل / سلك / كساء / رجل / جنب / جشيء / نشم[٢] / تضو / نضي / ضفو / ضيب / صف / صدي / نوص / سمط / نسل / نسم / در / دور / فتن / تبن / مث / أث / نم / رمي / أمر / روي / نول / نافا / أو .

٢٧ ـ (أميّة بن اسكر)[١] (٢٠ هـ ـ ٦٤١ م)

ثلاثة أبيات[٢]

(١) هو أميّة بن حُرثان بن الاسكر بن عبدالله بن جُندع ، شاعر فارس مخضرم ادرك الجاهلية والاسلام وكان من سادات قومه .

ـ قد يأتي الاسم (أميّة بن حُرثان) وهو نفسه ـ ينظر الخزانة ١٣ / ١٦٣

ـ وقد يأتي الاسم (أميّة بن (الاشكر) الجندعي) وهذا تصحيف / فهرس الاغاني ١٥٦/٢٤

مصادر ترجمته : الاغاني ٩/٢١، خزانة الادب ١٨/٦، الاصابة ٦٤/١ الأعلام ٣٦٢/١، سمط ١٢/١ .

(٢) بحر / خوث / بيي .

٢٨ ـ (أميّة بن أبي الصّلت)[١] (ت/ ٣ هـ ـ ٦٢٤ م)

١٣ بيتاً وخمسة اشطر[٢]

(١) اميّة بن ابي الصّلت من ثقيف بكر هوازن . شاعر جاهلي ، آمن بالتوحيد ولكنه لم يسلم ، في شعره الفاظ غريبة تعبّر عن ثقافته .

مصادر ترجمته : الاغاني ١٢٠/٤، الشعر والشعراء ٤٥٩/١، الاعلام ٣٦٤/١ تأريخ (بروكلمان) ١١٣/١، خزانة الادب ٢٤٧/١، دائرة المعارف الاسلامية ٦٦٠/٢ سمط ٣٦٣/١ ، حقق بهجت عبدالغفور شعره/ بغداد ١٩٧٥ .

(٢) رقع / عسم / علط / عوق / دعمص / حج / حتم / خلب / قس / دقط / قلد / كفر / ركب / نجد / فرص / دسف / لف / لا .

٢٩ ـ (أميّة بن أبي عائذ الهذَليّ)[١] (ت/ ٧٥ هـ ـ ٦٩٥ م)

ثلاثة أبيات[٢]

(١) هو احد بني عمرو بن الحارث بن تيم بن سعد بن هذَيل، شاعر اسلامي من شعراء الدولة الامويّة .

مصادر ترجمته : ديوان الهذليين ١٧٢/٢، خزانة الأدب ٤٣٥/٢، الاغاني ٥/٢٤، سمط ٣٢٥/١، الاعلام ٣٦٢/١ .

(٢) ـ جمز / جرمز / رفد .

٣٠ ـ (أنس بن مُدركِ الخثعميّ)[١] (ت/ ٣٥ هـ ـ ٦٥٥ م)

بيتان[٢]

(١) هو أنس بن مدْرِك بن كعبِ بن حارثة، شاعر جاهلي سيد قبيلته ، ادرك الاسلام . ((وقد يُذكر (مدركة)) .

مصادر ترجمته : خزانة الادب ٤٧٨/٣، جمهرة أنساب العرب ٣٩١/١ الاعلام ٣٦٦/١ .

(٢) عقل / ثار .

٣١ ـ (أَوس بن حَجَر)[١] (٥٣٠ م ـ ٦٢٠ م)

١٣ بيتاً وخمسة أشطر[٢]

(١) هو أوس بن حجر بن عتّاب . قال أبو عمرو بن العلاء : كان أوس فحْل مُضر . وكان عاقلاً في شعره كثير الوصف لمكارم

الاخلاق وسبق دقيق المعاني . وهو شاعر تميم في الجاهليّة غير مُدافَع .

مصادر ترجمته : الشعر والشعراء ١/٢٠٢، خزانة الادب ٤/٣٧٩، الاغاني ١١/٧٠ تأريخ (بروكلمان) ١/١١٢، تأريخ (بلاشير) ٢/١٢٠، الاعلام ١/٣٧٤ .

- ديوان أوس بن حجر /تحقيق الدكتور محمد يوسف نجم - بيروت .

(٢) قرع/ مصع/ سعف/ سمع/ طلع/ فرع/ لمع/ عنو/ سقف/ سكر/ كشب/ شرط/ شرف/ خزن/ أصل/ ظائب/ لأم/ نباء/ .

٣٢ - (أَوْس بن مَغْراء)[١] (ت) ٥٥ هـ - ٦٧٥ م)

بيتان وشطران[٢]

(١) - أوس بن مَغراء بن عوف بن كعب بن سعد . شاعر مُجيد ، عاش في الجاهلية وادرك الاسلام وتهاجى مع النابغة الجعدي . عَدّه ابن سلام في الطبقة الثالثة من الشعراء الاسلاميين .

مصادر ترجمته : الشعر والشعراء ٢/٦٨٧ ، الاغاني ٥/١٠ ، سمط ٢/٧٩٥ الاشتقاق ١/٢٥٥ ، طبقات ابن سلام/١٧٤ .

(٢) عقر/ صوف/ مس/ ثني .

٣٣ - (أيمن بن خريم)[١] (ت/ ٨٠ هـ - ٧٠٠ م)

بيت واحد[٢]

(١) - أيمن بن خريم بن فاتك من بني أسد ، شاعر عاش في العصر الأموي .

مصادر ترجمته : الشعر والشعراء ١/٥٤١، ، سمط ١/٢٦٢ ، الاعلام ١/٣٧٨ الأغاني ٢٠/٣٠٧ ، خزانةالادب ٨/٣٤٠ .

(٢) ! شق .

٣٤ - (الباهلي ؟)

شطر واحد[١]

(١) - رقم

٣٥ - (ابن حَبناء التميميّ)[١] (ت / ٩١ هـ/ ٧١٠ م)

بيت واحد[٢]

(١) هو المغيرة بن حبناء ، من ربيعة بن حنظلة من بني تميم . من شعراء العصر الاموي ، شاعر مُحسن كان يهاجي أخاه صَخراً .

مصادر ترجمته : الشعر والشعراء ١/٤٠٦ ، ٤٠٧ ، المؤتلف /١٠٥ أمالي القالي ٢/٢٣٠ .

(٢) - حنف .

٣٦ - (البختري الجعدي) يُنظر مجنون ليلى

٣٧ - (البَرّاض بن قيس)[١] (ت / ٥٩٠ م)

بيت واحد[٢]

(١) - البراض بن قيس بن رافع ، أحد بني ضمرة الكناني . شاعر جاهلي فاتك .

مصادر ترجمته : الاغاني ٢٢/٥٦ ، المُحبَّر /١٩٥ ، جمهرة انساب العرب ١/١٨٥ الاعلام ٢/١٦٢ .

(٢) - دلظ

٣٨ - (البَريق الهُذَليّ)

ستة أبيات[١]

(١) - هو عياض بن خُويلد الخُناعي من شعراء هُذيل حجازي مُخضرم .

مصادر ترجمته : معجم المرزُباني/ ٢٦٨ ، ديوان الهُذليين ٣/٥٤ ، عيون الاخبار ١/٣٨ ، ٣/١٧٩ .

(٢) - شعر/ عتر/ غلم/ ضيف/ وتر/ فلم .

٣٩ - (بَشّار بن بُرد)[١] (٩٥ هـ - ١٦٧ هـ/ ٧١٤ م - ٧٨٤ م)

أربعة أبيات وشطر[٢]

(١) - الشاعر المعروف ، مُخضرم عاش في العصر الاموي والعباسي .

(٢) جعب/ عذر/ دهل/ قصب/ قول .

٤٠ - (بِشْرُ بن أبي خَازِم الأَسديّ)[١] (ت/ ٦٠٠ م)

ثمانية ابيات وشَطر[٢]

(١) - بشر بن أبي خازم بن عمرو بن عوف من بني أسد . شاعر جاهلي قديم ، فارس .

مصادر ترجمته : الشعر والشعراء ١/٢٧٠ ، خزانة الادب ٤/٤٤١ سمط ٢/٦٦٤، الاعلام ٢/٣٧ ، تاريخ بروكلمان ١/١١٨ المفضليات رقم (٩٦ الى ٩٩) ، مختارات ابن الشجريّ ٢/٢٩ .

(٢) سرع/ عيب/ لغب/ غرمل/ قصو/ برك/ نصب/ وذف/ روب .

٤١ - (بِشر بن المغُيرة)[١]

بيت واحد[٢]

(١) - هو بشر بن المغيرة بن المُهَلّب بن أبي صفرة ، شاعر أموي .

مصادر ترجمته : عيون الاخبار ٣/٩٠

(٢) شعب .

٤٢ - (بشَير الغزيري)

شطر واحد[١]

(١) ـ قفن .

٤٣ ـ (البَعيث)[١] (ت / ١٣٤ هـ ـ ٧٥١ م)

بيتان[٢]

(١) ـ هو خَداش بن بِشر ، من بني مُجاشع يُعرف بالبعيث البصري ، قال الشعر بعد أن أسنّ وكبر ويكنى أبا مالك . وكان أخطب بني تميم وكان يهاجي جريراً .

مصادر ترجمته : الشعر والشعراء ١/٤٩٧ ، المؤتلف /٥٦ ، سمط ١/٢٩٦ معجم الادباء ١١/٥٢ ، خزانة الادب ٤/٤٦٥ ، البيان والتبيين ١/٤٥

(٢) ـ رشم / تل

٤٤ ـ (بلال ؟)

شطر واحد[١]

(١) ـ جل

٤٥ ـ (بَيْهسَ العذريّ)[١]

بيت واحد[٢]

(١) ـ شاعر جاهلي . قال عنه الآمدي : انه لم يرفع في كتاب عذرة نسبه .

مصادر ترجمته : المؤتلف /٦٥ ، الزاهر ١/٥٤٢

(٢) ـ فرح .

٤٦ ـ (تأبط شراً)[١] (ت / ٥٣٠ م)

اربعة أبيات[٢]

(١) هو ثابت بن جابر من فهم بن قيس ، سُميّ بذلك لتأبطه سيفاً ! من الصعاليك قرينٌ للشنفرى الازدي وعمرو بن براق وكانوا ثلاثتهم من العدائين .

مصادر ترجمته : الشعر والشعراء ١/٣١٢ ، الاغاني ٢١/١٢٦ ، المُحبّر /١٩٦ سمط ١/١٥٨ ، دائرة المعارف ٤/٤٣٥ ، الاعلام ٢/٨٠ المَفضّليّات رقم (١) .

(٢) ـ عصم /هدمل/ وصل/ مناً .

٤٧ ـ (تُبع ؟)

ثلاثة ابيات[١]

(١) ـ قلد/ سبط/ بجي .

٤٨ ـ (تَوبَة بن الحُميّر)[١] (ت/ ٨٥ هـ ـ ٧٠٤ م)

بيتان وشطر[٢]

(١) توبة بن الحميِّر بن حزم بن كعب ، شاعر أموي هوى ليلى الأخيلية وله فيها شعر .

مصادر ترجمته : الشعر والشعراء ١/٤٤٥ ، الأغاني ١١/٢٠٤

الاشتقاق ١/٢٩٩ ، المؤتلف /٦٨

(٢) عل/ برقع/ سفر .

٤٩ ـ (ثَعْلَبة بن صُعَيْر المازني)[١] (بحدود / ٥٢٠ م)

بيتان[٢]

(١) ـ ثعلبة بن صعير بن مازن ، شاعر جاهلي قديم .

مصادر ترجمته : الاعلام ٢/٨٣ ، أمالي القالي ٢/١٤٥ ، سمط ٢/٧٦٩ المفضّليّات رقم (٢٤)

(٢) كتف /ذكو .

٥٠ ـ (ثَعْلَبة بن عَمرو العَبْديّ)[١]

بيت واحد[٢]

(١) ـ هو ثعلبة بن حزن بن زيد بن عبدالقيس . وحزن لقبه وعمرو أبوه . وهو شاعر جاهلي من فرسانها .

مصادر ترجمته : سمط ١/٥٢ ، ٥٣ ، المُفضّليّات رقم (٦١ ، ٧٤)

(٢) حجل .

٥١ ـ (جابر بن حُنيّ التَّغْلِبي)[١] (ت/ ٥٦٠ م)

بيت واحد[٢]

(١) ـ هو جابر بن حُنَيّ بن حارثة بن تغلب ، شاعر جاهلي قديم كان صديقاً لامرىء القيس .

مصادر ترجمته : معجم المرزباني /٢٠٧ ، الأعلام ٢/٩٠ ، ديوان امرىء القيس /٩٠ المفضّليّات رقم [٣])

(٢) ـ مكس .

٥٢ ـ (الجارود العَبْدِي)[١] (ت/ ٢٠ هـ ـ ٦٤١ م)

شطر واحد[٢]

(١) هو بشر بن عمرو بن عبدالقيس ، صحابي مختلف في اسمه . لقب بالجارود لأنه في الجاهلية غزا بكر وائل .

مصادر ترجمته : الاصابة ١/٢١٦ ، المعارف /٣٣٨ ، الاعلام ٢/٢٧ كتاب العين ٦/٧٦ (الهامش)

(٢) جرد .

٥٣ ـ (جُبَيْهاء الأشْجَعيّ)[١]

بيت واحد[٢]

(١) ـ يزيد بن عُبَيد بن عقملة بن قيس بن أشجع ، شاعر بدوي من مخاليف الحجاز ، نشأ وتوفي في أيام بني أميّة . مُقل في شعره ولم يكن مشهوراً وجبيهاء لقب . عاصر الفرزدق .

مصادر ترجمته . الأغاني ١٨/٩٤ . المؤتلف /٧٧ ، مجمع الأمثال ٢/٣٥١ ديوان المعاني ٢/١٢٧ ، سمط ٢/٦٤٠ ، لسان العرب مادة (جيه) ، ـ جاء في العين أنه (جيهاء الاسلمي)

والصحيح ماأثبتناه . المفضّليّات رقم (٣٣) .

(٢) - بج

٥٤ - (جُرَيّ الكاهلي)

بيت واحد[١]

(١) عجنس .

٥٥ - (جَرير)[١] (ت/ ١١٠ هـ - ٧٢٨ م)

(٥٤ بيتاً و ١٩ شطراً)[٢]

(١) جرير بن عطية بن الخطفى .

(٢) عق/ عش/ عله/ خلع/ خفع/ علق[٢]/ نقع/ عقب/ مقع/ عرك/ عسج/ شنع/ عرس/ طبع/ ترع/ عظل/ عذر/ عرن/ ضعو/ عيص/ عوس/ وعس/ عيط/ وعد/ هرنع/ علهب/ قنعس/ سلفع/ بح/ حكم/ سمع/ محزر/ ضحو/ هزر/ لهم/ حنق/ خصي/ غض[٢]/ غول/ نغ/ مرغ/ غول/ ضغبس/ صلق/ قمص/ قرش/ قذف/ قرن/ رقاء/ قدمس/ قرنب/ كرج/ شكل/ كزم/ دكر/ كرب/ كين/ كرزم/ ضرب/ صيف/ صمي/ مسط/ سرف/ لط/ طربل/ بلد/ ريذ/ ذرو/ رمل/ رأي/ روي/ لام الاستغاثة .

٥٦ - (جَساس بنُ قَطيب) ؟

شطر واحد[١]

(١) وقع

٥٧ - (جُعيل) ؟

بيت واحد[١]

(١) - سفح .

٥٨ - (الجُمَيْح بن الطَّمّاح الاسدي)[١] (ت/ ٥٧١ م)

بيت واحد[٢]

(١) - منقذ بن الطماح بن قيس بن طريف الأسدي . أحد فرسان الجاهلية يوم جبلة وبهُ قتل .

مصادر ترجمته : معجم المرزُباني /٤٠٣ ، خزانة الادب ١٠/ ٢٤٧ ، سمط ١/ ٣٠ ، الشعر والشعراء ١/ ٢٧٤ ، الأعلام ٨/ ٢٥٠ ، المفضّليّات رقم (٤) .

(٢) جنب .

٥٩ - (جَميل بن معمر)[١] (ت/ ٨٢ هـ - ٧٠١ م)

(١١) بيتاً وشطر واحد[٢]

(١) الشاعر الأموي المعروف (جميل بثينة)

(٢) - علق/ عمد/ لعن/ هبنقع/ قدح/ هلك/ هتف/ مهل/ رشف/ طل/ ودي/ رمث .

٦٠ - (أبو جُنْدُب الهُذَلي)[١]

بيت وشطر واحد[٢]

(١) ابو جندب بن مرة القردي من هُذَيل شاعر جاهلي . أخوه (ابو خراش الهُذَلّي)

مصادر ترجمته : الاغاني ٢١/ ٢١٥ ، ديوان الهذليين ٣/ ٨٥ ، الاعلام ٢/ ١٣٧

(٢) قطع/ خفر .

٦١ - جُنْدَل بن المُثَنّى الطَّهَويّ)[١] (ت/ ٩٠ هـ - ٧٠٩ م)

بيتان[٢]

(١) جندل بن المثنى الحارثي الطهوي . من تميم . شاعر أموي . عاصر الراعي وهاجاه وتميّز بالرجز . غلب عليه لقب أمه (طُهيّة)

مصادر ترجمته : السمط ٢/ ٦٤٤ ، الاعلام ٢/ ١٣٧

(٢) - حنبج/ أوق .

٦٢ - (حاتم الطائي)[١] (ت/ ٥٧٨ م)

ثلاثة أبيات[٢]

(١) حاتم بن عبدالله بن سعد من طيء ، الشاعر الجاهلي بجوده وفروسيته .

مصادر ترجمته : خزانة الادب ٣/ ١٢٧ ، ما الشعر والشعراء ١/ ٢٤١ ، تأريخ (بروكلمان) ١/ ١١١ ، تاريخ (بلاشير) ٢/ ٩١ .

(٢) دهق/ رده/ رمي .

٦٣ - (الحارث بن حلّزه اليشكري)[١] (ت/ ٥٨٠ م)

ثلاثة أبيات[٢]

(١) - الشاعر الجاهلي المشهور

(٢) - كسع/ غبر/ نقل .

٦٤ - (الحارث بن خالد المَخزومي)[١] (ت/ ٨٠ هـ - ٧٠٠ م)

بيت وشطر واحد[٢]

(١) الحارث بن خالد بن العاص من مخزوم . شاعر أموي . وقف شعره على الغزل . عاصر عمر بن أبي ربيعة ومات بعده .

مصادر ترجمته : الأغاني ٣/ ٣١١ ، خزانة الادب ٣/ ٤٥٣ ، الاعلام ٢/ ١٥٥ . (حقق شعره د . يحيى الجبوري - بغداد)

(٢) خلف/ قمن .

٦٥ - (الحارث بن مَضاض الجرهميّ)[١]

بيت واحد[٢]

(١) الحارث بن مضاض في عبد المسيح الجرهميّ . من ملوك الجاهلية من قحطان . كانت اقامته في الحجاز . واليه ينسب هذا البيت :

كأن لم يكن بين الحجُون الى الصفا أنيسٌ ولم يسمر بمكة سامر

مصادر ترجمته : الأعلام ٢/١٦٠
(٢) حلب .

٦٦ ـ (الحارث بن وعلة الجَرْمِيّ)[١]
بيت واحد[٢]
(١) ـ شاعر من فرسان قضاعة ، جاهلي من اليمن . يكنى أبا مُجالد .
مصادر ترجمته : الأغاني ٣/٢١٧ ، المؤتلف /١٩٦ ، سمط ١/٥٨٥
(٢) ـ صقع
٦٧ ـ (حارثة بن بَدْر الغُدَاني)[١] (ت/ ٦٤ هـ ـ ٦٨٤ م)
بيت واحد[٢]
(١) ـ حارثة بن بدر ، فارس بني تميم . شاعر أسلامي ، كان معاقراً للشراب .
مصادر ترجمته : الأغاني ٨/٣٥٠ ، المؤتلف /٩٩ ، العقد الفريد ، ٢/٣٣٣ عيون الأخبار ١/٥٨ ، دائرة المعارف ٧/٢٤٦ ، الاعلام ٢/١٦٢ .
(٢) نوص
٦٨ ـ (حاضنة الأحنف) ؟
بيت واحد[١]
(١) حنف
٦٩ ـ (أم الحجاج بن يُوسُف)[١]
بيت واحد[٢]
(١) ام الحجاج بن يوسُف الثقفي ـ ينظر المعارف ٣٩٦ .
(٢) زع
٧٠ ـ (حُذَيفة بن أَنس)[١]
بيت واحد[٢]
(١) حُذيفة بن أنس أحد بني عامر بن عمرو بن الحارث بن هُذَيل . شاعر جاهلي .
مصادر ترجمته . ديوان الهذليين ٣/١٨ ، المفصل في تاريخ العرب ٦/٣٨٥ قبل الاسلام .
(٢) دبح
٧١ ـ (حُذيفة بن بدر)[١]
بيت واحد[٢]
(١) حُذَيفة بن بَدر الخَطَفي (جد جرير) وحذيفة شاعر جاهلي
مصادر ترجمته : خزانة الادب ١/٧٥ ، المؤتلف /٧١ ، الاعلام ٢/١٨٠

(٢) خطف
٧٢ ـ (حسّان بن ثابت الأنصاري)[١] (ت/ ٥٤ هـ /٦٨٤ م)
(٢١) بيتاً وستة اشطر[٢]
(١) ـ الشاعر الاسلامي المشهور
(٢) عض/ خزع/ عنق/ رجع/ عصب/ عدم/ عوز/ عنجه/ رحق/ سجع/ مذح/ هوى/ خجأ/ رقص/ طلق/ كتف/ كفأ/ نجس/ حضن/ سل/ سبط/ طرف/ برد/ دنؤ/ لب/ ألل/ آم .
٧٣ ـ (حسّان بن قطيب)
شطر واحد[١]
(١) ـ سبرت
٧٤ ـ (الحطُم القيسيّ)
شطر واحد[١]
(١) ـ خفق
٧٥ ـ (الحطيئة)[١] (ت/ ٣٠ هـ ـ ٦٥٠ م)
(٩) أبيات وثلاثة أشطر[٢]
(١) هو جَرْول بن أوس بن مالك ، شاعر الهجاء المشهور .
(٢) قعد/ عنج/ طعم/ عذر/ عشو/ جمح/ شيح/ شوه/ نس/ نوم/ لين/ أنا .
٧٦ ـ (حَفْص الأموي)[١]
أربعة أبيات وثلاثة أشطر[٢]
(١) حفص الأموي ، شاعر من شعراء الدولة الاموية ، عاش حتى أدرك الدولة العباسية وكان يختلف الى كثُيِّر بن عبدالرحمن يروي عنه شعره .
مصادر ترجمته : معجم الادباء ١٠/٢٠٩ ، تأريخ (بروكلمان) ١/١٩٦
(٢) عقل /نقع / خرف/ غل/ ضاض/ مزر .
٧٧ ـ (ابن أبي الحُقيق)[١] (ت/ ٦١٥ م)
بيت واحد[٢]
(١) هو الربيع بن أبي الحُقيق من بني النضير ـ يهود المدينة ـ عاصر النابغة الذبياني
مصادر ترجمته : الأغاني ٢٢/١٢٧ ، تأريخ (بلاشير) ٢/١٤٠ ، طبقات ابن سلام /١٠٦
(٢) رعبل .
٧٨ ـ (حُمَيْد الأرقط)[١]
بيتان و (١١) شطراً[٢]
(١) هو حُميد بن مالك الأرق ، لقب به لآثار كانت بوجهه . وهو

شاعر اسلامي مُجيد . اجاد في وصف الطبيعة وعاصر العجّاج وتنازع واياه في الاراجيز .
مصادر ترجمته : معجم الادباء ١١/١٣ ، العقد الفريد ٧/١٧٨ وغيرها خزانة الادب ٥/٣٥٩ . قد يُسمى (الأريقط)
(٢) عزم/ عبط/ عمرس/ نحض/ لحد/ رحى/ هول/ كلي/ دجن/ جبي/ نشط/ أرض/ مل .
٧٩ - (حُمَيد بن ثور الهلالي)(١) (ت/ ٦٠ هـ - ٦٨٩ م)
(٢٢) بيتاً وخمسة أشطر(٢)
(١) حميد بن ثور بن عبدالله من بني هلال بن صعصعة . أحد المخضرمين من الشعراء ، ادرك الجاهلية والاسلام . مختلف في تأريخ وفاته .
مصادر ترجمته : معجم الادباء ١١/٨ ، الشعر والشعراء ١/٣٩٠ ، سمط ١/٣٧٦ طبقات الشعراء (ابن سلام) /١٧٦ ، تاريخ (بلاشير) ٢/١٠٢ ، الاعلام ٢/٣١٨ حقق عبدالعزيز الميمني ديوانه / القاهرة / ١٩٥١ .
(٢) عقر/ كلع/ رجع/ عصر/ سعد/ سعل/ سفع/ علط/ طلع/ عتم/ عذب/ عبن/ شح/ حر/ نحض/ سرح/ ويح/ هكر/ شهد/ مزق/ قمطر/ وكر/ وشي/ سأر/ سنو/ وزي .
٨٠ - (أبو حَنبل الطائي)(١)
بيت واحد(٢)
(١) هو جارية بن مرة ، أبو حنبل الطائي . شاعر جاهلي .
مصادر ترجمته : المؤتلف /٩٩ ، الزاهر ١/٤٩٢ ، ديوان الحماسة رقم (٩٣) .
(٢) جزأ
٨١ - (خالد بن جعفر الكلابي)(١) (ت/٥٩٥ م)
بيتان(٢)
(١) خالد بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن صعصعة . فارس . شاعر جاهلي .
مصادر ترجمته : الأغاني ١١/ ٩٤ ، خزانة الادب ١٠/٤٤٠ ، الاعلام ٢/٣٣٥
(٢) صعد /خلو .
٨٢ - (خالد بن زهير)(١)
أربعة أبيات(٢)
(١) خالد بن زهير بن مُحَرِّث الهُذَليّ . شاعر أمويّ . وهو ابن أخت الشاعر أبي ذؤيب وقيل ابن أخيه .
مصادر ترجمته : الأغاني ٦/٢٧٤ ، الشعر والشعراء ٢/٦٥٤
(٢) سلو/ بز/ أتو .

٨٣ - (خالد بن عبدالله القسريّ)(١) (٦٦ - ١٢٦ هـ /٦٨٦ م - ٧٤٣ م)
بيت واحد(٢)
(١) هو خالد بن عبدالله بن يزيد بن أسد . كان والياً على العراق أيام الأمويين .
مصادر ترجمته : الأغاني ٢٢/١ ، المعارف /٣٩٨ ، الاعلام ٢/٣٣٨ ديوان الخوارج ١٦٢ ، دائرة المعارف الاسلامية ٨/٢٠٠
(٢) طح .
٨٤ - (أبو خالد القناني)
بيتان(٢)
(١) شاعر من الخوارج ، عاصر قطريّ بن الفجاءة في العصر الأموي .
مصادر ترجمته : الكامل ٢/١٢٤ ، ديوان الخوارج /١٢
(٢) كرم/ نبل .
٨٥ - (أبو خِراش الهُذَليّ)(١) (ت/ ١٥ هـ - ٦٣٦ م)
بيتان وشطر(٢)
(١) هو خويلد بن مرة بن قرد بن هُذَيل . شاعر مخضرم من شعراء هُذَيل المُجيدين . أدرك الاسلام ومات في أيام عمر بن الخطاب (رض)
مصادر ترجمته : الشعر والشعراء ٢/٦٦٣ ، الاغاني ٢١/٢٠٥ ، سمط ١/٨٧ ديوان الهذليين ٢/١١٦ ، خزانة الادب ١/٤٤٣ .
(٢) بضع / زلج / رفأ .
٨٦ - (خَراشة بن عمرو العبسيّ)(١)
شطر واحد(٢)
(١) شاعر من الخوارج ، عُرفَ بالنجدة والبيان .
مصادر ترجمته : البيان والتبيين ٣/٢٦٥ ، التذكرة السعديّة /١٠٩ .
(٢) بدر .

٨٧ - (الخزاعيّ) ؟
بيت واحد(١)
(١) دج
٨٨ - (بنت الخُسّ العادية)(١)
بيت واحد(٢)

(١) هي هند بنت الخُسّ بن حابس بن قُريط الايادية . عدّها الجاحظ من فصيحات العرب .
مصادر ترجمته : أمالي القالي ٢١٨/٢ ، البيان والتبيين ٣١٣/١ ، سمط ٤٧٥/١ .
(٢) جحو
٨٩ - (أبو الخشناء)
بيت واحد[١]
(١) - قطع
٩٠ - (خِطام المُجاشِعي)[١]
شطر واحد[٢]
(١) - هو خِطام بن نصر بن غياض بن يربوع من بني مُجاشع . شاعر راجز . قال الآمدي : هو خِطام الريح المجاشعي . والخِطام : معناه الزمام .
مصادر ترجمته : المؤتلف /١١٢ ، الزاهر ٢١٣/١ ، خزانة الأدب ٣١٨/٣
(٢) ثفي .
٩١ - (خفاف بن نَدْبَة)[١] (ت ١ ٢٠ هـ - ٦٤٠ م)
بيت واحد وشطران[٢]
(١) - خفاف بن عمير بن الحارث بن الشريد السّلمي . شاعر جاهلي وفارس . يُنسب الى أمه . من اغربة العرب في الجاهلية ، أدرك الاسلام .
مصادر ترجمته : الشعر والشعراء ٣٤١/١ ، خزانة الادب ١٥/٤ ، سمط ٣٩/١ ، الاعلام ، ٣٥٦/٢ ، المؤتلف /١٠٨ ، الاصابة ٤٥٢/١ حقق الدكتور نوري حمودي القيسي شعره (شعراء اسلاميون/ ٤٣٣)
(٢) لوص/ معطر/ فود .
٩٢ - (خلف بن خليفة)[١]
سبعة أبيات وثلاثة أشطر[٢]
(١) - خلف بن خليفة ويقال له الأقطع ، لأن يده قطعت لسرقة اتهم بها . وهو شاعر أموي كان معاصراً لجرير والفرزدق .
مصادر ترجمته : الشعر والشعراء ٧١٤/٢ ، سمط ١/ ٥٨١ البيان والتبيين ٥٠/١ ، ديوان الحماسة رقم ٢ (٢٩٧ ، ٦٠٣ ، ٨٠٦) .
(٢) قلع/ قبع/ دفع/ عتب/ ربع/ وهد/ دهمق/ نقد/ فطر .
٩٣ - (حمام بن زيد مناة اليربوعي)
بيت واحد[١]
(١) وشق .

٩٤ - (الخنساء)[١] (ت/ ٢٤ هـ - ٦٤٥ م)
(١٧) بيتاً وشطران[٢]
(١) - تماضر بنت عمرو بن الشريد ، الشاعرة المشهورة .
(٢) عرك/ عجل/ عرش/ سلع/ برع/ عير/ رعي/ عول/ وعي/ خوي/ صغر/ قمطر/ كدي/ جنب/ شري/ صري/ مر/ لا /أيل .
٩٥ - (دارة ابو سالم)[١] (ت/ ٣٠ هـ - ٦٥٠ م)
بيت واحد[٢]
(١) هو سالم بن دارة منسوب الى أمه . واسم أبيه مسافع بن يربوع . والشاعر من المخضرمين . عاش في الجاهلية وأدرك الاسلام وكان يميل في شعره الى الهجاء . (وقد ورد اسمه في العين خلاف ترجمتنا)
مصادر ترجمته : الشعر والشعراء ٤٠١/١ ، خزانة الادب ١٤٨/٢ المؤتلف /١١٦ ، سمط ٢٢٨/١ ، الاعلام ١١٦/٣
(٢) روغ
٩٦ - (دُرَيْد بن الصِّمَّة)[١] (ت/ ٨ هـ - ٦٣٠ م)
خمسة أبيات وشطر[٢]
(١) دريد بن الصِّمَّة بن بكر بن علقة بن هوازن ، شاعرجاهلي شهد الاسلام ولم يسلم ، من الشعراء الفرسان ؛ قتل في وقعة حُنين .
مصادر ترجمته : خزانة الادب ١١٨/١١ ، الاغاني ٣/١٠ ، المؤتلف ١١٤/ الشعر والشعراء ٧٤٩/٢ .
(٢) عكظ / طعن/ نقب/ وقف/ شل/ صيص .

٩٧ - (دَغْفَل ؟)[١]
بيت وشطر واحد[٢]
(١) قد يكون دغفل بن حنظلة العالِم النسابة غرق يوم دُولاب في قتال الخوارج سنة (٧٠ هـ) - ينظر المعارف /٥٣٤ ، سمط ١٤/٣ .
(٢) عقل .
٩٨ - (دُكَيْن بن رجاء الفُقَيْمي)[١] (ت/ ١٠٥ هـ - ٧٢٣ م)
بيتان[٢]
(١) شاعر اموي راجز وفد على الوليد بن عبدالملك وهو غير دكين ابن سعيد الدارمي توفي (سنة ١٠٩ هـ) كما ذكرت المصادر التي ترجمت له .
مصادر ترجمته : الشعر والشعراء ٦١٠/٢ ، معجم الادباء

١١٣/١١ ، سمط ٢١٤/١ تأريخ (بروكلمان) ٢٢٩/١ . (قد يَرد لقبه الفقعسي)

(٢) عجر/ كلب

٩٩ - (أبو دُلامة)[١] (ت/ ١٦١ هـ - ٧٧٨ م)

بيتان[٢]

(١) - هو زَنْدُ بن الجَونِ ، مولى بني أسد ، شاعر مخضرم عاش في الدولتين الاموية والعباسية .

مصادر ترجمته : الشعر والشعراء ٧٧٦/٢ ، معجم المرزباني ٣٧٨ ، الاعلام ٨٤/٣ المؤتلف ١٣١ ، وفيات الاعيان ٣٢٠/٢ ، معجم الادباء ١٦٥/١١ ، دائرة المعارف ٣٣٩/١ .

(٢) نبت .

١٠٠ - أبو دَهْبَل الجُمَحي)[١] (ت/ ٦٣ هـ - ٦٨٢ م)

بيت واحد[٢]

(١) - هو وهب بن زمعة من بني جُمح ، كان شاعراً مُحسناً . واكثر أشعاره في عبدالله بن عبدالرحمن الأزرق والي ابن الزبير على اليمن .

مصادر ترجمته : الشعر والشعراء ٦١٤/٢ ، المؤتلف /١١٧ ، الاعلام ١٤٩/٩ تأريخ آداب اللغة العربية ٢٨٤/١ .

(٢) خصر .

١٠١ - (دَهْلَب بن قُريع)[١]

شطران[٢]

(١) - وهو أحد بني ربيعة بن قريع بن كعب بن سعد التميمي شاعر . وقد علق المستشرق كرنكو بقوله : (الذي أعرفه دهلب ابن قريع كذا سماه صاحب لسان العرب) .

مصدر ترجمته : المؤتلف /١١٧

(٢) وخش/ قطن

١٠٢ - (أبو دُواد الإيادي)[١] (ت/ ٥٥٤ م)

(١٥ بيتاً وشطران)[٢]

(١) - هو جارية بن الحجاج وقيل هو حنظلة بن الشرقي . شاعر جاهلي قديم وهو احد نُعّات الخيل المُجيدين . وقد أهمل الرواة شعره لكون الفاظه ليست بنجدية .

مصادر ترجمته : الشعر والشعراء ٢٧٣/١ ، الاغاني ١٦/ ٣٧٣ ، البرهان /٢٣٤ سمط ٨٧٩/٢ ، تأريخ (بلاشير) ١٢٢/٢ ، خزانة ٥٩٠/٩

(٢) بعق/ شعب / عصر/ تبع/ عترس/ حش/ نبح/ سهب/ صلق/ سقب/ ضرج/ بجل/ سبر/ نسل/ مز/ مل .

١٠٣ - (أبو دُواد الرّؤاسي)

بيتان[٢]

(١) هو يزيد بن معاوية بن عمرو احد بني رؤاس بن كلاب فارس ، شاعر أسلامي وضعه ابن سلام في الطبقة العاشرة من الاسلاميين .

مصادر ترجمته : المؤتلف /١١٦ ، أمالي القالي ١٤٥/١ ، طبقات بن سلام /٢٠٣

(٢) علط/ ربع

١٠٤ - (ذو الإِصْبَع العَدْواني)[١] (ت/ ٦٠٢ م)

خمسة أبيات[٢]

(١) - هو حُرْثان من عَدوان بن عمرو بن قيس ، سمّي بذلك لأن حيّة نهشته في اصبعه فقطعها . شعره مليء بالحكمة والعظة .

مصادر ترجمته : الشعر والشعراء ٧٠٨/٢ ، الاغاني ٣/ ٨٩ ، الاعلام ١٨٤/٢ المفضليات رقم ٢٩ ، ٣١ ،

(٢) عضل/ عدو/ أله/ شوس/ مس .

١٠٥ - (ذو الرّمّة)[١] (ت/١١٧ هـ - ٧٣٥ م)

(١٩٢) بيتاً و (٧٩) شطراً .

(١) - هو غيلان من بني عدي ، لقب بذي الرّمة لبيت قاله . وقد امتاز شعره بكونه أحسن شعر عصره تشبيهاً واكثرهم استشهاداً بشعره لدى علماء اللغة والنحو . مختلف في سنة وفاته .

مصادر ترجمته : الشعر والشعراء ٥٢٤/١ ، تأريخ (بروكلمان) ٢٢٠/١ ، خزانة ١٠٦/١ ، طبقات ابن سلام /١٦٥ ، سمط ٨١/١

(٢) عص/ عد/ عم/ مع/ عهد/ عهم/ نجع/ قصع/ عزق/ قزع/ عقد/ قعد/ عقر/ قرع/ قنع/ عقب/ عرك/ عنك/ كعم/ كمع/ عسج/ جعد/ عرج/ شعث/ جرع/ رجع/ نعج/ نجع/ عجم/ جمع/ معج/ عطش/ عشر/ عرش/ شرع/ رعش/ نشع/ شعب/ عشم/ عصد/ صعد/ عصر/ صمع/ عسر/ لعس[٢]/ عنس/ عسف/ سفع/ عطل/ طعم/ عرد/ عدل/ تلع/ تعب/ ذرع/ ذعن/ عذب/ رعل/ عرن/ رعب/ نعل/ علف/ لعب/ عوج/ وشع[٢]/ عصو/ زوع[٢]/ عدو ودع/ عذي/ عري/ عير/ صعلك/ عنكب/ عجلز/ علجم/ عسطس/ حق/ حز/ حزق/ قرح[٢]/ قحم/ سجح/ حجز/ حرج/ جنح/ حشد/ نشح/ حمش/ ضبح/ حصد/ صدح/ صحر/ صبح/ صمع/ مسح/ نحز/ حزم/ حطب/ بطح/ لحد/ حدب/ متح/ حذم/ حرف/ برح[٣]/ رمح/ حقو/ صيح/ طوع/ نحو/ حوي[٢]/ دحرج/ هبج/ صه/ هذ/ هسل/ هف/ هم/ سهق/ هقب/ سهك/ هلك/ جهض/ هجن/ هشر/ شهر/ شهم/ ضهل/ هضم/ سهم/ ذهب/

هبل/ نهب/ نبه/ صهو/ رهو[١]/ هرأ/ هيف/ وهم/ هاء/ ياه/
هبرز/ همرجل/ حش/ شخت/ شرخ[٢]/ صخد/ خطب/
خبط/ نخر/ خلف/ خيط/ خون/ بخنق/ غل/ شغم[٢]/
غضف/ غفر/ غفل/ نغب/ بغم/ غري/ قد/ رشق/ قرض/
نقض/ صقر/ صقل/ صقب/ قلس/ قطف/ فتق/ قرف/
فرق[٢]/ نقب/ قوس/ قوت/ وقر/ قنو/ قوب/ شبرق/ شكل/
ركز/ كيد/ كتب/ كثب/ كفأ/ جزر/ زلج/ جذب/ جفل/
نجب/ شب/ رشد/ شرب/ شنب/ نمش/ أشب/ ضم/
ضرب[٢]/ وفض/ ضوي/ دلص/ صدي/ صوب/ وصب/
صأصأ/ رس/ بسر/ سرب/ نسي/ سأو/ وسوس/ زف/
زول/ طم/ طرف[٢]/ مرط/ لطم/ نبط/ طوي/ برد/ بلد/
ندب/ ردي/ دنو/ ديم/ رأد/ ظل/ ذءب/ رثم/ ثأر/ أنت/
تأي/ رب/ ربل/ رفل/ بري/ رأي/ لب[٢]/ فلي/ لمي/ لا/
أيل/ لوي/ وأل/ نف/ نيم/ نأي/ أن/ فيف/ أبو/ موم/ وما/
أوى/ أيايا .

١٠٦ - (أبو ذؤيب الهُذَليّ)[١] (ت/ ٢٦ هـ - ٦٤٧ م)
(٤٧ بيتاً وثمانية أشطر)[٢]

(١) - هو خويلد بن خالد بن محرث من شعراء هُذيل المعروفين . مخضرم عاش في الجاهلية وادرك الاسلام . كان شاعراً فحلاً وضعه ابن سلام في الطبقة الثالثة من الجاهليين مع النابغة الجعدي ولبيد والشماخ .
مصادر ترجمته : الشعر والشعراء ٢/٦٥٣ ، سمط ١/٩٩ ، ديوان الهذليين ١/١ - ١٦٥ ، طبقات ابن سلام ٥٣ ، المفضليات (رقم) ١٢٦ معاهد التنصيص ٢/١٦٥

(٢) جع/ ضع/ خدع/ خذع/ قطع/ قرع/ عقب/ عمق/
رجع/ صدع/ صرع/ بصع/ صمع/ سبع/ زعل/ زعم/
عبط/ تلع/ نعم/ هيع/ عوق/ طوع/ يدع/ عبث/ حذق/
ضحك/ شيح/ صرح[٢]/ ريح/ لوح/ زهق/ فتخ/ توخ/
غرو[٢]/ قض/ مشج/ سجر/ جور/ شوي/ ضفو/ مسد/
سمل/ ترز/ طف/ فرط/ ذمء/ نور/ ريب/ لب/ نم/ نوب/
نوي/ آم .

١٠٧ - (ذُؤيب بن زُنَيم الطُهَويّ)
شطر واحد[١]

(١) نقر

١٠٨ - (الراعي النُميري)[١] (ت/ ٩٠ هـ - ٧٠٩ م)
(١٤ بيتاً وخمسة أشطر)[٢]

(١) - هو حُصَينْ بن معاوية وقيل عُبَيد بن حُصَين ويكنى أبا جندل ، من بني نمير وأشرافها ، هجاه جرير لميله إلى الفرزدق .
مصادر ترجمته : * الشعر والشعراء ١/٤١٥ ، الاشتقاق ١/٢٩٥ سمط ١/٥٠ ، العقد الغريد ٣/٢٧٢

(٢) عجس/ صبع/ عفس/ وقع/ عير/ ورع/ حب/ بجح/
صرح/ تيح/هد/ خب/ غرو[٢]/ فرق/ كفن/ صمر[٢]/
فدر/ .

١٠٩ - (ربيعة بن مَقْرُوم الضّبيّ)[١] (ت/ ١٦ هـ - ٦٣٧ م)
ثلاث أبيات[٢]

(١) - هو ربيعة بن مقروم بن قيس بن جابر بن ضبّة ، وهو أحد شعراء مُضَر المعدودين في الجاهلية والاسلام ، شهد وقعة القادسيّة .
مصادر ترجمته : سمط ١/٣٧ ، المؤتلف /٢٣٥ ، الشعر والشعراء ١/٣٢٠ المفضليات رقم (٣٨ ، ٣٩ ، ٤٣ ، ١١٣)
- حقق الدكتور نوري حمودي القيسي شعره ينظر شعراء اسلاميون /٢٣٥

(٢) غيم/ وجي/ بتل .

١١٠ - (رزاح ؟)
بيت واحد[١]

(١) ذعف

١١١ - (ابن الرِّقاع)[١] (نحو ٩٥ هـ /٧١٤ م)
بيت واحد[٢]

(١) - هو عَدِيّ بن زيد بن مالك الرقاع ، من أهل دمشق يكنى أبا داود . شاعر كان معاصراً لجرير مهاجياً له ، مُقدَّماً عند بني أميّة مداحاً لهم . لقبه ابن دريد بشاعر أهل الشام .
مصادر ترجمته : الأغاني ٨/١٧٢ ، المؤتلف /١١٦ ، سمط ١/١٣٩ الاشتقاق ٢/٣٧٥ ، لاعلام ٥/١٠

(٢) علب .

١١٢ - (رؤبة بن العجاج)[١] (ت/ ١٤٥ هـ - ٧٦٢ م)
(١٤٦ بيتاً و ٣٣٩ شطراً)[٢]

(١) رؤبة بن عبدالله العجاج بن رؤبة بن أسد من أعراب البصرة . سُمّي بذلك لأنه وُلِدَ في نصف الليل . شاعر راجز مشهور من مخضرمي الدولتين الاموية والعباسية . يكنى ابا الحجاف .
مصادر ترجمته * : الفهرست /١٧٩ ، معجم الادباء ١١/١٤٩ وفيات الاعيان ٦/٣٠٣ ، الخزانة ١/٨٩ ، دائرة المعارف ١٠/٢٠٨ المؤتلف /١٢١ ، الشعر والشعراء ٢/٥٩٤ .

(٢) عق[٢]/ قع/ عش/ سع/ دع/ عظ/ مع/ عهق[٢]/ هزع/
عهد/ عده[٢]/ عته/ هبع/ همع/ ختع/ عشق/ قعش/
قعض[٢]/ صعق[٢]/ عسق[٢]/ عقد/ دعق/ ذعق/ قعت/
عرق[٢]/ قرع/ علق/ عنق[٢]/ عفق/ عقم/ عمق/ معق[٢]/
عكر/ علك[٢]/ كنع/ ضجع/ عرش[٢]/ نشع/ نعش/ شمع/
عرض[٢]/ معض[٤]/ صمع/ مصع/ دعس/ عنز/ يزع[٣]/
عزم[٢]/ زمع[٢]/ عنظ/ بعظ/ عرد/ ردع/ علد[٢]/ فدع/
دعب[٢]/ دعم[٢]/ نزع/ عنت/ بتع/ رعث/ رعن[٢]/ نعر[٢]/
رمع/ لفع[٢]/ بلع/ نعف[٢]/ عنم/ عوه[٢]/ خوع/ عوق/
وعق/ وقع/ وعك/ عوج/ شيع/ عضو/ صوع/ عسو[٢]/
عيس/ سيع/ علو/ ولع/ عنو/ عمي/ معي/ عوي/ عنجه/
عسقل/ عقبل/ بركع/ جعشم[٢]/ عرجن/ جعبر/ عجرم[٢]/
زعبل/ صعفر/ رثمن[٢]/ حق/ حل/ حن/ حف/ سحق/
قحز/ قدح/ حقل/ لحق/ حقب/ محق/ ضحك/ حجز/
حرج/ حجف/ شحذ/ حشر/ حبش/ ضحل/ مضح/
حصر/ سحت/ حسر/ سرح/ سحل/ نحس[٢]/ علم/ حفز/
حزب/ نحت/ تحم/ حرث/ حير[٢]/ حبل/ ذحلم/ حلب/
لحم/ حوش/ سحي/ حزأ/ حفي/ حبو/ حوم/ الحملاق/
قه/ كه/ جه/ ده/ له/ هن/ هنغ/ هزق/ قهز/ زهق/ دهق/
هرق/ فهق[٢]/ قهب[٢]/ بهق/ هقم[٢]/ قمه/ كده/ هتك/
كره/ هجر/ جله/ نجه/ جيه/ سبه[٢]/ سمه/ زهف/ بهز/
هدف[٢]/ نهد/ مده[٢]/ تره/ هتل/ متة[٢]/ هذم[٢]/ نفه/
هنم[٢]/ نهم/ وهق/ قيه[٣]/ تيه/ هيت/ رهو/ ريه/ هول/
أهل[٢]/ أله/ نوه/ فوه/ هبو/ بهو/ هي/ وهو[٢]/ جهرم/
صلهب/ طمهل/ هلدم/ خص[٢]/ بنح/ حنق/ قفنح/ بحق/
شخز/ خضم[٢]/ ضخم/ سخت[٢]/ خطل/ مخط[٢]/ دخن/
خرت/ برخ/ خلب/ لخم/ خوق[٢]/ خسأ/ شمخر[٢]/
جنحدب/ شع/ سغ/ دغ/ تغ/ بغ/ مغ/ نشغ[٢]/ غض/
نغض/ غمض/ نزع/ لغط/ لغد/ ندغ/ غدف/ ثمغ/ ملغ/
غنف/ وشغ/ روغ[٢]/ غول/ غوي/ زغدب/ برزع/ دغمر[٢]/
قض[٢]/ قس[٢]/ قد/ دق/ قت/ قم/ شرق/ رقش/ نشق/
شبق/ مشق/ شمق/ نقض/ قضب/ قبض[٢]/ صدق/
دسق[٢]/ لسق/ قسب/ سقب/ قمس/ زلق/ طرق/ لقط/
طلق[٢]/ قطن/ مقط/ دقم/ فتق/ قتم/ رقن/ رمق/ لمق/
صيق/ سوق/ قور/ روق[٢]/ ولق/ فوق/ وفق/ فاق/ بوق/
قوقى[٢]/ قاء/ أوق/ شبرق/ صلقم/ قصمل/ غمرق/
قنفرش[٣]/ كش[٢]/ كظ/ كا/ كرز[٣]/ زكم/ فرك/ ركب/
كلم/ مكل/ فكن[٢]/ ذكو/ أكل/ كبرت[٢]/ جث/ جل/ بيح/
جشب/ جمش/ جرض[٢]/ جدس/ رجن[٢]/ لفيح[٢]/ لجم/
مجل/ جاز/ وجز/ جنأ/ وجي/ طش/ شذ/ شن/ شرض/
شرز/ شطن[٢]/ طمش/ دبش/ شأز/ شوط/ أرش/ شفي[٢]/
ميش[٢]/ ضنز/ ضر/ ضل/ نض[٢]/ بض/ مض[٣]/ رفض/
ضرب/ برض/ رمض[٢]/ نفض/ نضو/ نوض[٢]/ فضو[٢]/
صر/ لص/ مص/ صرد/ صلد/ صدن/ صمد[٢]/ صمل/
صري/ صوب/ صبو/ صندل/ سف[٣]/ سم/ مس[٢]/ طسل/
سمط/ سمد/ مرس/ سفق/ مسن/ سطو[٢]/ وسط/ طوس/
طيس[٢]/ رسو/ سلو[٢]/ سنو/ أسن/ ساس/ دربس/ لز/ لبز/
زمل/ زأر/ أرز/ بزو/ طرف/ فرط[٣]/ طرم/ مطر/ بلط/
مطل[٢]/ فطن[٢]/ بطن[٢]/ وطن[٢]/ طني[٢]/ طيف/ أطم/
واط/ لدر/ لد/ دف/ ردف/ دلم/ فند/ ولد/ دعم/ دوو/ وأد/
أدد/ تم/ برت/ مرت/ لفت/ نيت/ أمت/ ظل/ ظرب/
ذرف/ ذنب/ ذرو/ لث/ ثم/ ورث/ ليث/ ثأل[٢]/ وثن/
رفل[٢]/ مرن/ رول/ مور/ أرم/ رأي[٢]/ لبن[٢]/ ولف/
الالاء/ ألل[٢]/ وأل/ ويل/ نم/ أين/ يمن/ أون/ فيأ/ فيف/
وفى/ بابا[٢]/ بوب/ وأب/ آم/ أما .

١١٣ - (الزَّبّاء) (ت/ ٢٨٥ م)

بيت واحد[٢]

(١) الزّبّاء ملكة تدمر، اسمها نائلة، لُقبت بذلك لشعرها الكثير، أبوها عمرو بن ظرب بن حسّان، مختلف في اسمها ونسبها .

مصادر ترجمتها: خزانة الادب ٢٧٣/٨، تأريخ (بروكلمان) ١٢٨/١، دائرة المعارف (مادة تدمر) ١٢/٥

(٢) صرف

١١٤ - (ابو زُبَيْد الطائي)[١] (ت/ ٤٠ هـ - ٦٦١ م)

(١٥ بيتاً وشطر واحد[٢])

(١) - هو حرملة بن المنذر بن معد يكرب من طيء . شاعر جاهلي مُعَمّر . أدرك الاسلام مختلف في دينه ووفاته .

مصادر ترجمته: معجم الادباء ١٩١/١٠، الشعر والشعراء ٣٠١/١، تأريخ (بروكلمان) ١٧٣/١، سمط ١١٨/١

- حقق الدكتور نوري حمودي القيسي شعره؛ ينظر شعراء اسلاميون /٥٥٧ .

(٢) مقدمة المؤلف /كرع/ طعن/ قشعر/ زعفر/ صمح/ هل/ نهبل/ خبس/ خلف/ خنف/قرمس صيف/ نس/ نظر/ لفأ .

١١٥ - (زرافة الباهلي)[١]

شطر واحد[٢]

(١) زرافة الباهلي ، شاعر جاهلي . ينظر خزانة الادب ٢/٣٨

(٢) حيس .

١١٦ ـ (أبو زُرْعة التميمي)

بيت واحد[١]

(١) ـ طفش .

١١٧ ـ (أبو زُغْبة الخزرجيّ)[١]

شطر واحد[١]

(١) خفق .

١١٨ ـ (زُفَر بن الحرث الكلابي)[١] (ت ٧٥ هـ / ٦٩٥ م)

بيت واحد[٢]

(١) ـ زُفر بن الحارث بن عبد عمرو ، شاعر اموي ، كان كبير قيس في زمانه . مات في خلافة عبدالملك بن مروان .

مصادر ترجمته : خزانة الادب ٢/٣٧٢ ، الشعر والشعراء ٢/٧٢٣ المؤتلف /١٢٩ .

(٢) ـ حز

١١٩ ـ (الزّفيان السّعدي)

بيت وشطر[١]

(١) ـ هو عطاء بن أسيد السعدي التميمي . كان معاصراً للعجاج ولكن دونه .

مصادر ترجمته : معجم المرزُباني /٢٩٨، المؤتلف /١٣٣ ، تأريخ (بروكلمان) ١/٢٢٨

(٢) قيه

١٢٠ ـ (زُهير بن ابي سُلمى)[١] (ت/ ٦١٥ م)

(٥٧ بيتاً و ٢٠ شطراً)[٢]

(١) ـ ابن ربيعة بن رياح المزنيّ . الشاعر الجاهلي المشهور .

(٢) عق[٢]/ قطع/ عنق/ قفع/ عرك/ معك/ عشر[٢]/ عرش/ عرس/ عسن/ عسب/ عدل/ عتر/ فعم/ عشو/ عود/ علو/ عفو/ عبقر/ حل/ حم/ حرق/ جحر/ سحل/ حمل/ صحو/ هل[٢]/ زهق/ دهن/ هرم/ خل/ خبل/ نبخ/ وخم/ نفق/ غطل/ قذل// رنق/قوم/ رك/ فك/ بتك/ كلف/ لبك/ جر/ لج/ رجم/ جرو/ جأي/ شن/ شرب/ نشم/ أنض/ صتم/ رس/ لس/ سرأ/ أسن/ سبأ/ أيس/ فز/ زبد/ أرز/ طلي/ وتر/ ظلم/ ثأي/ نفر/ فور/ فري/ أري/ أمل/ فني/ يمن/ بوأ .

١٢١ ـ (زياد الأعجم)[١] (ت ١٠٠ هـ / ٧١٨ م)

بيت واحد[٢]

(١) ـ زياد بن سَلْمى ، ويقال زياد بن جابر مختلف في أصله ، شاعر اموي ، سُميّ الاعجم للكنة كانت فيه . جزل الشعر ، فصيح الالفاظ .

مصادر ترجمته : الاغاني ١٥/ ٣٨٠ ، الشعر والشعراء ١/٤٣٠ ، الاعلام ٣/٩١ البرهان / ١٠٥ ، معجم الادباء ١١/١٦٨ .

(٢) قطع/ غزو .

١٢٢ ـ (زيادة بن زيد العذريّ)

شطر واحد[٢]

(١) زيادة بن زيد شاعر اسلامي من بادية الحجاز من بني عذرة ، كان في أيام معاوية بن أبي سفيان ، وقتله صاحبُهُ هُدْبَة بن خَشرم العُذْريّ .

مصادر ترجمته : خزانة الادب ١١/١٧٦ ، الشعر والشعراء ٢/٦٩١

(٢) ـ رتب

١٢٣ ـ (زَيْدُ بن عَتاهية التميميّ)

بيت واحد[١]

(١) ـ حر

١٢٤ ـ (ساعدة بن جؤيّة)[١]

ثمانية أبيات[٢]

(١) ساعدة بن جؤية من بني كعب : شاعر جاهلي أدرك الاسلام ، شعره محشو بالغريب والمعاني الغامضة . (من بني هُذَيل) .

مصادر ترجمته : خزانة الادب ٣/٨٦ ، سمط ١/١١٥ ، المؤتلف /٨٣ ديوان الهذليين ١/١٦٧ ، الاعلام ٣/١١٣

(٢) عط / عمق/ بضع/ سهف/ مدخ/ غرب/ جنب/ جنأ .

١٢٥ ـ (سَالم بن قُحفان)[١]

(بيتان)[٢]

(١) ـ قال البغدادي في خزانته : سالم بن قحفان لم أقف له على خبر .

ـ ينظر خزانة الادب ٩/٢٤٦ ، ديوان الحماسة /٥١٤

(٢) عهق .

١٢٦ ـ سُحيم بن وثيل اليربوعي)[١] (ت ٦٠ هـ / ٦٨٠ م)

بيتان وشطر واحد[٢]

(١) ـ سُحيم بن وثيل اليربوعي الرياحي ، شاعر مخضرم ادرك الجاهلية والاسلام له مكانة في قومه . وضعه ابن سلام في الطبقة الثالثة من الاسلاميين .

مصادر ترجمته : خزانة الادب ١/ ٢٦٥ ، أمالي القالي ٣/ ٥٢ ، طبقات ابن سلّام / ١٧٤ ، الشعر والشعراء ٢/ ٦٤٣

(٢) - نجو/ رشو/ دره .

١٢٧ - (سعد بن مسمع)

شطر واحد[1]

(١) - عجم

١٢٨ - (أبو السفاح السلّولي)

بيت واحد[1]

(١) شد

١٢٩ - (سَلامة بن جَنْدل السّعديّ)[1] (ت/ ٦٠٠ م)

١٤ بيتاً وثلاثة اشطر[2]

(١) هو من بني عامر بن عبيد بن الحارث من بني تميم ، شاعر من شعراء تميم وفرسانها . يميل في شعره الى وصف الخيل .

مصادر ترجمته : الشعر والشعراء ١/ ٢٧٢ ، دائرة المعارف ١٢/ ٥٣ تأريخ (بلاشير) ٢/ ٨١ ، سمط ١/ ٤٩ ، المفضّليّات رقم (٢٢)

(٢) عقب/ عرك/ شعث/ دسع/ عتد/ بتع/ عرم/ بعل/ قفو/ قرضب/ سردق/ رجب/ سفو/ ظنب/ وظب/ رب .

١٣٠ - (سَلَمَة بن الخُرْشُبِ)

بيت واحد[1]

(١) - هو سَلمة بن عمرو بن نصر بن حارثة والخرشب لقب ابيه . شاعر جاهلي

مصادر ترجمته : البيان والتبيين ١/ ٢٣٨ ، بلاشير ، ٢/ ٩٣ ، سمط ١/ ١٢١ ، المفضليات رقم (٥ ، ٦٠)

(٢) نسر

١٣١ - (سَلمة بن عبدالله العدويّ)

شطر واحد[1]

(١) شح

١٣٢ - (سُليمان بن يزيد العدوي)[1]

(٧) أبيات و(٤) أشطر

(١) سليمان بن يزيد ، ساعر أموي . ذكره الجاحظ كمثال لأصحاب اللثغة .

مصادر ترجمته : امالي القالي ٣/ ٢٨ ، الحيوان ٦/ ١٩١ ، الحماسة - البصرية ٢/ ٤٢٣ ، البيان والتبيين ١/ ٣٦

(٢) شع/ سلع/ ضلع/ صعر/ وكع/ شيع/ ترح/ دفق/ شجو/ رسو/ زل .

١٣٣ - (سَهْم الغَنَويّ)[1] (ت/ ٧٠ هـ - ٦٩٠ م)

بيت واحد[2]

(١) سهم الغنويّ بن حنظلة بن جأوان بن خويلد ، فارس مشهور ، شاعر مخضرم ادرك الجاهلية والاسلام ، عاش ايام عبدالملك بن مروان .

مصادر ترجمته : خزانة الادب ٩/ ٤٣٥ ، سمط ٢/ ٧٤٠ ، الاعلام ٣/ ٢١١ ، امالي القالي ٢/ ١٤٨ ، المؤتلف / ١٣٦ .

(٢) شعب .

١٣٤ - (سُويد بن أبي كاهِل اليَشْكُريّ)[1] (ت/ ٦٠ هـ - ٦٨٠ م)

(٦) أبيات وشطران[2]

(١) سُويد بن ابي كاهل اليشكري من بني ذبيان ، شاعر مخضرم عاش دهراً في الجاهلية وعُمّر في الاسلام طويلاً . قرنه ابن سلام بعنترة .

مصادر ترجمته : الشعر والشعراء ١/ ٤٢١ ، خزانة الادب ٦/ ١٢٤ الاصابة ٢/ ١١٨ ، طبقات ابن سلام ٦٤١ ، المفضّليّات رقم (٤٠) الاعلام ٣/ ٢١٥

(٢) - شجع/ فرع/ لفع/ قنع/ منح/ كمه/ خط/ سقط/ .

١٣٥ - (الشمّاخ بن ضرار)[1] (ت/ ٢٢ هـ - ٦٤٣ م)

(٤٠) بيتاً و(٩) أشطر[2]

(١) هو معْقِل بن ضرار الغطفانيّ . وهو مخضرم . ادرك الجاهلية والاسلام ، وضعه ابن سلّام في الطبقة الثالثة من الشعراء الاسلاميين ، مات في زمن عثمان بن عفان (رض) .

مصادر ترجمته : خزانة الادب ٣/ ١٩٦ ، معجم المرزباني ٤٩٦ ، الشعر والشعراء ١/ ٣١٥ المؤتلف / ١٣٨ ، سمط ١/ ٥٨ ، الاعلام ٣/ ٢٥٢ .

(٢) - عن/ قطع/ عرق[1]/ قنع/ عفب/ كرع/ عشنز/ شمع/ صعد/ صلع/ عرز/ زمع/ عطل/ عبد/ وقع/ عزهل/ عكرش/ ضمعج/ شعفر/ عثلب/ حز/ جحن/ حنش/ حمز/ حدأ/ حلو/ هجر/ لهج/ هجن/ هرمل/ نخس/ ضغن/ غرب/ نقز/ طرق/ مقط[1]/ جد/ صمبح/ رجز/ جلز/ شمر/ شيد/ شأو/ بصر/ ترز/ أطم/ إير/ .

١٣٦ - (شُمَير بن الحارث الضّبيّ)[1] (ت ؟ ٤٠ هـ)

بيت واحد[2]

(١١) - شُمَير بن الحارث من بني ضَبة شاعر جاهلي . (وقد يرد سُمير)

مصادر ترجمته : خزانة الادب ٥/ ١٨٢ ، الحماسة البصرية ٢/ ٢٤٦

(٢) - منأ .

١٣٧ ـ (صَخْر بن حَبْناء)
بيت واحد[٢]
(١) ـ هو صَخر بن حَبناء بن عمرو بن ربيعة من بني حنظلة التميمي ، (اخو المغيرة) .
شاعر إسلامي في العصر الاموي .
مصادر ترجمته : خزانة الادب ٥/ ٦٨ ، الشعر والشعراء ١/ ٤٠٦ ، ٤٠٧ جمهرة انساب العرب/ ٢٢٣ ، المؤتلف / ١٠٥ .
(٢) ـ ذرو
١٣٨ ـ (صَخْربن عمرو بن الشّريد)[١]
بيت واحد[٢]
(١) ـ صخر بن عمرو بن الحارث بن الشريد من بني قيس عيلان ، (اخو الخنساء) شاعر جاهلي .
مصادر ترجمته : الاغاني ١٥/ ٧٦ ، خزانة الادب ٥/ ٤٤٠ وما بعدها .
(٢) ـ جنز
١٣٩ ـ (صَخر الغي الهُذَليّ)
أربعة ابيات وشطر[٢] .
(١) ـ صخر الغي بن عبد الله الهذلي ، أحد صعاليك هُذيَل .
وله مع ابي المثلم الهُذَلي مساجلات شعرية .
مصادر ترجمته : الشعر والشعراء ٢/ ٦٦٨ ، خزانة الادب ٧/ ٩٨ ، ديوان الهذليين ٢/٥١ ، ٢٢٣ ، سمط ١/ ١٥٦
(٢) ـ فع/ رقع/ لقي/ وزي/ ـمناً .
١٤٠ ـ (أبو صَخر الهُذَليّ)[١] (ت / ٨٠هـ ـ ٧٠٠ م)
بيت واحد[٢]
(١) ـ هو عبد الله بن سَلمْ السهمي الهُذَلي . شاعر اسلامي من شعراء الدولة الاموية .
ذكر له الاصبهاني في أغانية مجموعه من شعره .
مصادر ترجمته : الاغاني ٢٤/ ١١٠ ، أمالي القالي ١/ ١٤٨ ، الاعلام ٤/ ٢٢٣
(٢) ـ سلو
١٤١ ـ (صَقر بن حكيم)
بيت واحد[١]
(١) ـ عرم
١٤٢ ـ (الصَلَتَان العَبْديّ)[١]
شطر واحد[٢]
(١) ـ هو قُثَم بن خبيئة أحد بني محارب بن عمرو من بني عبد القيس . كان معاصراً لجرير والفرزدق وحكمّ بينهما .
مصادر ترجمته : معاهد التنصيص ١/ ٧٤ ، سمط ٢/٧٦٦ ، المؤتلف / ١٤٥ خزانة الأدب ٢/ ١٨١ .
(٢) ـ غزو
١٤٣ ـ (أبو طالب بن عبد المطلب)[١] (ت/ ٦١٩ م)
بيتان وشطر[٢]
(١) ـ عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم ـ وقيل عمران ـ عم النبيّ (ص) ، ووالد علي بن أبي طالب (رض)
مصادر ترجمته : خزانة الادب ٢/ ٢٦١ ، تأريخ (بلا شين) ٢/ ١٣٧ المحبَّرُ / ٩-١١ ، سمط ١/ ٥٨٨ .
(٢) ـ حص/ قمطر/ جرم .
١٤٤ ـ (طَرَفة بن العَبد)[١] (ت/ ٥٠٠ م)
(٥١) بيتاً و (١٦) شطراً .
(١) ـ طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد . الشاعر الجاهلي المشهور .
(٢) ـ عك/ عرج/ ضرع/ عصر/ سمع/ زعل/ معز/ عدل/ عبد/ عوم/ ربع/ يعفر/ حرّ[٢]/ حب[٢]/ حشف/ ضرح/ ضيح/ صبح/ نحل/ لحف/ حفل/ نحم/ حصى/ حوت[٢]/ حمى/ كه/ كهي/ خش/ خزن/ خدر[٢]/ خفد/ لخف/ خلو/ روع/ غني/ برك/ رجز/ جرن/ برجد/ شفتر/ صدأ/ نصأ/ أصي/ سرف/ لسن/ سأر/ طرف/ طول/ لد/ دلف/ بدء/ تر/ ظفر/ أرن/ بار/ بل/ نول/ فيل/ وبل/ لام الاستغاثة/ ألل/ بوأ/ ماء .
١٤٥ ـ (الطّرِمّاح بن الحكيم)[١] (ت/ ١٠٠ هـ ـ ٧١٩ م)
(٦٧) بيتاً و (٢٥) شطراً[٢]
(١) ـ هو الطّرِمّاح بن الحكيم من طيء ويكنى أبا نَفْر ، وهو من شعراء الخوارج مختلف في تأريخ وفاته .
مصادر ترجمته : الشعر والشعراء ٢/ ٥٨٥ ، الأغاني ١٢/ ٣٥ ، المؤتلف / ١٤٨ دائرة المعارف ١٥/ ١٦٩ .
(٢) ـ عل/ هكع/ عهد[٢]/ هلع/ همع/ خدع/ خرع/ قدع/ علق/ عكد/ عرك/ عجل/ شعب/ عرض/ عنس/ عدف/ دعب/ بعد/ عرن/ عبر/ شيع/ طوع/ عود/ نعو/ بوع/ عملس/ عصفر/ عبنقاه/ حر/ قدح/ نكح[٢]/ جبح/ شحد/ حمش/ حمض/ صحم/ مصح/ سفح/ طلح/ حطم/ فدح/ حتن/ رنح/ مرح/ وشح/ هضأ/ شخس/ حضن/ خلط/ خطر/ طبخ/ لخو/ قن/ سلق/ أقن/ وقف/ أيق/ كرض/

كبر/ كمن/ مكو/ جسد/ نجو/ جذأر/ شت/ شن/ نشط/ شذم/ شوف/ نضل/ صدي/ صوم/ سطل/ ساس/ فوز(٢)/ بطر/ طوي/ رفد(٢)/ ودن/ دفأ/ دد/ رين/ أري/ عربس/ يلي/ نأي/ نوي(٢) .

١٤٦- (طَريف بن تَميم)(١)

بيت واحد(٢)

(١) - طريف بن تميم العنبري ، أبو عمرو . شاعر مُقل من فرسان بني تميم في الجاهلية .

مصادر ترجمته : سمط اللآلى ١/ ٢٥٠ ، الأعلام ٣/ ٣٢٦

(٢) - زعف

١٤٧ - (طَريف بن زياد السَلميّ)

بيت واحد(١)

(١) - عرض

١٤٨ - (طُفَيل الغَنَويّ)(١) (ت/ ٦١٠ م)

(٨) أبيات وثلاثة اشطر(٢) .

(١) - هو طُفَيل بن كعب الغنوي . كان من أوصف الناس للخيل .

ويقال له في الجاهلية المحُبرّ لحسن شعره .

مصادر ترجمته :

الشعر والشعراء ١/ ٤٥٣ ، المؤتلف / ١٤٧ ، الاغاني ١٥/ ٣٤٩ خزانة الادب ٩/ ٤٦ ، تأريخ (بروكلمان) ١/ ١١٩ ، سمط ١/ ٢١٠ .

(٢) - دفع/ فلع/ عوج/ قعضب/ حثل/ نبح/ غف/ بقر/ شر/ مرط/ ذرب .

١٤٩- (طُلَيحة بن خويلد الاسدي)(١) (ت/ ٢١هـ - ٦٤٢ م)

بيت واحد(٢)

(١) - طُلَيحة بن خويلد بن نوفل بن الاشتر ، من الفصحاء ، يقال إنه متنبيء .

شاعر الجاهلي ، أدرك الاسلام .

مصادر ترجمته : خزانة الادب ٣/ ٣١٩ ، الشعر والشعراء ١/ ٣٧٣ ، الأعلام ٣/ ٣٣٢ الاشتقاق ٢/ ٥٥١ ، جمهرة انساب العرب ١/ ١٩٦ .

(٢) - فرغ

١٥٠- (عاصم بن ثابت الانصاري)(١) (ت/ ٤هـ - ٦٢٥ م)

بيت وشطران(٢)

(١) - عاصم بن ثابت بن أبي الاقلح الأنصاري ، يكنى أبا سليمان . صحابي استشهد يوم الرجيع ، ينسب إليه رجز في بعض حروبه .

مصادر ترجمته : معجم المرزباني/ ٢٧١ ، المحُبّر / ١١٨ ، الاصابة ٢/ ٢٤٤ الاعلام ٤/ ١٢

(٢) - قعد/ عنبل .

١٥١ - (عامر بن كثير المحاربي)(١)

شطر واحد(٢)

(١) - ذكر في لسان العرب مادة (شقذ) وكذا في الزاهر ١/ ٦٢٧

(٢) - شقذ

١٥٢- (عَامر بن مَالك - مُلاعِبُ الأَسِنَّةِ)(١) (ت/ ١٠ هـ - ٦٣١م)

بيت واحد(٢)

(١) - عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب العامري . أحد أبطال العرب في الجاهلية .

أدرك الاسلام ، ولَم يَثْبُت اسلامه . (عم لبيد الشاعر)

مصادر ترجمته/ الاصابة ٢/ ٢٥٨ ، المحُبَّر/ ٤٧٢ ، الاعلام ٤/ ٢٥

(٢) - أمم

١٥٣ - (العباس بن عتبة بن أبي لهب)

شطر(١)

(١) كرب

١٥٤ - (العباس بن مرداس السَلَميّ)(١) (ت/ ١٨هـ - ٦٣٩ م)

سبعة أبيات وشطران(٢)

(١) - العباس بن مرداس بن أبي عامر . أمه الخنساء الشاعرة . و(المرداس : الحصاة) ، كان فارساً وشاعراً ، عاش في الجاهلية وأدرك الاسلام .

مصادر ترجمته : الاغاني ١٤/ ٣٠٢ ، سمط ١/٣٢ ، الشعر والشعراء ١/٣٠٠ معجم المرزُباني/ ٣٦٣ ، خزانة الأدب ١/ ١٥٢ ، الأعلام ٤/ ٣٩

(٢) - ضبع/ عدل/ قصر/ قلت/ لكم/ درء/ دوء/ أنا(١) .

١٥٥- (العباس بن يزيد الاسود)

بيت واحد(١)

(١) - سك

١٥٦ (عبد بني الحَسْحاس)(١)

بيت واحد(٢)

(١) - سُحيم عبد بني الحسحاس . من المخضرمين ، أدرك

الجاهلية والاسلام .
وكان أسودَ غير عربي . مات في خلافة عثمان بن عفان (رض)
مصادر ترجمته : الاصابة ٢/ ١٠٩ ، الشعر والشعراء ٤٠٨/١ ، الاعلام ٣/ ١٢٤ خزانة الادب ١٠٢/٢ ، سمط ٧٢١/٢
(٢) - وري .
١٥٧- (عبد ربه السلمي)(١)
بيت واحد(٢)
(١) - ينظر الزاهر ١/ ٤٠٢
(٢) - عصو
١٥٨ - (عبد الرحمن بن حسّان)(١) (ت/ ١٠٤ هـ -٧٢٢م)
بيت واحد(٢)
(١) - عبد الرحمن بن حسّان بن ثابت الانصاري ، شاعر أموي ، هاجى عدداً من شعراء عصره ، بينهم النجاشي الحارثي وعبد الرحمن بن الحكم ومسكين الدارمي وكان والده يعينه عليهم .
مصادر ترجمته : خزانة الأدب ٧٤/٤ ، العقد الفريد ٤/ ١٠٨ وغيرها . الاغاني ١٥/ ١١١ ، تأريخ (بروكلمان) ، ١٧٣/١ .
حقق شعره الدكتور سامي مكي العاني - بغداد ١٩٧١ .
(٢) خصر
١٥٩- (عَبد الرحمن بن الحكم)(١)
بيت واحد(٢)
(١) - هو عبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاص ، شاعر أسلامي أموي هاجى ابن حسان .
مصادر ترجمته : الأغاني ١٥/ ١١١ ، سمط ٥١٣/١
(٢) - قطع .
١٦٠ - (عبد العُزّى ؟)
بيت واحد(١)
(١) - نقع
١٦١ - (عبد الله بن أوفى الخُزاعي)(١)
ثلاثة ابيات(٢)
(١) - ذكر له أبو تمام في حماسته قصيدة برقم (٦٥٩)/ يُنظر ديوان الحماسة/ ٤٨٨
(٢) - قعد
١٦٢- (عبد الله بن الحُرّ)
بيت واحد(١)

(١) - قم
١٦٣ - (عبد الله بن رَواحة)(١) (ت/ ٨هـ - ٦٢٩ م)
بيتان(٢)
(١) - عبد الله بن رواحة بن امرىء القيس بن كعب الخزرجي . صحابي استشهد في وقعة مؤته . شاعر مُحسن .
مصادر ترجمته : أمالي اليزيدي/ ١٠٢ ، المؤتلف/ ١٢٦ ، الخزانة ٢/ ٣٠٤ سمط ١/ ٢١٨ ، الاعلام ٤/ ٢١٧
(٢) - بعل/ علو .
١٦٤- (عبد الله بن الزبعرى)(١) (ت/ ١٥هـ - ٦٣٦م)
بيت شطر واحد(٢) .
(١) - عبد الله بن الزبعرى بن قيس بن عدي من بني كنانة ، من أشعر قريش كما عَدّه ابن سلام . كان شديداً على المسلمين ثم أسلم .
مصادر ترجمته : المؤتلف/ ١٣٢ ، الاغاني ١٥/ ١٧٩ ، الاعلام ٤/ ٢١٨ البيان والتبيين ١/ ١٠٨ ، طبقات ابن سلام / ٩٢ ، سمط ١/ ٣٨٧ .
(٢) - مح / سنت
١٦٥- (عبد الله بن سَبْرة الجُرَشيّ)
بيت واحد(٢)
(١) هو عبد الله بن سَبرة ، منسوب الى جرش ، موضع باليمن وهو احد فتاك العرب . شاعر اسلامي .
مصادر ترجمته : التذكرة السعدية/ ٧٠ ، ديوان الحماسة رقم (١٦٣)
(٢) - عجم
١٦٦- (عبد الله بن عَنَمةَ الضّبيّ)
بيت واحد(٢)
(١) - هو عبد الله بن عنمة (وقيل عتمه) بن حرثان الضّبيّ . شاعر إسلامي مخضرم . شهد وقعة القادسيّة .
مصادر ترجمته : خزانة الأدب ٨/ ٤٦٥ ، الاصابة ٢/ ٣٥٥ ، سمط ١/ ٣٨٩ ، المفضّليّات رقم (١١٤ ، ١١٥)
(٢) - ربع
١٦٧ - (عَبد الله بن مُسلم) (من بني ثعلبة)
شطر واحد(١)
(١) - سل .
١٦٨- (عَبد مُناف بن ربْع الهُذليّ)(١)
بيت واحد (٢)
(١) - عبد مُناف بن ربع الجُرَبي ، شاعر جاهلي من بني هُذَيل .

مصادر ترجمته : خزانة الأدب ٧/ ٤٩ ، ديوان الهذليين ٢/ ٣٨

(٢) - غرو

١٦٩- (عَبْد يَغوث بن وَقّاص الحارثي)(١) (ت/ ٥٨٠ م)

بيتان(٢)

(١) - عبد يغوث بن وقاص الحارثي ، شاعر جاهلي فارس ، كان قائد قومه بني الحارث يوم الكلاب الثاني وقتل فيه . وهو من أهل بيت شعر معروف في الجاهلية والاسلام .

مصادر ترجمته : الأغاني ١٦/ ٣٢٨ ، البيان والتبيين ٢/ ٢٦٧ ، خزانة الأدب ٢/ ٢٠٢ ، أمالي القالي ٣/ ١٣٠ ، سمط ١/ ١١٠ / المفضّليّات رقم (٣٠)

(٢) - مقدمة المؤلف/ شيخ

١٧٠- (عَبيد بن الأبرص)(١) (ت/ ٥٥٥ م)

(١٥ بيتاً وشطران)(٢)

(١) - عبيد بن الأبرص بن عوف بن حشم الأسدي من مضر . أبو زياد ، شاعر من دهاة الجاهلية ومن أصحاب المجمهرات كان معاصراً لامرىء القيس وعُمّر طويلاً ،

مصادر ترجمته : سمط ١/٤٣٩ ، مختارات ابن الشجري ق ٢/ ٣٣ جمهرة أشعار العرب/ ١٧٣ .

(٢) - جعد/ عذب/ عود/ قرح/ سهم/ ثغب/ صفو/ قر/ قفر/ تجر/ نجو/ سف/ طب/ ذعر/ آم .

١٧١- (عُبَيْد بن هِلال)(١) (ت/ ٧٧هـ - ٦٩٦ م)

بيت واحد(٢)

(١)- عبيد بن هلال البشكري من رؤساء الأزارقة وشعرائهم وخطبائهم إلى جانب قطري بن الفجاءة . قتل في طبرستان .

مصادر ترجمته : البيان والتبيين ١/ ٥٥ ، الاشتقاق ١/ ٣٤٣ ، الاعلام ٤/ ٣٥٧ ، ديوان الخوارج/ ٩١

(٢) - بيت .

١٧٢ - (أبو العتريف الغنويّ)

بيت واحد(١)

(١) ـدلع

١٧٣- (العجّاج)(١) (ت/ ٩٧ هـ - ٧١٥ م)

(٨٤ بيتاً و ٢٥١ شطراً)(٢) .

(١) - هو عبد الله بن رؤبة بن مالك من بني تميم ، يكنى أبا الشعثاء وهي ابنته .

والدروئية وان كان ابنه أشعر منه واغزر رجزاً ، شاعر أموي .

مصادر ترجمته : خزانة الادب ١/ ٨٩ ، المؤتلف /١٢١ ، الاغاني ٢٠/ ٣٤٥ الفهرست / ١٧٩ ، الشعر والشعراء ٢/٥٩١ ، بروكلمان ١/٢٢٦ .

(٢) - مقدمة المؤلف/ عج/ عش/ مشع/ عز(٢)/ عد/ عظ/ عل/ لع/ عف/ عم/ عهج/ خضع/ خرع/ قعس/ عقر/ عقل/ علق/ قعب/ عكد/ عكف/ عجس/ جعس/ دعج/ رعج/ علج/ بعج/ عمج/ جعم/ معج/ شعف/ شفع/ ضبع/ عصر/ صرع/ صعل/ نصع/ عصف/ عصب/ سعر/ لعس/ سلع/ عنس/ سبع/ عسم/ عمس(٢)/ رعد/ درع/ رتع/ عذر/ عثر/ رعن/ نعر/ عبر/ ربع/ نعف/ عسو/ وعس/ عيط/ عدو/ عتو/ عنقر/ وعث/ عور/ عوم/ عيي/ هجرع/ قشعم/ صعفق/ قعسر/ عقرب/ علكس/ عركس/ عكمس/ جعشم/ عسلج/ عجنس/ عذلج/ عجرم/ ضلفع/ عريس/ سرعف/ عثلب/ عفنفس/ اقعسش/ حج/ حذ/ حر/ سحق/ حقف/ ركح/ حنك/ جدج/ حجر/ حجل/ لج/ حنج/ جحف/ حجب/ محج/ شحر/ حشب/ حبش/ نضع/ ضبح/ حصن/ دحس/ سحر/ سرح/ ندح/ حفظ(٢)/ حذل/ حنذ/ ذبح/ حثل/ حوج/ حيص/ حوز/ حدأ/ حير/ روح/ ريح/ لوح/ حنو/ حبو/ حوب/ ميح/ الوحوحة/ وحي/ احنجر/ هث/ هم/ هلك/ هدج/ جهر/ لهج/ نهج/ هضم(٢)/ جهر/ دهس/ هرس/ نهس/ هدب/ هتل/ هفت/ ظهر/ همر/ نهب/ سهو/ تيه/ وهر/ لهو/ وهي/ دهنج/ هبرج/ هملج/ سمهر/ برهم/ خل/ بخ/ حفق/ كمخ/ خصق/ سخد(٢)/ طبخ/ خدر/ دخل/ خدب/ مخر/ خلب/ لمخ/ وضخ/ خشي/ خول/ نخو/ خوي/ جلخم/ خرمس/ خرطم/ دربخ/ غهم/ غضف/ غدر/ غرل/ غلو/ وغف/ شغزب/ زغدب/ دغمر/ دغفل/ قرس/ قسن/ قنس/ قطم/ قذر/ رقل/ قفر/ ربق/ ملق/ بقم/ وقز/ قوي/ دمقس/ قنسر/ كذا/ كم/ شكل/ كرس/ كسل/ كبد(٢)/ قوقى/ كفر/ كنب/ كبن/ ذكو/ كال/ وكف/ كمي/ كندر/ جش/ شبح/ دج/ جر/ لبح/ نبح/ جف/ مج/ شجر/ شرج/ شجن/ شجب/ فضج/ سدج/ جرس/ سرج/ فجس/ سبج/ جدر/ جلد/ نرج/ برج/ جبر/ مرج/ فلج/ جنب/ وشج/ أرج/ نأج/ جاف/ جفو/ سمرج/ سفنج/ زبرج/ جرمز/ فنزج/ رندج/ شرط/ شدف/ شفو/ ضفر/ ربض/ ضبر/ نصب/ صل/ صب/ صفر/ صدي(٢)/ صلو/ لصو/ صبأ/ نس/ سم/ سمط/ دسر/ روس/ درس/ سند/ سفر/ سور/ ليس/ بأس/ سمو/ ميس/ أس/ فردس/ زف/ برز/ زفي/ أزي/ طرف/ نطف/ أطر/ طلي/ نوط/ طفو/ طوف/ طبي/ طوي/ طوط/ دنف/ دور/ ودف/ أود/ واد/ يدي/ ظل/ ثرو/ لوث/ ليث/ رن/ رمل/ رنو/ ريم/ أمر/ وري/ أري/ ألف/ بلي/ مكو/ أمل/ إلا(٢)/ الالاء/ لأي/ إلى/ نف/ أنب/ نوم/ أنا/ ونى(٢)/ أون/ فوم/ بأو/

مأى/ أوى .

١٧٤ـ (العُجَيْر السَّلُولي)(١): (ت/ ٩٠هـ ـ٧٠٨ م)

بيت واحد(٢) .

(١) ـ العجير بن عبد الله بن عَبيده بن كعب من بني سلُوك ، يكنى أبا الفرزدق . قال الآمدي ! انه مولى بني هلال . شاعر من شعراء الدولة الامويّة . مُقل . عَدّه ابن سلام في الطبقة الخامسة من الشعراء الاسلاميين .

مصادر ترجمته : الاغاني ١٣/ ٥٨ ، خزانة الادب ٥/٣٥ ، البيان والتبيين ١/١٢٣ طبقات ابن سلام/ ١٨٠ ، المؤتلف / ١٦٦ ، المعارف / ٨٧ ، سمط ١/ ٩٢

(٢) ـ أزف

١٧٥ـ (عَدي بن ربيعة التغلبيّ) = يُنظر المهَلْهِل

١٧٦ـ (عَديّ بن زيد العبادي)(١) (ت/ ٥٨٧ م)

(٢٠ بيتاً وخمسة اشطر(٢)) .

(٢) ـ هو عِديّ بن زيد بن حمّاد من زيد مَناة بن تميم . وكان يسكن الحيرة وهو شاعر جاهلي فصيح ، والقدماء لايرون شعره حُجّة . وضعه ابن سلّام في الطبقة الرابعة .

مصادر ترجمته : الشعر والشعراء ١/ ٢٢٥ ، خزانة الأدب ١/ ٣٨١ ، تأريخ ـ (بروكلمان) ١/ ١٢٤ ، بلاشير ٢/ ١٢٩ ، سمط ١/ ٢٢١ ، طبقات ابن سلام / ٥٨

(٢) ـ عق/ عصر/ حق/ كفح/ حجل/ حرص/ خطب/ بخل/ غص/ فشغ/ عزو/ طبق/ لجم/ أجل/ شبر/ بشور/ صفر/ وصر/ سدر/ بأس/ رزم/ زيد/ أذن/ نبأ/ أمه .

١٧٧ـ (ابن عِرْس ـ جُنَيدبن عبد الرحمن المرّي)(١) (ت/ ١١٥ هـ / ٧٣٣ م)

بيتان(٢)

(١) الجنيد بن عبد الرحمن بن عمرو الحارث المريّ الدمشقي . امير خراسان . ولاه هِشام بن عبد الملك سنة ١١١هـ عليها ومات فيها . شاعر

مصادر ترجمته : / الاعلام ٢/ ١٣٧

(٢) نشد/ مز

١٧٨ـ (عُروةَ بن الورْد)(١) (ت/ ٥٩٦ م)

بيت واحد(١)

(١) ـ عروة بن الورد بن زيد من بني عبس . شاعر من شعراء الجاهلية وفارس من فرسانها وصعاليكها . كان يلقب بعروة الصعاليك لجمعه اياهم والقيام بأمرهم .

مصادر ترجمته : الشعر والشعراء ٢/ ٦٧٥ ، خزانة الأدب ، ١١/ ١٣ ، سمط ٢/٨٢٣ ، مجمع الأمثال ٢/ ٨١ ، الأغاني ٣/٧٣ ، تأريخ (بلاشير) ٢/ ١١٣

(٢) ـ عشر .

١٧٩ـ (عُقْبَة بن سابق)

بيتان(١)

حلم/ نبح

١٨٠ـ (عُقَيْبة الأسديّ)(١) (ت/ ٥٠هـ ـ ٦٧٠ م)

بيت واحد(٢)

(١) ـ عُقبية بن هبيرة الأسدي . شاعر جاهلي اسلامي .

مصادر ترجمته : خزانة الأدب ٢/٢٦٠ ، سمط ١/١٤٩ ، الأعلام ٥/ ٣٨ كتاب سيبويه ١/ ٤٦ .

(٢) بشر

١٨١ـ (العلاء بن قَرظَة)

بيت واحد(٢)

(١)ـ شاعر اسلامي عاش في العصر الأموي ، خال الفرزدق الشاعر المشهور .

مصادر ترجمته : سمط ١/ ٣٩ ، الاشتقاق ١/ ١٩٢

(٢) ـ عرج

١٨٢ـ (عَلقمه بن عَبْده التميميّ)(١) (ت/ ٦٠٣ م)

(١٣ بيتاً وخمسة اشطر(٢)

(١) ـ هو علقمة بن عَبده بن النعمان من بني تميم . المعروف بعلقمه الفحل ، شاعر جاهلي مُجيد . اشتهر بالوصف . مُختلف في سبب تسميته بالفحل .

مصادر ترجمته : الشعر والشعراء ١/ ٢١٨ ، المؤتلف / ١٥٢ ، خزانة الادب ٣/ ٢٨٢ البيان والتبيين ٣/ ٣٢٩ ، المفضليات رقم (١١٩ ، ١٢٠)

(٢) عقل/ عرز/ طحو/ هد/ هجم/ خرق/ خطب/ خيط/ غمم/ قر/ كبر/ ملك/ جلب/ جنب/ جنأ/ صب/ دم/ أنا .

١٨٣ـ (علي بن أبي طالب) (رض)

ثلاثة أبيات وشطر واحد(١)

(١) ـ زعق/ حدر/ حوي/ قصر .

١٨٤ـ (عُمارة بن طارق)(١)

بيت واحد(٢)

(١) ـ عُمارة بن طارق أو (عُمير) ـ شاعر جاهلي . قد يكون ماهلياً كما يقول الدكتور هاشم الطعان(*)

مصادر ترجمته : سمط ٢/ ٨٣٧ ، تأويل مشكل القرآن / ٨ (الهامش) الادب الجاهلي بين لهجات القبائل واللغة الموحدة (الطعان)(*) / ٧٠

(٢) ـ حق

١٨٥ـ (عمر بن أبي ربيعة)(١) (ت/ ٩٥ هـ ـ ٧١٣ م)

ثلاثة ابيات وشطر(٢)

(١)ـ عمر بن أبي عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي . يكنى أبا الخطاب (الشاعر الأموي المعروف)

(٢) ـ حدر/ خضر/ سود/ أطر .

١٨٦ـ (عُمر بن لَجَاء التميميّ)(١) (ت/ ١٠٥ هـ ـ ٧٢٤ م)

بيتان(٢)

(١) ـ هو عُمر بن لجأ التميمي وقيل عُمير بن لجا وهو من تميم . شاعر أموي راجز .

مصادر ترجمته : الشعر والشعراء ٢/ ٦٨٠ ، معجم المرزباني/ ٤٧٨ ، خزانة الادب ٢/ ٢٩٩ ، ٨/ ٢٢٥ . وينظر شعر عمر بن لجأ التميمي تحقيق د . يحيى الجبوري/ دار الحرية للطباعة بغداد ١٩٧٦ م

(٢) ـ دهشم/ فلح

١٨٧ـ (عِمْران بن حِطّان)(١) (ت/ ٨٤هـ ـ ٧٠٣ م)

بيت وشطر واحد(٢)

(١) ـ عمران بن حِطان بن ظبيان بن ذُهْل من بكر وائل . شاعر فصيح من الخوارج ومن دعاتهم . عُمّر طويلاً ومات بجانب الكوفة .

مصادر ترجمته : الكامل في اللغة والادب/ ٢/ ١٨٨ ، خزانة الادب ٥/ ٣٥٠ ديوان الخوارج/ ١٠٥ ، الاغاني ١٨/ ١٠٩ ، البيان والتبيين ١/ ٤٧ .

(٢) ـ سعد/ درج

١٨٨ـ (عمرو بن أحمر)(١) (ت/ ٦٥هـ ـ ٦٨٥ م)

(١٧ بيتاً وأربعة أشطر (٢)

(١) عمرو بن احمر من بني عامر بن معن الباهلي . شاعر اسلامي مخضرم في شعره ألفاظ غريبة .

وضعه ابن سلام في الطبقة الثالثة من الاسلاميين . مختلف في تأريخ وفاته .

مصادر ترجمته : خزانة الأدب ٦/ ٢٥٧ ، معجم المرزُباني/ ٢١٤ ، الأعلام ٥/ ٢٣٧ المؤتلف / ٣٧ ، الشعر والشعراء ١/ ٣٥٦ . طبقاتي ابن سلام/ ١٧٤

(٢) قع/ عرق/ قلع/ شكع/ كنع/ رعد/ معد/ عور/ حل/ ضبح/ حلط/ فلح/ طرهم/ خزب/ غرب/ فقأ/ رندج/ ضمن/ سبت/ روي .

١٨٩ـ (عمرو بن أُمامة)(١)

بيتان(٢)

(١)ـ عمرو بن أمامة اللخمي (عمرو الأصغر) وهو أخو عمرو بن هند ، أبوهما المنذر بن امرىء القيس وأمه أمامة ، شاعر جاهلي .

مصدر ترجمته : / معجم الشعراء للمرزُباني/ ٢٠٦

(٢) ـ طوق

١٩٠ـ (عمرو بن الداخل الهذلي)(١)

بيت واحد(٢)

(١) ـ هو زهير بن حرام أحد بني سهم بن معاوية من بني هُذَيل .

مصدر ترجمته : ديوان الهذليين ٣/ ٩٨

(٢) مرج

١٩١ـ (عمرو بن العاص)(١) (ت/ ٤٣هـ ـ ٦٦٤ م)

بيت واحد(٢)

(١) ـ عمرو بن العاص بن وائل السهمي ، فاتح مصر .

(٢)ـ قلح .

١٩٢ـ (عَمرو بن العَدّاء الكلبيّ)

بيتان(٢)

(١) ـ عَمرو العَدّاء الكلبي شاعر إسلامي عاش أيام معاوية بن أبي سفيان .

مصدر ترجمته : خزانة الأدب ٧/ ٥٨١ ، ٥٨٥

(٢) عقل/ سعي

١٩٣ـ (عمرو بن عَديّ اللخميّ)

بيت واحد(١) (ابن اخت جذيمة)

(١) ـ جني

١٩٤ـ (أبو عمرو الفقعسيّ)

شطر واحد(١) جاء في العين «أبو عمرو الفقعيّ»

(١) ـ غذم

١٩٥ـ (عمرو بن كلثوم التغلبي) (ت/ ٦٠٠ م)

(١٨ بيتاً وخمسة أشطر(١) (الشاعر الجاهلي المشهور)

(١) ـ عق/ شع/ عرض/ عتزن/ حفض/ خدو/ ده/ لهو/ غصن/ قرن/ قتو/ قرء/ جبر/ صبن/ صول/ سند/ سنف/ رأس/ وسم/ بلنط/ ندر/ ثبي/ يلب .

١٩٦- (عمرو بن مَعْدي كَرِب الزُبَيدي)[١] (ت/ ٢١هـ - ٦٤٢ م)

خمسة ابيات وشطران[٢]

(١) - عمرو بن معدي كرب بن ربيعة بن زبيد من بني مازن ويكنى أبا ثور . من فحول الفرسان والشعراء . وهو مخضرم ، أسلم بعد تردد ، من المعَمَّرين ، مات في خلافة عثمان بن عفان (رض) .

مصادر ترجمته : العِقد الفريد/ الاجزاء ١ ، ٢ ، ٣ ، (متفرقة) ، الشعر والشعراء ١/ ٣٧٢ الاغاني ١٥/ ٢٠٨ ، خزانة الادب ٢/ ٤٤٦ ، معجم المرزباني/ ٢٠٨ ، سمط/ ٦٣

(٢) - هلع/ خل/ جر/ صم/ درء/ ظلف/ فيف

١٩٧- (عمير بن قيس بن جِذل الطعان)[١]

بيت واحد[٢]

(١) - عُمير بن قيس بن جذل الطعان الكناني . شاعر جاهلي .

مصدر ترجمته : معجم الشعراء للمرزباني/ ٢٤٣

(٢) - نسأ

١٩٨- (عنترة بن شداد) (ت/ ٦١٥ م)

العبسيّ - الشاعر الجاهلي المشهور

(١٨ بيتاً[١] وستة أشطر) .

(١) - عقد/ عجر/ شعب/ عرض/ سعن/ زعم/ علد/ علم/ نعم/ عود/ حم/ حدق/ سهم/ خم/ غدق/ قنو/ شظم/ شوف/ سر/ طوي/ ردم/ فدن/ مذر/ وبي .

١٩٩- (عَوْف بن الأحوص الجعفري)

بيت واحد[٢]

(١) - عوف بن الاحوس بن جعفر الكلابي . والأحوص اسم أبيه (معناه : ضيق في العين) شاعر جاهلي شهد حرب الفجار .

مصادر ترجمته : الشعر والشعراء ١/ ٣٣٦ ، خزانة الأدب ١/ ١٨٣ ، معجم المرزباني/ ٢٧٦ المفضليات رقم (٣٥/ ٣٦/ ١٠٨)

(٢) بعو .

٢٠٠- (عَوْف بن الخَرِع)[١] (ت/ ٥٧١ م)

بيت واحد[٢]

(١) - هو عوف بن عطية بن عمرو بن عبس من بني تميم . والخَرِع جدّ عمرو .

شاعر جاهلي كانت بينه وبني لقيط بن زُراره مهاجاة .

مصدر ترجمته : خزانة الأدب ٦/ ٣٦٤ ، البيان والتبيين ٣/ ٨٧ ، بروكلمان ١/ ٨٩ المفضليات رقم (٩٤ ، ٩٥ ، ١٢٤) ، سمط ٢/ ٧٢٣ . / (يرى البكري أنه أدرك الاسلام)

(٢) - فور .

٢٠١- (عياض بن حَزرَة الهُذَليّ)

بيت واحد[١]

(١) - وتر .

٢٠٢- أبو العيال الهُذَليّ)[١]

بيت واحد[٢]

(١) - أحد بني خفاجة بن سعد بن هُذيل . كان شاعراً فصيحاً مُقدَّماً . وهو مخضرم عاش الجاهلية والإسلام وعُمِّر إلى خلافة معاوية بن أبي سفيان .

مصادر ترجمته : الشعر والشعراء ٢/ ٦٦٩ ، الاغاني ٢٤/ ١٩٧ ديوان الهذليين ٢/ ٢٤١

(٢) - كهم .

٢٠٣- (أبو الغريب النَّصْري)[١]

شطر واحد[٢]

(١) - أبو الغريب النَّصْري شاعر بدوي ، له شعر قيس من مخضرمي الدولتين الاموية والعباسيّة .

مصادر ترجمته : خزانة الأدب ٥/ ٩٣ - ٩٤ ، سمط ٢/ ٦٥٠

(٢) - وهص .

٢٠٤- (أبو الغريف الغَنَويّ)

بيت واحد[١]

(١) - عرض .

٢٠٥- (غَنيُّ بن مالك)

بيت واحد

(١) - شد

٢٠٦- (غيلان ؟)

بيت واحد[١]

(١) - عفهم

(×) قدمت الدكتورة خولة تقي الدين الهلالي دراسة لغوية في أراجيز رؤبة والعجاج / بغداد ١٩٨٢ .

التنبيه على أوهام تحقيق

شرح الكافية الشافية لابن مالك

د. حسام سعيد النعيمي

كلية الاداب ـ جامعة بغداد

(شرح الكافية الشافية لابن مالك) كتاب في النحو والصرف، حققه وقدم له الدكتور عبدالمنعم احمد هريدي ، من سلسلة من التراث الاسلامي، الكتاب السادس عشر، اصدار جامعة ام القرى ، مركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية بمكة المكرمة . الطبعة الاولى ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢ . وقد اشرف على تصحيح تجارب الطبع عبدالعزيز رباح ، واحمد يوسف الدقاق .

وجاء الكتاب في اربعة اجزاء ، اما الجزء الخامس فقد جعله المحقق للفهارس ، وقد وفق المحقق الفاضل في اخراج الكتاب بصورة جيدة من حيث الضبط والاتقان ، على ان نسخة الاصل كانت مشكولة مضبوطة ، الا ان الحفاظ على شكل المخطوط وضبطه ، ونقله الى المطبعة ، امر يتطلب الصبر والجهد .

قرأت الكتاب قراءة مستفيد وانتهيت منه وقد جرى القلم على حواشيه بفوائد متناثرة هنا وهناك ، فرأيت ان اضمها بعضها الى بعض ، راجيا ان يجد القاريء بله المحقق الفاضل ، فيها ما يقوّم هنات النشر في هذا السفر القيم ، فأقول وبالله التوفيق ومنه سبحانه السداد:

ج ١ ص٣٨

قال في المقدمة :

(الكافية الشافية نظم موجز يحتوي على سبعة وخمسين والفين من الابيات . وقد نص الناظم على ذلك صراحة . . حيث قال . . . :

أبياته ألفان مع سبعمائه
وزيد خمسون ونيف أكمله)(١)

أقول :

قول المحقق الفاضل : نص الناظم على ذلك . . . الخ ، فيه نظر ، فالراجح ان البيت الذي بنى عليه حكمه من عمل بعض الناسخين لامور :

الاول :

انه كما ذكر المحقق الفاضل لم يرد في نسخة الاصل ، ولا في نسخة (ك) او (ع) او (ش) اي انه وجد في نسخة (ط) : وفي نسخة واحدة من المخطوطات المعتمدة في التحقيق وهي نسخة(هـ) .

اما (ط) فلا ندري على ماذا اعتمد الناشر في اثبات البيت فيها عند الطبع ولاسيما انها غير محققه .

واما (هـ) فلا تقوى على اثبات ما خلت منه نسخة الاصل ، والنسخ الاربع الاخرى، ولاسيما أنه اخبرنا في التعريف بها انه لاحظ عليها (. . . شيوع السقطات، . . . وكثرة الاخطاء. . .)[٣]

وما كان هذا شأنه لا يقال فيه : نص الناظم . . صراحة . . . .

الثاني :

ابن مالك ناظم متمكن وما كان ليعجزه لو اراد ان يعد ابيات منظومته ان يأتي ببيت خال من الضعف الذي نراه في هذا البيت المقحم . فقد نص العلماء على ان هاء الضمير اذا تحرك ما قبلها لا تكون رويا ، وقد جعلها هذا المقحم رويا ، ليجعلها في مقابل هاء التأنيث في مائة عند الوقف ، وهي ايضا لا تصلح لان تقع رويا ، قال الاستاذ الراضي : (فهاء التأنيث لا تصلح ان تكون رويا وعلى الشاعر ان يلتزم حرفا اخر قبلها على انه الروي)[٤] وقال ايضا : (وهاء الضمير المتصل لا تصلح ان تكون رويا اذا كان ما قبلها متحركا .)[٥]

فهل نزعم ان ابن مالك كان يجهل هذا ؟ .

الثالث :

النّيف في اللغة مازاد على العقد حتى يبلغ العقد الثاني (يقال عشرة ونيّف . ومائة ونيّف . وكل مازاد على العقد فهو نيّف حتى يبلغ العقد الثاني .)[٦] فكيف يريدنا مقحم البيت ان نفهم من النّيف هنا سبعة ابيات على سبيل القطع ؟ وكيف جاز للمحقق الفاضل ان يقول مستندا الى هذا البيت ان الناظم نص على ذلك صراحة ، وهو يكلمنا على عدد ابيات المنظومة ؟ فأين الصراحة في النّيف ؟ .

الرابع :

النظر في الخاتمة يظهر بوضوح ان البيت مقحم ، فقد جعل بين حمد الله سبحانه . والصلاة على رسوله ﷺ . قال الناظم :[٧]

(فالحمد لله على تكميله ميسرا ما ريم من تحصيله

بأفضل الصلاة والسلام على لباب صفوة الانام

لآله منها صلات وافرة وانعم ظاهره وباطنه)

وقد اقحم البيت بين الاول والثاني .

وعلى هذا فقد كان الاولى طرح البيت في حاشية ٢٢٥٢/٤ مع التنبيه على ضعفه ، وعدم الاعتماد عليه في تقرير عدد ابيات المنظومة ، بله القول ان الناظم نص على ذلك صراحة ، وكأن الامر حقيقة مسلمة .

٢) ج١ ص٤٠

تكلم المحقق على تأثر ابن مالك بابن معط في هذا الكتاب ، قال : (ويتجلى هذا التأثر والتأثير في امور منها :

أ ـ وجود ابيات بكامل هيئتها وفي نفس موضعها في المنظومتين . . .)

اقول ـ متحفظا على الاسلوب ـ هذا الكلام يوحي بأن ابن مالك قد اخذ ابياتا من منظومة ابن معط ، وان المحقق قد وجد هذه الابيات بهيئتها الكاملة ، وفي موضعها نفسه من المنظومتين ، وهو امر حسن به حاجة الى تمثيل ، ويفاجأ القارىء بأن المثل الذي اورده المحقق لا يتناول ابيات النظم ، وانما الشواهد . وفرق كبير بين ان يقال : يتجلى هذا التأثير في وجود ابيات بكامل هيئتها . . . الخ ، وان يقال : جاء عدد من الشواهد مشتركا بين المنظومتين ، وهذا تمام كلامه : (. . وفي نفس موضعها في المنظومتين ، فابن معط يقول في باب البدل :

وأبدلوا الفعل من الفعل إذا كان بمعناه ، وذاك مثل ذا

إنّ عليّ الله أن تبايعا تؤخذ كرهاً أو تجيء طائعا

وابن مالك في باب البدل يقول :

والفعل قد يبدل من فعل كما قد قال بعض الراجزين القدما

إن عليّ الله أن تبايعا تؤخذ كرهاً أو تجيء طائعا . .)

فالبيت الثاني ليس لابن معط، وانما هو كما قال ابن مالك لراجز قديم ، ولم يكن ابن معط اول من استشهد به ، بل هو من شواهد سيبويه .[4]

وشواهد النحو تدور في كتب النحو في مواضعها ، فسيبويه ذكر الشاهد في باب البدل وهو يتكلم على ابدال الفعل من الفعل . وذكره ابن معط في الموضع نفسه ، وذكره ابن مالك في الموضع نفسه ايضا ، وذكره كل من استشهد به بعد ذلك في ابدال الفعل من الفعل . فأين التأثير والتأثر في هذا ؟ كان بودنا لو ذكر المحقق الفاضل مثالا غير هذا يظهر فيه ما أورده من مسألة التأثر .

٣) ج ١ ص ٤١

قال : (ومثل هذا قوله في باب التنازع :

كمثل زارني وزرت عمراً

ومنه : «آتوني أفرغْ عليه قطرا»

اقول :

عجز البيت منكسر هكذا ، ويمكن ان يستقيم اذا اسقطنا الهمزة والالف من (آتوني وجعلنا ياءها كسرة مختلسة ، واسقطنا همزة (أفرغ) ولا أحسب ذلك جائزاً في كلام الناس ، بله كلام رب العزة سبحانه . ولعل الاصل : . . . ومثله : «أفرغْ عليه قطرا» ، او نحو ذلك .

٤) ج ١ ص ٤١

قال : (قال ابن معط يستشهد على راي الحجازيين في اعمال (ما) عمل (ليس) :

يشهد للحجازيين في لغاتهم

مقالة «ماهن امهاتهم»

اقول :

صدر البيت منكسر ، يصلح بنحو : يشهد للحجاز في لغاتهم . . . ، ويكون قد اراد : اهل الحجاز ، ثم حذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه .

٥) ج ١ ص ٤٨

قال : (كما قال في مقدمة كتاب : الاعلام بمثلث الكلام :

لما رأيت انه ذو أرب

الى اتساع في كلام العرب

رأيت ان اجعل بعض قربي

له كتاباً فيه ذا احتساب . .)

اقول :

البيت الثاني ظاهر الاختلال ، اذ جاءت القافية في العجز مردفة وهي في الصدر غير مردفة ، ولاشك في وقوع تصحيف او انتقال نظر اثناء النسخ ، واذا صح هذا عذراً اثناء النسخ فما عذره في عدم التنبيه عليه وهو يقابل ما نسخ ، او وهو يطبع ؟ .

٦) ج ١ ص ٥٦

قال: (وقال هيمان بن قحافة في تسكين الذال:

احمد ربّ الـذْ تمت

نعماؤه عليّ واستتبت

وقال آخر في تسكين التاء :

ارضنا الّتْ آوت ذوي الفقر والـذي

فاضوا ذوي غنى واعتزاز . .)

اقول :

صواب الاول :

أحمد ربَّ النعمة الّذْ تمت نعماؤه . .

وصواب الثاني :

أرضنا الّتْ آوت ذوي الفقر والذلّ

فاضوا ذوي غنى واعتزاز

وهو من الخفيف ، مدوّر ، تكون اللام الاولى الساكنة (عين الكلمة) في آخر العجز ، والثانية المتحركة (لام الكلمة) في اول الصدر.

٧) ج ١ ص ٧٢

قال: (ومن النوع الثالث . . قوله :

وبعد مجرور المضاف المقتضي

زائدا انتصابه رضي . .)

اقول :

الصواب : . . . زائداً انتصابُه بِه رضي

٨)

الخطأ في جدول الخطأ والصواب :

كل ما أشرنا اليه آنفاً لم ينبه عليه في جدول الخطأ والصواب. ونحن نعلم برم عمال الطباعة واصحاب المطابع بطلب التصحيح المتكرر ، ولكننا نعلم ايضا ان جدول الخطأ والصواب ينبغي ان يتقن وان ادى ذلك الى تصحيح تجربته ثلاث مرات او اكثر ، ولا عذر في الخطأ في هذا الجدول وقد وجدت فيه :

أ ـ ج ٥ ص ٣٨٧

في السطر (١١) قال: الصحفة (٧١٤) السطر (١٥)....

اقول : الصواب : (٨١٤) السطر (١٥) . . . اذ ليس في الصفحة (٧١٤) الخطأ الذي ذكره ، بل هو في الصفحة (٨١٤) .

ب ـ ج ٥ ص ٣٨٨

في السطر (٤) قال : الصفحة (١١٢٣) السطر (٢) . .

اقول : الصواب : الصفحة (١٢٢٣) السطر (٢) . . . ، واشهد اني لم اصل بسهولة الى الصفحة الصحيحة.

ج ـ ج ٥ ص ٣٨٨

السطران (١١) و(١٢) حل احدهما محل الاخر .

د ـ ج ٥ ص ٣٨٩

في السطر (٥) قال : الصفحة (٢١٠٨) السطر (٧)

اقول : الصواب : السطر (٨)

هـ ـ ج ٥ ص ٣٨٩

في السطر (١٦) قال : الصفحة (١٦٤) السطر (٧) الخطأ (ابن عرمو) . الصواب (ابن عمرو) .

اقول: الخطأ (أبي عرمو) والصواب (ابي عمرو) ، وليس (ابن) في الموضعين .

و ـ ج ٥ ص ٣٩٠

في السطر (٢) من الاسفل قال : الصفحة (٢١١٩) السطر (بياض) الخطأ والصواب : سقطت الحاشية رقم (٣) ونصها : (٣) الاصل : (من ان يصل)

اقول :

اعترف بعجزي عن اكتشاف الصفحة المعنية هنا ، فالصفحة (٢١١٩) المذكورة ليس فيها حاشية ساقطة ، وليس فيها الحاشية التي أشار اليها ، وهي ليست فيما بحثت فيه من صفحات ومنها (٢١٠٩) و(٢١٩١) و(٢٠١٩) و(٢٢١٩) و(٢١٢٩) فأين ياترى هذه الصفحة والحاشية ؟ اما كان ينبغي ضبط جدول الخطأ والصواب ؟ .

٩) ج ١ ص ١٦٥

قال :

(ومنه قول الشاعر :

. . . يرمي ورائي بامْسهمٍ وامْسلمه)

اقول :

الصواب : بامسهمِ ، بميم مكسورة من غير تنوين ، اذ لا يجتمع على الكلمة علامة التعريف (الالف والميم) ، والتنوين . مع ما في التنوين من انكسار الوزن .

١٠) ج ١ ص ١٧٣

قال :

(نحو : ما قام زيد بل عمروٌ ، ومنها ماهو امل في الاسمُ عمل الفعل .)

اقول :

اما قوله (في الاسمُ) فلاشك في انه من عمل الطباعة ، ولكنه قبيح الايصحح ، ولاسيما في كتاب نحوي .

واما (عمروٌ) فقد اضطربت المطبعة ، اوغيرها ، في ضبطه في الكتاب ، فتارة تضع الحركات على الواو كما جاء في

هذا الموضع ، وليس ذلك بسديد ، لان واو (عمرو) ليست موضع اعراب ، وتاره تضعها على الراء وهو الصحيح . فمن مواضع مجيئها على الواو الصفحات : ٢٨٣ ، ٣٣٩ ، ٣٩٨ ، ٥٣٨ ، ٥٩١ ، ٥٩٢ حيث تكرر الخطأ ثلاث مرات ، ٦٢١ ، ٦٢٢ ، ٦٣٢ ، ٦٣٣ . ومن مواضع مجيئها على الراء الصفحات : ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٤٣٣ ، ٥٥٩ ، ٥٦٠ ، ٧١٢ ، ٧١٤ ، ٧٥٢ ، ٧٥٤ .

١١) ج ١ ص ١٧٤

قال :

(...   وفعلٌ امتاز بـ (كم) كيخفى ..

... وقولي .. امتاز بـ (كم)) ...)

اقول :

الصواب : امتاز بـ (لم) في الموضعين ، وقد جاء ذلك صحيحا في اول الصفحة التالية (١٧٥) حيث قال : (الفعل الذي يصلح) ان تدخل عليه (لم) وهو المضارع ..) ولست ادري كيف احالت المطبعة (لم) الى (كم) في موضعين بينهما سبعة اسطر ؟ .

١٢) ج ١ ص ١٧٦

قال : (ولذلك اعتبروا التركيب في : لقيته صحرة بحرة ، لا في : لقيته صحرةَ بحرةَ نحرةَ ..)

اقول :

الصواب : لا في : لقيته صحرةً بحرةً نحرةً ، بالتنوين ، لان الكلام على عدم اعتبار التركيب ، لأن ثلاثة أشياء لا تجعل شيئا واحداً ، كما قال قبل هذا المثال ، الذي جاء به للتدليل على بناء الفعل في : هل يفعلَنّ لتركيبه مع النون ، واعراب : هل يفعلانّ ، لأنه حال بينهما الضمير فلم يبق تركيب ، ثم مثل بـ : صحرة بحرة ، للبناء بسبب تركيب شيئين ، وبـ : صحرة بحرة نحرة ، للاعراب بسبب فوات التركيب ، والاعراب في هذه الكلمات يقتضي اثبات التنوين ، اذ لامعنى لحذفه ، وقد صرح بالاعراب في ص ١٦٩٧ حيث قال : (ويضم اليهما نحرة) فيعربن ، لأن ثلاثة أشياء لا يركبن .).

١٣) ج ١ ص ٢٢٥

قال :

(كذالدن ومن وعن وقطّ وقد

وليت ، باقي اخواتها ورد

... ولدن وقطّ وقد بمعنى : حسب ...)

اقول :

ضبطه (قطّ) بالتشديد يكسر البيت في النظم ، فهي (قطْ) بالسكون مثل (قدْ) لفظا ومعنى ، والكلام على اتصال نون الوقاية بهذه الكلم فهي ساكنة الاخر : لدنْ ، منْ ، عنْ ، قطْ ، قدْ ، فالكلام اذن على (قط) بالسكون وليس على (قطّ) بالتشديد ، ومن شواهد ذلك قول الراجز :

امتلأ الحوض وقال قطْني

مهلاً رويداً قد ملأت بطني

فقطني هنا بمعنى حسبي ، وهي مثل قدني في قوله :

قدْني من نصر الخُبيبين قد ...

١٤) ج١ ص ٢٢٩

قال :

(ولاضطرارٍ سوّغوا (قد ضُمِّنتْ

إيّاهم الارض) فحقق ما ثبت)

اقول :

الصواب : (قد ضَمِنَتْ ...) لانها كلمة من بيت للفرزدق ، وضبطها (ضُمِّنت) وان كان يستقيم معها بيت المنظومة (قد ضمنت = مستفعلن) الا ان بيت الفرزدق ينكسر بها، وذلك قوله :[8]

بالباعث الوارث الاموات قد ضمنت

إياهم الارض في دهر الدهارير

فاذا شدّدت الميم انكسر الوزن لان البيت من البسيط و(ضمنت) تقابل فيه العروض (فعلن) والتشديد يخرجها من اعاريض هذا البحر ، لذا ينبغي ان تضبط الكلمة في المنظومة بصورة موافقة لما في بيت الفرزدق ولاسيما انها وضعت بين قوسين .

١٥) ج ١ ص ٢٣٩

في الحاشية (١) قال : (جاء على هامش الاصل : . .

وقد يرى مبتدأ وذا انتخب
ان لمغايرة الثاني نسب)

وقد كرر المحقق هذا البيت في حاشية الصفحة (٢٤٠) ، وقد ورد ايضا في متن الكتاب في ص (٢٤٦) حيث قال : (وقولي . . . ان لمغايرة الثاني نسب ، اشرت به الى كل ما الثاني فيه غير الاول . . .)

اقول :

عجز البيت منكسر ، وحسن الظن بابن مالك وقدرته على النظم الصحيح يدعو ان الى اتهام الناسخ او الناقل ، ويمكن ان يصحح بمثل قولنا (. . . ان للذي يغاير الثاني نسب) الا ان صورته تكون بعيدة عما هو مثبت في المتن ، واقرب تصحيح الى المتن ان تجعل التاء في لمغايرة (له) ويضبط الشطر هكذا :

. . . ان لمغاير له الثاني نسب

اي ان نسب الثاني لمغاير له ، وهذا يوافق المثال الذي اورده لهذه الصورة وهو قوله : كان زيدٌ هو القائمة جاريته .

١٦) ج ١ ص ٢٥٠

قال : (. . إما بدلا ، وإما عطف بيان كقولك : هذا عبدالله عابد الكلب)

اقول :

هذا المثال في النفس منه شيء ، ولا أظن قارئاً يقبله ، اذ كيف يستقيم ان يبين عبدالله بعابدالكلب ، وقد كان ينبغي ان يتنبه المحقق الفاضل على هذا ويجهد في البحث عن الصواب فعابد الكلب غير معروف في العرب على ما نعلم ، والكلمة مصحفة من عائد ، وعائد الكلب لقب عبدالله بن مصعب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير ، الامير الشاعر المحدّث[٩] ، وقد لقب بعائد الكلب لابيات قالها متطرفا منها قوله :[١٠]

مالي مرضت فلم يعدني عائد
منكم ، ويمرض كلبكم فأعود

١٧) ج ١ ص ٢٦٧

قال : (. . . ويقوي هذا انها جاءت موصوفة غير موصولة [ما] أنشد الاصمعي . . .) وقال المحقق في الحاشية : (سقطت (ما) من جميع النسخ بما فيها الاصل ، لكن المقام يقتضيها .)

اقول :

بل المقام لا يقتضيها ، ولا موضع لها هنا ، فقد نقل المصنِّف حكاية أبي عليّ عن يونس (وقوع (الذي) مصدرية مستغنية عن عائد ، وجعل من ذلك قوله تعالى : «ذلك الذي يبشر الله عباده» ، ثم قال ابو علي : ويقوي هذا انها جاءت موصوفة غير موصولة ، انشد الاصمعيّ . . .) اي يقوّي وقوعها مصدرية مجيؤها موصوفة غير موصولة ، فالمصدر المؤول فاعل يقوي ، ولا موضع لـ (ما) التي اقحمها المحقق الفاضل ، على ان الاصل والنسخ المعتمدة جميعا قد خلت منها .

١٨) ج ١ ص ٢٩٧

قال : (وشذ نحو : الحكم الترضى ، ومن
رأى اضطراد مثل ذا فيما وهن

اقول :

قوله (اضطراد) من الأخطاء الشائعة في زماننا ، ولا احسبه من الاصل ، يقوي ذلك انها جاءت بصورة صحيحة في الشرح في ص (٣٠٠) حيث قال : (والى هذا اشرت بقولي . . . ومن رأى اطراد . . .)

فالكلمة صيغة افتعال من (طرد) ، والاصل (اطترد) مثل (اضترب) من (ضرب) فقلبت التاء طاء لتناسب فاء الكلمة في الاطباق ، فصار (اططرد) مثل (اضطرب) ثم ادغمت الطاء في الطاء لسكون الاولى فصارت (اطّرد اطّراداً) ولا معنى لـ : (اضطرد) اللهم الا اذا كانت افتعل من (ضرد) ولا نعرف ذلك .

١٩) ج ١ ص ٣١٧

قال : (وها حرف تنبيه يجاء بها متقدمة على (ذا) و . . . . فيقال هَذا ، وهاتي ، وهَذاك ، وهاتيك ، ومنه قول طرفة :

رأيت بني غبراء لا ينكرونني
ولا اهل هاتيك الطراف الممدد

وفي الحديث . . هَذينك الرجلين . .)

أقول :

درج الكتّاب على وضع ألف صغيرة بين الهاء وذا في (هذا) واخواته ، وحذف الالف والاكتفاء بوضع فتحة على الهاء يوحي بقراءة اللفظ من غير الف ، وهو موضع لبس كان ينبغي ان يتجنب (فإن جاءت الكاف ، زدت - يعني الالف - نحو : ها ذاك ، وها ذانك)[١١]

اما قول طرفة فالمشهور فيه : ولا اهل هاذاك الطراف الممدد ، لان الطراف مذكر وقد وصفه في البيت بالممدد ، فالذي يناسبه اشارة المذكر لا اشارة المؤنث ، وقد قال المحقق في الحاشية : (الطراف بناء من ادم يكون للاغنياء ، والممدد المنصوب) فكيف رضي الاشارة اليه بهاتيك قال العيني وهو يتكلم على هذا البيت : الشاهد في قوله هذاك ، حيث الحق الهاء بالمقرون بالكاف وهو قليل)[١٢]

٢٠) ج ١ ص ٣٤٦

قال : (وكقول النمر [بن تولب :

فيوم لنا ويوم علينا]   ويوم نُساء ويوم نسر)

وفي الحاشية قال المحقق (سقط من الاصل ما بين القوسين) ثم قال : (ورواية الديوان ص ٥٧ فيوم علينا ويوم لنا . . .)

اقول

الصدر كما اورده المحقق الفاضل في المتن منكسر ، ولا يليق بناظم متمكن كابن مالك ان يورده هكذا ، والراجح انه سقط من قلم بعض النساخ ، اما قول المحقق : سقط من الاصل مابين القوسين ، مما يعني انه ثابت في النسخ الاخرى جميعها ، فهو إن صح دليل على فساد الضبط فيها جميعا ، وهو مانشك فيه .

لقد كان على المحقق الفاضل ان يثبت في المتن صدر البيت مستقيماً كما ورد في الديوان ، ويشير في الحاشية الى وروده منكسراً في النسخ التي ورد فيها .

٢١) ج ١ ص ٣٦٧

قال : (. . . نحو : اجادوا الخمس ، فالخمس مبتدأ ، واجادوا خبر مقدم ، وعلى هذا حمل في احد الوجوه قوله تعالى : «واسروا النجوى الذين ظلموا . » .

وقال المحقق في الحاشية : (ومن الوجوه الاخرى في اعراب هذه الآية ان يكون : (الذين ظلموا) ، بدلاً من واو (وأسروا) ، او هو مبتدأ و(اسروا النجوى) خبره قدم عليه اهتماماً به .)

اقول :

قوله : ومن الوجوه الاخرى . . . يعني انه سوف يورد ما لم يورده المصنف ، والا فلا معنى لكلمة الوجوه الاخرى ، الا انه ذكر وجهاً آخر ثم اعاد الوجه الذي ذكره المصنف بقوله او هو مبتدأ . . . ، وقد كان الاولى ان يذكر التوجيه الثالث في الاية وفي ما جاء عن العرب من نحو اجادوا الخمس ، وهو ان ذلك لغة لبعض العرب منهم بلحارث ، وهي اللغة التي اطلق عليها : لغة أكلوني البراغيث ، او لغة يتعاقبون فيكم ملائكة كما كان ابن مالك يسمّيها[١٣] ، على ان في الآية[١٤] توجيهاً رابعا بسبب بناء الذين ، هو ان تكون الذين في موضع نصب بتقدير اعني .

٢٢) ج ١ ص ٣٨٨

قال : (والحقوا بهنّ : جاءت حاجتُك
من بعد (ما) فاصرف لها عنايتَك)

اقول :

الكلام على الحاق (جاء) بالافعال التي جاءت بمعنى (صار) فعملت عملها ، وهذا معنى قوله : والحقوا بهنّ . واصل المثال : ما جاءت حاجتك ، بالنصب ، وهو هكذا من امثلة سيبويه[١٥] ، وكان ينبغي ان تضبط (حاجتك) بالنصب ، لا بالرفع ، على ان سيبويه حكاها بالرفع ايضا كما نقل المحقق في ص ٣٩١ ، ذلك ان كلام ابن مالك ههنا

على اجراء (ماجاء) مجرى (ماصار) وضبطها بالرفع يفوّت الغرض الذي من اجله جيء بالمثال ، هذا على مافي الرفع من الوقوع في عيب من عيوب القافية المقيدة في المنظومة ، وهو سناد التوجيه .

٢٣) ج ١ ص ٤٢٦

قال : (فإن تلا المعطوف سببيّ ، اي ملابس لضمير المخبر عنه ، جاز فيه مع الوجهين الرفع على ان يكون خبراً مقدماً وما بعده مبتدأ نحو : مازيد قائماً ولا نائماً أبوه)

اقول :

الصواب : مازيدٌ بقائم ولا نـائمٌ أبوه ، بجرّ قائم بالباء الزائدة ورفع نائم ، ليستقيم الكلام ، وقد قال الناظم في الصفحة نفسها :

(وحيـث يـتـلو سـبـبيّ مـا عُـطف
فـزد مـع الـوجهـين رفـع المنـعـطف
كـليس عـامـرٌ بمـسـتـهام
ولا مُـلمٌ قـلـبُـه بـذام

فكما جرّ (مستهام) بالباء الزائدة ، ورفع (ملمّ) يجر (قائم) ، ويرفع (ولا نائم) وبهذا يكون فيه ثلاثة اوجه : الجر على اللفظ ، والنصب عـلى الموضـع ، والرفع على الخبرية كما ذكر . والا فهو بالصورة التي اثبتها ليس مما كان المصنف بسبيله .

٢٤) ج١ ص ٤٤٧

قال : (وذكر ابو الفتح في المحتسب ان سعيد بن جبير قرأ : «إنْ الذين يدعون من دون الله عباداً امثالكم» . . . والمعنى : ليس الاصنام الذين يدعون من دون الله عبـاداً امثالكم في الاتصاف بالعقل ، فلو كانوا امثالكم فعبدتموهم لكنتم بذلك مخطئين ضالين ، فكيف حالكم في عبادة من هو دونكم بعدم الحياة والادراك)

اقول :

اولاً : كـان عليه ان يكسـر نـون (إن) لالتقـاء الساكنين ، لا ان يضبطها بالسكون .

ثانياً : اثبات (يدعون) بالياء ، في الآية ، وفي ذكر المعنى ، فيه نظر . اما الآية فهي شاهد بقراءة اوردها ابن جني في المحتسب[16] ، وقد ضبطها هناك (تدعون) بالتاء ، والغريب ان المحقق الفاضل نقل في الحاشية نص المحتسب وفيه (. . فكأنه قال : ما الذين تدعون من دون الله عباداً امثالكم . . .) ، وكان قد وضع اشارة على لفظ (يدعون) في المتن . وفي الحاشية قال عن الاشارة تلك : ((ع) و(ك) الذين تدعون) وهذا يعني ان الكلمة وردت بالتاء في نسخة الاصل وفي نسخة (هـ) .

واذا كـانت (تـدعـون) تلتبس بيـدعـون لسهـولـة التصحيف في الياء والتاء فإن من حق البحث العلمي على المحقق ان يضبط اللفظ مستعيناً بـالمظان المعتمـدة ، او بالسياق . وقد رأينا ابن جني يثبتها بالتاء فالقراءة ليست في (يدعون) بل في نصب (عباداً) لا غير .

واما السياق فإنه من الوضوح بحيث لا يدع مجالاً لـ (يدعون) بالياء ، كيف والمصنف في ذكر المعنى يقول : كانوا امثالكم فبعدتموهم لكنتم . . . الخ ، ولو روى الآية بالياء ، لما خاطب ، بل كان يقول : فلو كانوا امثالهم فعبـدوهم لكانوا . . . الخ ، فلما استعمل الخطاب في ايضاح المعنى دلّ ذلك على ان اللفظ بالتاء لا بالياء .

٢٥) ج ١ ص ٤٥٦

قال : (قول النبي ﷺ : يوشك الرجل متكئاً على اريكته يحدِّث بحديثي فيقول : بيننا وبينكم كتاب الله . .)

اقـول : الصواب : يحـدَّث ، بفتح الـدال بالبنـاء للمفعول ، وتوضع فاصلة بين بحديثي ، وفيقـول . وهو قطعة من حديث فيه التحذير من ترك السنة بدعوى الاخذ بكتاب الله وحده ، وبيان ان ما قاله رسـول الله ﷺ ملزِم كالذي ورد في كتاب الله سبحانه[17] ، وضبط يحدث بالبناء للفاعل ، كما فعل المحقق لا يستقيم به النص .

٢٦) ج ٢ ص ٥٥٥

وربمـا أُلـغـي سـابـقٌ سـبَـق
بـبـابـه الجـزء الاخـيـر مـعـتـلق

كـأيـن خـلت جـعـفـر مـقـيـم
ولـلـنـدى أرى الـفـتى مـديـم)

اقول :

الصواب : سابقٌ سُبق ، بالبناء للمفعول . فالفعل القلبي سابق لمفعوليه ولكنه سُبق بماله تعلق بالمفعول الثاني فجاز الغاء العمل ولم يعودا مفعولين . والمثالان في البيت الثاني يوضحان ذلك ، فالاصل في المثال الاول : اين خلت جعفراً مقيماً ، الا ان تعلق (اين) بـ(مقيماً) جوّز الغاء الفعل مع تقدمه على معموليه ، لانه كما قال في ص ٥٥٦ (متعلق بثاني الجزأين فكان ذلك كتقدمه بنفسه ، والاعمال في مثل هذا أجود .) .

هـذا على ان فتح الباء من (سبق) يـوقع في سناد التوجيه .

٢٧) ج ٢ ص ٥٦٥

قال : (ولا يجوز في اكرم وشبهه ان يقال : اكرمتُني واكرمتُك . . .)

اقول :

الصواب : واكرمتَـك ، بالفتح ، والمعنى يقتضي ذلك فضلاً عن تمام الكلام حيث قال : (بل الواجب اذا قُصد ذلك ان يقال : اكرمتُ نفسي واكرمتَ نفسَك .) .

٢٨) ج ٢ ص ٦٠٢

قال :

(يـنـوب عـن فـاعـلِ الـمـفـعـول بِـهْ
في كـل مـالـه كـحـيـز الـمـشـتَـبَـهْ)

اقول :

ضبط (المشتبه) بصيغة اسم المفعول يوقع في سناد التوجيه الذي تجنبه ابن مالك ما وسعه ذلك ، لذا ينبغي ان يضبط بكسر الباء بصيغة اسم الفاعل . هذا على ما في الكسر من السلامة من التقدير ، وافتقاره اليه مع الفتح ، اذ ينبغي ان يقدر له (به) او (فيه) او نحو ذلك .

(٢٩) ج ٢ ص ٦٤٥

قال : (وكقوله :

هـويـنـني وهـويـت الـغـانـيـاتُ الى
ان شـبـت وانـصـرفـت عـنـهـن آمـالي)

اقول .

الصواب : هويتني وهويت الغانياتِ . . ، بالنصب على المفعولية ، وهي مفسرة لنون (هويني) والرفع يخرجها عما كان المصنف فيه من الكلام ، فقد قال في اول الصفحة : (. . . نحو اعطى من قولنا : اعطى وسألت الله ، ففي اعطى ضمير مفسر بما بعده ، فنحو هذا مما اعمل فيه الثاني واضمر فيه مع الاول ضمير مرفوع أجازه البصريون ولم يجزه الكوفيون .) وجاء بشاهدين ليؤيد ما ذهب اليه البصريون ، ضبط المحقق الاول بصورة صحيحة ، ووهم في الثاني . هذا فضلاً عما يؤدي اليه الرفع من لغة اكلوني البراغيث ، وهي غير مرادة هنا ، ومن الفصل بـ(وهويت) بين هويتني والغانيات ، ومن حذف المفعول بعد هويت .

٣٠) ج ٢ ص ٦٦٠

قال :

(ولما لم يكن لـ (بله) فعل من لفظه احتيج الى تقدير فعل من معناه وهو اترك ، لأن بله الشيءَ بمعنى : ترك الشيء .)

اقول :

الصواب : (لان بله الشيءِ) بكسر الهمزة ، لان (الشيء) هنا في موضع جر باضافة (بله) اليه ، وكلام المصنف هنا على نصبه (بله) على المصدرية واضافته الى مابعده حيث قال في الصفحة نفسها : (وبعض هذه المصادر المجعولة بدلا من اللفظ بالفعل لا فعل له اصلا كـ (بله) اذا استعمل مضافاً فإنه حينئذ منصوب نصب (فضرب الرقاب) . . .) فهو اذن منصوب مضاف وليس منصوبا ناصبا .

٣١) ج ٢ص ٦٩٥

قال :

(ومما يترجح فيه النصب باعتبار المعية على النصب باعتبار العطف قول الشاعر .

اذا اعجبتك الدهر حال من امرىء
فدعه وواكل امره والليا ليا

أي : وأَكِلْ حالة الليالي .)

اقول :

الصواب : اي : (واكِلْ) ، من غير همز ، و(لليالي) ، بلام الجر . ذلك ان (أَكِلْ) غير معروف امراً من واكل او وكل ، بل الامر من الاول : واكل كما ورد في البيت ، ومن الثاني كل مثل عد وأماجر الليالي باللام فلكي يستقيم التقدير على وفق ما تقدم من كلام المصنف في تقديره : لو تركت الناقة وفصيلها لرضعها ، حيث قال : (لو تركت الناقة مع فصيلها او لفصيلها . .)

٣٢) ج ٢ ص ٧١١١

قال :

(وان تكرر دون توكيد فمع
تفريغ التأثّرَ بالعامل دع

اقول :

العجز منكسر ، والصواب : التأثير ، والمعنى : دع التأثير بالعامل في واحد . . . الخ وايضاح ذلك في ص ٧٢١ .

٣٣) ج ٢ ص ٧١٤

قال :

(وبالاضافة اجررن ما استثني
بها كـ (قام القوم غير معن)

اقول :

اثبات الفتحة على ياء استثني يخلّ بالقافية ، لذا ينبغي ان تسكن ، وبذلك توافق الكسرة المشبعة في : معن .

٣٤) ج ٢ ص ٧٣٥

قال :

(و : جاءوا قضّهم بقضيضهم . .)

اقول :

الصواب : قضَّهم ، لأنه شاهد على الحال المعرفة واذا رفع فلا شاهد فيه على ذلك ، قال ابن مالك : (وورود المصدر المعرفة حالا قليل نحو : ارسلها العراك ، وجاءُوا قضَّهم بقضيضهم) .

٣٥) ج ٢ ص ٧٤٨

قال :

(وكقول الشاعر :

مزبداً يخطر مالم يرني
واذا يخلوله الحمى(٥) رتع

وفي الحاشية (٥) قال : (في الاصل : لحمي)

اقول :

اذا كان في الاصل : لحمي فلم التغيير ، مع صحة المعنى على الغيبة ، اي يرتع في لحمي اذا كنت غائبا او لم يكن هناك من يدفع عني الغيبة .

الاولى اثبات ماقي الاصل والاشارة الى ماقي النسخ الاخرى في الحاشية ، هذا على ان في اثبات مافي الاصل تخلصا من الزحاف ، حيث صارت فاعلاتن الثانية في العجز فاعلات ، مكفوفة .

٣٦) ج ٢ ص ٧٨٤

قال : (واما (متى) فهي في لغة هذيل حرف جر بمعنى (من) . . . ومن كلامهم : اخرجها متى كمه ، من كمّه) فقال المحقق في الحاشية : (قال ابن الشجري في اماليه ٢٧٠/٢ : حكى الكسائي عن العرب : اخرجه من متى كمه ، اي : وسط كمه وهي لغة هذيل .)

اقول :

اوردت هذه الحاشية ايراداً به حاجة الى ايضاح ، فكلام ابن مالك فيه ان (متى) بلغة هذيل حرف جر بمعنى

(من) ، والكلام الذي اورده عن الكسائي في الحاشية فيه (متى) وقد دخلت عليها (من) وفسرت بأنها بمعنى وسط وانها لغة هذيل . لقد كان على المحقق ان يوضح الامر مادام اثاره في الحاشية بأن يقول مثلاً : الغالب في كتب النحو ان (متى) في لغة هذيل بمعنى (من) وقد حكى الكسائي وغيره انها عندهم بمعنى وسط . وفي مختار الصحاح : (.. وتكون في لغة هذيل بمعنى (من) ، وقد تكون بمعنى وسط .)[18]

هذا على ان هذا الموضع لم تكن به حاجة الى هذه الحاشية ، لأن كلام ابن مالك فيه على حروف الجر ومنها (متى) بلغة هذيل . وكونها بمعنى (وسط) عندهم لا يدخل في الكلام على حروف الجر .

٣٧) ج ٢ ص ٧٨٩

قال :

والواو والتا باليمين خُصتا
ومع (ربَّ الكعبة) استَعْمِلْ تا

اقول :

ضبطه (استعمل) بصيغه الامر ، لا موجب له ، على مافي ذلك من ادخال زحاف على الضرب مخالف لزحاف العروض ، مما يؤثر في تناسق موسيقى البيت ، مع امكان توافق العروض والضرب اذا ضبط (استُعْمِلَ) بالبناء للمجهول ، وتكون تفعيلة الضرب : (مفتعلن) مطوية كتفعيلة العروض.

وفي الصفحة نفسها قال :

ولم يُجرَّ (الربَّ) الاّ وهو
أضيفَ لـ (الكعبة) فيما قد ورد

اقول :

الصدر ينصلح حاله باعادة (قَدْ) اليه : ... إلاّ وَهْوَ قَدْ

٣٨) ج ٢ ص ٧٩٠

قال : وأكلت السمكة حتى رأسَها)

اقول : الصواب : حتى رأسِها ، بكسر السين ، لان الكلام هنا على (حتى) الجارّة . والظاهر ان المحقق الفاضل رأى خطأ المطبعة هنا ، فعزم على تصحيحه في جدول الخطأ والصواب الا انه سها عن وضع الحركة فكتب في الجدول المذكور جـ ص ٣٨٧ السطر السادس تحت كلمة الخطأ : رأسها ، وتحت الصواب : رأسها . من غير تحريك السين في ايّ من الكلمتين : وهذا مما لم نشر اليه في كلامنا على هذا الجدول لأن هذا الموضع به أليق .

٣٩) ج ٢ ص ٨١٢

قال : .... كالطعن يهلَك فيه الزيت والفَتَل

اقول : الصواب : يهلِك بكسر اللام . لأن هلك من الباب الثاني .

٤٠) ج ٢ ص ٨٢٢

قال :

رسم دار وقفت في طلله
كدت اقضي الحياة من جلله

فقال المحقق في الحاشية : من المنسرح ، قاله جميل ابن معمر .... الخ وكذلك قال عن البيت في جزء الفهارس جـ ص ١٢٣ انه من المنسرح .

اقول اتبع ما قال الاستاذ عبدالسلام هارون عن البيت في معجم شواهد العربية .[19] والصواب انه من الخفيف وليس من المنسرح ، وتفعيلاته :

فاعلاتن مفاعلن فعلن
فاعلاتن مفاعلن فعلن

حيث دخل الخبنُ التفعيلة الثانية من الصدر ومن العجز ، والعروضَ والضربَ مع الحذف الذي دخلهما . والغريب انه لم يذكر كتاب الاستاذ عبدالسلام هارون في مصادره .

٤١) ج ٢ ص ٨٥٨

قال :

والـفـت مـيـة لا تـنـفـكُ مـلـغـيـة
قول الوشاة فما الغت لهم قيلا

فقال المحقق في الحاشية انه من الطويل.

والصواب : انه من البسيط ، ولم يخرّجه او يذكر قائله ، فهل كان ذلك لان الاستاذ عبدالسلام هارون لم يورده في معجمه ؟

٤٢) ج ٢ ص ٨٦٨

قال : ومثله (عمَّرْتُكَ اللهِ

اقول : الصواب : اللهَ ، بالفتح ، لأنه كما قال مثل نشدتك اللهَ ، معنىً واستعمالاً . وقد ضبطه بصورة صحيحة في الصفحة ٨٦٩ في الشاهد ٥١٧ .

٤٣) ج ٢ ص ٨٧٧

قال :

وكـ (لَعَمْرِ) (أيمنُ) و(ايمُ) (ايمنُ)
و(إمُ) أيضا وكذا (مُ) و(مُنُ)

اقول : الصدر هكذا منكسر ، ويستقيم على ضعف ان حذفنا تنوين (ايم) مع اسقاط همزتها وهمزة ايمن من النطق ، واقل من ذلك ضعفاً ان تحذف الواو التي قبل (ايم) فتحقق همزتها وتبقى من غير تنوين مع اسقاط همزة ايمن من النطق ، ولعل هذا الاخير هو اصوب ما يمكن ان يضبط به الصدر بهذه الصورة .

فيكون : وكـ (لَعَمْرِ) : (أَيمَنُ) (أَيْمُ) (ايمُنُ)

٤٤) ج ٢ ص ٨٩٨

قال :

وحذف تا التأنيث منه قد يرد
في كلمات سمعت فلا تُرَدْ(١)

وفي الحاشية قال : (١) كـ ع (فلا تزد)

اقول : الاولى اثبات مافي نسختي كـ و ع ، وذلك أنّ المسموع لا يرد ، فلا زيادة فائدة في قوله : سمعت فلا ترد ، اما قوله : سمعت فلا تزد ، ففيه زيادة فائدة ، وذلك بمنع السامع من ان يزيد عليها بالقياس فهي كلمات مسموعة لا يجوز القياس عليها . هذا مع مافي اثبات تزد من التخلص من سناد التوجيه الذي تجنبه الناظم ماوسعه ذلك .

٤٥) ج ٢ ص ٩٥٢

قال وهويتكلم على (لدن) :

وهي مبنية الا في لغة قيس ، وبلغتهم قرأ ابوبكر عن عاصم قوله تعالى :

«لينذر بأساً شديداً من لَدُنِه»

وفي الحاشية عرف بإيجاز بعاصم وذكر رقم الاية في سورة الكهف (الآية ٢)

اقول : كان الاولى ان يعرفنا بأبي بكر هنا وهو يروي قراءة عن عاصم . على اننا افردنا باباً خاصاً في آخر هذه الصفحات للكلام على موقف الكتاب من الاعلام .

اما اشارته الى رقم الاية والسورة فيكاد يكون لا فائدة فيه ، اذ المنتظر ان يشير الى مظان القراءة المذكورة من كتب القراءات والتفسير .

٤٦) ج ٢ ص ٩٧٣

قال : انشد ابوعلي رحمه الله :

فإنك منها والتعذر بعدما
لججت واقوت من اميمة دارها
كشبه التي ظلّت تسبع سؤرها
وقالت حرامٌ ان يُرجَّل جارها

وقال المحقق الفاضل يشرح البيتين :

يخاطب قلبه قائلاً : إنك واعتذارك من حب هذه المرأة بمنزلة تلك التي قتلت قتيلاً وضمّت بزّه وسلاحه وفي الوقت نفسه تحرجت ان تستضيف ضيفاً ترجّل شعره ، وغسلت إناءها سبع مرات لما ولغ فيه الكلب .

اقول :

اشهد ان المحقق لو ترك البيتين من غير شرح لكان اكرم واجمل ، ولقد امهلت نفسي وقتاً ليس بالقصير قبل ان اعود للكتابة عما قله في شرح البيتين خشية من ان يزل القلم بما يخدش حياء العلم .

اولا لان القارىء لا يرى فيهما قاتلاً ولا قتيلاً ولابزّة ولا سلاحاً !

واذا كان ذلك كله في بيت لاحق او أبيات فقد كان على المحقق ان يشير الى ذلك .

ثانيا : من اخبر المحقق الفاضل ان نساء العرب يرجّلن شعر الضيف ! في الجاهلية او في الاسلام ؟ حتى حمل كلام الشاعر في بيان تشدد تلك المرأة على ذلك .

جارها في هذا البيت ياسيدي ، زوجها ، وفي اللسان : (والمرأة جارة زوجها . . . وصار زوجها جارها لأنه يجيرها

ويمنعها .) والمرأة ترجّل شعر زوجها .

وفي الحديث ان عائشة رضي الله عنها كانت ترجل شعر رسول الله ﷺ . (انظر مثلاً الموطأ ص ٥٣)

وبهذا يستقيم المعنى . والله اعلم .

٤٧) ج ٢ ص ٩٧٧

قال : ومثله قول الشاعر :

ومن قبلُ نادى كلّ مولى قرابة
فما عطفت مولى عليه العواطف

اقول :

الصواب : ومن قبلِ ، بالكسر ، كي يستقيم الاستشهاد على نية المضاف اليه ، وذلك ان الكلام على حذف المضاف اليه مع تقدير وجوده قال في الصفحة السابقة : (قد يحذف المضاف اليه مقدراً وجوده فيترك المضاف على ما كان عليه قبل الحذف .) وضبطه بالضم يفوت الغاية من الشاهد .

٤٨) ج ٢ص ٩٧٨

قال : وقد ذكروا من هذا القبيل قراءة ابن محيصن : فلا خوفُ عليهم ولاهم يحزنون) على تقدير فلا خوف شيء عليهم .

وفي الهامش قال : وردت هذه العبارة في اكثر من آية . . . . الخ

اقول : من ذكر هذه القراءة واين ؟ أليس البحث عن مثل هذا من عمل المحقق، توثيقاً للنص ؟

٤٩) ج ٢ ص ٩٨٨

قال : وقد فصل بالمفعول بين اسم فاعل ، ومجرور ، بإضافته اليه في قراءة بعض القراءة : (فلا تحسبن الله مخلف وعده رُسُلِهِ)

وفي الحاشية قال : قال الزمخشري في الكشاف ٤٢٢/١ : وقرىء . . الخ

اقول :

من القارىء ؟ ومن اوردها قبل الزمخشري ؟ الم يعزها احد ؟

٥٠) ج ٢ ص ١٠٢٢ - ١٠٢٣

قال :

ومن الحمل على معنى الرفع قول الشاعر :

السالك الثغرة اليقظان سالكُها
مشيَ الهلوك عليها الخيعل الفُضُلُ

وفي الحاشية قال . . . والاقرب انها للمتنخل . . . من قصيدته التي يرثي فيها ابنه . . . وفي شرح الالفاظ قال : الهلوك : المرأة الفاجرة .

اقول :

الشاعر يرثي ابنه ويذكر من محاسنه وشجاعته ثبات قلبه في مواطن الخوف . فكيف رضي المحقق الفاضل ان يجعل الاب المفجوع يشبه ابنه بالمرأة الفاجرة ؟ والغريب ان ابن مالك قد شرح الفاظ البيت في ص ١٠٤٩ ولم يفد منها المحقق ومنها الهلوك حيث قال : والهلوك : المتثنية عُجباً - فالامر امر اناة وتثن ، لا أمر فجور .

٥١) ج ١٢ ص ١٠٣٥

قال في الحاشية وهو يخرج البيت رقم ٦٧٣ : هذا بيت في البسيط انشده المصنف في شرح عمدة الحافظ ص [بياض] ونسبه الى تميم . . . الخ .

اقول :

حبذا لو ذكرت الصفحة التي ورد فيها البيت المخرج ولو في جدول الخطأ والصواب .

٥٢) ج ٢ ص ١٠٤٥

قال :

واما اذا اتبع المجرور باضافة اسم الفاعل فإن في تابعه وجهين : الجرّ على اللفظ ، والنصب ، باضمار فعل ، ومنه قوله تعالى : فالقُ الاصباح وجاعلُ الليلَ سكَناً ، والشمسَ والقمرَ حسباناً)

والتقدير والله اعلم وجعل الشمس والقمرَ حسبانا .

اقول :

تنوين (جاعل) ونصب (الليل) ليس صحيحاً ههنا وإن ورد عن غير السبعة ، والصواب ان تضبط (جاعل) بالضم من غير تنوين و(الليل) بالكسر ، باضافة (جاعل) اليها ، ذلك ان الكلام على تابع ما اضيف اسم الفاعل اليه ، والمتبوع الذي اضيف اليه اسم الفاعل هنا هو (الليل) والتابع (الشمس) وقد ذكر ان في التابع وجهين ، الجرّ على اللفظ ، والنصب بإضمار فعل ، فأين موضع الجرّ على اللفظ اذا نوّنّا ونصبنا ؟

قال ابو زرعه في حجة القراءات[20] ص ٢٦ : قرأ عاصم وحمزة والكسائي : (وجعل الليل سكناً) بغير الف . وقرأ الباقون : (وجاعلُ الليلِ) بالألف وكسر الليل ، .... ونصبوا (والشمس والقمر) على تأويل : وجعل الشمس ...) ومعنى هذا ان جرّ لفظ الشمس في هذه الآية وإن اجازة الاعراب لم يقرأ به احد من السبعة ـ فإن ورد عن غيرهم فهو قراءة بحسب من رويت عنه ، والا فلا تصح القراءة به كما نص على ذلك علماء هذا الفن لان الاصل في القراءة الرواية الثابتة .

٥٣) ج ٢ ص ١٠٤٨

قال :

حتى تهجر في الرواح وهاجه
طلبُ المعقب حقه المظلوم

اقول

رفع (طلب) يلبسه بالفاعل وهو هنا مفعول مطلق .

٥٤) ج ٢ ص ١٠٥٠

قال :

فكاف (معطيك) كـ (زيد)
قلتَ (أمعطي زيدٍ ابني درهما

اقول :

سقط من آخر الصدر ما يستقيم به المعنى والوزن . ويمكن ان يكون (حينما) او ما اشبه ذلك .

٥٥) ج ٢ ص ١٠٨٨

قال :

ويستوي في ذلك افعال العيوب كـ (حَوِل) .. و(بَرِص) و(لَطِع) .. وافعال غير العيوب كـ (لَمِيَ) ...

اقول :

ذكر المحقق في الحاشية معاني عدد من الافعال التي اوردها المؤلف ومنها (لَطِع) و(لمي)

اما (لَطِع) فقد ذكرها المؤلف في أفعال العيوب كما هو ظاهر من النص ، فقال المحقق في الحاشية : لَطِع : لحس . ولم يزد . ولعله ظن العيوب عيوباً حضارية اذ من العيب ان يلحس الانسان ما يبقى في الصحن ولاسيما اذا كان ذلك امام الناس ! فقال ما قاله وفاته ان الافعال التي اوردها المؤلف جميعا عيوبها في الخلقة لا في الخلق ولو تنبه لذلك لعلم ان اللطع هنا لا يراد به اللحس بل :

تحاتّ الاسنان وبقاء اصولها ، وبهذا يكون لطع عيبا مثل حول وعمش وبرص .

واما (لمي) فقد ذكره المؤلف في اول افعال غير العيوب ، ومما ذكره معه دعج وشهل وهما مما يستحسن في العين كما هو معلوم ، وقال المحقق في معنى لمي : اسودت شفته . ولم يزد . والصواب ان يقال : اللمى : (سمرة في الشفة تستحسن) فهي سمرة تستحسنها العرب ، وبهذا يكون لمي من افعال غير العيوب مثل شنب ودعج .

٥٦) ج ٢ ص ١٠٩٢

قال :

قولهم (اقِمن به) بمعنى (أحقِق به) ..

الصواب : (أقمن) بسكون القاف ، و(أحقق) بسكون القاف التي هي لام الكلمة .

٥٧) ج ٢ ص ١٠٩٣

قال :

ونحو (ما اكساك للقوم البُرُد)
و(ما اظنني لسعد ذا جلد)

الصواب : البرَد ، بفتح الراء جمع بردة (وهي كساء اسود مربع فيه صغر تلبسه الاعراب والجمع برد بفتح الراء) هذا على مافي ضبطه من خلل في المعنى، وفي القافية بسناد التوجيه .

٥٨) ج ٢ ص ١٠٩٥

قال :

كما يقال اثرى الرجل ، اي : صار ذا ثروة ، وافلس ، اي : صار ذا فلوس ، واظرف ، اي : صار ذا ظروف ، واكَلت الشجرة واجنت ، اي : صارت ذات اكل وجنى . . .

اقول هذه افعال جاءت على صيغة (افعل) التي من معانيها صار ذا كذا ، وقوله اظرف : اي صار ذا ظروف ، ليس خطأ اذ الظرف : الوعاء ، قد يكون للدبس او للدهن او لغيرهما ، الا ان اطرف بالطاء غير المعجمة احب الي اذ الطرف بالكسر الكريم من الخيل فقولهم اطرف الرجل أي صار ذا طروف (مثل ضرس وضروس) فهو ذو خيل كريمة ، واراه احسن من اظرف بالمعجمة ، والله اعلم .

أما قوله : اكَلت الشجرة ، بزنة فعلت ، فغير صحيح ، والصواب : آكلت ، بزنة افعلت لان الكلام على هذه الصيغة والاصل أأكلت بهمزتين قلبت الثانية الفا لسكونها وانفتاح الهمزة الاولى ، وفي المختار : وآكله ايكالا : اطعمه ، وآكله مؤاكلة أكل معه فصار افعل وفاعل على صورة واحدة.) واما قوله صارت ذات أكْل بسكون الكاف وترك الهمزةمن غير ضبط فلا نعرفه ، والذي نعرفه ، صارت ذات أكُل بضمتين ؛ وفي المختار (والاكل ، ثمر النخل والشجر، وكل مأكول اكل ومنه قوله : (أكلها دائم).

هذا على ان العرب قد تخفف مثل هذا باسكان عينه .

الا انه خلاف الأصل ، وضبط النصوص انما يكون على الاصل ، لا على خلاف الاصل .

٥٩) ج ٢ ص ١٠٩٧

قال :

ومن كلام عمرو بن معدِ يَكرب . . الخ

اقول :

الصواب : معد يْكرب بسكون الياء ، ولولا اننا نسمع فتح الياء خطأ من المتعلمين احيانا ، وخشية تعلقهم بمثل هذا ، مانبّهنا عليه ، اذ لانشك في انه خطأ المطبعة .

٦٠) ج ٢ ص ١١١٤

قال :

واستعملوا استعمال (نِعْم) (فَعُل)
من الثلاثيّ مصوغاً بولا

اقول :

الصواب : (فَعُلا) ، وهو ظاهر .

٦١) ج٣ ص ١١٥٦

قال :

(وانعت بكل وبحق وبجَد
ناوي معنى كامل فيها قصِد)

وفي ص ١١٥٨ قال : (ثم اشرت الى ان كلا وحقاً وجَداً ينعت بها دالة على معنى كامل. . . . والكريم جد الكريم)

اقول :

ضبط (جِدّ) في ذلك كله بالفتح ليس صحيحا ، والصواب كسر الجيم فهو الكريم جد الكريم ، كما ادى الضبط بالفتح في بيت المنظومة الى سناد التوجيه .

٦٢) ج ٣ ص ١١٧١

قال : (. . قول امرأة من العرب ترقص ابنها :

فداك حي خولان
جميعهم وهمدان

وكل آل قحطان
والاكرمون عدنان

فقال المحقق في الحاشية : (هذه ابيات من مجزوء المنسرح ، وقول العيني في المقاصد النحوية ٩١/٤ انها من المزج سهو.)

اقول :

وقوله انها من مجزوء المنسرح سهو ايضا ، فالابيات من منهوك المنسرح الموقوف ، حيث تكون العروض هي الضرب ، وقد دخلها هنا الخبن فصار الوزن : متفعلن معولان ، الا في البيت الاخير حيث جاء مستفعلن معولان ، واصل المنهوك الموقوف من المنسرح مستفعلن مفعولات ، تصير الى مفعولان ومثاله قول هند :

ويهاً بني عبد الدار
ويهاً حماة الادبار
ضرباً بكل بتار

ومثله ما نظمه ابن عبد البر في العقد الفريد :

وقال لي باستعبار
صبراً بني عبدالدار

وانظر في تفصيل الكلام على هذا الوزن شرح تحفة الخليل لاستاذنا عبدالحميد الراضي[٢٢] ، على ان بعض من كتب في العروض من المحدثين[٢٣] يرى ان يدرج هذا الوزن تحت عنوان جديد هو : منهوك الرجز المذيل ، والى رأيه أميل .

٦٣) ج ٣ ص ١٢٠٠

قال :

(خير ابح بـ (او) وقسم وابهم
اوشك والاضراب عن قوم نمي)

اقول :

همزة (ابهم) همزة قطع وجعلها همزة وصل هنا ليستقيم الوزن داخل في الضرائر . الاولى اثبات مافي النسخ الاخرى حيث ورد الشطرفيها :

خير ابح قسم بأو وابهم،
وهو خال من العيب الذي اثبته

٦٤) ج ٣ ص ١٢٢٤

قال :

و : (كلمحِ بالبصر او هو اقرب)

اقول :

الصواب : (كلمح البصر او هو اقرب) الاية ٧٧ من سورة النحل .

٦٥) ج ٣ ص ١٢٢٦

قال وهو يتكلم على إما المسبوقة بمثلها :

(وقد تغني عنها (او) فيقال : قام إما زيد وإما عمرو)

اقول :

الصواب : او عمرو . لان الكلام على وقوع (او) موقع (إما) .

٦٦) ج ٣ ص ١٣٤٧

قال :

(الا ياعمرو عمراه
وعمرو بن الزبيراه

فقال المحقق في الحاشية ان البيت من الهزج المخروم .

اقول :

قوله من الهزج المخروم سهو من العيني تبعه فيه

المحقق ، قال العيني : (. . وهو من المزج ، وفيه الخرم ، بالراء المهملة ، والا للتنبيه ، وعمرو منادى معرفة . . .)[٦٤]

والبيت كما قال من المزج ، ولكن لاخرم فيه ، ووزنه مفاعلين مفاعلين ، مرتين .

٦٧) ج ٣ ص ١٣٥٥

قال :

(فــفـي قــمــطر قــم قــال ، ويــايــزي
مــع يــز في يــزيــد لــلفــرا عــزي)

اقول :

الصواب قم قل . . ، لان الوزن ينكسر بـ (قال) .

٦٨) ج ٣ ص ١٣٩٧

قال وهو يتكلم على اسماء الاصوات :

(وايراد الحمار بتشا وبتشؤ) وفي الحاشيـة قـال المحقق : (في النسخ : ساء ، لكن في اللسان ضبطه بـ (تشا))

اقول :

حينما تجمع النسخ على لفظ لا يكون من السهل طرحه في الحاشية واثبات غيره ، الا اذ كان خطأ ظاهراً ولا وجه له ، وفي فقه اللغة[٦٥] : (الجأجأة : الصوت بالابل لدعائها الى الشرب . . . السأسأة : دعاء الحمار .) والذي في اللسان لا يسعفه فيما صنع ايضا قال : (سأسأت بالحمار اذا دعوته ليشرب وقلت له سأ ، سأ . . . ، وشأ شأ بـالحمر والغنم : زجرها . . .)[٦٦] وكلام المصنف على الايراد وليس على الزجر ، فاثبات (سأ) من الاصل اولى ، بل هـو الصواب .

٦٩) ج ٣ ص ١٤١٩

قال :

واذا وقفت على المؤكد بالنون الخفيفة ابدلتها الفا إن وليت فتحـة كقـولـك في قـولـه تعـالى : (لنسفعن) : (لنسفعاً) .

اقول : اثبات التنوين على الاف يفوت الغرض من الاستشهاد ، والصواب ان تكتب (لنسفعـا) كما قـال بعد ذلك : وكقولي . . في (قفن) (قفا) وبهذا يكون الوقف على الالف المبدلة من نون التوكيد الخفيفة .

٧٠) ج ٣ ص ١٤٢٢

قال : في قوله تعالى : «وانشقت السماء فهي يومئذ واهية» فإن اصله : فهي يوم إذا انشقت السماء واهية . . الخ

اقول :

الصواب : فهي يوم إذ بسكون الذال اذ الكلام على تنوين العوض عن جملة ومعلوم انه اللاحق لاذ عوضا عما تضاف اليه وليس هو اللاحق لاذا .

٧١) ج ٣ ص ١٤٦٧

قال :

(ويقال في المسمى بـ (ضربَ) : هذا ضربَ)

اقول :

الصواب : هذا ضربٌ ، بالتنوين مع الرفع ، لانه اسم ليس ممنوعا من الصرف ، وهو مذهب الجمهور ، لان الوزن مشترك ، قال ابن مالك في الصفحة نفسها : (واذا كان الفعل المسمى به على وزن يشاركه فيه الاسم دون مزية لم يؤثر .)

٧٢) ج ٣ ص ١٥٤٤

قال :

(والنهي كقول الشاعر .

لا يخـدعـنـك مـوتـور وان قـدمـت
تـراتـه فـيـحـيـقُ الحـزن والـنـدم

والدعاء كقول الشاعر :

فـيـارب عـجـل مـا أؤمـل مـنـهـم
فـيـدفـأ مـقـرور ويـشـبـعُ مـرمـل)

اقول .

الصواب : فيحيقَ فيدفأَ ويشبعَ ، بالنصب ، لان الكلام على النصب بأن مضمرة بعد الفاء المجاب بها نهي في البيت الاول ، ودعاء في البيت الثاني .

٧٣) ج ٣ ص ١٥٤٩

قال :

(ومن النصب بعدها في التمني قوله : (ياليتنا نرد ولا نكذبُ بآيات ربنا ونكونَ من المؤمنين) في قراءة حمزة وابن عامر وحفص .)

اقول :

الصـواب ضبط (ولا نكـذب) بـالنصب ، لاتفـاق

الثلاثة القراء على نصب (ونكون) ، واتفاق -حفص وحمزة على نصب (ونكذب) . وقرأ الباقون : (ولا نكذب . . . ونكون . .) بالرفع فيهما .[77] والمصنف انما استشهد بقراءة النصب لذا ينبغي ضبط الالفاظ على وفق ذلك .

٧٤) ج ٣ ص ١٥٥٥

قال :

(وكذلك اجروا الحصر بإنما كقولهم : انما هي ضربة من الاسد فتحطم ظهره .)

اقول :

قوله : فتحطم » بالتاء ، ضعيف معنى ، واثباته بالياء اوفق ، يقويه قوله بعد ذلك مباشرة : وعليه قراءة ابن عامر : «فإنما يقول له كن فيكون» والله اعلم .

٧٥) ج ٣ ص ١٥٥٩

قال :

(إني وقتلي سليكا ثم اعقله
كالثور يضرب لما عافت البقر

فقال المحقق الفاضل يشرح معاني الالفاظ في الحاشية :

(عافت البقر الشرب : كرهته ـ عقله : اقامه على احدى رجليه ، والعقال : الرباط الذي يعقل به .)

اقول هذا الذي كتبه المحقق يرسم صورة طريفة ولكنها عجيبة لقتيل عقلت احدى رجليه بالعقال ، واقيم على الثانية ! . .

نعم هذا الذي ذكره من معاني عقل وعقال وارد في المعجمات ، ولكن اهو كل ما ورد فيها ، وهل ينسجم هذا المعنى هنا؟

قال العيني في البيت (وهو من مراجع المحقق هنا) (٣٩٩/٤) : (الشاهد في ثم أعقله حيث نصب بعد ثم . . من عقلت القتيل : اعطيت ديته . . .) فقد قتله ثم اعطى ديته .

٧٦) ج ٣ ص ١٥٨١

قال :

(إن يشأ يرحمكم وإن يشأ يعذبكم)[1]

وقال في الحاشية[1] : سقط من الاصل (وإن يشأ يعذبكم)

اقول :

الصواب : او إن يشأ . . الاية . ولم يذكر رقمها او السورة ، وهي الاية ٥٤ من سورة الاسراء .

٧٧) ج ٣ ص ١٥٩٥

قال :

ومثله قراءة حمزة (إن تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى)[2]

وفي الحاشية (٢) قال المحقق : من الاية رقم (٢٨٢) من سورة البقرة .

اقول :

القراءة التي بين ايدي الناس في العالم الاسلامي قراءة حفص عن عاصم ، وفي المغرب قراءة ورش عن نافع . ولذا فالصحيح كما ارى ان يشار الى القراءة التي يذكرها المصنف في مظانها من كتب القراءات لغرض توثيق النص لانها حيث اشار المحقق ليست كما اقرأ حمزة بل هي (ان) بفتح الهمزة وسكون النون و(فتذكر) بالنصب .

ومثل هذا يقال عما ورد في ص ١٥٩٧ حيث ذكر المصنف قراءة ابن كثير :

(فلا يخف ظلما) في الاية ١١٢ من سورة طه ، وقراءة حفص المتداولة (فلا يخاف) وتوثيق القراءة وان كانت سبعية ، لا يكون من كتب النحو حتى يكتفى بالاحالة على رقم الآية والسورة ، وانما التوثيق يكون من كتب القراءات ، وهذا منهج لا ارى التحول عنه او التساهل فيه صوابا ، والله اعلم .

٧٨) ج ٣ ص ١٦٠٤

قال :

ونأخذ بعده بذناب عيش
اجبَّ الظهرِ ليس له سنامُ

اقول :

الصواب : اجبِّ بكسر الباء ، لان منعه من الصرف عورض بإضافته ، فيجر بالكسرة حينئذ .

٧٩) ج ٣ ص ١٦٣٣

قال :

لان من العرب من يقول : (جاء يجي) و(شاء يشا) بترك الهمزة .

اقول :

الصواب : (جا) و(شا) بترك الهمزة فيهما ايضا لان الذين يتركون الهمزة في (يجي ويشا) يتركونها في (جا وشا) .

فقد ذكر ابن جني في المحتسب ١ : ١٢١ انه (جاء عنهم (سا) (يسو) في ساء يسوء ، و(جا) (يجي) في جاء يجيء .)

وفي شرح الشافية ٣ : ٣٦ قال الرضي : (وبعض العرب ينقل فتحة الهمزة .... وكذا يحذف الهمزة مطلقا بأي حركة كانت اذا كانت قبلها الف ، لامتناع نقل الحركة اليها ...)

٨٠) ج ٣ ص ١٦٤٢

قال :

وبعد تلوها جواب مثله

كـ (الفضلِ لما جاء سر اهله

اقول :

الصواب : كـ (الفضلُ ...) بالضم لانه مثال محكي .

٨١) ج ٣ ص ١٦٤٤

قال :

.... إياي لما صرت شيخا قُلّعا

اقول : ضبطه في اللسان : قَلِعا ، بفتح القاف وكسر اللام ، قال : وشيخ قلع : يتقلع اذا قام ، عن ابن الاعرابي وانشد :

اني لارجو محرزا ان ينفعا

إياي لما صرت شيخاً قَلِعا

وتقلع في مشيته : مشى كأنه ينحدر .

٨٢) ج ٣ ص ١٦٤٥

قال :

وكقول الراجز :

قالت له بالله ياذا البردين

لما غنثت نفسا او اثنين

فقال المحقق في الحاشية : من السريع وليس من الرجز ... وهذا البيت لم يعزه احد لقائل ، ويحتمل ان يكون ... الخ .

اقول : هما بيتان وليسا بيتاً واحداً كما قال . نعم ، ليسا من الرجز بل من مشطور السريع حيث تكون العروض هي الضرب ، وعروض البيت الاول مشطورة موقوفة : اما الثاني فعروضه مشطورة موقوفة ، وقد دخلها الخبن ، الا (إذا سكنا واو (او) وقطعنا همزة (اثنين) فلا تكون مخبونة حينئذ ، الا ان القطع في حشو البيت قليل كما ذكر ابن عصفور في ضرائر الشعر ، وإن اورد لها ثلاثة شواهد في ص ٥٤ و٥٥ ، وفي الثلاثة قطعت همزة (اثنين) في حشو البيت .

هذا على ان قول المصنف : وكقول الراجز .. الخ ليس نسيج وحده في اطلاق كلمة الرجز على هذا الوزن ، فقد قال سيبويه ١ : ٣١٣ : (وقال الراجز وهو من بني الحرماز :

ياحكم بن المنذر بن الجارود)

وعروضه كعروض البيت الاول : (مفعولان) .

وقال العيني عنه : (نسبه الجوهري الى رؤبة وليس بصحيح ، بل هو لراجز من بني الحرماز ..) وقال الصبان في الصفحة نفسها (ج ٣ ص ١٤٢ حاشية الصبان على الاشموني) : قوله : ياحكم بن المنذر .. الخ من الرجز المذيل شذوذاً .

والجوهري ـ كما ذكر استاذنا الراضي في شرح تحفة الخليل ص ١٩٩ ـ يعده رجزاً ، ويعتبر الجزء الاخير منه (مستفع لن) مفروق الوتد ، وقد سكنت لامه فخلفه : مفعولان وفي العمدة ١ : ١٨٣ قال ابن رشيق (ومن المقصّد ماليس برجز وهم يسمونه رجزاً لتصريع ابياته ، وذلك هو مشطور السريع نحو قول الراجز :

هل تعرف الدار بأعلى ذي القور.... الخ)

ويلاحظ تسامحه في قوله : قول الراجز بعد قوله مشطور السريع .

وقال استاذنا الراضي : (على ان اكثر ما جاء على هذا الوزن من الشعر كان لرجاز لم يشتهروا بالقصيد ، أمثال العجاج ورؤبة والعجلي وغيرهم ، فلرؤبة مثلاً عدة مطولات على هذا الوزن ، يزيد بعضها على مائتي بيت ، منها التي يقول في أولها :

قد بكرت باللوم ام عتاب

تلوم ثلباً وهي في جلد الناب

وعدتها واحد واربعون ومائتي بيت .... الى غير ذلك وهو كثير .) ص ١٩٨ - ١٩٩ ولم يمنع هذا الكثير استاذنا من التمسك بشكلية دوائر الخليل فقال : (وهذا لا يغير من الحقيقة شيئاً وهي ان هذا الوزن من مشطور السريع لا الرجز)

على انه قال قبل ذلك : (وربما اطلقوا عليه اسم الرجز توسعا وتجوزاً) وقد ابى بعض المحدثين الخضوع لسلطان دوائر الخليل فعد هذا الوزن من مشطور الرجز[٢٨] ورفض ان يجعله من مشطور السريع .

٨٣) ج ٣ ص ١٦٥٨

قال :

وعشراً اجعل عجزاً لذي التا

واختم بـ (عشرة) المضاهي (استا)

اقول :

الكلام على العدد المركب ، فيكون لفظ (عشر) من غير تاء ، عجزاً للعدد الذي يكون بالتاء ، كثلاثة واربعة .. الى تسعة ، و(عشرة) بالتاء عجزاً للعدد الخالي من التاء كثلاث واربع ... الى تسع . فما موضع قوله : (المضاهي استا) ؟ والاست كما هو معلوم مؤنث ، وليست مذكراً .

وقد كرر البيت في ص ١٦٧١ كما هو هنا باثبات (المضاهي استا) ، وشرحه هناك بقوله : (أي المجرد من التاء) وقد كان هذا كافياً لان يتنبه المحقق الى ان اللفظ (ست) وهو العدد المعروف . وليس (استا) كما اثبته في الموضعين ، ويكون صواب البيت :

..... واختم بـ (عشرة) المضاهي (ستا)

اي تكون (عشرة) بالتاء مع العدد المجرد منها نحو ثلاث ، وست ، وتسع ، فتقول : ثلاث عشرة وست عشرة .. الخ

وفي الصفحة نفسها اعني ص ١٦٥٨ قال :

وبعضهم سكن[٣] عين (عشْرْ)

من بعد فتح ، ومع (اثنا) قد ندر

وفي الحاشية (٣) اشار الى مافي نسختي ك وع فقال :

(٣) ك ، ع (مسكن)

اقول :

كان الاولى ان يثبت في المتن (مسكن) وهو ماورد في نسختي ك وع ، ذلك ان اثبات (سكن) ادى الى عروض بزنه (فعلن) وليس في اعاريض الرجز (فعلن) .

اما اثبات (مسكن) فتكون العروض به (مفتعلن) مطوية وهو امر سائغ في البحر .

٨٤) ج ٤ ص ١٨٣٠

قال :

(ايها الفتيان في مجلسنا

جردوا منها وراداً وشقر

فقال المحقق في الحاشية : البيت من المديد ، قائله طرفة بن العبد ... ، وفي فهرس الابيات الشعرية ج ٥ ص ٩٨ قال عنه ايضا انه من المديد .

اقول :

الصواب : ان البيت من الرمل .

٨٥) ج ٤ ص ١٨٤٢

قال :

(.. صفة لمذكر عاقل نحو سافر وسفرة) وفسر المحقق كلمة سافر في الحاشية بقوله : (واحد الملائكة الذين يحصون الاعمال وفي التنزيل : بأيدي سفرة كرام بررة .)

اقول :

هذه الحاشية توهم ان كلمة (سافر) وصف خاص بالملائكة ، وليس الامر كذلك ، وفي اللسان : (السفرة : الكتبة ، واحدهم سافر ... والسافر في الاصل الكاتب ...)[٢٩]

٨٦) ج ٤ ص ١٨٤٣

قال :

(قرأ حمزة والكسائي : (وترى الناس سكرى وماهم بسكرى .) وفي الحاشية قال المحقق انها من الاية (٢) من سورة الحج .

اقول:

القراءة التي ليست في المصحف المتداول (وهو في المغرب بقراءة ورش عن نافع ، وفي العالم الاسلامي كله بقراءة حفص عن عاصم) ينبغي ان توثق بأحد كتب القراءات ، لان الذي يرجع الى المصحف سيجد الاية فيه (سكارى وما هم بسكارى) وليس فيها الشاهد الذي اراده المصنف .

٨٧) ج ٤ ص ١٨٦٥

قال : (وانما الشاذ جمع (فاعل) صفة لمذكر عاقل على (فواعل) كـ (فارس) و(فوارس)) وفي الحاشية قال المحقق : (في الاصل : (نحو فارس) في مكان : كـ : فارس)

اقول : لا أدري ما الذي جعله يتحول عن الاصل مرجحاً الكاف على نحو.

٨٨) ج ٤ ص ١٨٨٨

في كلامه على جمع جمع التكسير قال : (. . شبهوها بسلاطين وسراحين [وكذا يقال في الجمع ذوو زيدين وذوات كلبتين] ، وما كان من المجموع على وزن مفاعل او مفاعيل لم يجز تكسيره . . .) وذكر المحقق في الحاشية ان مابين المعقوفتين سقط من الاصل وهـ .

اقول :

مابين المعقوفتين لم يسقط من الاصل اذ لا مكان له هنا بل هو مقحم خطأ في نسخة ك ونسخة ع ، إذ الكلام فيه على جمع المثنى والسالم وموضعه آخر الفصل حيث تكررت العبارة هناك ، والكلام هنا على جمع الجمع المكسر .

٨٩) ج ٤ ص ١٨٨٩

قال :

(وفي صواحب صواحبات ، ومنه قول النبي ﷺ لحفصة رضي الله عنها : انكن لانتن صواحبات يوسف)

واحال المحقق في تخريج الحديث على البخاري والترمذي والنسائي وابن ماجة والدارمي وموطأ مالك وعلى ثمانية مواضع في مسند احمد .

اقول :

ليس من شأن القارىء ان يتثبت من تخريجات المحقق ، والاصسار محققا لاقارئا . وكتب الحديث في جمهورها مطبوعة مفهرسة ، فضلاً عن الخدمة الجلية التي يقدمها للمحققين (المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوي) لونسنك ، والذي طبع عام ١٩٣٦ م .

الا ان الذي دعاني الى الوقوف عند الحديث انه في ذاكرتي : مروا ابا بكر فليصل بالناس ، انكن صواحب يوسف ، والكلام مع عائشة ، لاحفصة ، رضي الله عنهما . وليس فيه (صواحبات) فأردت ان اتثبت من الراوية ، واذا بي اجد المحقق الفاضل قد خلط بين روايتين للحديث حين اخذ ما اورده ونسنك تحت لفظ (صواحب) وما اورده تحت لفظ (صواحبات) وأعاد ترتيب المراجع من غير نظر في اختلاف الرواية .

وهذا منهج لا يرتضيه اهل الحديث في توثيق رواية بعينها ، ولا يرتضيه اهل العربية في توثيق الشاهد . ذلك ان استشهاد المصنف كان بالرواية التي فيها لفظ (صواحبات) التي لم ترد الا في النسائي وابن ماجة ، وفي موضع واحد من مسند احمد .[٣٠]

٩٠) ج ٤ ص ١٩٢٨

قال :

(ياء مشدد تزاد في النسب . . .

. . . وشبه ذا اليا رابعاً فصاعدا

تحذف حتما . . .)

وذكر المحقق في الحاشية ان (تزاد) وردت مكانها في ط (يزاد)

اقول :

الاولى اختيار التذكير لقوله : مشدد ، واشارته بـ (ذا) ، ولو جعل (يحذف) في البيت الثاني مكان (تحذف) لكان اولى .

٩١) ج ٤ ص ١٩٣٦

قال :

(وفي رب اسماً سكن ان جيرتنا
فذا ابو بشر به قد افتى)

اقول :

(ضبط رُبَ هنا بالتخفيف ضروري لئلا تقرأ رُبّ بالتشديد فينكسر الوزن .

٩٢) ج ٤ ص ١٩٣٨

قال :

(وهكذا الابل الطلاحيات . . . .)

اقول :

تضبط الابل بسكون الباء كي يستقيم الوزن ، وقد ضبط المحقق الهمزة واللام وترك الباء ، والابل في اللغة بكسر الباء (وربما قالوا ابل بسكون الباء للتخفيف .)[٣١] لذا لزم ضبطها لئلا تقرأ بالكسر على الاصل فينكسر الوزن .

٩٣) ج ٤ ص ١٩٨٥

قال :

(فإن كان منوناً ولم يكن منصوباً ، ولا محذوف العين او الفاء ، فالمختار الوقف عليه بالحذف ، نحو : هذا قاضٍ ، ومررت بقاضٍ . .)

اقول :

الصواب : نحو : هذا قاضْ ، ومررت بقاضْ ، بسكون الضاد فيهما للوقف .

٩٤) ج ٤ ص ١٩٨٥

قال :

(ولكون الوقف بالحذف مختاراً وافق ابن كثير الستة عليه فيما سوى (هادٍ) و(والٍ) و(واقٍ) ، نحو : (باغٍ) و(عادٍ) و(مفترٍ) و(فاقض ما انت قاضٍ) . .)

اقول :

هذه الكلمات جميعا ينبغي ان تضبط بالسكون ، لا بالتنوين ، لان هادووال وواق وباق ، فيها قراءتان للسبعة ، قراءة ابن كثير برد الياء اي : هادي ، ومالي ، وواقي وباقي ، وقد اوردها ابن مالك في الصفحة نفسها . على ان المحقق لم يوثقها بالرجوع الى أي كتاب في القراءات[٣٢] ولاشك في ان هذه القراءة غير مرادة هنا لان الياء ، لم ترسم مع الالفاظ الاربع . القراءة الثانية : قراءة الستة بحذف الياء والوقف بالسكون . فلا معنى لضبط هذه الالفاظ الاربع بالتنوين في النص .

اما الكلمات الاخرى التي اوردها ابن مالك سوى هذه الاربع فإن ابن كثير يدخل مع القراء الستة في الوقف عليها بالسكون ، فهي ايضا لا موضع لضبطها بالتنوين ، والكلام على الوقف .

لذا فالصواب ان تضبط الكلمات الثلاث عشرة الواردة في اول ص ١٩٨٦ بالسكون .

٩٥) ج ٤ ص ٢٠٠٧

قال :

(تَنْهَضُ الرعدة في ظهيري
من لدن الظهر الى العصير)

اقول :

ضبطه (تنهض) بهذه الصورة يؤدي الى سقوط الميم من مستفعلن ، وهو غير معروف في الرجز ، بل هو غير معروف في مستفعلن لا في الرجز ولا في غيره . واذا كان اللفظ ثابتا بهذه الصورة في النسخ التي بين يدي المحقق فينبغي ان يضبط بتشديد الهاء (تنهض) على ان اصله (تتنهض) حذفت منه تاء تتفعّل . هذا على ان رواية الهمع :[٣٣] تنتفض . . ؛ ورواية الاشموني :[٣٤] تنتهض .

٩٦) ج ٤ ص ٢٠٦٢

قال :

(امعة فعلة سوبان
ليس بفوعال ولكن فعلان

وفي الحاشية ذكر المصنف ان نسخة الاصل ورد فيها (السوبان) مكان (سوبان) اي انه اثبت مافي غير الاصل ، وذكر ايضا ان العجز ورد في الاصل على صورة اخرى هي : . . . فعلان لا غير له ميزان .

اقول :

لفق المحقق في هذا البيت بين النسخ من غير اهتمام بالوزن ، فجاء الصدر من الرجز ، والعجز من السريع !.

٩٧) ج ٤ ص ٢٠٧٧

قال :

(هـادأت مِـطْوِي ، كـلام جـمـعـا
حـروف ابـدال فـشـا مـتـبـعـا)

ضبط مطوي هكذا ينكسر به الوزن . والصواب ضبط اللفظبكسر الميم وسكون الطاء وفتح الواو ، وفتح الياء المشددة : (مِطْوَيَّ) ، تثنية مطو بمعنى صاحب ، ويكون مضافا الى ياء المتكلم ، كما قال :

فـظلت لـدى البيت العتيق اخيلهو
ومـطواي مـشـتـاقـان لـه ارقـان[٣٥]

٩٨) ج ٤ ص ٢١٤٢

قال :

(وشـذ في مـشـوب المـشـيـب
كـذا مـهـوبـاً جـعـل المـهـوب)

اقول :

الصواب : ... جعل المهيب ، بالياء ، والتقدير : كذا جعل المهيب مهوبا ، وهذا وجه الشذوذ فيه .

٩٩) ج ٤ ص ٢١٥٩

قال :

(وجـهـان في هـيـهـات ، ذات ، وأبـت
لـلات ربـت مـع ذا ثـبـت)

اقول :

العجز هكذا منكسر ، ويستقيم باسكان التاء من ربت والعين من مع ، وادخال ثمت بينهما فيكون : ... للات ربت ثمت مع ذا ثبت .

١٠٠) ج ٤ ص ٢٢٢٠

قال :

(وشذ يأبى مع يحيا ويذر   بالفتح ....)

وفي شرح البيت قال : (وشذ ابى يأبى ، وحيي يحيا ، وذر يذر ، بفتح العين في الماضي والمضارع دون توسط حرف حلق ولا تأخره)

وفي الحاشية قال المحقق : (في ط يجبى في مكان يحيى .)

اقول :

ايراده (يحيا) في البيت وفي شرحه ليس صحيحا ، لان الكلام على ماجاء شاذا من مفتوح العين في الماضي والمضارع ، و(حيي) ماضي (يحيا) مكسور العين فالفعل من الباب الرابع ولا علاقة له بما كان المصنف فيه من كلام .

ويبدو ان المحقق قد تصرف في رسم (يجبى) الذي ورد في النسخ بالالف التي كالياء وجعلها قائمة ، يدل على ذلك قوله في الحاشية (في ط يجبى في مكان يحيى) وما قرأه المحقق يحيى هو في الاصل يجبى بالجيم ، اذ هذا هو الفعل الشاذ وليس يحيا، قال سيبويه : (وقالوا ابى يأبى فشبهوه بيقرأ .. وقالوا جبى يجبى ، وقلى يقلى ، فشبهوا هذا بقرأ يقرأ ...)[٣٦]

الاعلام ومنهج التحقيق

الناظر في تراجم الاعلام المذكورين في النص يكاد يقطع بانعدام المنهج الموحد للمحقق ، بل يكاد يرى الايدي المختلفة التي كتبت التراجم ، وهو امر غريب .

فأنت ترى الترجمة احيانا محكمة دقيقة مشفوعة بمصادرها ، واخرى ضعيفة مهلهلة ويترجم للعلم اول وروده احيانا ، وقد يتركه حتى المرة الثانية او الثالثة او الرابعة لوروده فيترجم له حينئذ . وقد يترك بعض الاعلام من غير

ترجمة ، ويترجم لاخرين بصورة متفاوتة اكثر من مرة ، وكأن الذي كتب هذه الترجمة غير الذي كتب تلك .

اما فهرس الاعلام فقد ورد فيه ما يحار المرء في تفسيره من خلط بين الاعلام عند الاشارة الى الصفحات التي ورد العلم فيها .

وهذه نماذج لما ذكرناه :

ص ١٣٨٩

قال : (ذكر ذلك الجوهري) فقال المحقق في الحاشية : (اسماعيل بن حماد الجوهري ، ابو نصر الفارابي ، امام في اللغة والادب ، وخطه يضرب به المثل . فارس من فرسان الكلام والاصول . توفي سنة ٣٩٣ هـ ، البلغة ٣٦ ، بغية الوعاة ١/٤٤٦ ، انباه الرواة ١/١٩٤، ٣٠٠ ، معجم الادباء ٦/١٥١ ، معجم البلدان ٦/٣٢٢ ، المزهر ١/٩٧ ، يتيمة الدهر ٤/٣٧٣ ، نزهة الالباء ٤١٨ ، الاعلام ١/٣٠٩ ، معجم المؤلفين ٢/٢٦٧) .

فهذه يد .

وفي ص ١٦٤

قال : (. . على ما ذهب اليه الخليل) فقال في الحاشية : (هو الخليل بن تميم احمد بن عمرو تميم الفراهيدي ، شيخ سيبويه ، كان ذكيا فطنا ، استنبط من العروض ومن علل النحو مالم يستنبطه احد ، توفي سنة ١٧٠ هـ تقريبا .)

ولم يذكر اي مصدر ، فهل هذه اليد كتلك .

وفي ص ١٦٧٢

قال : (قرأ ابن هبيرة . .) فقال المحقق في الحاشية (هبيرة بن محمد التمار ، له ترجمة في طبعات ابن الجزري ٢/٣٥٣) ولم يزد على ذلك .

اما الذي تأخر التعريف بهم فمنهم :

١) الاصمعي : ورد ذكره اول مرة في ص ٢٦٧ وعرف به في ص ٤٥٣ .

٢) ابو بكر بن الانباري : ورد ذكره اول مرة في ص ٣٤٧ وعرف به في ص ٩٥١ .

٣) ابن بابشا ذورد ذكره اول مرة في ص ٤٠٣ وعرف به في ص ٨٢٥

٤) عاصم ابن بابشا : ورد ذكره اول مرة في ص ٥٩٢ وعرف به في ص ٩٥٢ .

٥) الجرمي : ورد ذكره اول مرة في ص ٧٢٢ وعرف به في ص ١٠٩٨ .

٦) ابوعبيدة : ورد ذكره اول مرة في ص ٨٣٢ وعرف به في ص ٩٩٤ .

٧) حفص : ورد ذكره اول مرة في صى ١٥٤٩ وعرف به في ص ١٦٧٢ .

(وانظر ايضا مستعينا بفهرس الاعلام : الكسائي ، عبدالله بن مسعود ابن السراج ، ابوزيد ، الامام الشافعي ، ابن عباس ، ابن كيسان ، ابن برهان . . .)

اما الذي ترجم لهم اكثر من مرة فمنهم :

١ ـ يونس : ترجم له في ص ٢٦٥ ترجمة جيدة ، واحال على خمسة مصادر ، وفي ص ٧٤٠ ، عرف به باختصار من غير ذكر مصدر ، او الاشارة الى انه سبق التعريف به .

٢ ـ ابو عمرو : ترجم له بصورة وافية في ص ٢٨٣ ، الا انه لم يذكر اي مصدر . وفي ص ٤٥٩ ترجم له باقتضاب من غير ذكر لمصدر او اشارة الى انه سبق التعريف به ، وفي ص ١٠٠٦ عرف به تعريفا دون مافي الاولى وفوق مافي الثانية ، ولم يذكر مصدرا ، ولم يشر الى انه سبق التعريف به .

والغريب ان ابا عمرو زبان بن العلاء المذكور في ص ٢٨٣ (مات بالكوفة سنة ١٥٤ هـ تقريبا) الا ان أبا عمرو زبان بن العلاء المذكور في ص ٤٥٩ (مات سنة ١٥٥ هـ تقريبا) اما ابو عمرو زبان بن العلاء المذكورفي ص ١٠٠٦ فقد (مات في الكوفة سنة ١٤٨ هـ تقريبا .)!

٣ ـ قطرب : عرف به باختصار في ص ١٠٠٧ من غير ذكر لمصدر ، وفي ص ١٢٥٠ اكتفى بذكر اسمه وسنة وفاته من غير ذكر لمصدر او الاشارة الى انه سبق التعريف به ، الا ان (محمد بن المستنير تلميذ سيبويه توفي سنة ٢٠٩ هـ) في

ص ١٠٠٧ ، اما في ص ١٢٥٠ ف (ابوعلي محمد بن المستنير مات سنة ٢٠٦ هـ) .

(وانظر ايضا : الاخفش ص ٢٦٥ ، ٣٣٣ ، ابن خروف ٢٦٥ ، ٨٢٦ ، شعبة : ٢٩٠ ، ٢٠٩٢ ، ابن عامر اليحصبي : ٣٤٥ ، ٤٥٩ ، نافع : ٤٥٩ ، ٦٠٥ ، ابن سيده : ٨٨٦ ، ١٨٢١ ، عاصم : ٩٥٢ ، ٢٠٩٢ ، ابن محيصن ٩٧٨ ، ١٢١٦ ، يحيى بن وثاب ١٢٥٠ ، ١٤٤٦ ، ابن ابي اسحاق الحضرمي : ١٢٥٦ ، ١٤٩٢ ، عبدالوارث : ١٣٠٠ ، ٢٠٠٦ ، ابن ذكوان : ٤١١٨ ، ١٦٣٣ . . . .)

اما الذين لم اجد لهم ترجمة في الكتاب فمنهم :

١ - سيبويه

ورد ذكره مع الخليل في ص ١٦٤ فترجم المحقق للخليل ولم يترجم لسيبويه في هذه الصفحة ، ولا في غيرها (انظر ارقام الصفحات في فهرس الاعلام) .

٢ - ابن عصفور ، ورد ذكره في ص ٤٠٤ ، و٤٤٥ فقط .

٣ - الشجري ، وورد ذكره في ص ٤٤٠ ، و٩٦١ ، و١٦٣٢ فقط .

٤ - المبرد ، ورد ذكره في ص ٤٤٦ ، ٤٦٤ ، ٤٦٦ . . . (وانظر الصفحات في فهرس الاعلام) .

٥ - المازني ، ورد ذكره في ص ٥٣٤ ، ٧٧٦ ، ٨٧٠ . . . (وانظر الصفحات في فهرس الاعلام) .

٦ - الرماني ، ورد ذكره في ص ٩١٤ ، ٩١٥ ، 1051 فقط .

٧ - الزجاجي ، ورد ذكره في ص ١٢٣٢ فقط .

٨ - صدر الافاضل ، ورد ذكره في ص ١٤٧٩ فقط .

اما فهرس الاعلام الذي ورد في ج ٥ من ص ٢٠٣ الى ص ٢٣٢ ، فإن اليد التي صنعته بها حاجة الى ان تعرف الغاية التي من اجلها يصنع المحققون فهارس الاعلام . ومن غريب هذا الفهرس .

١ - تحت اسم هبيرة كتب ٦٨٦ ، ١٦٧٢

وهبيرة الذي في ص ٦٨٦ قال عنه المحقق في الحاشية : رجل فقد فلم يعلم عنه شيء . اما هبيرة الذي في ص ١٦٧٢ فهو كما قال : هبيرة بن محمد التمار . . . ، فأين هذا من ذاك كي يجمعا تحت اسم واحد .

٢ - ومنه ما اورده تحت اسم (يزيد) : ١٨٠ ، ٢٤٨ ، ٤٤٦ ، ٥٩٢ ، ٥٩٣ ، ١١١٠ ، ١٣٣٧ ، ١٤٥٧ ، ١٤٥٨ ، ١٦٠٩ ، ١٦٧٢ .

والذي في ص ١٨٠ مثلا : يزيد بن عبد الملك ، والذي في ص ٤٤٦ ابو المبرد ورد في قوله : ابو العباس محمد يزيد المبرد ، والذي في ص ١١١٠ يزيد بن المهلب ، والذي في ص ١٦٧٢ يزيد بن القعقاع ! وما تركنا ذكره من اليزيدين لا يقل غرابة عما اوردناه . (وانظر : ايضا : قتيبة ، الاعشى ، اسحاق . . .)

وبعد

فإني لارجو ان اكون قد قدمت في هذه الصفحات من التنبيه ما يمكن ان يفيد منه القارىء والدارس والمحقق . ونستغفر الله سبحانه مما زل به القلم ، وله الحمد في الاولى والاخرة .

الهوامش

(١) شرح الكافية الشافية ٢٢٥٢/٤ .

(٢) م . ن ١٥ / ١٤٨ ، ١٤٩ .

(٣) شرح تحفة الخليل ص ٣٢٤ .

(٤) م . ن ص ٣٢٧ .

(٥) المختار من صحاح اللغة ، مادة : نيف ، ص ٥٤٤ .

(٦) شرح الكافية الشافية ٢٢٥٢/٤ .

(٧) الكتاب ٧٨/١ .

(٨) انظر مثلا شرح ابن عقيل ١٠١/١ وانظر معجم شواهد العربية ص ١٨٣ .

(٩) انظر : عائد الكلب عبدالله بن مصعب الزبيدي - د . محسن غياض ، مجلة كلية الاداب العدد ١٨ سنة ١٩٧٤ م .

(١٠) انظر الابيات في الكامل ٤٨٢/٢ .

(١١) شرح الشافية للاستراباذي ٣/ ٣٢٩ .

(١٢) انظر : حاشية الصبان على الأشموني ١٤٤/١ .

(١٣) انظر : شرح ابن عقيل ١/ ٤٧٣ .

(١٤) انظر البيان في غريب اعراب القرآن لابن الانباري ١٥٨/٢ وقد ذكر في الاية ستة توجيهات .

(١٥) الكتاب ١/٢٤ .

(١٦) ٢/ ٢٧٠ .

(١٧) انظر الحديث في سنن ابي داود ١/ ١٥١ ، ٢/ ٥٠٥ ومن صحيح الترمذي ١٠/ ١٣٢ ، ١٠/ ١٣٣ ، والى ابي داود والترمذي اشار المصنف وتبعه المحقق .. نص الحديث فيهما يختلف عما اورده ابن مالك .

(١٨) المختار من صحاح اللغة مادة : مقى ، ص ٤٨٧.

(١٩) ص ٣٢٢.

(٢٠) ص ٢٦٢ .

(٢١) انظر اللسان مادة : لطع ١٠/ ١٩٤ .

(٢٢) ص ٢٣٩ ـ ٢٤٨ .

(٢٣) انظر : الايقاع في الشعر العربي ص ٥٤ .

(٢٤) حاشية الصبان ٣/ ١٧١ .

(٢٥) ص ٢٠٥ .

(٢٦) مادة (ساسا) ج ١ ص ٨٦ ، ومادة (شأشأ) ج ١ ص ٩٣ .

(٢٧) حجة القراءات ص ٢٤٥ .

(٢٨) انظر : الايقاع في الشعر العربي ص ٥١ ـ ٥٣ .

(٢٩) اللسان مادة سفرج ٦ ص ٣٥ ـ ٣٦ .

(٣٠) انظر : النسائي : امامة ٤٠ ، ابن ماجة : اقامة ١٤٢ ، مسند احمد ٤/ ٤١٢ .

(٣١) انظر تفصيل ذلك في شرح الشاطبية ٢/ ٢٧٣/ وما بعدها .

(٣٢) انظر : حجة القراءات ص ٣٧٥ ـ ٣٧٦ حيث ذكر الحجة لقرآءة ابن كثير ولقراءة الستة .

(٣٣) ١ / ٢١٥ .

(٣٤) ٢/ ٢٦٣ .

(٣٥) انظر : الخصائص ١/ ١٢٨ .

(٣٦) الكتاب ٢ / ٢٥٤ .

المصادر

١ ـ الايقاع في الشعري من البيت الى التفعيلة ـ مصطفى جمال الدين طـ ١ ١٣٩٠ هـ .

٢ ـ البيان في غريب اعراب القرآن لابن الانباري ، تحقيق د . طه عبدالحميد طـ ١ ١٣٨٩ هـ ـ ١٩٦٩ م

٣ ـ حاشية الصبان على الاشموني طـ عيسى الحلبي بمصر .

٤ ـ حجة القراءات لابي زرعة بن زنجلة ، تحقيق الافغاني طـ ٢ ١٣٩٩ هـ .

٥ ـ الخصائص لابن جني ، تحقيق محمد علي النجار طـ دار الكتب المصرية ١٣٧١ هـ .

٦ ـ سنن ابي داود ، طـ الحلبي بمصر ١٣٧١ هـ ـ ١٩٥٢ م .

٧ ـ سنن ابن ماجه ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ، طـ الحلبي بمصر .

٨ ـ سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي طـ ١٣٩٨ هـ .

٩ ـ شرح الفية ابن مالك لابن عقيل تحقيق محي الدين عبد الحميد ، طـ ١٣٨٤ هـ ـ ١٩٦٤ م

١٠ شرح تحفة الخليل في العروض والقافية ـ عبد الحميد الراضي ١٣٨٨ هـ .

١١ ـ شرح شافية ابن الحاجب للرضي الاسترباذي ، تحقيق محمد نور وصاحبيه طـ ١٣٩٥ هـ .

١٢ ـ شرح الشواهد للعيني بحاشية الصبان المذكور انفا .

١٣ ـ صحيح الترمذي بشرح ابن العربي طـ الصاوي ١٣٥٣ هـ ـ ١٩٣٤ م .

١٤ ـ عائذ الكلب عبدالله بن مصعب الزبيدي ـ د . محسن غياض . مجلة كلية الاداب العدد ١٨ لسنة ١٩٧٤ م .

١٥ ـ فقه اللغة وسر العربية للثعالبي ، طـ مصورة عن الكاثوليكية .

١٦ ـ الكامل للمبرد ، تحقيق د . زكي مبارك طـ ١ ١٣٥٦ هـ ١٩٣٧ .

١٧ ـ كتاب سيبويه ، طبعة مصورة عن طبعة بولاق ١٣١٦ هـ .

١٨ ـ لسان العرب لابن منظور ، طـ مصورة عن طبعة بولاق .

١٩ ـ المختار من صحاح اللغة للرازي طـ ٤ مطبعة الاستقامة بالقاهرة .

٢٠ ـ مسند الامام احمد ، الطبعة القديمة . لم اجد سنة الطبع .

٢١ ـ معجم شواهد العربية ، عبدالسلام هارون ، طـ ١ ١٣٩٢ هـ .

٢٢ ـ همع الهوامع للسيوطي ـ طـ مصورة عن الطبعة المصرية .

* * *

تنـــويه

لقد سقط اسم المؤلف، وهو الاستاذ الفاضل الدكتور حسن جلاب، من مطلع بحثه (المخطوطات المغربية مراكزها وفهارسها ولوائحها - القسم الثاني) المنشور في العدد الاول من المجلد السابع عشر، كما يرجى ان يُصوّب اسم وعنوان الدكتور عبد الواحد طه ذنون الوارد في العدد نفسه ص ٥ على الوجه الآتي:

د. عبد الواحد ذنون طه/ كلية التربية/ جامعة الموصل.

كتاب

الأستقصا في تاريخ المغرب الاقصى

لمؤلفه محمد الناصري

دراسة وتحليل

عبد الغني خماس

وزارة التربية/الجمهورية العراقية

يعتبر كتاب « الأستقصا في اخبار المغرب الأقصى » لمؤلفه محمد الناصري ، من اضخم الكتب التاريخية ، التي تحدثت عن أخبار المغرب العربي ، فهو المرجع الثاني بعد تاريخ العلامة أبن خلدون . فقد احتوى هذا المؤلف الواسع – بأجزائه التسعة – تاريخ المغرب العربي منذ الفتح الاسلامي ، حتى قيام الدولة العلوية ، التي ما زالت تحكم المغرب حتى يومنا هذا

فلم يترك المؤلف شاردةً ولا واردةً من احداث المغرب الا ودونها .

فهو والحالة هذه مرجع اصيل من مراجع تاريخ المغرب العربي .

من المؤسف أن يكون مثل هذا المؤلف الواسع غير معروف لدى دارسي التاريخ في مشرقنا العربي ، لذا احببت أن أقدمه الى المؤرخين والمثقفين ، علي بذلك أكون قد قدمت خدمة ألى المهتمين بدراسة التاريخ ، وخاصة تاريخ العصر الوسيط ، فلا جدال ان مغربنا العربي قد احتضن الثقافة العربية فترة طويلة ، يوم داهم مشرقنا العربي الغزو التتري الامر الذي دفع الكثيرين من المؤرخين والكتاب والشعراء والنابهين أن يتجهوا صوب المغرب العربي ، وكذلك الحال عندما غابت شمس الاسلام عن ارض الاندلس ، فاضطر جمهرة من الدارسين والنابهين أن يتركوا الاندلس ، ويستقروا في أرض المغرب ليتابعوا نشاطاتهم العلمية والثقافية .

لهذا قمت بهذا البحث الموجز ، الذي حاولت فية أن ارسم صورة مصغرة لهذا المؤلف التاريخي الكبير ، عله يكون محفزا ودافعا للقارئين للاستفادة من هذا الكتاب .

تعريف بكتاب « الأستقصا ، من اخبار المغرب الأقصى »

شخصية المؤلف :

من الواجب ، على من يتصدى لدراسة مؤلف ضخم ككتاب « الأستقصا من اخبار المغرب الأقصى » أن يحاول التعرف على شخصية المؤلف وثقافته وأفكاره ، وأتصالاته وألبيئة التي نشأ فيها . لأنه ذلك يعين الناقد والدارس على مهمته . فمن هو مؤلف الكتاب الضخم ؟

هو أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد ، ينتهي نسبه الى عبدالله ابن جعفر ابن ابي طالب ، رحمهم اللة . ويلقب بالناصري .

فهو من عائلة طيبة الأصول ، وألى أحد أجداده ينسب تأسيس الزاوية الناصرية في المغرب ، وهو الشيخ محمد الشهير بابن ناصر الدرعي .

نشأته وثقافته :

ولد بمدينة « سلا » وترعرع بها وشغف بالعلم منذ حداثته ،

فاندفع بكل رغبة نحو العلماء يأخذ منهم وينتفع بمعارفهم . ولما شب عوده وأكتملت ثقافته ، راح يلقي على الناس دروسا ومواعظ ، منتقدا من خلالها الكثير من العادات والاعراف ، التي كانت بعيدة كل البعد عن روح الاسلام . الأمر الذي جعل الناس يتوافدون لسماع دروسه ، والأنتفاع بمواعظه .
كان واسع المعرفة ، قد اخذ بنصيب من كل علم وفن ، فله تعاليق شتى من النحو والتاريخ والفقه ، وحتى الفلسفة . مثل رسالته الموسومة في بـ «رسالة في الرد على الطبيعيين»

مذهبه :

كان على مذهب السلفية ، ومحاربة البدع التي كثرت في عصره ، وكان يدعو إلى إحياء العلوم الاسلامية القديمة ، التي أندثر الكثير منها ، والتي كانت مزدهرة إبان العصور الاسلامية الأولى .
ومن يتصفح كتاب « الأستقصا » يتأكد من سلفية الناصري لأنه كثيراً ما كان يناصر هذا المذهب ، ويهاجم الفرق والمذاهب الأخرى ، بل كان يعتبر بعضها مروقاً عن اصول الدين . كما وصف الخوارج عندما تكلم عن دخول الأراء الخارجية الى المغرب .
ظل هذا الرجل يقرأ ويدون ، حتى وافته المنية فجر يوم الخميس الموافق السادس عشر من جمادى الأولى « أكتوبر » عام ألف وثلاثمائة وخمسة عشر . فرحمات الله تعالى عليه حيث ثوى واستقر .

الدافع الى تأليف الكتاب :

يذكر ولدا المؤلف رحمهما الله تعالى في مقدمة الكتاب ـ وهما اللذان نشرا الكتاب فيؤكدان بأن السبب الذي حدا بالمؤلف أن يؤلف هذا الكتاب ، هو انه لم تعثر على كتاب خصيص لتاريخ المغرب ـ بعد كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ـ للعلامة أبن خلدون . فأخبار المغرب كانت مبعثرة في كتب التاريخ . فاراد أن يجمع تلك الاخبار المبعثرة عن تاريخ المغرب في كتاب خاص ، يرجع اليه من اراد أن يتعرف على احوال هذا البلد الاسلامي العريق ، فوفقه الله وتم له ماراد ماأراد . وقد ذكر الناشران ماعاناه أبوهما من عناء في سبيل ذاك فقد رأى ـ أي المؤلف ـ ضرورة الاتصال بالتواريخ الاجنبية وخصوص تواريخ القطرين اللذين تسنى لهما احتلال بعض الشواطيء المغربية ، في أزمان متفاوتة ، وهما اسبانيا والبرتغال فأستعان المؤلف بترجمة بعض تلك الكتب التي تعرضت للكلام عن المغرب مثل كتاب لمؤلف برتغالي أسمه «لويس ماريا» الذي تناول فيه أستعمار البرتغال لمدينة «الجديدة» .
كما أطلع على كتاب اسباني عنوانه «وصف لتاريخ المغرب ومختصر لدويلاته» وهذا يعرض لنا صورة واضحة عن ذلك الجهد العظيم الذي بذله المؤلف وهو يدون كتابه .

قيمة الكتاب التاريخية :

الواقع اننا لانستطيع أن نحدد قيمة هذا الكتاب الضخم ، الذي تصدى لتدوين تاريخ المغرب منذ الفتح الاسلامي حتى قيام الدولة العلوية . فلا يسعنا والحالة هذه ألا أن نكبر هذا العمل الجليل ، الذي تفرغ له الناصري . رحمه الله . لانه اول من فكر بذلك بعد العلامة ابن خلدون . ولكن من المؤسف ان صاحبنا كان ناقلا أكثر منه مؤرخا ناقداً ، فكان منهجه في الكتابة العرض والاستطراد ، وعدم الألتزام بالموضوعية في كثير مما سرده . وقد قسم الناصري كتابه هذا الى اجزاء تسعة

١ ـ الجزء الاول : ويشمل عصر الرسول (ص) والخلفاء الراشدين والأدارسة

٢- الجزء الثاني : ويحتوي على أخبار دولتي المرابطين والموحدين .

٣- الجزء الثالث والرابع : وقد تناول فيها المؤلف أخبار دولة بني قرين ودولة بني وطاس .

٤- الجزءان الخامس والسادس : عرض فيها أخبار الدولة السعدية .

٥- أما بقية الأجزاء ، السابع والثامن والتاسع ، فقد خص بهم الدولة العلوية .

اني لأستغرب من تخصيص جزء واحدٍ من تلك الأجزاء التسع لأكبر دولتين عرفهما المغرب العربي ، وهما دولتا المرابطين والموحدين فقد كان لكل من هاتين الدولتين دوي هائل في أحداث المغرب والأندلس ، فلأمير المرابطين « يوسف بن تاشفين » يرجع الفضل في استقرار أركان الدولة العربية في الأندلس ، بعدما كادت أن تنهار تحت وطأة هجمات الأسبان ، ولكن

سرعان ما عبر هذا الأمير العظيم الى الأندلس ، وأوقف زحف جيوش الأسبان ، وشتت فلولهم في موقعة «الزلاقة» المشهورة ولقد أخبرني بعض مؤرخي المغرب إن «ونستون تشرشل» ، كان كثيراً ما يتردد على مدينة مراكش في فصل الشتاء ، وكان في كل مرة يصل الى هذه المدينة لا يتوانى عن زيارة قبر البطل «يوسف بن تاشفين» لأعجابه الكبير بهذه الشخصية التاريخية الفذة .

بعد مقدمة وجيزة للجزء الأول من هذا الكتاب ، الذي خصصه المؤلف كما اسلفنا للكلام عن الرسول (ص) والخلفاء الراشدين ودولة الأدارسة ينتقل المؤلف – رحمه الله الى الكلام عن فضل علم التاريخ ، ثم بعدها يسرد اخبار الرسول (ص) فيبدأ بنسبه حتى يوصله الى آدم عليه السلام ثم يستمر فيتكلم عن حياة الرسول (ص) قبل النبوة وما بعدها الى وفاته . بعدها يتناول عصر الخلفاء الراشدين مبتدئاً بالخليفة أبي بكر الصديق ، رضي الله عنه ، وحروبه مع المرتدين .

ثم ينتقل الى الخليفة عمر بن الخطاب والفتوحات العظيمة التي فتحها الله على المسلمين في خلافته .

ثم بعد ذلك يتناول خلافة عثمان بن عفان ، رضي الله عنه .

ولقد احسن المؤلف عندما دافع عن الخليفه عثمان ، وفنّد تلك الاتهامات التي وجهت اليه ، وأهمها أغتناء بعض الصحابة في عهده وتقريبه لبعض أقربائه من الحكم .

فقد نسب المؤرخ ذلك الى تطور الحياة العربية ، بسبب الفتوحات وكثرة الاموال التي كانت تنهال عليهم من البلدان المفتوحة .

قال « انما هي طبيعة العمران البشري ، تقتضي ذلك بسبب ما فتح الله على المسلمين من ممالك واقطار . . . » .

ومما يؤسف له إن المؤلف قد ذكر كثيراً من الخرافات ، وهو يقص علينا بناء هذه المدينة منها : إن الهوام والحشرات والحيوانات ، قد غادرت بقعة البناء التي أقيمت عليها المدينة بمجرد أن أمرها عقبة بالمغادرة ومثل هذا لا يليق بمؤرخ كان يحارب البدع والخرافات .

فهي غير مستساغة من المؤرخين القدامى ، بل المؤرخ الحديث ثم يذكر ولاية عقبة الثانية على المغرب .

ولقد أحسن المؤلف – رحمه الله تعالى – في محاربة هذه البدع لكنه مع الأسف . لم يتعرض الى ذكر الأسباب التي دعت العامة الى تسلك هذا السلوك ، الذي ينافي روح الاسلام أقول . . . إن السبب في بروز تلك الظواهر وخاصة في عهود من الحكم كان يطغى عليها الظلم بل الخيانة أحياناً .

كما حدث لأحد السلاطين الملقب « المسلوخ » أن وضع يده بيد البرتغاليين لأجل أن يكون سلطاناً . فباع وطنه ودينه في سبيل شهوة الحكم . الأمر الذي أدخل اليأس في قلوب العامة من حكامهم ، فهرعوا الى الأولياء والصالحين علهم يكونون عوناً لهم على طغيان الحكام .

بعدها ينتقل المؤلف الى هروب أدريس العلوي وتأسيسه الدولة الأدريسيه في المغرب ، وكيف تمت بيعة ادريس الأصغر في مدينة « وليلي » ولم يبلغ من العمر الحاديه عشرة ، ثم راح يعرض علينا كيفية بناء مدينة فاس ، بعد أن أستقر رأي الوزير عمير على تعيين المكان .

ثم يتطرق المؤلف الى تقسيم المغرب من قبل محمد بن أدريس بعد أن وزع الحكم بين أخوته ، ونبه الى خطورة هذا العمل فلم يمض وقت طويل حتى ثار عليه أخوه عيسى بن أدريس بمدينة أزمور ، فاضطر الى مكاتبة أخيه القاسم صاحب مدينة طنجة مطالباً أياه أن ينازل عيسى فأبى ، فكتب ثانية الى أخيه عمر ، فاستجاب لدعوته ونازل أخاه وجرده من ملكه . كان الأجدر بالمؤلف أن يتعرض لهذه البادره الخطيرة وهي تقسيم المملكة بين الأخوان والأولاد ، وما تجره على البلاد من اضرار ، ولكنه مر عليها مر الكرام ، فلم يناقش ولم يبد رأياً .

وقد أعتمد المؤلف ـ أحسن الله اليه . على بعض المراجع في تدوين تاريخ الأدارسة وخصوصاً أعتمد على كتاب« روض القرطاس » فكان ينقل منه حرفياً دون أن تجد له رأياً في تلك الحوادث .

في الجزء الثاني تطرق لذكر دولتي المرابطين والموحدين فأرجع أصولهم الى قبيلة صنهاجة أحدى قبائل البرانسي من البربر يقول في الصفحة الأولى « وموطن هؤلاء الملثمين ، أرض الصحراء والرمال الجنوبية فيما بين بلاد البربر وبلاد السودان ، ومساحة ارضهم نحو سبعة أشهر طولاً في أربعة عرضاً » . كان الأجدر بالمؤلف أن يبين لنا مساحة أو حدود هاتين الدولتين الكبيرتين ، بغير هذا القياس المبهم ، خصوصاً وهو كما يذكر ناشرا الكتاب – قد أطلع على الجغرافيا ، وما زالت بعض الخرائط التي رسمها بيده موجودة في مكتبته حتى الآن ؟ آذن فما المانع من رسم خارطة ولو بسيطة . يبين فيها حدود تلكما الدولتين ؟ .

استطرد المؤلف أستطراداً جيلاً وهو يقص علينا أخبار المرابطين ، والأسباب التي هيأت لهم قيام تلك الدولة ، وخصوصاً عندما

يتطرق الى ذكر أخبار السلطان يوسف بن تاشفين وأخبار عبوره الى الأندلس ، عندما استغاث به ملوك الطوائف فاستطاع أن يهزم الأسبان في موقعة « الزلاقه » الشهيرة ولكن كثيراً ما كان يذكر الحدث التاريخي مجرداً من النظرة التاريخية الفاحصة.

فعندما ذكر عزل تميم بن يوسف من قبل أخيه علي بن يوسف بن تاشفين عن بلاد المغرب ، لم يذكر السبب.

وكذلك لم يشر الى السبب الذي دفع السلطان علياً بن يوسف الى احراق كتاب « إحياء علوم الدين » للامام الغزالي وكل ما قاله بهذا الصدد « وكان علي بن يوسف واقفاً كأبيه عند اشارة الفقهاء واهل العلم ، قد ردّ جميع الأحكام اليهم فلما أفتوه باحراق كتاب الأحياء ، كتب الى أهل مملكته في سائر الأمصار والأقطار ، بأن يبحثوا عن نسخ الأحياء بحثاً أكيداً ، ويحرق ما عثر عليه منها » لقد كان والد السلطان علي وهو يوسف بن تاشفين ، معجباً كل الأعجاب بالامام الغزالي ، وخاصة بكتابه إحياء علوم الدين حتى ذكر بعض المؤرخين إن الامام الغزالي كان قد عزم على اللحاق بهذا السلطان وتهيأ للسفر اليه الا ان وفاة هذا السلطان حالت دون مواصلة هذا السفر والواقع إن السبب المباشر في احراق هذا الأثر الجليل ان السلطان علياً بن يوسف كان متأثراً بأراء المشعوذين الذين هاجمهم الامام الغزالي هجوماً عنيفاً في كتابه السابق فثارت ثورتهم على الكتاب وصاحبه ، واوعزوا الى علي أن يأمر بأحراق هذا الكتاب . فاستجاب لألحاحهم وامر بأحراق هذا الكتاب الديني الجليل .

ثم ينتقل للحديث عن الدولة الموحدية .

قرأت ترجمة المهدي بن تومرت ، مؤسس هذه الدولة في كتاب الأستقصا، فلم اتبين معالم هذه الشخصية ، ولم أظفر بصورة ولو كانت باهتة لمؤسس هذه الدولة . لأن المؤلف لم يستطع أن يضعها في اطارها المخصص لها .

فمرة يصفه بطلاً قومياً ، فهمت هذا من قول المؤلف - رحمه الله -

« وكان يحدث نفسه بالدولة لقومه على يده »

وفهمت كذلك بأنه كان مؤمناً متعصباً للشريعة وتطبيق أحكامها من خلال القصة التي سردها المؤلف عندما دخل المهدي مدينة مراكش ، وناظر قاضيها محمد بن أسود فقال له «فهل بلغك يا قاضي ان الخمر تباع جهارا ، وتغتصب أموال اليتامى بغير حق .. الخ».

وفهمت كذلك بأن المهدي لايعدو ان يكون دجالاً ، وذلك عندما أتفق مع أحد أعوانه أبي محمد البشر ، أن يصلي الصبح ويقول بلسان فصيح « أني رأيت البارحة في منامي انه نزل على المهدي ملكان من السماء وشقا فؤاده وغسلاه وحشواه علماً وحكمةً وقرآناً » .

فحرت - ولا أشك - ان كل من قرأ هذا قد استولت عليه الحيرة كما استولت علي ، فالمؤلف يصفه بطلاً قومياً في المرة الاولى ثم يعود فيصوره لنا مسلماًغيوراً على الشريعة والاسلام ، ثم ينتهي به أخيراً الى مشعوذ لايكترث الا بالملك .

وفي الصفحة ٢١١ من هذا الجزء سرد أخبار المأمون بن المنصور ومبايعته بعد ان خنق الموحدون أخاه العادل ، ولكن الموحدين سرعان ما نكثوا البيعة ندماً على العادل . فما كان من هذا المنكود لا المأمون الا أن أستغاث بملك قشتالة مستعيناً به على فتح مراكش ، بعد ان تنازل له عن عدة حصون وقلاع .

فدخل مراكش ، واعمل فيها القتل حتى في أقربائه ، فشتت صفوف الموحدين وعاث في الارض فسادا فقتل شيوخ الموحدين حتى قريباً له وكان غلاماً حدثاً ، فلما جيء به قال للمأمون : « يا أمير المؤمنين أعف عني لثلاث ، قال : ما هي ؟

قال صغر سني ، وقرب رحمي ، وحفظي لكتاب الله العزيز » ولكنه لم يستجب لتوسلاته ، فأمر به فقتل .

بعد كل هذه الجرائم الشنيعة ، أستمع الى المؤلف ما يقوله في هذا الطاغيه .

« وكان المأمون فصيح اللسان فقيهاً حافظاً للحديث ضابطاً للرواية ، عارفاً بالقراءات ، حسن الصوت والتلاوة مقدماً في علم اللغة العربية والاداب وايام الناس ، كاتباً بليغاً حسن التوقيع ، لم يزل سائر خلافته يسرد كتب الحديث مثل البخاري والموطأ وسنن أبي داود ، وكان مع ذلك شهماً حازماً مقداماً على عظائم الأمور » الى أخر النعوت الجليلة التي لم يخص بقسم منها سيف الله المسلول .

فكيف تسنى للمؤلف - غفر الله له - أن يخلع كل تلك النعوت كل رجل هذا شأنه ؟

ثم ينتقل في الجزء الثالث من كتابه ليتكلم عن دولة بني مرين والوطاسين لقد اعتمد المؤلف - رحمه الله - على ابن خلدون كثيراً في سرد أخبار الدولة المرينية ، وحسناً فعل ، لأن العلامة أبن خلدون كان معاصراً لتلك الدولة ، فهو أدرى من

غيره بأحوالها . ألا أنه كان يسهب أحياناً ، حيث لا داعي للاسهاب ويوجز أحياناً حيث تدعو الحاجة الى الاسهاب .

كما فعل في ص٢٠٠ من هذا الجزء عندما ذكر تنقلات ابن الخطيب في مدينة مَراكش ، لقد خصص المؤلف أكثر من ثلاثة وعشرين صفحة لذكر أخبار الوزير الأندلسي ابن الخطيب ، فلو خصص مثل تلك الصفحات للحديث عن الأحوال الأجتماعية والمفارقات السياسيّة لكان أقرب منهم الى المؤرخ المحقق .

قال في الصفحة الأولى من الكتاب في وصف أبي بكر بن أبي عنان المريني ما نصه « صفته دريّ اللون مستدير الوجه ، حسن الأنف العسُّ الشفتين ، براق الثنايا ، جعد الشعر . . . . الخ » .

ولكأني بالمؤلف يصف جاريةً لا سلطاناً

وكان الأجدر به كمؤلف ومؤرخ ألا يلتفت الى وصف قسمات السلطان ، بقدر ما يلتفت الى صفاته من حزم وأقتدار وسلطان .

وكل ما قاله بهذا الصدد هو : « وكان محجوباً بوزيره حسن بن عمير الغوددي ، لا يملك معه ضراً ولا نفعاً » .

وخلاصة القول إن المؤلف في جل بحوثه لم يكن يحفل بدراسة الحادثة التاريخية دراسة منهجية موضوعية ، ولا كان يتصل بأسباب الحدث التاريخي ، لذا نستطيع أن نعده من المؤرخين القدامى ، الذين لايعنيهم من أمر التاريخ ألا السرد والعرض علماً انه كثيراً ما كان ينقل عن ابن خلدون ، ذلك المؤرخ الفذ الذي أتضحت في بحوثه التاريخية مناهج البحث الحديث . وكثيراً ما كنا نراه – ونحن نقرأ كتابه – ينتقل بين الحوادث التاريخية المتباعدة ، التي لم تخضع لأسباب واحدة .

فمثلاً – وهو يتكلم عن دولة بني مرين ، ينتقل فجأة من خلع عبد الحق بن أبي سعيد المريني ، ومبايعة الشريف أبي عبد الله الحفيد « حفيد الأدارسه » ثم فجأة يتحول الى زوال دولة بني الاحمر في الاندلس ، بعدها مباشرة يسرد أخبار بني وطاس ، دون ان يقدم لنا تعليلاتٍ لما يذكر . ولكنه أحياناً يتقمص شخصية المؤرخ الناقد فعندما تصدى للكلام عن قيام دولة الوطاسيين ذاكراً أنسابهم ، وبين لنا بأختصار مفيد سبب قيام هذه الدولة ، واعطانا صورة موجزة وواضحة عن الدوافع التي حدت بهم الى مزاحمة بني مرين ، بدعوى أنهم كانوا ينتمون في النسب الى يوسف بن تاشفين مؤسس دولة المرابطين وبهذه الدعوى زاحموا أبناء عمومتهم المرينيين ، ودافعوهم حتى غلبوهم . ص١٤٤ .

ثم يتحول الى الكلام عن الدولة السعدية فيتطرق الى ذكر العمران ، كبناء القصور والمرافق الأجتماعية والأقتصادية من قبل الخلفاء والوزراء فتراه في ص١٣٤ يصف لنا قصر البديع ،الذي أقامه المنصور السعدى ، فيذكر تاريخ الأبتداء في تشييده وهي سنة ست وثمانون وتسعمائة . كما ذكر الصُنّاع وادوات البناء ووصف الاحتفال الذي أقامه المنصور عند الانتهاء من بناء هذا المقر قال « ودعا الاعيان والاكابر ، فقدم لهم من ضروب الأطعمة وصنوف الموائد ، وأفرغ عليهم من العطايا ومنحهم من الجوائز ، ما لم يعهد مثله قبل ذلك » .

فهنا ينقل لنا صوراً عن العمران ، ولو كان ذلك قاصراً على الطبقة الحاكمة .

ولكن كثيراً ما كانت تنتابه حمى الأضطراب المنهجي ، فيسير في متاهات التاريخ دون أن يلقي ضوءً . ولو باهتاً – على كثير من الحقائق التاريخية فعندما بدأ الكلام عن نهوض أبي عبدالله العياشي ، ومحاربته نصارى الاسبان في المعمورة ، نراه يتركه يقص علينا أخبار عبدالله بن الشيخ ، ثم يترك هذا الأخير ليتكلم عن محمد بن الشيخ وثورته على أخيه عبدالله بن الشيخ ، ثم يظل ينتقل وينتقل حتى يرجع أخيراً الى حديثه الأول تحت عنوان «ظهور أبي عبدالله العياشي بلا مبايعة أكابر عصره له » ثم يتركه ويتناول شخصيات أخرى ، حتى يرجع أليه أخيراً تحت عنوان « بقية أخبار أبي عبدالله العياشي بسلا والثغور ، وما يتبع ذلك » .

فلو نحا المؤلف غير هذا المنحنى ، لكان أرحم بقارىء كتابه إذ لو تكلم عن هذه الشخصية التاريخية من اول ظهورها وما حققته من اعمال . . . لو فعل ذلك لكان الى المؤرخ المنهجي أقرب منه الى المعارض .

ثم بعد ذلك يتعرض الى تاريخ الدولة العلوية ، وكل من قرأ الأجزاء الثلاثة الأخيرة من كتابه يشعر بأن المؤرخ كان متهيباًمن نقل المادة التاريخيه وعرضها .

مثلاً سكت المؤرخ عن خروج المولى رشيد على أخيه محمد ابن المولى الشريف وقتله أياه ص٢٩ .

كان السبب دون شك الطمع في الخلافة ، لأن المولى محمد بن الشريف يعتبر بجدارة مؤسس الدولة العلوية .

لم يظهر على المؤلف أي أشمئزاز من تصرفات هذا السلطان وقد نلتمس له العذر لأنه كان يعيش في ظل الدولة

العلوية فلا يستطيع -- والحالة هذه - أن يمسّ أحداً منها بسوء .

ولكننا لانسمح لأنفسنا أن نلتمس له العذر وهو يغدق على المولى رشيد كل صفات البطولة والشهامة ، عندما تكلم عن وفاته ص ١١ .

وفي الصفحة ١٣ من الجزء التاسع من تاريخ الدولة العلوية ، يتكلم المؤلف عن مشـروع السلطان المولى عبـد الرحمن في غرس «أجدال» بحضرة مراكش ، ودون أن يؤرخ هذا الشروع فيقول : « وأعلم إن هذه الأخبار التي سردناها من أول هـذه الدولة السعيدة الى هنا تبعنا في جلها أبا عبدالله أكنوس « مؤرخ مغربي » وقد ساقها - رحمه الله - مجردة عن التاريخ الذي هو المقصود بالذات من الفن ، ونحن لم نعثر عما يحقق لنا تواريخها فرتبناها بحسب ما أدى اليه الفكر والروية ، وأثبتناها لئلا تذهب فائدتها بالكلّية ، وعلى كل حال فهي في حدود الأربعين من مائة التاريخ - والله أعلم - أنتهى .

لقد كان المؤرخ - غفر الله له - ناقلاً في كثير مما رواه ، كان عليه أن يتحقق من تاريخ الشروع في غرس أجدال (١) أذ لم تكن المسافة طويلة ما بينه وبين هذا العمل فهي أقل من مائة سنة فقد كانت بيعة السلطان سنه ١٢٣٠ ، ووفاة المؤلف سنه ١١٨٥هـ كان بوسع المؤرخ أن يسأل أناساً عاصروا السلطان عبد الرحمن وأن يأخذ عنهم تاريخ الشروع في غرس أجدال ، فأخذ الأخبار عن طريق التواتر ، تعتبر من اهم المصادر التـاريخية ، وأعظم ما يعتمد عليها المؤرخـون ، كما فعل ذلك أصحـاب الحديث النبوي الشريف عندما كانوا يسألون التابعين ، وتابعي ، التابعين ، عن الأحاديث النبوية الشريفه .

لقد استنطق العلماء والمؤرخـون الأوربيـون - الـذين عاصروا المؤرخ . . . لقد أستنطقوا الحجر والطين ، فأخذوا عنها المعلومات ، ودونوا تاريخ البشريه القديم ، والحضارات الشرقية مثل البابليه والآشوريه والفرعونيه .

أما مؤرخنا - رحمه الله - فلم يكلف نفسه سؤال معاصريه معتذراً بأن المؤرخ الذي أخذ عنه لم يثبت تواريخ الأحداث .

خلاصة البحث :

١-إن المؤلف كان ناقلاً أكثر منه مؤرخاً وقد أستعان بالمصادر التاريخيه ، وأهمها تاريخ العبر - لأبن خلدون ، وتاريخ المعجب في تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد المراكش وغيرها من المؤرخين .

٢- أعتمد المؤلف في سرد الحوادث على ترتيب السنين ، دون ان يراعي أتصال الحوادث وتداخلها ، وتأثير كل منها بالأخرى

٣ - لم يقسم المادة التاريخيه الى موضوعات ، كما فعل المؤرخون المحدثون ، أذاً نستطيع أن نعد كتاب الأستقصا قد اتبع نفس المنهج القديم في السرد القديم .

٤ - كان ينقصه كثير من التحليل والتعليل لجل الحوادث التي ساقها من ثنايا كتابه .

٥ - لم يحاول رسم ولو خريطه واحده في كتابه .

٦ - لم يتطرق الى ذكر الحالة الأجتماعية والعمرانيه في المغرب الا قليلاً ، علماً انه كان يستطيع أن يتأثر بمنهاج ابن خلدون في البحث التاريخي ، لأنه نقل عنه كثيراً . . ولكنه لم يفعل .

٧ - أكثر من ذكر الزهاد والعباد ، وكان ينقل الكثير من الخرافات عنهم التي تليق بهم وبه ، لكونه مثقفاً ثقافة دينية عالية

٨ - ومهما يكن من شيء فأن المؤلف - رحمه الله واحسن أليه - قد قام بمجهود عظيم سيبقى خالداً ، وسيظل كتابه « الأستقصا في أخبار المغرب الأقصى ، مرجعاً يستعين به كل من تصدى لقراءة تاريخ المغرب .

---

(١) آجدال ناحية في مدينة مراكش .

* * *

المحتوى

البحوث والدراسات

نصوص المحققة

الفهارس والبيليوغرافيا

العرض والنقد والتعريف

● سعر المجلة

العراق	١,٠ دينار
الاردن	١,٠ دينار
مصـر	١,٠ جنيه
السودان	١,٠ جنيه
المغرب	١٣ درهما
تونـس	١,٥ دينار
السعودية	١٣ ريالا
الامارات	١٣ درهما
الكويت	١,٠ دينار
البحرين	١,٥ دينار
قطـر	١٣ ريالا
اليونان	١٣٣ دراخما
انجلترا	٣,٠ جنيهات

● الاشتراكات

داخل العراق	٦ دنانير
في الوطن العربي	٤٨ دولاراً
في الدول الاوربية	٥٤ دولاراً
في امريكا والاتحاد السوفياتي	٦٦ دولاراً

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ـ بغداد
(١٠٠) لسنة ١٩٨٨

دار الشؤون الثقافية العامة ـ بغداد
١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م

AL- MAWRID

A QUARTERLY JOURNAL OF CULTURE
AND HERITAGE

ISSUED BY THE MINISTRY OF CULTURE AND INFORMATION

BAGHDAD, REPUBLIC OF IRAQ

Volume 17 Number [illegible] [illegible]